زَادُ الأَتْقِيَاءِ

من قصص الرسل والأنبياء

وَيَلِيهِ:

«الْأُرْجُوزَةُ الْمُحَبَّرَةُ فِي التَّارِيخِ»

لِعَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ بْنِ بْدَرٍ الْقُرَشِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٢٤٩هـ)

جَمْعُ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ:

هَيْثَمَ بْنِ مُحَمَّد سَرْحَان

الْمُدَرِّسِ بِمَعْهَدِ الْحَرَمِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ -سَابِقًا-

وَالْمُشْرِفِ عَلَى مَعْهَدِ السُّنَّةِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِمَنْ أَعَانَهُ عَلَى إِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ

https://mahadsunnah.com

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

[هَذِهِ النُّسْخَةُ الْإِلِكْتْرُونِيَّةُ تَحْتَ الْإِخْرَاجِ،
وَهِيَ غَيْرُ مُعَدَّةٍ لِلطِّبَاعَةِ بَعْدُ]

المُقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أمَّا بعدُ؛ فهذا جزءٌ مُختَصرٌ في قَصَصِ الأنبياءِ عليهم السلام:

- اقتَصرنا فيه علىٰ إيرادِ مَن ورَدَ ذِكرُهُ في القُرآنِ مِن الأنبياءِ إمَّا مُصرَّحًا باسمِهِ أو مُشارًا إليه في سِياقِ قِصَّةٍ، وذكَرنا مِن بينِهم شيثًا عليه السلام؛ لأنَّه استَفاضَ ذِكرُه عند أهلِ السِّيَرِ مِن السَّلَفِ، واعتمَدنا في القَصَصِ علىٰ ما ورَدَ في القُرآنِ، أو في السُّنَّةِ الصَّحيحَةِ، أو اشتَهَرَ لدىٰ أهلِ السِّيَرِ مِن السَّلَفِ،مُستَفيدينَ في ذلِكَ كثيرًا ممَّا أورَدَهُ الحافِظُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله في كِتابَيهِ «قَصَصُ الأنبياءِ» و«التَّفسيرُ».
- وجَعَلنا في أوَّلِ قصَّةِ كلِّ نبيٍّ مِن الأنبياء جَدوَلًا مُختَصَرًا يُسَهِّلُ علىٰ القارِئِ مَعرِفَةَ أهمِّ ما يتعلَّقُ به، ويُتَمِّمُ الفائِدَةَ مِن هذا الكِتابِ.
- وذَكَرنا في مَطلَعِ الكِتابِ بعضَ المَسائِلِ المُهِمَّةِ في بابِ عَقيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ في الأنبِياءِ والرُّسُلِ،إضافَةً إلىٰ بَعضِ المُلَخَّصاتِ المُهِمَّةِ فيما يتعلَّقُ بهذا البابِ.

❍ وكعادِتنا أدرَجنا مَجموعَةً مِن الاختِبارات الَّتي يستَطيعُ الطَّالِبُ مِن خِلالِها تَقييمَ تَحصيلِهِ العِلميِّ.

نسأَلُ اللَّهَ الحيَّ القيُّوم أن يجعَلَ هذا العمَلَ خالصًا لوَجهِه، وأن ينفَعَ به القارِئَ والكاتِبَ والمُساعِدَ، إنَّه وليُّ ذلِكَ والقادِرُ عليهِ، وصلَّىٰ اللَّهُ وسلَّمَ وبارَكَ علىٰ خَيرِ الخلقِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ، وعلىٰ سائِرِ الأنبياءِ والرُّسُلِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ، وعلىٰ آلِ النَّبيِّ ﷺ وصَحبِه ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحَمدُ للَّهِ ربِّ العالَمينَ.

فَائِدَةٌ:

قالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائِد» (١/ ٥٦): (**أينَ أنتَ؛ والطَّريقُ طَريقٌ تَعِبَ فيه آدَمُ، وناحَ لأجلِهِ نوحٌ، ورُمِيَ في النَّار الخَليلُ، وأُضْجِعَ للذَّبح إسماعيلُ، وبِيعَ يوسُفُ بثَمَنٍ بَخْسٍ، ولَبِثَ في السِّجنِ بضعَ سِنينَ، ونُشِرَ بالمِنشارِ زكَرِيَّا، وذُبِحَ السَّيِّدُ الحَصورُ يحيَىٰ، وقاسَىٰ الضُّرَّ أيُّوبُ، وزادَ علىٰ المِقدارِ بُكاءُ داوُدَ، وسارَ مع الوَحشِ عيسَىٰ، وعالَجَ الفَقْرَ وأنواعَ الأذىٰ مُحمَّدٌ ﷺ؛ تُزْهَىٰ أنتَ باللَّهْوِ واللَّعِبِ؟!**).

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّة فِي الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عليهم السلام

يتلخَّصُ مُعتَقَدُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ في الأنبياءِ والرُّسُلِ في النِّقاطِ الآتيَةِ:

❍ نُؤمِنُ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خلَقَ النَّاسَ لِعبادَتِهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذَّاريات]، ولم يَترُكِ اللهُ النَّاسَ هَمَلًا، وإنَّما أرسَلَ إليهم أنبياءَ ورُسُلًا اصطَفاهُم وفضَّلَهُم علىٰ النَّاسِ، يَهدونَهُم صِراطَهُ القَويمَ، ويُقيمونَ عليهمُ الحُجَّةَ البَيِّنَةَ، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[النِّساء]، قالَ شَيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: (الصَّوابُ أنَّ الرَّسُولَ هُوَ مَنْ أُرسِلَ إلَىٰ قَوْمٍ كُفَّارٍ مُكَذِّبينَ، وَالنَّبِيُّ مَنْ أُرْسِلَ إلَىٰ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بِشَرِيعَةِ رَسُولٍ قَبْلَهُ، يُعَلِّمُهُمْ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ).

❍ نُؤمِنُ أنَّ عددهم ما أخرَجَه أحمَدُ والحاكِمُ عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ**»، وقَد سُمِّيَ لنا في القرآنِ خمسةٌ وعِشرونَ نَبِيًّا ورَسولًا، جمعَهُمُ النَّاظِمُ في قَولِهِ:

فِي ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَىٰ سَبْعَةٌ وَهُمُو
إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ... ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

أشارَ بقولِهِ ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إلىٰ آياتِ سورَةِ الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ

وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأنعام]، ذُكِرَ فيها ثَمانيةَ عشرَ نَبِيًّا.

وذُكِرَ بعضُ الأنبياءِ في القرآنِ بغيرِ تَسمِيَةٍ، منهم: الخَضِرُ، ويوشَعُ بنُ نونٍ، وحِزقيلُ، وشَمويلُ عليهم السلام.

❍ نُؤمِنُ بأنَّ أوَّلَ الرُّسُلِ نوحٌ عليه السلام، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[النِّساء: ١٦٣]، وأنَّ آخرَهُم مُحمَّدٌ ﷺ، قالَ تَعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[الأحزاب: ٤٠].

❍ نُؤمِنُ أنَّ الرُّسُلَ أفضَلُ مِنَ الأنبياءِ، وأنَّ أفضَلَ الرُّسُلِ مُحمَّدٌ، ثُمَّ إبراهيمُ، ثُمَّ موسَىٰ، ثُمَّ نوحٌ وعيسَىٰ بنُ مريمَ عليهم السلام، وهؤلاءِ هُم أولُو العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ، وهم المَخصوصونَ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾﴾[الأحزاب]، ونُؤمِنُ أنَّ ذِكرَ الفضلِ الخاصِّ لبَعضِ الأنبياءِ لا يقتَضي التَّفضيلَ العامَّ.

❍ نُؤمِنُ بجَميعِ مَن بلَغَنا مِنَ الرُّسُلِ والأنبياءِ، ولا نُفَرِّقُ بينَهُم، ولَا نَرفَعُهُم فوقَ مَنزِلَتِهِم، ونُؤمِنُ أنَّهُم بَشَرٌ مَخلوقونَ، ولم يُرسِلِ اللهُ مَلَكًا إلىٰ النَّاسِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾﴾[الإسراء]، ونُؤمِنُ أنَّهُم لا يَملِكُونَ لأنفُسِهِم ولا لغَيرِهِم نفعًا ولا ضرًّا، وليس لهُم من خَصائِصِ الرُّبوبيَّةِ شَيءٌ، وأنَّهُم أعبَدُ النَّاسِ للهِ، وليسَ لهُم مِن خَصائِصِ الأُلوهيَّةِ شيءٌ، أكرَمَهُم اللهُ تَعالىٰ بالرِّسالَةِ، ووَصَفَهُم بالعُبوديَّةِ في أعلىٰ مَقاماتِهِم، وفي سِياقِ الثَّناءِ عليهِم، فقالَ عن نوحٍ عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾﴾[الإسراء]، وقالَ عن مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[الفرقان].

❍ نُؤمِنُ بأنَّ اللهَ تَعالىٰ ختَمَ الرِّسالاتِ برِسالَةِ مُحمَّدٍ ﷺ، وأنَّهُ أرسَلَهُ إلىٰ جميعِ النَّاسِ؛ لقَولِهِ تَعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وكانَ الرُّسُلُ قبلَهُ يُبعَثونَ إلىٰ قَومِهِم خاصَّةً.

❍ نُؤمِنَ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ﷺ ودينَ كُلِّ مَن قَبلَهُ مِن الرُّسُلِ هو دينُ الإسلام الَّذي ارتضاهُ اللهُ تَعالىٰ لعِبادِهِ، لا يَقبَلُ مِن أحَدٍ دينًا سِواهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران]، وقالَ علىٰ لِسانِ نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[يونس]، وقالَ علىٰ لِسانِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام]، وقالَ عن أهلِ بيتِ لوطٍ عليه السلام: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الذاريات].

❍ نُؤمِنُ أنَّ كُلَّ مَن زَعَمَ اليومَ دينًا قائمًا مَقبولًا عندَ اللهِ سِوىٰ دينِ الإسلامِ فهو كافِرٌ، يُستَتابُ فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ مُرتَدًّا؛ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ للقُرآنِ، وأنَّ مَن كفَرَ برِسالَةِ مُحمَّدٍ ﷺ إلىٰ النَّاسِ جميعًا، وبرِسالَةِ أيٍّ مِن رُسُلِ اللهِ عز وجل الَّذينَ أُخبِرنا عنهُم فقَدْ كَفَرَ بجَميعِ الرُّسُلِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[النِّساء].

❍ نُؤمِنُ أنَّ مَن ادَّعىٰ النُّبُوَّةَ بعدَ مُحمَّدٍ ﷺ أو صَدَّقَ مَن ادَّعاها فهو كافِرٌ؛ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ للهِ ورَسولِه وإجماعِ المُسلِمينَ، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠].

❍ نُؤمِنُ أنَّ اللهَ بعَثَ مع كُلِّ رَسولٍ كِتابًا يُؤَيِّدُ به رِسالَتَهُ، ومن ذلك أنَّه أنزَلَ علىٰ إبراهيمَ عليه السلام الصُّحُفَ، وعلىٰ موسَىٰ عليه السلام التَّوراةَ والصُّحُفَ، وعلىٰ داودَ عليه السلام الزَّبورَ، وعلىٰ عيسَىٰ عليه السلام الإنجيلَ، وعلىٰ مُحمَّدٍ ﷺ القُرآنَ، وجعَلَ القُرآنَ مُهَيمِنًا وقاضِيًا علىٰ ما قَبلَهُ مِن الكُتُبِ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الأنبياءَ والرُّسُلَ مَعصومونَ فيما أُمِروا به مِن تَبليغِ دينِ اللهِ وشَرائِعِهِ، وأنَّهم مَعصومونَ مِن الوُقوعِ في الشِّركِ الأكبَرِ والأصغَرِ، ولِهَذَا فإنَّنا لا نَذكُرُهُم إلَّا بالجَميلِ، ولا نَذكُرُ القَصَصَ المَكذوبَةَ عليهم، والَّتي قد يَكونُ فيها انتِقاصٌ مِن قَدرِهِم.

❍ نَرَىٰ مَشروعِيَّةَ الصَّلاةِ علىٰ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وهي طلَبُ ذِكرِ اللهِ لهُم في المَلَإِ الأعلىٰ، أو طلَبُ الرَّحمَةِ الخاصَّةِ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهُم، ومَشروعِيَّةَ السَّلام عليهِم، وهو طَلَبُ السَّلامَةِ لهُم مِن كُلِّ سوءٍ، ونُمسِكُ عن الكَلامِ فيهِم، ولا نذكُرُهُم إلَّا بخَيرٍ؛ فهُم أفضَلُ عِبادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الأنبياءَ يَموتونَ كما يَموتُ بَنو آدَمَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾[آل عمران:١٤٤]، ولا يُعلَمُ مَكانُ قَبرِ نَبِيٍّ مِن الأنبياءِ إلَّا قَبرُ مُحمَّدٍ ﷺ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ مِن تَفضيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لمُحمَّدٍ ﷺ أنَّه لم يَجعَلْ لنَبِيٍّ آيةً إلَّا وجَعَلَ لِمُحمَّدٍ ﷺ نَصيبًا منها، ولِأتباعِهِ مِن بَعدِهِ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الآيَةَ الَّتي اشتَرَكَ فيها كُلُّ الأنبياءِ والرُّسُلِ أنَّهم صادِقونَ في قَولِهِم، مَصدُوقُونَ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مُصَدَّقُونَ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَن آمَنَ قَلبُهُ وجَحَدَ لِسانُهُ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ القرآنَ كِتابُ اللهِ، الأصلُ فيهِ التَّشريعُ، وأنَّهُ مِن عِندِ اللهِ، وليسَ كِتابَ قَصَصٍ، وإنَّما تُذكَرُ القَصَصُ فيه للعِبرَةِ والاتِّعاظِ والتَّثبيتِ.

❍ طَريقَةُ أهلِ السُّنَّةِ عُمومًا الاستِدلالُ ثمَّ الاعتِقادُ، بخِلافِ أهلِ الزَّيغِ والبِدَعِ الَّذينَ بَنَوا طَريقَتَهُم علىٰ الاعتِقادِ أوَّلًا ثمَّ لَوي أعناقِ النُّصوصِ، وقد حَدَثَ هذا في قَصَصِ بَعضِ الأنبياءِ؛ كما سَيأتي بَيانُهُ في مَوضِعِهِ إن شاءَ اللهُ.

مَوْقِفُنَا مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّات:

الإسـرَائِيلِيَّاتُ هـيَ: الأَخبـارُ المَنقولَـةُ عَـن أَهـلِ الكِتـابِ، والأصـلُ في التَّعامُـل معَهـا مـا أخرَجَهُ البُخـارِيُّ عن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه قـالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّـي وَلَوْ آيَـةً، وَحَدِّثُوا عَـنْ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَـذَبَ عَلَـيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَـوَّأْ مَقْعَدَهُ مِـنَ النَّارِ**»، ثـمَّ أخبـارُ بَنـي إسـرائيلَ علىٰ ثلاثَةِ أقسـامٍ كمـا يأتي:

أَقْسَامُ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

[١] مَا صَدَّقَهُ شَرعُنا: فنَستَغني بما ورَدَ في شَريعَتِنا عنهُ؛ كقِصَّةِ أَهلِ الكَهفِ، ولا بأسَ أن نَستَفيدَ مِمَّا ورَدَ عنهم بغَرَضِ إيضاحِ المَعنىٰ وتَعضيدِهِ، ومَعرِفَةِ شَيءٍ من التَّفاصيلِ الَّتي جاءَت مُجمَلَةً في شَرعِنا، والاتِّعاظِ به والاعتِبارِ.

[٢] مَا كَذَّبَهُ شَرعُنا: إمَّا صَراحَةً، وإمَّا بحِكايَةِ ما يُخالِفُهُ، فهذا لا شكَّ أنَّه باطِلٌ مَردودٌ لا يُلتَفَتُ إليهِ أبدًا.

[٣] مَا سَكَتَ شَرعُنا عنه: فلم نعلَم صِدقَهُ مِن كَذِبِهِ، وهذا هو المَقصودُ في الحَديثِ، فنتَوَقَّفُ فيه، لا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، وتَجوزُ حِكايَتُه والاِعتِبارُ به، ويصِحُّ الاستِشهادُ والاعتِضادُ به بشُروطٍ:

قـالَ الحافِـظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فـي «تَفسـيرِه» (٧/ ٣٩٤): (إِنَّمَا أَبَاحَ الشَّـارِعُ الرِّوَايَةَ عَنْهُـمْ فِـي قَوْلِهِ: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَلَا حَـرَجَ**»، فِيمَا قَدْ يُجَـوِّزُهُ الْعَقْلُ، فَأَمَّـا فِيمَـا تُحِيلُـهُ الْعُقُولُ، وَيُحْكَـمُ عَلَيْـهِ بِالْبُطْلَانِ، وَيَغْلِـبُ عَلَىٰ الظُّنُـونِ كَذِبُهُ فَلَيْـسَ مِنْ هَـذَا الْقَبِيلِ، وَاللَّـهُ أَعْلَمُ).

مَعلومَاتٌ عامَّةٌ تتعَلَّقُ بِقَصَصِ القُرْآنِ:

الأَنْبِيَاءُ:	الرُّسُلُ:	أُولو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ:	الأَنْبِيَاءُ المسَمَّونَ في القرآنِ:
١٢٤ ألفًا	٣١٥	٥	٢٥

الأَنْبِيَاءُ الْعَرَبُ:	أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ:	أَوَّلُ الرُّسُلِ:	آخِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ:
٥	آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ	مُحَمَّدٌ ﷺ

خَوَارِقُ الْعَادَاتِ: مَا يَأْتِي عَلَىٰ خِلَافِ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ؛ كَأَنْ يَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَمْشِيَ عَلَىٰ الْمَاءِ، **وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:**

[١] الآيَةُ: تكــونُ للأنبياءِ، وَرَدَ في القُرآنِ تَسميتُها آياتٍ، وأمَّا المُعجزَةُ فقد يَعجزُ عنها بعضُ النَّاسِ، وتكون لغيرِ الأنبياءِ، ولا يُمكنُ لأحدٍ ادِّعاءُ آيةٍ بعدَ موتِ النَّبيِّ ﷺ.

[٢] الكَرامَةُ: تَكونُ لأَولياءِ الرَّحمنِ، وهم الَّذينَ جَمَعوا بينَ الإيمانِ والتَّقوَىٰ، ومِثالُ الكَرامَةِ ما حصَلَ مع أصحابِ الكَهفِ.

[٣] المُعجِزَةُ أو الفِتنَةُ: تكــونُ لأَولياءِ الشَّيطانِ، نعرِفُها بمَعرِفَةِ حالِ الشَّخصِ، لا إيمانَ ولا تقوَىٰ، ومِثالُ المُعجِزَةِ ما يحصُلُ مِن الدَّجَّالِ.

[٤] الفَضيحَةُ: كلُّ مَن كَذَبَ علىٰ اللَّهِ فضَحَهُ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ، ومِثالُ الفَضيحَةِ ما حصَلَ مِن مُسيلِمَةَ الكَذَّابِ؛ نفَثَ في عَينِ مَريضٍ فعَمِيَ!

الحِكْمَةُ مِنْ دِرَاسَةِ قَصَصِ الأنبياءِ:	الدَّلِيلُ:
[١] إثباتُ الوَحدانِيَّةِ لله تَعالىٰ، والأمرُ بعِبادَتِه.	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النَّحل:٣٦].
[٢] إثباتُ الوَحيِ والرِّسالَةِ.	﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود].
[٣] إثباتُ البَعثِ والجَزاءِ.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[البقرة].
[٤] تَثبيتُ النَّبيِّ ﷺ وأُمَّتِه.	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].
[٥] العِبرَةُ بأَحوالِ المُرسَلينَ وأُمَمِهم.	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].
[٦] بَيانُ جَزاءِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ونِهايَةُ مَصيرِها.	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[يوسف:١٠٩].
[٧] تَربيَةُ المُؤمِنينَ.	﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[يوسف].

[٨] الدَّعوَةُ إلىٰ الخَيرِ والإصلاحِ، ومَنعِ الفَسادِ.	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ].
[٩] مُواجَهَةُ اليَأسِ بالصَّبرِ.	﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].
[١٠] بَيانُ قُدرَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.	﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩].
[١١] بَيانُ نِعَمِ اللهِ علىٰ أنبيائِهِ وأَصفيائِهِ.	﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

طَرِيقَةُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ فِي عَرْضِ الْقَصَصِ:

[١] سَردُ القِصَّةِ مِن أوَّلِها إلىٰ آخِرِها؛ كما في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٢] عَرضُ جانِبٍ مِن القِصَّةِ في مَوضِعٍ، وجانِبٍ آخَرَ في مَوضِعٍ آخَرَ، وهكَذا... كما في قِصَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٣] عَرضُ القِصَّةِ مرَّةً مَبسوطَةً ومرَّةً مَقبوضَةً، مع مُراعاةِ مَكانِ العِبرَةِ، ومُقتَضىٰ المَقامِ، والغَرَضِ مِن القِصَّةِ.

أَنْوَاعُ القَصَصِ فِي القُرْآنِ:		
	[١] قَصَصُ الأَنْبِيَاءِ:	ذُكِرَ ٢٥ نبيًّا بأسمائِهم كما تقدَّمَ، وذُكِرَ بعضُ الأنبياءِ غيرَ مُصَرَّحًا بأسمائِهم؛ كالخَضِرِ، ويوشَعَ، وحِزقيلَ، وشَمويلَ.
	[٢] قَصَصُ الصَّالِحِينَ:	ومِنهُم: لُقمانُ الحَكيمُ (في سورَةِ لُقمانَ)، وذو القَرنَينِ (في سورَةِ الكَهفِ)، وعُزَيرٌ (في سورَةِ التَّوبَةِ)، وطالوتُ (في سورَةِ البقرَةِ).
	[٣] قَصَصُ النِّسَاءِ:	ومِنهُنَّ: حَوَّاءُ، وامرَأَةُ نوحٍ عليه السلام، وسارَّةُ امرَأَةُ إبراهيمَ عليه السلام، وامرَأَةُ لوطٍ عليه السلام، وامرأَةُ العَزيزِ، وامرَأَةُ أيُّوبَ عليه السلام، وآسِيَةُ امرأَةُ فِرعَونَ، وبَلقيسُ مَلِكَةُ سَبَإٍ، وامرَأَةُ زَكرِيَّا عليه السلام، ومَريَمُ ابنَةُ عِمرانَ، وأُمُّ كُلثوم بِنتُ عُقبَةَ (في المُمتَحَنَةِ)، وخَولَةُ بِنتُ ثَعلَبَةَ (في المُجادَلَةِ)، وأُمُّ قَبيحٍ (جَميلٍ) زَوجُ أبي لَهَبٍ (في المَسَدِ)، وأزواجُ النَّبيِّ ﷺ.
	[٤] قَصَصُ الأَقْوَامِ والجَمَاعَاتِ:	ومِنهُم: قَومُ نوحٍ، وعادٌ، وثَمودُ، وقَومُ تُبَّعٍ، وأصحابُ الرَّسِّ، وأصحابُ القَريَةِ، وأصحابُ السَّبتِ، وأصحابُ الجنَّةِ، وأصحابُ الأيكَةِ، وأصحابُ الأُخدودِ، وأصحابُ الكَهفِ، وأهلُ سَدِّ مَأرِبَ، وأصحابُ الحِجرِ، وبَنو إسرائيلَ، والحَوارِيُّونَ.
	[٥] قَصَصُ الظَّالِمِينَ:	ومِنهُم: قابيلُ، والنُّمرودُ، وفِرعَونُ، وهامانُ، وقارونُ، والسَّامِرِيُّ، وجالوتُ، وأبرَهَةُ الحَبَشِيُّ، وأبو لَهَبٍ.
	[٦] قَصَصُ الحَيَوَانَاتِ:	ومِنها: غُرابُ ابنَي آدَمَ عليه السلام، وناقَةُ صالِحٍ عليه السلام، وكَبشُ إسماعيلَ عليه السلام، وبقَرَةُ بَني إسرائيلَ، وحوتُ يونُسَ عليه السلام، ونملَةُ سُلَيمانَ عليه السلام، والهُدهُدُ، ودابَّةُ الأرضِ، وحِمارُ العُزَيرِ، وكلبُ أهلِ الكَهفِ، وفيلُ أبرَهَةَ.

أمورٌ اتَّفقَ عليها كلُّ الأَنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

[١] الدَّعوةُ إلىٰ التَّوحيدِ والنَّهيُ عن الشِّركِ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النَّحل:٣٦].

[٢] أربَعُ مَسائِلَ: العِلمُ، والعَمَلُ به، والدَّعوةُ إليه، والصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه.

[٣] أنَّهم أفضلُ الخلقِ، ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[النِّساء:٦٩]، وسُئِلَ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**». أخرجَهُ أحمَدُ وبعضُ أصحابِ «السُّنَنِ».

[٤] الصِّدقُ والفَصاحَةُ والبَيانُ وإرادَةُ الهِدايَةِ للنَّاسِ، وهذه الأربَعَةُ هي عَناصِرُ الدَّلالَةِ والإفهامِ، قالَ تعالىٰ عن بَعضِهم: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[مريم].

[٥] الحِكمَةُ في الدَّعوَةِ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزُّخرف:٦٣].

[٦] العِصمَةُ في تَبليغِ الرِّسالَةِ، قالَ تَعالىٰ عن مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[النَّجم]، وكذا العِصمَةُ مِن الشِّركِ الأكبَرِ والأصغَرِ، ومِن الكَبائِرِ، وهم وإن لم يَكونوا مَعصومِينَ تَمامَ العِصمَةِ مِن الصَّغائِرِ فهُم أبعَدُ النَّاسِ عنها.

[٧] كَثرَةُ الذِّكرِ مِن تَسبيحٍ واستِغفارٍ وغَيرِهما، وكذا كثرَةُ الدُّعاءِ والإخلاصُ فيه، وهذا كَثيرٌ جدًّا في القرآنِ.

[٨] قوَّةُ الالتِجاءِ إلىٰ اللهِ والخَوفِ مِنه، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[الأنبياء:٨٣].

أُمُورٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا كُلُّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

[٩] الوَصِيَّةُ عندَ الموتِ؛ كما في قِصَّةِ: آدَمَ، ونوحٍ، وإبراهيمَ، ويَعقوبَ، ويوسُفَ، وموسىٰ وغَيرِهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[١٠] يُصدِّقُ بَعضُهم بَعضًا ويُبشِّرُ بَعضُهم ببَعضٍ، ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران:٥٠]، ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف:٣٠]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي﴾ [الصَّف:٦].

[١١] الإِخبارُ بما أعلَمَهُم اللهُ مِن عِلمِ الغَيبِ والأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ قالَ شُعَيبٌ لقومِهِ: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود].

[١٢] تَأييدُ اللهِ تَعالىٰ لهُم بالآياتِ، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران].

[١٣] التَّفضيلُ بينَهم علىٰ وَجهِ العُمومِ لا الخُصوصِ، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

[١٤] تَصديقُ اللهِ لهُم، ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس].

[١٥] كلُّ الأنبياءِ والرُّسُلِ أوحِيَ إليهم، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [النِّساء].

[١٦] الأنبياءُ إخوةٌ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**» وهم الإخوةُ لأَبٍ مِن أمَّهاتٍ شتَّىٰ؛ لأنَّ الرَّجُلَ علَّ -أي: شَرِبَ- منهنَّ، «**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»، شبَّه الدِّينَ بالأبِ الواحِدِ، وشبَّهَ شرائِعَهم أو أُمَمَهم بالأُمَّهاتِ المُختَلِفاتِ.

[١٧] الصَّبرُ علىٰ الدَّعوَةِ وتَكذيبِ أقوامِهِم لهُم، وفي الحَديثِ المُتَّفَقِ عليهِ أنَّ ورَقَةَ بنَ نَوفَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ للنَّبيِّ ﷺ أوَّلَ بِعثَتِه: «**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**»، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤].

[١٨] أداؤُهُم للأمانَةِ علىٰ أكمَلِ وَجهٍ، ونُصحُهُم للأُمَّةِ، وجِهادُهُم في اللهِ حقَّ جِهادِه.

[١٩] وَصفُهُم بعُبودِيَّةٍ خاصَّةٍ الخاصَّةِ، ومِن ذلِكَ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص:٤٥]، وقَولُه عن أكثَرَ مِن نَبيٍّ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصَّافَّات].

[٢٠] الصَّلاةُ والسَّلامُ عليهِم عِندَ ذِكرِهِم، وقَد اختُلِفَ هل ذلِكَ خاصٌّ بالأنبياءِ أم أنَّه يصِحُّ أن يُصلَّىٰ ويُسَلَّمَ علىٰ كُلِّ مُسلِمٍ، والصَّلاةُ دُعاءُ اللهِ أن يرحَمَهم رحمَةً خاصَّةً، أو أن يُثنِيَ عليهِم في المَلَإِ الأعلىٰ، والسَّلامُ دُعاؤُه لهُم السَّلامَةَ مِن كُلِّ سوءٍ في الآخِرَةِ.

[٢١] حياتُهم في قُبورِهِم، فقد أخرَجَ أبو يَعلىٰ والبزَّارُ عن أنسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**».

[٢٢] الحَياءُ، أخرَجَ البُخاريُّ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»، قالَ الخَطَّابيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «مَعالِمِ السُّننِ»: (مَعنىٰ قولِه: «النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ» أنَّ الحياءَ لم يزَلْ أمرُه ثابِتًا واستِعمالُه واجِبًا منذُ زَمانِ النُّبُوَّةِ الأُولىٰ، وأنَّه ما مِن نَبيٍّ إلَّا وقد ندَبَ إلىٰ الحَياءِ وبُعِثَ عليه، وأنَّه لم يُنسَخْ فيما نُسِخَ مِن شَرائِعِهم، ولم يُبَدَّلْ فيما بُدِّلَ مِنها).

أمورٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا كُلُّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

أمور اتَّفق عليها كل الأنبياء عليهم السلام

[٢٣] الأنبياءُ كلُّهم رِجالٌ مِن الإنسِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[يوسف:١٠٩].

[٢٤] جميعُ الرُّسُلِ كان لهُم عمَلٌ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[المؤمنون].

[٢٥] الزَّواجُ، قالَ تعالىٰ بعد أن ذكَرَ النِّكاحَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[النِّساء:٢٦].

أصول العبادات

[٢٦] الصَّلاةُ، قالَ النَّبيُّ ﷺ كما في حَديثِ الطَّبرانيِّ: «**صَلَّىٰ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا**»، وأخرَجَ ابنُ حبَّان وغيره: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَىٰ شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا**».

[٢٧] القِبلَةُ، فإنَّ كُلَّ الأنبياءِ كانت قِبلَتُهم الكعبَةُ، وأمَّا ما كانَ مِن اليَهودِ والنَّصارىٰ مِن استِقبالِ بَيتِ المَقدِسِ فاجتِهادٌ منهم ضَلُّوا فيه، فقد أخرَجَ أحمَدُ وغيرُهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ عن اليَهودِ: «**إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَىٰ شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَىٰ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ**».

[٢٨] الزَّكاةُ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ [الأنبياء:٧٣].

[٢٩] الصَّومُ، قالَ تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[البقرة:١٨٣].

أمورٌ اتَّفقَ عليها كلُّ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

أصولُ العباداتِ

[٣٠] الحجُّ، وهو الظَّاهرُ مِن أنَّهم صلَّوا في مَسجِدِ الخَيفِ، وعند مُسلم عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: أَيُّ وَادٍ هَذَا؟ فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ، وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي، قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا: هَرْشَىٰ، أَوْ لِفْتٌ، فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا**».

[٣١] رَعيُ الغَنَمِ، فقد أخرجَ البُخاريُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**»، وذكرَ أهلُ العِلمِ فوائِدَ لرَعيِ الغَنَمِ، مِن أهمِّها أنَّه يُعَلِّمُ الأنبياءَ كيفَ يَسوسونَ النَّاسَ، وكيفَ يَجمَعونَهم بعدَ التَّفرُّقِ.

قَصَصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ:

[١] أصدَقُ القَصَصِ:
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النِّساء].

[٢] أحسَنُ القَصَصِ:
قالَ تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

[٣] أنفَعُ القَصَصِ:
قالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

ولهذا قالَ العلاَّمةُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
لا يُمكِنُ بعدَ هذا العُدولُ عن قَصَصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ إلىٰ الإسرائيليَّاتِ.

أَنْوَاعُ عَذَابِ الأُمَمِ:

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت] أي: بسبَبِ ذَنبِهِ، وبِما يتَناسَبُ معه، وممَّا يُستَفادُ مِن «تَفسيرِ ابنِ كَثيرٍ»:

[١] ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهم عادٌ، وذلِكَ أنَّهُم قالوا: مَن أشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فجاءَتهُم ريحٌ صَرصَرٌ بارِدَةٌ شَديدَةُ البَردِ، عاتِيَةٌ شَديدَةُ الهُبوبِ جِدًّا، تَحمِلُ عليهم حَصباءَ الأَرضِ فتَقلِبُها عليهِم، وتَقتَلِعُهم مِن الأرضِ فتَرفَعُ الرَّجُلَ مِنهم إلىٰ عَنانِ السَّماءِ، ثمَّ تنكِّسُه علىٰ أُمِّ رَأسِه فتَشدَخُه، فيَبقَىٰ بَدَنًا بِلا رَأسٍ، كأنَّهُم أعجازُ نَخلٍ مُنقَعِرٍ)، ومِنهم كذلِكَ قَومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر].
[٢] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهُم ثَمودُ، قامَت عليهِم الحُجَّةُ، وظَهَرَت لهم الدَّلالَةُ مِن تِلكَ النَّاقَةِ الَّتي انفَلَقَت عنها الصَّخرَةُ، مِثلَ ما سَأَلوا سَواءً بسَواءٍ، ومع هذا ما آمَنُوا، بَل استَمَرُّوا علىٰ طُغيانِهم وكُفرِهم، وتَهَدَّدوا نَبِيَّ اللَّهِ صالِحًا ومَن آمَنَ معه، وتَوَعَّدُوهم بأن يُخرِجوهُم ويَرجُمُوهُم، فجاءَتهم صَيحَةٌ أخمَدَتِ الأَصواتَ مِنهُم والحَرَكاتِ).
[٣] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو قارونُ الَّذي طَغَىٰ وبَغَىٰ وعَتَا، وعَصَىٰ الرَّبَّ الأعلىٰ، ومَشَىٰ في الأرض مَرَحًا، وفَرِحَ ومَرِحَ وتاهَ بنَفسِه، واعتَقَدَ أنَّه أفضَلُ مِن غَيره، واختالَ في مِشيَتِه، فخَسَفَ اللَّهُ به وبدارِه الأرضَ، فهو يتَجَلجَلُ فيها إلىٰ يَومِ القِيامَةِ).
[٤] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهُم فِرعَونُ ووَزيرُه هامانُ، وجُنودُه عن آخِرِهم، أُغرِقُوا في صَبيحَةٍ واحِدَةٍ، فلم يَنجُ مِنهُم مُخبِرٌ).

تَنْبِيهٌ:

هـذا الَّـذي ذُكِـرَ مِـن كَـونِ (الجَـزاءِ مِـن جِنـسِ العمَـلِ) هـو سُـنَّةُ اللَّـهِ عَزَّوَجَلَّ فـي جَـزاءِ كُلِّ مَـن عَصَـىٰ، وأمثِلَـةُ هـذا كَثيـرَةٌ جِـدًّا، نقتَصِـرُ علـىٰ بَعضِهـا:

- قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة]، وذلِكَ أَنَّهُم نُهُوا عن الصَّيدِ يَومَ السَّبتِ، فتَحايَلوا علىٰ الشَّرعِ، فكانوا يُلقونَ شِباكَهُم يَومَ الجُمُعَةِ ويُخرِجونَها يَومَ السَّبتِ، فأتَوا بما صورَتُه حَلالٌ وحَقيقَتُه حَرامٌ، فعوقِبوا بأن مُسِخوا قِرَدَةً، والقِردُ صورَتُه تُشبِهُ الإنسانَ لكِنَّه ليس إنسانًا.
- قـالَ تَعالـىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[البقرة:٢٧٦]، وذلِكَ أَنَّهُم لمَّا أرادُوا زِيادَةَ أموالِهِم بالرِّبا المُحَرَّمِ عاقبَهُم اللَّهُ بأن محَقَ أموالَهُم، أي: أهلَكَها.
- قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرَجَه مُسلِمٌ: «**النَّائِحَةُ**» الَّتي تَصيحُ بالبُكاءِ علىٰ المَيِّتِ «**إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» مِن قَبرِها «**وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ**» أي: لِباسٌ سابِغٌ «**مِنْ قَطِرَانٍ**» وهو الزِّفتُ أو النُّحاسُ المُذابُ، «**وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» يُصيبُ الجَرَبُ كُلَّ جِلدِها حتَّىٰ يَكونَ كالدِّرعِ السَّابِغِ لها، وذلِكَ أَنَّها لمَّا لم تُغَطِّ مُصيبَتَها بالصَّبرِ، غُطِّيَت بهذا الغِطاءِ الشَّديدِ.

مُلَخَّصُ الأَنبياءِ الَّذِينَ سَيَأْتِي ذِكْرُهُم:

	النَّبِيُّ	اللَّقَبُ	الأُمَّةُ	الْكِتَابُ	في القُرآنِ
١	آدَمُ	أبو البَشَرِ	–	–	٢٥ مرَّةً
٢	شِيثُ	–	–	–	٠
٣	إِدْرِيسُ	–	–	–	مرَّتان
٤	نُوحٌ	الأبُ الثَّاني للبَشَرِ	–	–	٤٣ مرَّةً
٥	هُودٌ	–	عادٌ الأُولَىٰ	–	٤ مرَّاتٍ
٦	صَالِحٌ	–	ثَمُودُ	–	٩ مرَّاتٍ
٧	إِبْرَاهِيمُ	أبو الأنبياءِ، الخَليلُ	بَابِلُ والشَّامُ	الصُّحُفُ	٦٩ مرَّةً
٨	لُوطٌ	–	أهْلُ سَدُومَ	–	٢٧ مرَّةً
٩	شُعَيْبٌ	خَطيبُ الأنبياءِ	أهلُ مَدْيَنَ	–	١١ مرَّةً
١٠	إِسْمَاعِيلُ	الذَّبيحُ	أهلُ مَكَّةَ	–	١٢ مرَّةً
١١	إِسْحَاقُ	–	أهلُ الشَّامِ	–	١٧ مرَّةً
١٢	يَعْقُوبُ	إسرائيلُ	أهلُ الشَّامِ	–	١٦ مرَّةً
١٣	يُوسُفُ	الصِّدِّيق، الكَريمُ بنُ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ	الْقِبْطُ أَهْلُ مِصْرَ	–	٢٧ مرَّةً
١٤	أَيُّوبُ	الصَّابِرُ	أَهْلُ حَورَانَ	–	٤ مرَّاتٍ
١٥	ذُو الْكِفْلِ	–	–	–	مرَّتانِ

	النَّبِيُّ	اللَّقَبُ	الأُمَّةُ	الْكِتَابُ	في القُرآنِ
١٦	يُونُسُ	ذو النُّونِ، صاحِبُ الحوتِ	أهلُ نِينَوَىٰ	–	٤ مرَّاتٍ
١٧	مُوسَى	كَلِيمُ اللهِ	الْقِبْطُ وبَنُو إِسْرَائِيلَ	التَّورَاةُ، الصُّحُفُ	١٣٦ مرَّةً
١٨	هَارُونُ	–		–	٢٠ مرَّةً
١٩	يُوشَعُ	فَتىٰ موسَىٰ	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	٠
٢٠	الْخَضِرُ	العَبدُ الصَّالِحُ		–	٠
٢١	حِزْقِيلُ	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	٠
٢٢	إِلْيَاسُ	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ – أَهْلُ بَعْلَبَكَّ	–	مرَّتانِ
٢٣	شَمْوِيلُ	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	
٢٤	الْيَسَعُ	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	مرَّتانِ
٢٥	دَاوُدُ	الخَلِيفَةُ الثَّاني	بَنُو إِسْرَائِيلَ	الزَّبُورُ	١٦ مرَّةً
٢٦	سُلَيْمَانُ	النَّبِيُّ المَلِكُ	بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَهْلُ سَبَإٍ...	–	١٧ مرَّةً
٢٧	زَكَرِيَّا	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	٧ مرَّاتٍ
٢٨	يحيى	–	بَنُو إِسْرَائِيلَ	–	٥ مرَّاتٍ
٢٩	عِيسَى	كَلِمَةُ اللهِ، روحُ اللهِ، المَسيحُ	بَنُو إِسْرَائِيلَ	الإِنْجِيلُ	٢٥ مرَّةً
٣٠	مُحَمَّدٌ	الصَّادِقُ الأَمينُ، نَبِيُّ الأُمِّيِّينَ...	كلُّ الجِنِّ والإنسِ	القُرْآنُ العَظِيمُ	٤ مرَّاتٍ

اخْتِبَارٌ فِي الْمُقَدِّمَةِ:

[١] ما عددُ الرُّسُلِ والأنبياءِ الواجبِ علىٰ المُسلمِ الإيمانُ بهم كما جاء في السُّنَّةِ الشَّريفَةِ؟ ❍ ٣١٥. ❍ ١٢٤ ألفًا. ❍ عددُهم غيرُ مَحصورٍ.

[٢] لم يترُكِ اللهُ النَّاسَ همَلًا وإنَّما: ❍ أرسَلَ إليهم أنبياءَ ورُسُلًا. ❍ أنزَلَ عليهم الكُتُبَ. ❍ الجَميعُ.

[٣] أُرسِلَ الرُّسُلُ: ❍ لإقامَةِ الحُجَّةِ. ❍ لدلالَةِ النَّاسِ علىٰ الصِّراط المُستقيم. ❍ الجميع.

[٤] عددُ الأنبياءِ الَّذينَ سُمُّوا في القُرآنِ: ❍ ١٨. ❍ ٢٥. ❍ لا حَصرَ لهُم.

[٥] أكثَرُ جَمعٍ لأسماءِ الأنبياءِ في القُرآن ورَدَ في: ❍ طه. ❍ الأنعام. ❍ البقرَةِ.

[٦] كم نَبيًّا ذُكِرَ في آيَةِ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾: ❍ ٨. ❍ ١٨. ❍ ٢٥.

[٧] الرُّسُلُ أفضَلُ من الأنبياءِ (❍ صح ❍ خطأ)، وأفضَلُهم أولُو العَزمِ (❍ صح ❍ خطأ).

[٨] أفضَلُ الرُسُل: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ. ❍ عيسَىٰ.

[٩] ذِكرُ الفَضلِ الخاصِّ لا يَقتَضِي التَّفضيلَ العامَّ (❍ صح ❍ خطأ).

[١٠] الأنبياءُ والرُّسُلُ مِن: ❍ الإنسِ. ❍ الجِنِّ. ❍ المَلائِكَةِ. ❍ الجَميعُ.

[١١] عُبودِيَّةُ الأنبياءِ: ❍ عامَّةٌ. ❍ خاصَّةٌ. ❍ خاصَّةُ الخاصَّةِ.

[١٢] وصَفَ اللهُ الأنبياءَ بـ(❍ الرِّسالَةِ ❍ العُبودِيَّةِ ❍ الشُّكرِ) في أعلىٰ مَقاماتِهم وفي سِياقِ الثَّناءِ عليهم.

[١٣] الرُّسُلُ يُبعَثونَ إلىٰ النَّاس: ❍ كافَّةً. ❍ خاصَّةً. ❍ خاصَّةً إلَّا مُحمَّدًا ﷺ.

[١٤] للأنبياءِ: ❍ دينٌ واحِدٌ. ❍ دينٌ مُختَلِفٌ لكُلِّ نبيٍّ.

[١٥] الإسلامُ دينُ كلِّ الرُّسُل (❍ صح ❍ خطأ).

[١٦] كلُّ مَن زعَمَ اليَومَ دينًا قائِمًا مَقبولًا عندَ اللهِ سِوىٰ دينِ (❍ الإسلامِ ❍ اليهوديَّة والنَّصرانيَّةِ والإسلام) فهو كافِرٌ مُرتَدٌّ.

[١٧] مَن كفَرَ بِرِسالَةِ أيٍّ مِن الرُّسُل فَقد كفَرَ بجَميعِهم (❍ صح ❍ خطأ).

[١٨] أنزَلَ اللهُ علىٰ كُلِّ (❍ نبيٍّ ❍ رسولٍ ❍ الجميع) كتابًا يُؤيِّدُ رِسالَتَه.

[١٩] جميعُ (❍ الأنبياءِ ❍ الرُّسُلِ ❍ الأنبياءِ والرُّسُلِ) مَعصومونَ فيما أُمِروا به مِن تَبليغِ دينِ اللهِ وشَرائِعِهِ.

[٢٠] طَريقةُ السَّلَفِ عندَ ذِكرِ الأنبياءِ (❍ الصَّلاة ❍ السَّلام ❍ كلاهما) عليهم.

[٢١] مِمَّن اختُلِف في نُبُوَّتِهم: ❍ الخَضِرُ. ❍ لُقمانُ. ❍ هارونُ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني فقط. ❍ الجميعُ.

[٢٢] أولو العَزمِ هم: ❍ جَميعُ الرُّسُلِ فلا فرقَ بينَهُم. ❍ خَمسةٌ فقط.

[٢٣] من هم أولو العَزمِ من الرُّسُلِ؟ ❍ محمَّدٌ وإبراهيمُ ونوحٌ وموسَىٰ وعيسَىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ❍ آدمُ وإبراهيمُ وموسَىٰ وعيسَىٰ ومحمَّدٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[٢٤] لماذا كانَ هؤُلاءِ الأنبياءُ مِن أُولِي العَزمِ؟ ❍ لأنَّهم أفضَلُ الرُّسُلِ على الإطلاقِ. ❍ لأنَّهم لاقَوا من الصِّعابِ ما لم يُلاقِه أحدٌ غيرُهم. ❍ الجَميعُ.

[٢٥] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

ليسَ قبلَهُ نبيٌّ	نوحٌ
ليسَ بعدَه نبيٌّ	مُحمَّدٌ
ليسَ قبلَه رَسولٌ	آدَمُ

[٢٦] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

صادِقُ الوَعدِ	مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الصَّادِقُ الأمينُ	يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الصِّدِّيقُ	إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[٢٧] أخبارُ بَني إسرائيلَ علىٰ: ❍ قِسمَين. ❍ ثلاثةِ أقسام. ❍ أربعَةِ أقسام.

[٢٨] ما صدَّقَهُ شَرعُنا مِن أخبارِ بَني إسرائيلَ فإنَّنا: ❍ نَستَغني عنهُ بما جاءَ في شَرعِنا. ❍ نأخُذُ منه ما نَحتاجُ إليه للتَّوضيحِ وبَيانِ المُجمَلِ. ❍ نأخُذُ مِنه ما نَحتاجُ إليه للاتِّعاظِ والاستِفادَةِ. ❍ الجميعُ.

[٢٩] ما سكَتَ عنهُ شَرعُنا مِن أخبارِ بَني إسرائيلَ: ❍ نُصَدِّقُه. ❍ نُكذِّبُه. ❍ لا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، ويَجوزُ حِكايَتُهُ للعِبرَةِ والاتِّعاظِ والاعتِضادِ.

[٣٠] اتَّسمَت روايةُ الصَّحابة للإسرائيليَّات بـ: ❍ الكثرةِ. ❍ القلَّةِ. ❍ التَّوسُّطِ.

[٣١] رِوايةُ القليل من الإسرائيليَّات تميَّز به منهجُ: ❍ التَّابعينَ. ❍ الصَّحابةِ. ❍ المدرسةِ العقليَّةِ. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِر.

[٣٢] يلزمُ مِن روايةِ الصَّحابةِ للإسرائيليَّات: ❍ قَبولُها. ❍ تضعيفُها. ❍ التَّوقُّفُ فيها.

[٣٣] الأخبارُ المَنقولةُ عن أهل الكتاب تُسمَّىٰ: ❍ المَوقوفاتِ. ❍ المَقطوعاتِ. ❍ الإسرائيليَّاتِ.

[٣٤] الآيَةُ الَّتي اشترَكَ فيها جَميعُ الأنبياءِ هي تَصديقُ اللهِ لهم : ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٥] الفَرقُ بينَ النَّبيِّ والسَّاحِرِ أعظَمُ مِن اللَّيلِ والنَّهارِ: ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٦] دَلائِلُ النُّبُوَّةِ مِن جِنسِ دَلائِلِ الرُّبوبِيَّةِ، فيها الظَّاهِرُ والبيِّنُ لكلِّ أحَدٍ؛ كالحَوادِثِ المَشهودَةِ، فإنَّ الخَلقَ كلَّهم مُحتاجون إلىٰ الإقرارِ بالخالِقِ والرِّسالَةِ: ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٧] رتِّب ما ورد في كلام ابنِ القَيِّم ﵀: أينَ أنتَ؛ والطَّريقُ:

طريقٌ تعبَ فيه:	إسماعيلُ ﵇
وناحَ لأجلِهِ:	يحيىٰ ﵇
ورُمِيَ في النَّارِ:	آدمُ ﵇
وأُضْجِعَ للذَّبحِ:	يوسفُ ﵇
وبِيعَ بثَمنٍ بَخْسٍ، ولَبِثَ في السِّجنِ بِضعَ سنينَ:	نوحُ ﵇
ونُشِرَ بالمِنشارِ:	أيُّوبُ ﵇
وذُبحَ السَّيِّدُ الحَصورُ:	الخليلُ (إبراهيمُ ﵇)
وقاسَىٰ الضُّرَّ:	داوُدَ ﵇
وزادَ علىٰ المِقدارِ بُكاءُ:	زكريَّا ﵇
وسارَ مع الوَحشِ:	محمَّدٌ ﷺ
وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذىٰ:	عيسىٰ ﵇

أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اللَّقَبُ:	أَبُو البَشَرِ - خلَقَهُ اللهُ مِن تُرابٍ، ثمَّ نفَخَ فيهِ الرُّوحَ.
الزَّوجَةُ:	حَوَّاءُ خَلَقَها اللهُ مِن ضِلعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وزَواجُهما أوَّلَ زَواجٍ في التَّاريخِ.
عَدُوُّه:	إبليسُ، ولم يَكُن مِن المَلائِكَةِ ولا طرفَةَ عَينٍ؛ بل مِن الجِنِّ.
الأَولادُ:	قصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علينا قصَّة اثنينِ مِن أبناءِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قتَلَ أحَدُهما الآخَرَ، وعَلِمنا مِن السُّنَّةِ أنَّ كلًّا مِنهما كانت له أُختٌ تَوأَمٌ، واستَفاضَ عندَ السَّلَفِ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ رزَقَ آدَمَ بشيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللَّهُ أعلَمُ إن كانَ له غيرُهم.
المَكانُ:	خلَقَ اللهُ آدَمَ وحَوَّاءَ في الجَنَّةِ، ثمَّ أُهبِطا إلىٰ الأرضِ.
نُبُوَّتُه:	هو أوَّلُ نبيٍّ بُعِثَ، ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ﴾[طه:١١٥].
تَكريمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ:	[١] ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[ص]، ﴿سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر:٢٩]، «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ». مُتَّفقٌ عليه. [٢] ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سُجودَ تَحيَّةٍ لا عِبادَةٍ له. [٣] ﴿جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾. [٤] ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾. [٥] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾. [٦] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾[البقرة]. [٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[آل عمران:٣٣]. [٨] هو أوَّلُ مَن يَأتيهِ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ للشَّفاعَةِ. مُتَّفقٌ عليه.
ذِكرُه:	ذُكِرَ في القُرآنِ ٢٥ مرَّةً، وقِصَّتُه هي أوَّلُ قِصَّةٍ ذُكِرَت في القُرآنِ.
الوَفاةُ:	عاشَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ألفَ سنةٍ، ثمَّ حَضَرتهُ الوَفاةُ.

قصَّةُ نَبِيِّ اللهِ آدَمَ عليه السلام مُختصَرةً:

إعلامُ اللهِ للملائِكَةِ بخَلقِ آدَمَ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[الحجر].

قال اللهُ تَعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة:٣٠] أي: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وقالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[الحجر]، والصَّلصالُ التُّرابُ، والحمَأُ المَسنونُ هو الطِّينُ الأملَسُ، فلمَّا أُخبِرَ الملائكَةُ بذلِكَ ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يُريدونَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، واللهُ أعلَمُ كيف علِمَتِ الملائكَةُ أنَّ بَني آدَمَ يُفسِدونَ في الأرضِ! وهذا مِنهم سُؤالُ استفسارٍ لا استِنكارٍ، قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ﴾ أي: فما الحِكمَةُ في خَلقِ الإنسانِ ونحنُ نُعبُدُكَ ونُسبِّحُ بحَمدِكَ؟ فأجابَهم اللهُ فـ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة] مِن المَصلَحَةِ الرَّاجِحَةِ في خَلقِ الإنسانِ.

خَلقُهُ عليه السلام:

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[ص].

خلَقَ اللهُ آدَمَ بيدَيهِ، قالَ تَعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾[ص:٧٥]، وخلقَهُ على صورَتِهِ، قالَ ﷺ في الحديثِ المُتَّفقِ عليه: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ: طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا... فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ**»، وعند أبي داوُدَ والتِّرمذيِّ: «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ**» أي: من

أنواع التُّرابِ المُختلِفَةِ، «فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»، ثمَّ نفَخَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فيه الرُّوحَ، وكانَ ذلِكَ يومَ الجُمعةِ، فقد جاءَ في حَديثِ مُسلم أنَّه ﷺ قالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»، وعندَ أحمَدَ والتِّرمذيِّ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ».

تَعليمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تحيَّةَ السَّلامِ:

قالَ ﷺ في الحديثِ المُتَّفقِ عليه: «فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ». مُتَّفقٌ عليه.

تَعليمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأسماءَ واختبارُ المَلائكَةِ:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قالَ تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماءَ كلِّ الأشياءِ، ذَواتِها، وصِفاتِها، وأفعالِها، وفي حَديث الشَّفاعةِ عند البُخاريِّ أنَّ النَّاس يقولونَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ»، ﴿ثُمَّ﴾ بعد أن علَّمه الأسماءَ ﴿عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرَض تلكَ الأسماءَ ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا له عَزَّوَجَلَّ مِن أن يعلَمَ أحَدٌ مِن خَلقِهِ شيئًا إلَّا بتَعليمِه إيَّاهُ، وقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بكُلِّ

شيءٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ في خلقِكَ وأمرِكَ، فأرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُرِيَهُم ما علَّمه لآدَمَ مِن الأسماءِ فـ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ وظهرَ لهُم ما فضَّلَهُ اللهُ به مِنَ العِلمِ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالىٰ لهُم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: أعلَمُ السِّرَّ والخَفِيَّ مِنَ الأُمورِ كما أعلَمُ الظَّاهِرَ الجَلِيَّ مِنها.

خَلقُ حَوَّاءَ:

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النِّساء:١].

خلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حوَّاءَ زوجًا لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفسُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[النِّساء:١] وهي حوَّاءُ، وكان خَلقُها مِن ضِلعِهِ، قالَ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ**».

أمرُ المَلائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة]، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[الأعراف]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[الإسراء].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ طاعةً للهِ عَزَّوَجَلَّ وإكرامًا لآدَمَ، وكانَ مِن بَينِ الملائكةِ إبليسُ، وهو مِن الجِنِّ، قالَ الحسَنُ البَصريُّ: (مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ؛ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ)، فدخَلَ إبليسُ في خِطابِ الملائِكَةِ؛ لأنَّه كانَ قد تشبَّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، فلمَّا أُمِروا بالسُّجودِ استَجابَ الملائِكَةُ كلُّهم أجمَعونَ ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[البقرة]، وسببُ تركِهِ السُّجودَ أنَّه تكبَّرَ ورأىٰ نفسَهُ خيرًا مِن آدَمَ، ولهذا قالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ

مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[الأعراف]، وقالَ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾[الحجر]، وقالَ: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[الإسراء]؟! فصارَ بإعراضِهِ عن السُّجودِ مِن الكافِرينَ.

إسكانُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الجنَّة:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥]، ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه].

بعدَ أن أسجدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المَلائِكةَ لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرمَهُ مرَّةً أُخرىٰ بأن أسكنَهُ الجنَّةَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الَّتي في السَّماءِ، ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥] أي: أكلًا هنيئًا واسِعًا طَيِّبًا، وأمَرَ اللهُ آدَمَ أن يتَّخِذَ إبليسَ عدُوًّا، قالَ تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾، وفي ذلِكَ دَلالَةٌ علىٰ أنَّ الدَّارَ الدُّنيا دارُ شَقاءٍ، وأنَّ الإنسانَ يُصيبُهُ فيها العَناءُ في تَطَلُّبِ الرِّزقِ، فليَصبِرْ وليَحتَسِبْ، وذكَّرَ اللهُ آدمَ بما أنعَمَ عليه به في الجنَّةِ فقالَ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ أي: لا تَعطَشُ، ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه] أي: لا يُصيبُكَ الحَرُّ.

الأكلُ مِن الشَّجَرَة:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾[البقرة]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[طه]،
﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[الأعراف].

ثـمَّ اختبَـر اللهُ آدَمَ وحـوَّاءَ فقـالَ: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لشـجرَةٍ مُعيَّنَـةٍ مِن شـجَرِ الجَنَّـةِ، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ بِعِصيانِكُمـا أمـرَ رَبِّكُمـا، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾[البقـرة:٣٦] بـأنْ وَسـوَسَ إليهمـا ليـأكُلا مِـن الشَّـجرَةِ، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلـىٰ آدَمَ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الَّتـي مَـن أكَلَ مِنها خُلِّـدَ في الدُّنيـا فلـم يُصِبهُ المَـوتُ أبدًا، ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾[طـه] أي: لا يَنقَطِـعُ أبدًا، قـالَ تَعالىٰ: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾[الأعـراف] أي: حلَـفَ لهمـا بـاللهِ كاذِبًا أنَّـه يَنصَحُ لهُما، فاغتَـرَّا بقَولِـهِ، ونَسِـيَا مـا أمرَهُمـا اللهُ بـه مِـن اتِّخـاذِ إبليسَ عـدُوًّا، ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ أي: مِـن الشَّـجرَةِ الَّتي نُهِيـا عنهـا، ﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظَهرَت عَورَتاهُمـا، وكانـا لا يَرَيانِها قبلَ ذلِكَ، فاستَحيَا مِن اللهِ ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ يَلزَقـانِ بعضَـهُ إلىٰ بعضٍ ويَسـتُرانِ بـه عَورَتَيهِما، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾[طـه].

تَوبَةُ اللهِ عليه وإخراجُه من الجنَّة:

﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة]، ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف].

لمَّـا عصـىٰ آدَمُ وحـوَّاءُ ربَّهُما وأكلا مـن الشَّـجرَةِ ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ مِـن الـرِّزقِ الهَنـيءِ والطَّعامِ واللِّبـاسِ، ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ يـا آدَمُ وحـوَّاءُ وإبليسُ

إلىٰ الأرضِ الَّتي كانَ اللهُ قد أعدَّها لبَني آدمَ بما سبَقَ في عِلمِه، ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ أي: إبليسُ وذُرِّيَّتُه عَدُوٌّ لآدمَ وذُرِّيَّتِه، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ﴾ مِن الأرزاقِ والآجالِ ﴿إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ إلىٰ أن تقومَ القِيامَةُ ويُحشَرَ الخَلقُ للحِسابِ.

ثمَّ ندِمَ آدمُ علىٰ ما كانَ مِنه وتابَ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فأرادَ اللهُ أن يَتوبَ عليه، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾[البقرة:٣٧] مِنها أنَّه علَّمَه وزوجَهُ أن يَقولَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف]، ﴿فَتَابَ﴾ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ علىٰ مَن تابَ مِن عِبادِهِ لُطفًا بهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة] بالمُؤمنينَ مِن عِبادِه، قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اجتبَىٰ اللهُ آدمَ واصطَفاهُ ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه]، ثمَّ أنذَرَ اللهُ تَعالىٰ آدمَ وحوَّاءَ ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ بما أُنزِلُهُ علىٰ ذُرِّيَّتِكُما مِن الكُتبِ، وما أُرسِلُه مِن الرُّسُلِ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾[البقرة]، وقالَ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ كثيرةَ الشَّقاءِ، ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه].

قصَّةُ ابنَي آدَمَ:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾[المائدة].

بعدَ أن أنزَلَ اللهُ آدَمَ وحوَّاءَ إلىٰ الأرضِ، أفضَىٰ آدَمُ إلىٰ زَوجِهِ فحمَلَت مِنه ووَضَعت توأمًا ذكرًا وأُنثىٰ، ثمَّ ما لبِثَت أن وضَعَت توأمًا آخرَ، ولم يصِحَّ في تَسمِيَتِهم شيءٌ، لكن اشتَهَرَ عند أهل السِّيَرِ أنَّ اسمَ الابنِ الأكبَرِ قابيلُ واسمَ الأصغَرِ هابيلُ، فلمَّا كبُرَا أوحَىٰ اللهُ إلىٰ آدَمَ أن يُنكِحَهما، فنكَحَ كلٌّ مِنهما تَوأَمَ الآخَرِ، ثمَّ أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما اقتَضَتهُ حِكمَتُهُ أن يبتَلِيَهما.

قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ لحاجَةٍ أراداها، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيلُ، ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾، فحسَدَ قابيلُ أخاهُ وحقَدَ عليه، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾، وكانَ هابيلُ تَقِيًّا فـ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾، ولا مُكرِهَ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ثمَّ قالَ هابيلُ لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾، فلن أُقابِلَكَ علىٰ صَنيعِكَ الفاسِدِ بمِثلِهِ، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ أي: أُريدُكَ أن تتحَمَّلَ إثمَ قَتلِي وإثمَ خَطيئَتِكَ الَّتي أخطَأتَ مِن قَبلُ فلم يُقبَل بسبَبِها قُربانُكَ، ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾، وإنَّما قالَ له هذا مِن بابِ المَوعِظَةِ والزَّجرِ عن المَعصِيَةِ.

فلم تنفَعِ المَوعِظَةُ مع قابيلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ أي: حسَّنَت ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ بحَديدَةٍ كانت في يَدِه، ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ خسارَةً كبيرَةً في الدُّنيا والآخِرَةِ، وقد جاء في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا**»، ثمَّ إنَّ قابيلَ لم يعلَم ما يَصنَعُهُ بأخيهِ بعد أن قتَلَهُ، فبعَثَ اللهُ غُرابَينِ يَقتَتِلانِ، فقتَلَ أحَدُهما الآخَرَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليَدفِنَ الغُرابَ الَّذي قتَلَهُ، و﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ أي: يُريَ قابيلَ ﴿كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ بالتُّرابِ، فـ﴿قَالَ﴾ قابيلُ حينَئِذٍ: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ [المائدة]، وذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّ آدَمَ حزِنَ علىٰ هابيلَ حُزنًا عظيمًا، فأخلَفَهُ اللهُ مِن بَعدِهِ شيثًا، وجعَلَهُ نبيًّا يخلُفُ أباهُ مِن بعدِهِ، والَّذي يظهَرُ أنَّ اللهَ وهَبَ لآدَمَ وحوَّاءَ أولادًا غيرَ هؤلاء، واللهُ أعلَمُ.

قصَّةُ مُحاجَّةِ آدَمَ لموسى عليهما السلام:

قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث المُتَّفقِ عليه: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ»، وذلكَ عندَما الْتقَتْ أرواحُهما في السَّماءِ، «فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ» يَلومُهُ علىٰ ذلِكَ، وفي لفظٍ: «أنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟»، وفي لفظٍ آخرَ: «أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ»، «فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ» يُثني عليه بذلِكَ، «ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟!»، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» مَرَّتَيْنِ، أي: غلبَهُ بالحُجَّةِ، ويَنبَغي التَّنبيهُ إلىٰ أنَّ آدَمَ عليه السلام لم يحتَجَّ علىٰ مَعصيَتِهِ الَّتي اكتَسبَها بيَدِهِ، وإنَّما احتَجَّ علىٰ العاقِبَةِ وهي الخُروجُ مِن الجنَّةِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ هو الَّذي قدَّرَ عليه ذلِكَ.

قصَّةُ آدَمَ مع داوُدَ عليهما السلام:

أخرَجَ أحمَدُ والتِّرمذِيُّ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «قَالَ اللهُ لَهُ» أي: لآدَمَ عليه السلام «وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ» فرآهُم في عالَمِ الغيبِ، ولكنَّه لم يَعرِفْهم ابتِداءً، «فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ» أي: تميَّزَ عن باقي الذُّرِّيَّةِ بما له مِن مَزيدِ ضَوءٍ عن سائرِهم، «قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ» النَّبيُّ عليه السلام، «قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»، قَالَ ﷺ: «فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ».

بُطلانُ قِصَّةِ تَسمِيَةِ الوَلَدِ عَبدَ الحارثِ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[الأعراف].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ قَالَ: «**لَـمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْـجَنَّةِ؛ لَتُطِيعُنِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْـحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْـحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾**».

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

هذه القصَّةُ باطلةٌ مِن وُجوهٍ:

- ليسَ في ذلِكَ خَبَرٌ صَحيحٌ عنه ﷺ، قال ابنُ حزمٍ: (إنَّها مَكذوبةٌ مَوضوعةٌ).
- يَمتنِعُ غايَةَ الامتِناعِ أن يذكُرَ اللهُ الخَطيئةَ ولا يذكُرَ توبَتَهُما.
- الأنبِياءُ مَعصومونَ مِن الشِّركِ باتِّفاقِ العُلَماءِ.
- لا يُمكِنُ أن يُصَدِّقا أنَّ الشَّيطانَ يجعَلُ له قَرنَيْ أيِّلٍ، فهذا شِركٌ في الرُّبوبيَّةِ.
- أنَّ النَّاسَ يَأتونَ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ فيَعتَذِرُ بأَكلِهِ مِن الشَّجرَةِ وهو مَعصِيَةٌ، ولو وقَعَ في الشِّركِ لَكان اعتِذارُه به أَقوىٰ وأَولىٰ وأَحرىٰ.
- قالَ لهُما الشَّيطانُ: «**إِنِّي صَاحِبُكُمَا**»، وهذا لا يَقولُهُ مَن يُريدُ الإِغواءَ.
- في الآيةِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بضَميرِ الجَمعِ، ولو كان المَقصودُ آدَمَ وحوَّاءَ لقال: (يُشرِكانِ).

وعلىٰ هذا يكونُ تَفسيرُ الآيَةِ عائِدًا إلىٰ بَني آدَمَ الَّذين أشرَكوا شِركًا حَقيقِيًّا، فإنَّ مِنهم مُشرِكًا ومِنهم مُوحِّدًا.

قالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيرِه» (٣/ ٥٢٦): (قالَ ابنُ جَريرٍ: حدَّثَنا ابنُ وَكيعٍ، حدَّثَنا سَهلُ بنُ يوسُفَ، عن عَمرٍو، عن الحسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾، قال: «كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ».

حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بنُ عَبدِ الأعلىٰ، حدَّثَنا مُحمَّدُ بنُ ثَورٍ، عن مَعمَرٍ قالَ: قالَ الحسَنُ: «عَنَىٰ بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ»، يعني قولَه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

حدَّثَنا بِشرٌ، حدَّثَنا يَزيدُ، حدَّثَنا سَعيدٌ، عن قَتادَةَ قالَ: كانَ الحسَنُ يَقولُ: «هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، رَزَقَهُمُ اللهُ أَوْلَادًا، فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا».

وهذِه أسانيدُ صَحيحَةٌ عن الحسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ، أنَّه فسَّرَ الآيَةَ بذلِك، وهو مِن أحسَنِ التَّفاسيرِ، وأَولىٰ ما حُمِلَت عليه الآيَةُ، ولو كانَ هذا الحَديثُ عِندَه مَحفوظًا عن رَسولِ اللهِ ﷺ لَمَا عَدَلَ عنه هو ولا غَيرُه، ولا سِيَما مع تَقواهُ للهِ ووَرَعِهِ، فهذا يدُلُّك علىٰ أنَّهُ مَوقوفٌ علىٰ الصَّحابيِّ... وأمَّا نحنُ فعلىٰ مَذهَبِ الحسَنِ البَصريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا واللهُ أعلَمُ، وأنَّه ليسَ المُرادُ مِن هذا السِّياقِ آدَمَ وحوَّاءَ، وإنَّما المُرادُ مِن ذلِكَ المُشرِكونَ مِن ذُرِّيَّتِه، ولهذا قالَ اللهُ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾ [الأعراف]).

فَوائِدُ مُهمَّةٌ مِن قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

○ قيلَ: إنَّه سُمِّيَ آدَمَ لأنَّه خُلِقَ مِن أديمِ الأرضِ، وهو الوَجهُ الظَّاهِرُ للعَينِ مِنها وهو التُّرابُ، رُوِيَ هذا عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقيلَ: لأنَّه كانَ به سُمرَةٌ، وهذا المَعنىٰ صَحيحٌ في اللُّغَةِ.

○ ذكَرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مِفتاحِ دارِ السَّعادَةِ» (١/ ٣) حِكَمًا عَظيمَةً في إخراجِ آدَمَ مِن الجَنَّةِ وإنزالِه إلىٰ الأرضِ، نَذكُرُ بَعضَها هنا، ومَن أرادَ الاستِزادَةَ فليُراجِعها في مَوضِعِها:

- أنَّ اللهَ سُبحانَهُ أرادَ أن يُذيقَه ووَلَدَه مِن نَصَبِ الدُّنيا وغُمومِها وهُمومِها وأَوصابِها ما يَعظُم بِه عِندَهم مِقدارُ دُخولِهِم إليها في الدَّارِ الآخِرَةِ.
- أنَّهُ سُبحانَهُ أرادَ أمرَهُم ونَهيَهم وابتِلاءَهم واختِبارَهم، ولَيسَت الجنَّةُ

دارَ تكْلِيـفٍ فأهبَطَهُـم إلىٰ الأرضِ.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ أرادَ أن يتَّخِـذَ مِنهُم أنبِيـاءَ ورُسُـلًا وأولِياءَ وشُـهَداءَ يُحِبُّهم ويُحِبُّونَـهُ، فخلَّـىٰ بَينَهـم وبَيـن أعدائِـه، وامتَحَنَهـم بهِم، فَلَمَّـا آثَـرُوه وبَذَلوا نُفُوسَـهم وأموالَهـم في مَرضاتِـه ومَحابِّـه نالوا مِـن مَحبَّتِه ورِضوانِـه والقُربِ مِنهُ مـا لم يَكُـن ليُنـالَ بِـدُونِ ذَلِكَ.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ لَـهُ الأسـماءُ الحُسنىٰ، فَمِـن أسـمائِه: الغَفـورُ، الرَّحِيـمُ، العَفُـوُّ، الحَلِيـمُ، الخافِـضُ، الرَّافِـعُ، المُعِـزُّ، المُـذِلُّ، المُحيِـي، المُميـتُ، الـوَارِثُ، الصَّبـورُ، ولابُـدَّ مِـن ظُهُـورِ آثـارِ هَذِه الأسـماءِ، فاقتَضَـت حِكمَتُه سُـبْحانَهُ أن يَنـزِلَ آدَمُ وذُرِّيَّتُـه دارًا يظْهَـرُ عَلَيْهِـم فِيهـا أثَـرُ أسـمائِهِ.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ المَلِـكُ، الحَـقُّ، المُبيـنُ، والمَلِـكُ هو الَّـذِي يَأْمُـرُ ويَنْهىٰ، ويُثيـبُ ويُعاقِـبُ، ويُهيـنُ ويُكـرِمُ، ويُعِـزُّ ويُـذِلُّ، فاقْتَضـىٰ مُلكُه سُبْحانَهُ أن أُنْـزِلَ آدَمُ وذُرِّيَّتُـه دارًا تَجـري عَلَيْهِـم فِيهـا أحـكامُ المَلِكِ.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ أنزَلَهُـم إلـىٰ دار يَكـونُ إيمانُهـم فِيهـا بِالغَيْـبِ، والإيمـانُ بِالغَيْـبِ هـو الإيمـانُ النَّافِـعُ.

■ أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ خلَقَ آدَمَ مِـن قَبْضَةٍ قبَضَها مِن جَمِيـعِ الأرضِ، والأرضُ فِيهـا الطَّيِّـبُ والخَبيثُ، والسَّـهلُ والحَزنُ، والكَريـمُ واللَّئيمُ، فَعلِمَ سُبْحانَهُ أنَّ في ظَهـرِه مَـن لا يصلُحُ لمُسـاكَنَتِه في الجنَّـةِ، فأنزَلَه إلىٰ دارٍ استَخرَجَ فِيها الطَّيِّـبَ والخَبيـثَ مِن صُلبِه، ثـمَّ ميَّزَهم سُبْحانَهُ بدارَينِ.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ لمـا قـالَ للْمَلائكَـة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ أجابهم بقولـه ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة]، ثـمَّ أظهَرَ سُبْحانَهُ عِلمَـه لِعِبـادِهِ ولمَلائِكَتِه.

■ أنَّـهُ سُبْحانَهُ لمَّـا كانَ يُحِـبُّ الصَّابِريـنَ، ويُحِـبُّ المُحْسِنِينَ، ويُحِـبُّ الَّذيـن يُقاتِلُـونَ في سَبيلِه صَفًّـا، ويُحِـبُّ التَّوَّابيـنَ، ويُحِـبُّ المُتَطَهِّريـنَ، ويُحِـبُّ الشَّـاكِرِينَ، وكانَت مَحبَّتُه أعلـىٰ أنواع الكَرامـاتِ = اقْتَضَت حِكمَتُه أن أسـكَنَ آدَمَ وبَنيـهِ دارًا يأْتـونَ فِيهـا بِهَـذِهِ الصِّفـاتِ.

❍ استَطاعَ إبليسُ إيقاعَ آدَمَ في المَعصِيَةِ مع أنَّه نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وقد آتاهُ اللهُ العِلمَ والحُكمَ، وأسجَدَ له المَلائِكَةَ إكرامًا له، فيَنبَغي لمَن كانَ دونَه في العِلمِ أن لا يَغتَرَّ بنَفسِهِ، وأن يَحذَرَ مِن إبليسَ أشَدَّ الحَذَرِ، وأن يَتَّخِذَهُ عَدُوًّا كما أَمَرَ اللهُ آدَمَ أن يتَّخِذَهُ عَدُوًّا.

❍ أثبَتَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لآدَمَ المَعصِيَةَ، وأثبَتَها هو لنَفسِهِ كما في حَديثِ الشَّفاعَةِ، ومع ذلِكَ فإنَّ مَعصِيَةَ آدَمَ دونَ مَعصِيَةِ إبليسَ، وذلِكَ أنَّ إبليسَ عَصىٰ اللهَ تَعالىٰ عامِدًا، ثمَّ استكبَرَ وأصَرَّ علىٰ مَعصِيَتِهِ، بخِلافِ آدَمَ فإنَّه أخطَأَ ثمَّ تابَ فتابَ اللهُ عليهِ، والخَطَأُ مِن سيمَا البَشَرِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**». أخرجَهُ أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[البقرة]، وقالَ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[طه]، وهنا مُلاحَظتانِ:

- جاءَ الخِطابُ بالهُبوطِ مِن الجنَّةِ في الآيَةِ الأُولىٰ بصيغَةِ الجَمعِ، وفي الثَّانِيَةِ بصيغَةِ التَّثنِيَةِ، وسبَبُ ذلِكَ أنَّ الخِطابَ في الآيَةِ الأُولىٰ لآدَمَ وحَوَّاءَ وإبليسَ، وفي الثَّانِيَةِ لآدَمَ وإبليسَ فقط، أو لآدَمَ وحَوَّاءَ فقط.
- جاءَ الخِطابُ بالعَداوَةِ في الآيَتَينِ بصيغَةِ الجَمعِ؛ لأنَّه يَشمَلُ إبليسَ كما يشمَلُ آدَمَ وحَوَّاءَ؛ بل وذُرِّيَّتَهُما أيضًا.

❍ سُجودُ المَلائِكَةِ لآدَمَ ليسَ مِن بابِ العِبادَةِ؛ بل هو مِن بابِ السَّلامِ والتَّحِيَّةِ للإكرامِ وبيانِ الفَضلِ، كما في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[يوسف:١٠٠]، ومع ذلِكَ فإنَّ سُجودَ المَلائِكَةِ لآدَمَ عِبادَةٌ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه امتِثالٌ لأمرِهِ.

❍ أَوَّلُ ذنبٍ عُصِيَ به اللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الحسَدُ والتَّكَبُّرُ؛ لأنَّ الَّذي حمَلَ إبليسَ علىٰ تركِ السُّجودِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الحسَدُ مِنه لِما أكرَمَهُ اللهُ به ومَيَّزَهُ، والتَّكَبُّرُ عليه بكَونِهِ خُلِقَ مِن نارٍ بينَما خُلِقَ آدَمُ مِن طينٍ، وزَعَمُ أنَّه أفضَلُ لأنَّ النَّارَ تَعلو علىٰ الطِّينِ، قالَ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا مِن القِياسِ الفاسِدِ، وكذَبَ في تَفضيلِ عُنصُرِ النَّارِ علىٰ عُنصُرِ الطِّينِ والتُّرابِ، فإنَّ عُنصُرَ الطِّينِ فيه

الخُشوعُ، والسُّكونُ، والرَّزانَةُ، والتَّواضُعُ، ومِنه تظهَرُ بَرَكاتُ الأرضِ مِن الأشجارِ والنَّباتِ، ويَغلِبُ النَّارَ ويُطفِئُها، وأمَّا عُنصُرُ النَّارِ فهي مادَّةُ الخِفَّةِ، والطَّيشِ، والإحراقِ، والشَّرِّ، والفَسادِ، والعُلُوِّ).

❍ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ اصطَفاهُ اللهُ علىٰ كَثيرٍ مِن خَلقِهِ، ولولا أنَّ اللهَ ذكَرَ لنا ما حصَلَ مِنه مِن الخَطيئةِ وأكلِهِ مِن الشَّجرَةِ ما استَطَعنا أن نتكَلَّمَ بكَلِمَةٍ واحِدَةٍ، ولهذا فإنَّنا نَقتَصِرُ علىٰ ذِكرِ ما ذُكِرَ لنا في القُرآنِ دونَ زِيادَةٍ، ونُركِّزُ علىٰ تَوبَةِ آدَمَ مِن ذَنبِهِ، وتَوبَةِ اللهِ تَعالىٰ عليه.

❍ تقَدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ خلَقَ آدَمَ بيَدِهِ، ويُنَبَّهُ هنا إلىٰ الآتي:

- «**خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ، وَغَرَسَ أَشْجَارَهَا بِيَدِهِ**». أخرجَهُ الحاكِمُ.
- «**يَا مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ**» أي: التَّوراةَ «**بِيَدِهِ**». مُتَّفقٌ عليه.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾[الأعراف]، أي أنَّ إبليسَ حلَفَ لآدَمَ وحَوَّاءَ أنَّه صادِقٌ وأنَّه ناصِحٌ لهُما في قَولِهِ: إنَّهما إن أكَلا مِن الشَّجَرَةِ أُعطِيا الخُلودَ في الدُّنيا، وكانَ مِن تَعظيمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ للهِ تعالىٰ أنَّه لم يَخطُر ببالِهِ أنَّ أحَدًا مِن الخَلقِ يُمكِنُ أن يَحلِفَ باللهِ كاذِبًا، فحَمَلَه ذلِكَ علىٰ تَصديقِ إبليسَ!

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه]، ومِن الحِكَمِ في قَبولِ اللهِ تَعالىٰ تَوبَةَ آدَمَ أنَّ في ذلِكَ إرغامًا لإبليسَ الَّذي ظنَّ بجَهلِه أنَّ اللهَ سُبحانَه يتَخَلَّىٰ عن صَفِيِّه وحَبيبِه الَّذي خَلَقَه بيَدِه، ونفَخَ فيه مِن روحِه، وأسجَدَ له مَلائِكَتَه، وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شيءٍ، مِن أجلِ أَكلَةٍ أكَلَها صدَّقَ فيها إبليسَ اللَّعينَ!

❍ قِصَّةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي أوَّلُ قِصَّةٍ ذُكِرَت في القُرآنِ بحَسَبِ تَرتيبِ سُوَرِ القُرآنِ (في أوائِلِ سورَةِ البقَرَةِ).

❍ أمرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ للمَلائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ يَشمَلُ إبليسَ؛ لأنَّه كانَ قد تشبَّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، وجاءَ مُصَرَّحًا في القُرآنِ بأنَّهُ أُمِرَ بالسُّجودِ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾[الأعراف:١٢].

❍ إبليسُ -والعِياذُ باللهِ- جمَعَ صِفاتِ الذَّمِّ كُلَّها: الإباءَ عن الأمرِ،

والِاستِكبارَ عن الحَقِّ وعلىٰ الخَلقِ، والكُفرَ، وهذا ما اقتَضىٰ طَردَهُ وإبعادَه عن رَحمَةِ اللهِ.

- النِّكاحُ سُنَّةٌ قَديمَةٌ مُنذُ خلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبَقِيَت في بَنِيه إلىٰ يَومِنا هذا.
- لم يُعيِّن لنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ الشَّجرَةَ الَّتي نَهَىٰ آدَمَ أن يأكُلَ مِنها، وذلِكَ لأنَّه ليسَ في تَعيينِها فائِدَةٌ لنا، ولا ينفَعُ العِلمُ بها كما لا يَضُرُّ الجَهلُ بها.
- لا يُمكِنُ لبَني آدَمَ أن يَعيشُوا إلَّا في الأرضِ؛ لقَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[البقرة]، وبِناءً علىٰ ذلِكَ نعلَمُ أنَّ مُحاوَلَةَ الكُفَّارِ أن يَعيشوا في غَيرِ الأرضِ -إمَّا في بَعضِ المَواكِبِ أو المَراكِبِ- مُحاوَلَةٌ يائِسَةٌ؛ لأنَّه لابُدَّ أن يكونَ مُستقَرُّهم في الأرضِ.
- لا دَوامَ لبَني آدَمَ في الدُّنيا فهي مَعبَرٌ يُتَزَوَّدُ مِنه للدَّارِ الآخِرَةِ، ولا تُعمَّرُ الدُّنيا لِلاستِقرارِ.
- خلَقَ اللهُ المَلائِكَةَ مِن نورٍ، والشَّياطينَ مِن نارٍ، وآدَمَ مِن تُرابٍ:

[١] فلمَّا كانَت المَلائِكَةُ للعِبادَةِ والتَّسبيحِ والطَّاعَةِ ناسَبَ أن يَكونَ خَلقُهُم مِن نورٍ.	[٢] ولمَّا كانَت الشَّياطينُ للكَيدِ والوَسوَسَةِ والفِتنَةِ ناسَبَ أن يَكونَ خَلقُهُم مِن نارٍ.	[٣] ولمَّا كانَ الإنسانُ مُعمِّرًا للأرضِ وفيه سُهولَةٌ، ولُيونَةٌ، وصُعوبَةٌ، وشِدَّةٌ، وطِيبٌ، وخُبثٌ ناسَبَ أن يَكونَ خَلقُه مِن مادَّةٍ تَحوي ذلِكَ كُلَّه.

فالنَّارُ شَيءٌ واحِدٌ، والنُّورُ شَيءٌ واحِدٌ، لكِنَّ التُّرابَ يَختَلِفُ مِن مَكانٍ لآخَرَ، وهذا هو حالُ الإنسانِ.

- قالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾[الأعراف]، هذه الآيَةُ أصلٌ في ثُبوتِ الحَقِّ لأهلِ المَحلَّةِ في أن يُخرِجوا مِن مَحلَّتِهم مَن يُخشَىٰ مِن سيرَتِه فُشُوُّ الفَسادِ بَينَهم.
- في قَولِ إبليسَ وتعَهُّدِه: ﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن

شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الأعراف]، قال قتادةُ رَحِمَهُ اللهُ: (أتاكَ يا ابنَ آدَمَ مِن كُلِّ وَجهٍ، غيرَ أنَّه لم يَأتِكَ مِن فَوقِكَ، لم يَستَطِعْ أن يَحولَ بَينَك وبَينَ رَحمَةِ اللهِ!).

❍ لاحِظ -رَحِمَك اللهُ- أنَّه لمَّا كان وقتُ الهَنَاءِ، شُرِّف آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتَّصريح باسمِه في النِّداءِ، فقيل: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾[الأعراف:١٩]، وحينَ كانَ وَقتُ العِتابِ أُخبرنا أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ناداه، ولم يُصَرِّح باسمِه فقالَ تَعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢].

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٍ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[طه]، سَبَبُ اقتِصارِ الشَّيطانِ علىٰ التَّسويل لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يُريدُ أن يأكُلَ آدَمُ وحَوَّاءُ معًا: عِلمُه بأنَّ اقتِداءَ المَرأَةِ بزَوجِها مَركوزٌ في الجِبلَّةِ، وفي الآيَةِ دَلالَةٌ علىٰ استِقرارِ مَحَبَّةِ الحَياةِ في جِبلَّةِ البَشَرِ، وآدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنَّما أرادَ الغايَةَ وهي الخُلدُ، ولكنَّه غَلَطَ في الطَّريقِ، وهذا مِن أعجَبِ المَصايِدِ الَّتي يَصيدُ إبليسُ بها العُلَماءَ، حَيثُ يَحمِلُهم علىٰ أن يتأوَّلوا لعَواقِبِ المَصالِح فيَستَعجِلُوا ضَرَرَ المَفاسِدِ!

❍ ممَّا تَميَّزَ به آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن غَيرِه مِن الأنبياءِ فضلًا عن سائِرِ البَشَرِ كَثرَةُ كَلامِ المَلائِكَةِ معه، وما هذا إلَّا لعَظيمِ فَضلِهِ عندَهُم.

ذِكْرُ مَنْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ:

شِيثُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	مَعْنَاهُ:	قيلَ إنَّ مَعناهُ: هِبَةُ اللهِ.
	أبُوهُ:	آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو ابنُه وخَليفَتُهُ مِن بعدِه.
	نُبُوَّتُه:	المَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّه نَبِيٌّ، ولم يَرِد ذِكرُهُ في القُرآنِ ولا في حَديثٍ صحيحٍ.

إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسْمُهُ وزَمانُهُ:	المَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّ اسمَهُ خَنوخ، وأنَّهُ جَدُّ أبي نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الَّذي عِندَ أهلِ الكِتابِ، وقيلَ: بل هو مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورجَّحَهُ ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللهُ.
	مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] قيلَ: هو **أوَّلُ مَن خطَّ بالقلم**. [٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٥٦﴾[مريم]، قالَ السِّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِلتَّصْدِيقِ التَّامِّ، وَالْعِلْمِ الْكَامِلِ، وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَيْنَ اصْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ، وَاخْتِيَارِهِ لِرِسَالَتِهِ). [٣-٤] ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء]. [٥] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾[مريم]، قيلَ: إنَّه لم يَمُت بل **رَفَعهُ اللهُ** إليه، قالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (كَوْنُ إِدْرِيسَ رُفِعَ وَهُوَ حَيٌّ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ طَرِيقٍ مَرْفُوعَةٍ قَوِيَّةٍ)، وقيلَ: (رفعناه مَنزِلَةً عاليَةً ومَكانَةً رَفيعةً بين النَّاسِ، وهي مَنزِلَةُ النُّبوَّةِ).
	ذِكْرُه:	ذُكِرَ إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ **مرَّتين**، في سورة الأنبياء وسورة مريم.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] مَن هو النَّبِيُّ الَّذي خُلِقَ مِن دونِ أبٍ أو أمٍّ؟ ❍ آدمُ. ❍ عيسَىٰ. ❍ نوحٌ.
[٢] في أيِّ يوم خلَقَ اللهُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ❍ السَّبتُ. ❍ الأحَدُ. ❍ الجُمعةُ.
[٣] كم ذِراعًا طولُ النَّبيِّ آدَمَ؟ ❍ سَبعونَ. ❍ سِتُّونَ. ❍ تِسعونَ.
[٤] مِن أيِّ شيءٍ خلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ❍ التُّرابُ. ❍ الماءُ. ❍ الضِّلعُ.
[٥] هل وَرَدَ اسمُ حَوَّاءَ في القُرآنِ؟ ❍ نعم. ❍ لا.
[٦] بماذا خصَّ اللهُ آدَمَ أبا البَشَرِ؟ ❍ خلَقَهُ بيَدَيهِ. ❍ نَفَخَ فيه مِن رُوحِهِ. ❍ أمَرَ المَلائِكَةَ أن تَسجُدَ لَه. ❍ الجميع.
[٧] ما الذَّنبُ الَّذي اقترَفَهُ آدَمُ وحوَّاءُ وتسبَّب في نُزولِهما مِن الجنَّةِ؟
❍ الأكلُ مِن الشَّجَرَةِ. ❍ عدَمُ السُّجُودِ.
[٨] مِن أيِّ شيءٍ خُلِقَت حوَّاءُ؟ ❍ التُّرابُ. ❍ ضِلعُ آدَمَ.
[٩] الَّذي هدَىٰ قابيلَ إلىٰ طَريقَةِ دَفنِ أخيه: ❍ الهُدهُدُ. ❍ الغُرابُ. ❍ النَّملَةُ.
[١٠] أوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ به اللهُ: ❍ الحسَدُ. ❍ الأكلُ مِن الشَّجرةِ. ❍ الشِّركُ.
[١١] بعثَ اللهُ (❍ مَلَكًا ❍ غُرابًا) ليُعلِّمَ البشَرَ كيفيَّةَ الدَّفنِ.
[١٢] لم يَخطُرْ علىٰ بالِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحلِفَ أحدٌ باللهِ كاذبًا: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٣] نزولُ آدَمَ إلىٰ الأرضِ: ❍ فيه حِكمَةٌ وخيرٌ كثيرٌ. ❍ عُقوبَةٌ مِن اللَّهِ لهُ. ❍ لا خيرَ فيهِ ولا شرَّ.
[١٤] عاشَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ ألفَ سنةٍ. ❍ ألفَي سنةٍ. ❍ ٩٥٠سنةً.
[١٥] أوصىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه (❍ شِيث ❍ قابيلَ ❍ هابيلَ) مِن بَعدِهِ.
[١٦] مَعنىٰ اسم شيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِبةُ اللهِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٧] ورَدَ اسمُ شيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في: ❍ القرآنِ. ❍ السُّنَّةِ. ❍ ما نقلَهُ أهلُ السِّيَرِ.
[١٨] إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ. ❍ جَدُّ أبي نوحٍ. ❍ فيه خلافٌ.
[١٩] وُصِفَ إدريسُ في القرآنِ أنَّه: ❍ صِدِّيقٌ. ❍ نبيٌّ. ❍ رُفِعَ. ❍ الجَميعُ.
[٢٠] مَن أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلمِ؟ ❍ آدَمُ. ❍ إدريسُ. ❍ نوحٌ.

[٢١] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

الاسمُ:	حوَّاءُ
اسمُ الزَّوجةِ:	أبو البَشَرِ
اللَّقبُ:	آدَمُ
خُلِقَ مِن:	ضِلعِ آدَمَ
خُلِقَت مِن:	تُرابٍ

[٢٢] تميَّزَ آدَمُ عليه السلام عن الأنبياءِ بكَثرةِ كَلامِ المَلائِكةِ معه، وما هذا إلَّا لعَظيمِ فَضلِه عندَهم: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٣] النُّورُ شَيءٌ واحِدٌ، والنَّارُ شَيءٌ واحِدٌ، لكنَّ التُّرابَ يختَلِفُ مِن مَكانٍ لآخَرَ، وهذا هو حالُ الإنسانِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٤] مِن صِفاتِ إبليسَ: ○ الإباءُ. ○ الاستِكبارُ. ○ الجَميع.

[٢٥] النَّارُ أفضَلُ مِن الطِّينِ؛ لأنَّ النَّارَ تَعلوا علىٰ الطِّينِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٦] إبليسُ: ○ مِن المَلائِكةِ. ○ ما كانَ مِن المَلائِكةِ طَرفَةَ عَينٍ.

[٢٧] صِل كلَّ عِبارةٍ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ بدَليلِها مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

لا يُمكِنُ لبَني آدَمَ أن يَعيشوا إلَّا في الأرضِ:	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧].
لا يَستطيعُ الشَّيطانُ أن يَحولَ بينَك وبينَ اللهِ:	﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة].
المَصالِحُ والمَفاسِدُ:	﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].
تَكريمُ اللهِ لآدَمَ عليه السلام:	﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [طه:١٢٠].

[٢٨] النِّكاحُ سُنَّةٌ قديمَةٌ منذُ خلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٩] (○ لا يُمكِنُ ○ يُمكِنُ) لبني آدَمَ أن يَعيشُوا في الأرضِ.

[٣٠] قصَّةُ آدَمَ هي أوَّلُ قصَّةٍ ذُكِرَت في القرآنِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٣١] قصَّةُ تَسمِيَةِ ابنِهما عبدَ الحارِثِ: ○ باطِلَةٌ مِن وُجوهٍ. ○ صحيحَةٌ.

[٣٢] آدَمُ عليه السلام له قصَّةٌ مع: ○ موسىٰ عليه السلام. ○ داود عليه السلام. ○ الجَميع.

أَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسمُه:	نوحُ بنُ لامِكِ بنِ مَتُّوشَلَخَ، من ذُرِّيَّة شيث بن آدمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
زَمانُه:	أخرجَ الحاكِمُ وابنُ حِبَّانَ أنَّه ﷺ سُئِلَ كم كانَ بينَ آدمَ ونوحٍ؟ فقالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**»، وعند البُخاريِّ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ**»، قالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمُرَادُ بِالْقَرْنِ: الْجِيلُ، أَوِ الْمُدَّةُ)، وكانَ مَبدَأُ شِركِهِم الغُلُوَّ في الصَّالِحينَ، ثمَّ عَبَدوهم.
أَلْقَابُه:	[١] **أَوَّلُ الرُّسُلِ:** ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، وفي الحديث المُتَّفَقِ عليه: «**يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ**». [٢] **أحدُ أولي العزم:** ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾. [٣] **الأبُ الثَّاني للبَشَريَّة:** ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾.
مُدَّةُ بِعثَتِه:	﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾[العنكبوت:١٤]، حالُهم في ذلكَ أنَّه كلَّما مرَّ به ملأٌ مِن قومِه سَخِروا منه.
زَوجَتُه:	قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ [التَّحريم:١٠]، وفي «المُستَدرَكِ» عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا: «**أَمَّا امْرَأَةُ نُوحٍ فَكَانَتْ تَقُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ**».
أَولادُه:	[١] لم يُذكَرْ في القرآنِ مِن ولدِه إلَّا الَّذي كفَرَ، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[هود:٤٢]. [٢-٤] وقال كثيرٌ من السَّلف: كلُّ مَن على الأرضِ اليومَ مِن ذُرِّيَّة **سامٍ** أو **حامٍ** أو **يافثٍ** أبناءِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
دِينُه:	﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾[يونس].

مَراتِبُ دَعوَتِه ثَلاثَةٌ:	[١] **المُناصَحةُ سِرًّا:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾. [٢] **المُجاهَرةُ:** ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾. [٣] **الجَمعُ بينَهما:** ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾.
مِن فَضائلِه:	[١] **عبدٌ شَكورٌ:** ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء]. [٢] **مُستجابُ الدَّعوةِ:** ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء:٧٦]. [٣] **في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةُ والكتابُ:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦]. [٤] **قوَّةُ الصَّبرِ:** ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت:١٤]. [٥] **التَّسليمُ التَّامُّ للَّهِ:** فلمَّا أخبرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَّ ابنَهُ عملٌ غيرُ صالحٍ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧]. [٦] **نصرَهُ اللَّهُ:** ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾[الأنبياء:٧٧]. [٧] **أَمَّنه اللَّه:** ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الصَّافَّات]. [٨] **مُحسِنٌ:** ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الصَّافَّات]. [٩] **قويٌّ في أمرِ اللَّهِ:** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح].
في القُرآنِ:	ذُكِرَ ٤٣ **مرَّةً في ٢١ سورةً**، وسُمِّيت **سورةٌ باسمِه** ولم يُذكَرْ فيها غيرُه.
في السُّنَّةِ:	ذُكِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في السُّنَّةِ في أحاديثَ كثيرةٍ، منها قولُه ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]، **وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ**». أخرجَه البُخاريُّ.
آيَتُه:	السَّفينةُ، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود:٣٧].

قصَّةُ نَبيِّ اللَّهِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

اسمُه ومَبعثُه:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾[نوح]،
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾[نوح].

هو نوحُ بنُ لامِكِ بن مَتُّوشَلَخَ بن خَنوخَ، وخَنوخُ فيما يزعُمُ أهلُ التَّوراةِ هو النَّبيُّ إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ النَّاسِ لمَّا ظهرَ فيهم الشِّركُ وعِبادَةُ الأَوثانِ، وفي «صحيح البُخاريِّ» عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾[نوح:٢٣]، قال: **«أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»**.

مَوقفُ قومِه منه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾[نوح].

فلمَّا أرسَلَ اللَّهُ إليهم نوحًا اجتهَدَ في دَعوتِهم إلىٰ توحيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ونَبذِ ما كانوا يَعبُدونَهُ مِنَ الأصنامِ والأوثانِ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾، فبَدَأَ بدَعوتِهم ومُناصَحَتِهم سرًّا، فلمَّا أَبَوْا أن يستَجيبوا له جهَرَ لهم بالدَّعوةِ، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨﴾، فلمَّا أصَرُّوا علىٰ الكُفرِ جمَعَ لهُم بين الإسرارِ والجِهارِ، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾[نوحٌ]، ودلَّ العَطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾ علىٰ تَباعُدِ الأحوالِ، وتَفاوُتِ درجَةِ الأُسلوبِ.

مُدَّةُ دَعوتِه:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:١٤]، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون]، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود]، ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾ [المؤمنون:٧١].

فلَبِثَ عليه السلام يدعوهم دهرًا طويلًا، جيلًا بعد جيل، حتَّىٰ قيلَ: إنَّهم كانوا إذا ماتَ ميِّتُهُم أوصىٰ لمَن بعدَهُ أن لا تسمَعوا لنوحٍ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت:١٤] يدعوهُم إلىٰ اللَّهِ، فأعرَضُوا عنهُ، ووصَفوهُ أنَّه يُريدُ أن يتفضَّلَ عليهم، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون]، وما كانَ اللَّهُ ليُنزلَ ملائكةً رُسلًا إلىٰ البَشرِ، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإسراء].

وقالوا: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي: أقلُّنا قدرًا ومالًا ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ فيما يَبدُو لنا ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ ﴾ علينا بعْدَ إيمانِكُم، ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود] فيما تدَّعونَه مِن البِرِّ والصَّلاحِ، فكانَ هذا دَليلًا علىٰ جَهلِهم وسَفاهَتِهم، فليسَ الحقُّ بكَثرَةِ الأتباعِ ولا بشَرَفِهم وغِناهُم، بل إنَّ أتباعَ الحَقِّ هُمُ الشُّرفاءُ به، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾ [المؤمنون:٧١].

جوابُه لِقَومِه:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[هود].

قالَ اللهُ تعالىٰ علىٰ لِسانِ نوحٍ وهُو يُخاطِبُ قومَهُ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: علىٰ يَقينٍ ونُبُوَّةٍ صادِقَةٍ، ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: أُخفِيَتْ عليكُم فلم تهتَدُوا إليها، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: نغصِبُكُم علىٰ قبولِها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾؟! ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ علىٰ نُصحِي لكُم ﴿مَالًاۖ﴾ آخُذُه مِنكُم أُجرَةً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ ﴾؛ لأنَّهُم طَلَبُوا مِنه أن يطرُدَ الَّذين آمَنوا لكونِهم بزَعمِهم أراذِلَ، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ فيسألُهُم عن أعمالِهِم، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ﴾ وأرادَ اللَّـهُ أن يُعاقِبَني علىٰ طَرْدِهم؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾، إنَّما أنا بشَرٌ مِثلُكُم، أرسَلَني اللَّـهُ إليكُم لأدعُوكُم، ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ وتحتقِرونَهم: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ﴾ فإنَّ عِلمَ ذلِكَ ليسَ إلَيَّ، بَل ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ ﴾ يُجازيهِم بالحُسنىٰ إن كانُوا مُحسِنينَ، ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾ إذا قلتُ علىٰ اللَّـهِ ما ليسَ لي بِهِ عِلمٌ ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[هود].

إصرارُ قومِه على الكُفرِ ويأسُهُ مِن إيمانِهم:

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[المؤمنون]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾[القمر]، ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا

فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾[هود]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[المؤمنون]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[القمر].

فلمَّا حاجَّهُم نوحٌ عليه السلام ولم يجدوا مِن جوابٍ لحُجَجِه أوعَدُوه بأن يشتِموهُ ويسُبُّوهُ، ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[المؤمنون] أي: المَشتومين، وتحدَّوهُ أن يأتيَهُم بالعذابِ الَّذي يُخَوِّفُهُم منه، ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾[القمر] أي: زَجروهُ، و﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾[هود]، ثمَّ أوحىٰ اللَّهُ إليهِ ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود]، فلمَّا يئِسَ عليه السلام أن يُؤمِنَ مِن قَومِهِ إلَّا مَن آمَنَ، وكَثُرَ عليه وعلىٰ المُؤمِنينَ أذاهُم، دعَا الله أن ينصُرَهُ عليهِم، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[المؤمنون]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[القمر].

قصَّةُ السَّفينة:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ

ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

فلمَّا دعَا نوحٌ ربَّه وطلبَ النَّصر علىٰ الكافِرينَ، أمرَهُ اللهُ أن يصنع السَّفينَةَ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾، فامتثَلَ عليه السلام أمرَ اللَّهِ ولم يتأخَّرْ، ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ الَّذين لم يُؤمِنوا ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ في الآخرَةِ ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ منَّا في الدُّنيا، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾ في الآخرَةِ ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ دائمٌ لا انقطاعَ لهُ.

وجعَلَ اللَّهُ عز وجل لنوحٍ عليه السلام آيةً يعرِفُ بها حُضورَ العذابِ، وهي: إمطارُ السَّماءِ وخُروجُ الماءِ مِن التَّنانيرِ الَّتي هي في الأصلِ مَوضِعُ النَّارِ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ﴾ مِن صُنوفِ المَخلوقاتِ ذَواتِ الأرواحِ، وغيرِها مِن النَّباتاتِ ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ ممَّن لم يُؤمِنْ، ومِنهُم ابنُهُ يامُ الَّذي غرِقَ، وزوجتُهُ الَّتي كانَتْ تَصِفُهُ بالجُنونِ، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ معكَ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾﴾، وليسَ قِلَّةُ الأتباعِ قدحًا فيهِ عليه السلام، قالَ صلى الله عليه وسلم: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**». مُتَّفقٌ عليه.

﴿وَقَالَ﴾ نوحٌ لمَن ركِبَ معهُ: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ وفيه استِحبابُ

التَّسمِيَةِ في ابتِداءِ الأمورِ، ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ لشدَّتِهِ وعظَمَتِهِ وارتِفاعِهِ، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾، وذلك لأنَّه كفَرَ باللَّهِ وخالَفَ دينَ أبيهِ ﷺ.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ عنِ المَطَرِ، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: شرَعَ في النَّقصِ، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ﴾ السَّفينَةُ بمَن فيها ﴿عَلَى﴾ جبَلِ ﴿ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾.

ثمَّ قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥﴾ سأَلَ عليه السلام سُؤالَ استِعلامٍ لا استِنكارٍ، ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[هود]، والَّذي يظهَرُ أنَّه كانَ يُخفِي عن أبيه كُفرَهُ، ولهذا سأَلَ نوحٌ ربَّهُ عز وجل عن أمرِهِ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾، فامتثَلَ عليه السلام أمرَ ربِّه وخافَ من عِقابِهِ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾، وفيه دليلٌ على شدَّةِ التِزامِ نوحٍ عليه السلام لأمرِ اللَّهِ عز وجل وخَشيَتِهِ منه.

نُزولُه مِن السَّفينَةِ:

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾[هود].

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ مِنَ الفُلكِ إلى الأرضِ ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ بأمنٍ ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ أي: على قُرونٍ تجيءُ مِن ذُرِّيَّةِ مَن معَكَ مِن ولَدِكَ، ﴿وَأُمَمٌ﴾ مِن ذُرِّيَّتِكَ -وهُم أهلُ الشَّقاءِ- ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ ونرزُقُهم في الحياةِ الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ يومَ القِيامَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨﴾[هود].

وَصِيَّتُهُ لابنِهِ قبلَ مَوتِهِ:

عـاشَ نـوحٌ عليه السلام بعـد نُزولِـه مِـن السَّـفينَةِ مـا شـاءَ اللهُ لـه أن يعيـشَ، واللهُ أعلَـمُ كـم مُـدَّةُ ذلـكَ، قـالَ ﷺ: «**إنَّ نَبِـيَّ اللَّـهِ نُوحًـا ﷺ لَمَّـا حَضَرَتْـهُ الْوَفَـاةُ قَـالَ لِابْنِـهِ: إِنِّـي قَـاصٌّ عَلَيْـكَ الْوَصِيَّـةَ، آمُـرُكَ بِاثْنَتَيْـنِ وَأَنْهَـاكَ عَـنِ اثْنَتَيْـنِ، آمُـرُكَ بِـلَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، فَـإِنَّ السَّـمَاوَاتِ السَّـبْعَ وَالْأَرَضِيـنَ السَّـبْعَ لَـوْ وُضِعَـتْ فِـي كِفَّـةٍ وَوُضِعَـتْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ فِـي كِفَّـةٍ رَجَحَـتْ بِهِـنَّ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَلَـوْ أَنَّ السَّـمَاوَاتِ السَّـبْعَ وَالْأَرَضِيـنَ السَّـبْعَ كُـنَّ حَلْقَـةً مُبْهَمَـةً قَصَمَتْهُـنَّ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَسُـبْحَانَ اللـهِ وَبِحَمْـدِهِ فَإِنَّهَـا صَـلَاةُ كُلِّ شَـيْءٍ، وَبِهَـا يُـرْزَقُ الْخَلْـقُ، وَأَنْهَـاكَ عَـنِ الشِّـرْكِ وَالْكِبْـرِ**». أخرَجَـهُ أحمـدُ.

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّةِ نوحٍ عليه السلام:

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣﴾ [القمر] والدُّسُـرُ: المَسـاميرُ، وفي هـذا بَيـانٌ لكَيفيَّـةِ صُنعِ السَّـفينَةِ، ولـم يُذكَرْ هـذا في مَوضِعٍ آخَـرَ مِن قَصَصِ نـوحٍ عليه السلام فـي القُـرآنِ، وكانَ النَّبـيُّ مُحمَّـدٌ ﷺ مِـن قَـومٍ لا يُحسِـنونَ صُنعَ السُّـفُنِ، فـكانَ فـي إخبـارِهِ بذلِكَ آيَـةٌ له.

❍ آخِـرُ مَوضِـعٍ ذُكِـرَت فيه قِصَّةُ نوحٍ عليه السلام هو سـورةُ نـوحٍ، وفيها مِـن الفَوائِدِ ما ليـس في غَيرِها، ومِـن ذلِكَ:

- أنَّهـا بمَثابَـةِ التَّقريـرِ النِّهائيِّ لنـوحٍ عليه السلام يُقدِّمُـهُ للهِ تَعالىٰ، فمثـلًا جاءَ في سـورَتَي الأعرافِ والمُؤمِنـون: ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، وجـاءَ في سـورَةِ هـودٍ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥﴾، وجـاءَ في سـورَةِ الشُّـعَراء قَولُـهُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾، ثمَّ جـاء في التَّقرير النِّهائـيِّ جَمـعُ ذلِـكَ كُلِّـه فقـال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾ [نـوح]، فجَمَـعَ الأقـوالَ الثَّلاثَةَ؛ كمـا جَمَعَ بيـنَ القَولِ الصَّريـحِ: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾، وبيـنَ (أن) المُفَسِّـرَةِ: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾.

▪ أنَّ الله تَعالىٰ اختَتَمَها بذِكرِ دُعاءِ نوح ﷺ بقَولِه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[نوح:٢٨]، ولعلَّ ذلِكَ لبَيانِ أنَّه وإن كانَ قد لَبِثَ ألفَ سَنَةٍ إلَّا خمسينَ عامًا يَدعو قَومَهُ ويَجتَهِدُ في الدَّعوَةِ إلَّا أنَّه يَخشىٰ أن يَكونَ قصَّرَ في دَعوَتِه فدَعا الله أن يَغتَفِرَ ذلِكَ مِنه، ولا شَكَّ أنَّنا مهما اجتَهدنا في الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ فلن نبلُغَ عُشرَ مِعشارِ اجتِهادِ نوح ﷺ، فنحنُ ولابُدَّ أولىٰ بالدُّعاءِ مِنه.

❍ لمَّا نادىٰ نوحٌ ﷺ ابنَهُ قالَ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[هود:٤٢]، وهذا نِداءٌ للبَعيدِ؛ لأنَّ الكافِرَ بَعيدٌ عن المُسلِمِ ولو كانَ ابنَهُ أو أباهُ، كما أنَّهُ استَعمَلَ لفظَ (بُنَيَّ) الَّذي للتَّصغيرِ، والكافِرُ صَغيرٌ حَقيرٌ عند اللَّه تَعالىٰ، وقالَ: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾[هود]، ولم يَقُل: (مِن الكافِرينَ)، وهذا مِن الحِكمَةِ في الدَّعوَةِ لِئَلَّا يُنَفِّرَه عن قَبولِ دَعوَتِه.

❍ لمَّا حضَرَت نوحًا ﷺ الوَفاةُ دعا ابنَهُ وأوصاهُ، وهذه طَريقَةُ الأنبياء كما تقدَّمَ في وَصِيَّةِ آدَمَ لابنِه شيثٍ ﷺ، وسيَأتي مِثلُهُ في قَصَصِ بَعضِ الأنبياءِ، وسَبَبُ ذلِكَ حِرصُ الأنبياءِ علىٰ مَن بَعدَهُم، وإرادَتُهم الخَيرَ لأُمَمِهم، وكانَ مِن وَصِيَّةِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ لنا ما جاءَ في خُطبَةِ الوَداعِ عند مُسلمٍ وغَيرِه: «**قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ**».

❍ أوَّلُ شِركٍ ظهَرَ في الأرضِ كانَ في قَومِ نوحٍ ﷺ، وتقدَّمَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ كم كان بينَ آدمَ ونوحٍ؟ فقالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**» أي: أجيالٍ، وعندَ البُخارِيِّ عن ابنِ عبَّاسٍ: «**كُلُّهُمْ عَلَىٰ الإِسْلَامِ**»، وكانَ أصلُ شِركِهم العُكوفَ علىٰ قُبورِ الصَّالِحينَ، ثمَّ أمرَهُم الشَّيطانُ أن يُصَوِّروا لهم تَماثيلَ، ثمَّ لمَّا طالَ الأمَدُ عَبَدوهُم مِن دونِ اللهِ، وعلىٰ طَريقَتِهم كانَ شِركُ عادٍ وثَمودَ، ثمَّ ظهَرَ الشِّركُ في قَومِ إبراهيمَ مِن الكَنعانيِّينَ، وكانَ أصلَ شِركِهم عِبادَةُ الكَواكِبِ والشَّمسِ والقمَرِ، فهذان هما أصلُ كلِّ شِركٍ علىٰ الأرضِ.

❍ ذكَرَ بَعضُ المُفسِّرينَ أنَّ في سورَةِ نوح دليلًا علىٰ أنَّ أبَوَي نوح ﷺ كانا علىٰ الإسلام، وذلِكَ لأنَّه دعا لهُما بقَولِه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨]، ولا يَجوزُ الدُّعاءُ بالمَغفِرَةِ لمَن ماتَ علىٰ الكُفرِ، قالَ تَعالىٰ:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التَّوبة:٨٠].

❍ استَمَرَّت دَعوَةُ نوحٍ لقَومِهِ ألفَ سنَةٍ إلَّا خمسينَ عامًا، وهو زَمَنٌ طَويلٌ جدًّا، فلمَّا يَئِسَ مِنهم خطَبَهُم فقالَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي: عَظُمَ عليكم ﴿مَّقَامِى﴾ بينَ أظهُرِكُم ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ إيَّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وحُجَجِه وبَراهينِه، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا أُبالي بما تَقولون، ولن أكُفَّ عن دَعوَتِكُم، ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الَّذينَ تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ تَعالىٰ، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: بَيِّنوا لي حالَكُم، ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما تُريدونَهُ مِن أذِيَّتي، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[يونس] وتُؤَخِّروني ساعَةً واحِدَةً، فإنِّي لا أخافُكُم، وفي هذا بَيانُ شِدَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمرِ اللَّهِ، وعدَمُ خَشيَتِهِ إلَّا مِن اللَّهِ.

❍ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الأبُ الثَّاني للبَشَرِيَّةِ، فإنَّه لم يَبقَ علىٰ الأرضِ بشَرٌ إلَّا مِن ذُرِّيَّتِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾[الصَّافَّات]، وجعَلَ اللَّه في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[الحديد:٢٦]، وشكَّكَ بعضُهُم في هلاكِ كُلِّ مَن علىٰ الأرضِ سِوىٰ مَن نجا مع نوحٍ، وادَّعىٰ أنَّ الطُّوفانَ لم يُصِب إلَّا قَومَ نوحٍ، وهذا خِلافُ ظَواهِرِ النُّصوصِ، قال الطَّاهر بنُ عاشورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وعُمومُ الطُّوفانِ هو مُقتَضىٰ ظَواهِرِ الكِتابِ والسُّنَّةِ).

❍ لمَّا أوحِيَ إلىٰ نوحٍ أنَّه لن يُؤمِنَ مِن قَومِهِ إلَّا مَن قد آمَنَ دعا: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح]؛ لأنَّ بَقاءَ الفاسِدينَ والمُفسِدينَ إنَّما يَزيدُ الفَسادَ في الأرضِ، ولمَّا كانَ هَلاكُهُم بيَدِ اللهِ لا بأيدينا، فلا أقَلَّ مِن أن نَبتَعِدَ عنهُم، ونَحذَرَ مِنهُم، ولا نتبَعَهُم، وفي دُعاءِ نوحٍ علىٰ قَومِهِ جَوازُ -بل مَشروعِيَّةُ الدُّعاءِ علىٰ كُلِّ ظالِمٍ، جبَّارٍ، مُفسِدٍ في الأرضِ، ناشِرٍ للذُّنوبِ.

❍ قالَ مُحمَّدُ الأمينُ الشِّنقيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (في القُرآنِ العَظيمِ أشياءُ كَثيرَةٌ لم يُبيِّنها اللهُ لنا ولا رَسولُه ﷺ، ولم يَثبُتْ في بَيانِها شَيءٌ، والبَحثُ عنها لا طائِلَ تحتَه ولا فائِدَةَ فيه)، ثمَّ ذكَرَ أمثِلَةً فقالَ: (كخَشَبِ سَفينَةِ نوحٍ مِن أيِّ شجَرٍ هو، وكم طولُ السَّفينَةِ وعَرضُها، وكم فيها مِن الطَّبقاتِ، إلىٰ غيرِ ذلِكَ ممَّا

لا فائِـدَةَ في البَحـثِ عنـه، ولا دَليـلَ علىٰ التَّحقيـقِ فيه).

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾، ذُكِـرَ في هـذه الآيَـةِ الشَّـيءُ الكَثيـرُ، وأُفـرِدَت فيهـا رَسـائِلُ، وممَّـا قيـلَ فيهـا: (أجمَـعَ المُعانِـدونَ علـىٰ أنَّ طَوقَ البَشَـرِ قاصِرٌ عـن الإتيانِ بمِثلِهـا)، وكذلِكَ: (إنَّ اللهَ تَعالىٰ أمَـرَ فيها ونَهىٰ، وأخبَـرَ، ونادىٰ، وسَـمَّىٰ، وأهلَكَ وأبقَىٰ، وأسـعَدَ وأشـقَىٰ، وقَصَّ مِـن الأنباءِ ما لـو شُـرِحَ ما انـدَرَجَ في هـذه الجُملَةِ مِن بَديـعِ اللَّفـظِ والبَلاغَةِ والإيجـازِ والبَيانِ لجَفَّـتِ الأَقـلامُ)، وممَّـا يُسـتَفادُ مِنهـا أنَّـه قـالَ: ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ فنادهـا نِـداءَ البَعيدِ باسـمِ الجِنسِ دَلالَـةً علـىٰ عظَمَـةِ المُنـادي، وجَرَّدَهـا مِـن الوَصـفِ والإضافَةِ أو غَيـرِ ذلِـكَ ممَّـا يُفيـدُ التَّشـريفَ أو التَّكريـمَ ليَكـونَ أدعـىٰ لاسـتِجابَتِها، ولم يَسـتَعمِلِ مـا يُفيدُ التَّنبيـهَ فيَقولَ: (يـا أيَّتُها الأرضُ) في حـالِ كَونِها غافِلَةً فتَسـمَعُ آخِـرَ النِّـداءِ؛ لأنَّـهُ لا يُمكِـنُ الغَفلَةُ عـن أيِّ حَرفٍ يَصـدُرُ عن هذا المُنـادِي جلَّ وعَـزَّ، كمـا أنَّ في الآيَـةَ إيجـازًا بَليغًـا كما هـو ظاهِرٌ.

❍ وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ السَّـفينَةَ بقَولِـهِ: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ [الشُّـعراء]، وفي هذا دَلالَـةٌ علىٰ قُوَّةِ السَّـفينَةِ.

❍ جـاءَ في بَعـضِ كُتُبِ التَّفسيرِ ذِكرُ أَباطِيلَ وإسـرائيلِيَّاتٍ في سِياقِ الكَلامِ عن سَـفينَةِ نـوحٍ عليه السلام، وليـسَ في ذِكرِهِـم لهـا إقـرارٌ بصِحَّتِها، مـع ذلِكَ فقـد تلَقَّفَها كَثيـرٌ مِـن النَّـاسِ اليـومَ، فتَجِدُهـا مَنشـورَةً في المَواقِعِ، إلـىٰ درَجَةِ أنَّ القـارِئَ أو المُسـتَمِعَ لهـا يُخيَّـلُ إليـه أنَّهُـم كانـوا مِـن رُكَّابِ السَّـفينَةِ! فيَنبَغـي الحَـذَرُ مِـن تَصديـقِ ذلِـكَ ونَشـرِهِ بيـنَ النَّـاسِ، وفيما صـحَّ في القُرآنِ والسُّـنَّةِ غُنيَـةٌ عنه.

❍ طَلَـبَ نـوحٌ مِـن قَومِـه أن يَعبُـدوا اللهَ ويتَّقُـوهُ، وأن يُطيعـوا نوحًـا عليه السلام فيما يُخبِرُهـم بـه عـن رَبِّهِـم، ووعَدَهُـم إن هـم أطاعـوهُ أن يَغفِـرَ اللهُ لهـم، ويَرزُقَهُم مـددًا في أعمارِهم.

❍ ذكَـرَ نوحٌ عليه السلام بَعـضَ ثَمَراتِ الاستِغفارِ، فقـالَ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح].

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] أَوَّلُ شِركٍ حدثَ في الأرضِ كان في قَوم: ❍ نوح. ❍ إبراهيمَ. ❍ شُعَيب.
[٢] النَّبيُّ الَّذي ذُكِرَ في القُرآنِ أنَّه تعرَّضَ لسُخرِيَةٍ مِن قَومِهِ هو: ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ لوطٌ.
[٣] كَم لَبِثَ نوحٌ يَدعو قومَه لعِبادَةِ اللهِ؟ ❍ ٩٥٠ سنةً. ❍ ألفَ سنةٍ.
[٤] مَن أوَّلُ الرُّسُلِ؟ ❍ آدَمُ. ❍ إدريسُ. ❍ نوحٌ.
[٥] النَّبِيَّانِ اللَّذانِ جُعِلَ في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ: ❍ آدَمُ ونوحٌ. ❍ نوحٌ وإبراهيمُ.
[٦] نجَّى اللهُ مِن أهلِ نوحٍ: ❍ جَميعَهُم. ❍ جَميعَهُم إلَّا زَوجَتَهُ وأحَدَ أبنائِهِ.
[٧] نبيَّانِ زَوجَتاهما كافِرَتانِ: ❍ نوحٌ ولوطٌ. ❍ نوحٌ وشُعيبٌ. ❍ لوطٌ وشُعيبٌ.
[٨] النَّبيُّ الَّذي أمرَهُ اللهُ أن يصنَعَ سفينةً: ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ صالِحٌ.
[٩] ما نَوعُ العَذابِ الَّذي عذَّبَ اللهُ به قَومَ نوحٍ؟ ❍ الغَرَقُ. ❍ الصَّاعِقَةُ. ❍ الرِّيحُ الصَّرصَرُ العاتِيَةُ.
[١٠] مَن النَّبيُّ الَّذي كان ابنُه كافِرًا؟ ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ صالِحٌ.
[١١] مَن قائل: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾؟ ❍ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ ابنُ نوحٍ الَّذي لم يُؤمِن. ❍ زَوجةُ نوحٍ.
[١٢] أينَ استَوَتْ سَفينَةُ نوحٍ بعد الفَيَضانِ؟ ❍ جبَلُ سَلعٍ. ❍ جَبَلُ الجُودِيِّ. ❍ جَبَلُ قاسِيونَ.
[١٣] كانَ بينَ آدمَ ونوحٍ (❍ ١٠ ❍ ٢٠ ❍ ٥٠) قُرونٍ (❍ كلُّهم على الإسلامِ ❍ منهم المُسلِمُ ومِنهم الكافِرُ).
[١٤] بُعِثَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ لمَّا بدَّلَ النَّاسُ دينَ اللَّهِ. ❍ لمَّا عبدوا الطَّواغيتَ. ❍ لمَّا عبدوا الكَواكِبَ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني. ❍ الجميعُ.
[١٥] نوحٌ هو أوَّلُ: ❍ نبيٍّ. ❍ رسولٍ. ❍ لا يوجَدُ إجابَةٌ صحيحةٌ.
[١٦] الأبُ الثَّاني للبشرِيَّةِ هو: ❍ نوحٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ صالِحٌ.

[١٧] نوحٌ ﵇ مِن أولي العَزم مِن الرُّسُل: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٨] المَقصودُ في: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ هو: ❍ نوحٌ. ❍ آدمُ. ❍ إبراهيمُ.
[١٩] الصَّحيحُ أنَّ نوحًا ﵇ (❍ عاشَ ❍ دامَت بعثَتُهُ) ٩٥٠ عامًا.
[٢٠] ابنُ نوحٍ ﵇ الَّذي لم يُؤمِن كانَ (❍ يُظهِرُ ❍ يُخفِي) كُفرَهُ، ولهذا سألَ نوحٌ ربَّهُ عنه.
[٢١] رَتِّبْ مَراتِبَ دَعوَةِ نوحٍ لقَومِهِ؟ ❍ المُناصَحةُ سِرًّا. ❍ المُناصحَةُ جَهرًا. ❍ الجَمعُ بينَ السِّرِّ والمُجاهرَةِ.
[٢٢] الجِهارُ أغلَظُ مِن الإسرارِ في الدَّعوَةِ (❍ صح ❍ خطأ)، والجَمعُ بينهما (❍ أغلَظُ ❍ أقَلُّ) مِن إفرادِ أحَدِهما.
[٢٣] سُمِّيَت سورةٌ باسم نوحٍ ﵇: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٤] لم يَأتِ في القُرآنِ سورَةٌ: ❍ باسمِ نبيٍّ إلَّا نوحٌ ﵇. ❍ ليسَ فيها إلَّا قصَّةُ نبيٍّ واحِدٍ إلَّا نوحٌ لطول دعوته. ❍ لا يوجَدُ إجابةٌ صَحيحَةٌ.
[٢٥] يَشهَدُ لنوحٍ بالبَلاغ: ❍ أمَّتُهُ. ❍ محمَّدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ. ❍ الجميعُ.
[٢٦] آيةُ نوحٍ ﵇: ❍ السَّفينةُ. ❍ تصديقُ اللهِ لهُ. ❍ الجَميعُ.
[٢٧] آمَنَ مِن قَومِ نوحٍ: ❍ قليلٌ. ❍ كلُّهُم. ❍ لا أحَدَ.
[٢٨] في قصَّةِ نوحٍ ﵇ ردٌّ علىٰ نظريَّة (تطويرِ الذَّاتِ) وأشباهِها حيثُ إنَّ الدَّاعِيَةَ عليه العَمَلُ والهِدايَةُ بيَدِ اللهِ؟ ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٩] الغُلُوُّ في الصَّالِحينَ هو أصلُ الشِّرْكِ قَديمًا وحَديثًا؟ ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٠] الفِتنَةُ بالقُبورِ كالفِتنَةِ بالأصنام؛ بل هي أشَدُّ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣١] إذا كانَ العَبدُ لا يتذَكَّرُ عِبادَةَ اللهِ إلَّا برُؤيَةِ أشباحِ الصَّالِحينَ فهذِهِ عِبادَةٌ: ❍ كامِلَةٌ. ❍ قاصِرَةٌ. ❍ مَعدومَةٌ.
[٣٢] مَن أرادَ تَقويَةَ دينِهِ ببدعَةٍ كانَ ضَررُها أكثَرَ مِن نَفعِها: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٣] البِدعَةُ سبَبُ الكُفرِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٤] لم يَذكُرِ اللهُ ﷿ في سُورَةِ (❍ نوح ❍ الأنبياءِ ❍ القَصَصِ) سِوىٰ قصَّةِ نوحٍ ﵇ وحدَها، وسَبَبُ ذلكَ (❍ طولُ لُبثِهِ في قومِه ❍ تكرارُ دَعوَتِه إلىٰ التَّوحيدِ ❍ نَهيُهُ عنِ الشِّركِ ❍ الجَميعُ).

[٣٥] انقسَمَ النَّاسُ في الصَّالِحينَ إلىٰ: ❍ غُلاةٍ وجُفاةٍ. ❍ طرَفَينِ ووسَطٍ.

[٣٦] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ نوح ﷺ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

عبدٌ شَكورٌ:	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[الحديد:٢٦].
مُستَجابُ الدَّعوَةِ:	﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الصَّافَّات].
في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةُ والكِتابُ:	﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦].
قُوَّةُ الصَّبرِ:	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح]
التَّسليمُ التَّامُّ:	﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء].
نصرَهُ اللهُ:	﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧].
أمَّنَه اللهُ مِن أن يذكُرَه أحدٌ بسوءٍ:	﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤].
مُحسِنٌ:	﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء:٧٧].
قَويٌّ في أمرِ اللهِ:	﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الصَّافَّات].

[٣٧] ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فيه دليلٌ علىٰ قُوَّةِ السَّفينَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٨] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ أجمَعَ المُعانِدونَ علىٰ أنَّ طَوقَ البَشَرِ قاصِرٌ عن الإتيانِ بمِثلِها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٩] في دُعاءِ نوح جَوازُ الدُّعاءِ علىٰ كلِّ ظالِمٍ جبَّارٍ مُفسِدٍ في الأرضِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٠] دعا ﷺ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾؛ لأنَّه ربَّما قصَّرَ في الدَّعوَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] ممَّا أوصَىٰ به نوحٌ ﷺ: ❍ التَّوحيدُ. ❍ تَركُ الشِّركِ. ❍ عدَمُ التَّكبُّرِ. ❍ الجميعُ.

نَبِيُّ اللهِ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ في قَومِ عادٍ، وهم مِن العَرَبِ العارِبَةِ.
الـمَكان:	سَكَنت عادٌ الأَحقافَ (جبالَ الرَّملِ) مِن أرضِ اليَمَنِ.
الزَّمانُ:	هـم أوَّلُ مَـن عَبَـدَ الأصنـامَ بعـدَ الطُّوفـانِ، وأوَّلُ أُمَّـةٍ أهلَكَهـم اللهُ بذُنوبِهـم وشِـركِهم بعـد نـوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِن نِعَمِ اللهِ على عادٍ:	[١] ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ أي: خِيامَ الشَّعرِ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ. [٢] ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾، فكانوا أشَدَّ أهلِ زَمانِهِم قُوَّةً وبَطشًا. [٣] ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ﴾ بُنيانًا هائلًا ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ بلا مصلَحَةٍ. [٤] ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ لفَرطِ قُوَّتِهم. [٥] ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾ [الشُّعراء].
مِمَّا وَصَفَه اللهُ به:	[١] قـوَّةُ التَّوكُّلِ علـىٰ اللهِ، ولـمَّا كذَّبَهُ قَومُهُ قـالَ: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود]. [٢-٣] النُّصـحُ والأمانـةُ، قـالَ مُخاطِبًـا قومَـهُ ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعـراف]، وأقـرَّهُ اللهُ علـىٰ ذلِـكَ.
ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ هودٌ في القرآنِ ٤ مَرَّاتٍ، وسُـمِّيَت سـورَةٌ باسـمِه (هودٌ)، وسـورَةٌ باسـمِ المَوضِعِ الَّـذي كانَ فيه (الأحقافُ).
هَلاكُ قَومِه:	أرسَـلَ اللهُ عليهِم الرِّيحَ فأهلَكَتهُم، ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾ [الحاقَّـةُ]، ونجَّـىٰ اللهُ هودًا ومَن آمَـنَ معهُ أجمَعينَ.

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخْتَصَرَةً:

قَومُه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]، ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:١٥].

هم عادٌ الأولىٰ، وتُسمَّىٰ عادَ إِرَمَ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ﴾ [الفجر]، وإرَمُ هنا عَطفُ بَيانٍ، وهم بَنو عادِ بنِ عَوصِ بن إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانوا يسكُنونَ الأحقافَ -أي: جِبالَ الرَّملِ- بأرضِ اليَمَنِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف]، وكانوا يَسكُنونَ خِيامَ الشَّعرِ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ، وذلِكَ قولُه تعالىٰ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر]؛ لأنَّهم كانوا أشَدَّ أهلِ زَمانِهم قُوَّةً وبَطشًا، وآتاهُم اللهُ بسطَةً في الخَلقِ، ولهذا قالَ لهُم هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، وكانوا مُستكبرينَ في الأرضِ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:١٥]، وعادٌ الأولىٰ مِن العرَبِ العارِبَةِ، وهم العرَبُ الَّذينَ كانوا قبلَ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأمَّا ذُرِّيَّةُ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم العرَبُ المُستَعرِبَةُ.

مَبعَثُه:

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٥٠]، ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف].

سبَقَ معنا أنَّ اللهَ أهلَكَ كلَّ مَن علىٰ الأرضِ مِن الكافِرينَ بالطُّوفانِ، وأنجَىٰ نوحًا ﵇ ومَن معه مِن ذُرِّيَّتِهِ وأتباعِهِ المُؤمنينَ، ثمَّ إنَّ اللهَ جعَلَ ذُرِّيَّةَ نوح هم الباقينَ دونَ غيرِهم، وبقِيَ النَّاسُ علىٰ الإيمانِ إلىٰ أن عبَدَت عادٌ الأولىٰ الأصنامَ، وكانت أصنامُهم ثلاثَةً: صَدَا، وَصَمُودَا، وَهِرَا، فلمَّا ظهَرَ فيهم الشِّركُ وانتَشَرَ بعَثَ اللهُ إليهم رسولًا مِنهم يَدعوهُم إلىٰ توحيدِ العِبادَةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المؤمنون]، دَعاهُم إلىٰ عِبادَةِ اللهِ وحدَهُ، ونَبذِ ما كانوا يعبُدونَهُ مِن الأصنام، وقالَ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود] علىٰ اللهِ ﷯ باتِّخاذِكُم آلِهَةً مِن دونِهِ، وهذا الَّذي دعاهُم إليه هودٌ ﵇ هو الَّذي دعت سائِرُ الرُّسُل قومَها إليهِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: الرُّسُلُ يُنذِرونَ قومَهم ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كآدَمَ وشيثٍ وإدريسَ ﵈ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ مِن الرُّسُلِ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف].

مُحاجَّتُه لقومِه:

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود]، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود]، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشُّعراء].

وكانَ ممَّا قالَ هودٌ عليه السلام لقومِهِ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ دَعوَتي إيَّاكُم ﴿أَجۡرًاۖ﴾ تُعطونَني إيَّاهُ، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ أي: خلَقَني، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ممَّا وقعتُم فيه مِن الشِّركِ والمَعاصي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ فسيَكونُ جزاؤُكُم إن أنتم فعلتم ذلِكَ أن ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود]، وقالَ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ تَمشي علىٰ الأرضِ ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ فهي تحتَ قَهرِهِ وتَصرُّفِهِ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ أي: عادِلٌ لا يَجورُ في شَيءٍ مِن حُكمِهِ، وأمَّا آلِهتُكُم الَّتي تَدعونَ مِن دونِ اللهِ فليسَ لها مِن هذهِ الصِّفاتِ نَصيبٌ، ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وتُعرِضوا عمَّا أدعوكُم إليهِ ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾، وقامَتْ عليكُمُ الحُجَّةُ مِن ربِّكُم، وليسَ بعَسيرٍ علىٰ الله أن يُهلِكَكُم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾ [هود] يُشاهِدُ ما تَعمَلونَ فيَحفَظُهُ ويَجزيكُم بهِ.

وقالَ عليه السلام لهم: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾﴾ في تَبليغِ رِسالَةِ رَبِّي، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي: مَكانٍ مُرتَفِعٍ ﴿ءَايَةٗ﴾ أي: بُنيانًا هائلًا ﴿تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ بذلِكَ لأنَّه لا مَصلَحةَ فيه، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ أي: بُروجًا مُشيَّدَةً ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ فيها إلىٰ أبَدِ الدَّهرِ! ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم﴾ أي: سَطَوتُم علىٰ غيرِكُم ﴿بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ بما أعطاكُمُ اللهُ مِن قُوَّةٍ وجَبَروتٍ، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ مِن النِّعَمِ والخَيراتِ، ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشُّعراء] إن أنتُم كذَّبتُم.

استكبارُ قومِهِ:

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]، ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ

مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ
وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ
إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا
حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ
ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا
بِسُوٓءٍ﴾ [هود]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشُّعراء].

لمَّا دعا هودٌ عليه السلام قومَهُ كذَّبَهُ أكثرُهم، وقالَ زُعماؤُهم ووُجهاؤُهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي: ضَلالَةٍ، ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]، وقالُوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِن الأصنام؟ ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف] استِعجالًا مِنهُم لعذابِ اللهِ، وقالُوا للنَّاسِ: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ كأنَّهُم يقولونَ: لو كانَ رَسولًا مِن عندِ اللهِ كما يَقولُ لَما كانَ هذا حالُهُ، ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يومَ البَعثِ والنُّشورِ؟! ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: بَعُدَ ذلِكَ، ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون]، وقالوا: ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ وبُرهانٍ علىٰ ما تدَّعيهِ، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن﴾ مُجرَّدِ ﴿قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ﴾ أي: أصابَكَ ﴿بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود] مِن جُنونٍ وخَبَلٍ في عَقلِكَ بسبَبِ انتِقاصِكَ مِنها ودَعوتِكَ إيَّانا إلىٰ تركِها، وقالُوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ فإنَّنا لن نرجِعَ عمَّا نحن فيه، ﴿إِنۡ هَـٰذَآ﴾ الَّذي نَحنُ عليهِ ﴿إِلَّا خُلُقُ﴾ أي: دينُ ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ مِن الآباءِ والأجدادِ، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشُّعراء] عليهِ.

هَلاكُ قَومه بكُفرهم:

﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾[المؤمنون]، ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾[الأحقاف]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾[الذَّاريات]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾[القمر]، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾[الحاقَّة:٧].

لمَّا أعرَضَ قَومُ هودٍ عن عِبادَةِ اللهِ وحدَهُ، وأصَرُّوا علىٰ ما كانُوا عليه مِن عِبادَةِ الأصنام، دَعا هودٌ عليه السلام ربَّهُ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾، فأجابَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾[المؤمنون]، فأرسَلَ اللهُ عليهم سَحابًا عارِضًا في ناحِيَةٍ مِن نَواحي السَّماءِ ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾، وكانَ اللهُ قد حَبَسَ عنهُم المَطَرَ زَمانًا، فـ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ أي: استَبشَروا به وظَنُّوا أنَّه يأتيهِم بالمَطرِ، فقالَ لهم هودٌ عليه السلام: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ مِن العَذابِ، ﴿رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤﴾ لكُم، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ ممَّا مِن شأنِهِ الخَرابُ ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ﴾ وقد بادُوا كلُّهُم عن آخِرِهم، وصارَ ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ الَّتي كانوا يَسكُنونَها، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥﴾ [الأحقاف].

ووصَفَ اللهُ عزَّ وجلَّ الرِّيحَ الَّتي أرسَلَها علىٰ عادٍ بقَولِهِ: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١﴾ [الذَّاريات] الَّتي ليسَ فيها إنتاجٌ، وبقَولِهِ: ﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ شَديدَةَ الهُبوبِ، الَّتي لها صَوتٌ، وهي ذاتُ بردٍ شَديدٍ جدًّا، ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ عليهم نَحسُهُ ودَمارُهُ؛ لأنَّه قد اتَّصَلَ فيه عَذابُهُم الدُنيَوِيُّ بالأُخرَوِيِّ، ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تأتي أحَدَهُم فترفَعُه حتَّىٰ يَغيبَ عن الأبصارِ، ثُمَّ تُنَكِّسُه فيَقَعُ علىٰ الأرضِ، ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ﴾ أي: جُذوعُ ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾[القمر] أي: مُنقَلِع مِن أصلِهِ، وذكَرَ اللهُ تَعالىٰ مُدَّةَ الرِّيحِ بقَولِهِ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾[الحاقَّة:٧] أي: كامِلَةً مُتتابِعَةً.

نَبِيُّ اللهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ في قومِ ثَمُودَ، مِن العَرَبِ العارِبَةِ.
المَكانُ:	سَكَنت ثَمودُ الحِجرَ بينَ الحِجازِ وتَبوكَ.
الزَّمانُ:	كانت ثَمودُ بعدَ عادٍ بزَمَنٍ قَريبٍ، وعَبَدوا الأصنامَ.
مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى ثَمودَ:	[١] ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾، ونِعمَةُ الأمنِ هي أعظَمُ ما مَنَّ اللهُ عليهم به. [٢] ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾ أي: قطَعُوا وثَقَبُوا ﴿ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾. [٣] ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.
مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِه:	[١] العِزَّةُ في قَومِهِ، ﴿يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾[هود]. [٢] النُّصحُ، ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[هود:٧٩].
آيَتُه:	النَّاقَةُ، ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[الإسراء].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ٩ مَرَّاتٍ، وسُمِّيَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي كانَ فيه (الحِجرُ).
هَلاكُ قَومِه:	لَمَّا عَقَروا النَّاقَةَ أُجِّلُوا ثلاثَةَ أيَّامٍ، ثُمَّ أخَذَتهُم الصَّيحَةُ فأصبحوا جاثِمينَ، ونَجَّى اللهُ صالِحًا والمُؤمِنينَ.
زِيارَةُ الحِجرِ:	لَمَّا مرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحِجرِ قالَ: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ». مُتَّفَقٌ عليه.

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخْتَصَرَةً:

قَومُهُ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقَّة]، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر]، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف]، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]، ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحِجر].

هم قَومُ ثَمودَ، تَسَمَّوا باسمِ جَدِّهم ثَمودَ بنِ عاثِرٍ -أخي عادٍ- بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم مِن العرَبِ العارِبَةِ، وقد ذكَرَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَقِبَ عادٍ في مَواضِعَ مِن القُرآنِ، وقرَنَ بينَهُم في قَولِهِ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقَّة]، وذلِكَ لِقُربِهِم مِنهُم زَمانًا، وسكَنَت ثَمودُ الحِجرَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر]، والحِجرُ موضِعٌ معروفٌ بَينَ الحِجازِ وتَبوكَ، مرَّ به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طَريقِهِ إلىٰ تبوكَ، وفي «الصَّحيحين» عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ**» أي: جعَلَهُ علىٰ وَجهِهِ، «**وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ**» أي: علىٰ الرَّاحِلَةِ، ولذلِكَ قالَ تعالىٰ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣٨] أي: رأيتُموها.

وقد استَخلَفَ اللهُ ثَمودَ في الأرضِ مِن بعدِ ما أهلَكَ عادًا الأولىٰ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزَلَكُم فيها، وجعَلَ لكُم مَساكِنَ وأزواجًا، ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تَبنونَ القُصورَ بكُلِّ مَوضِعٍ، ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف]، أي: تنقُبونَ الجِبالَ فتَجعَلونَها مَساكِنَ لكُم، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾ أي: قطَعوا وثَقَبوا ﴿ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ

مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾[الحِجر]، أي: يفعَلونَ ذلِكَ مِن غَيرِ خَوفِ عَدُوٍّ، ولا حاجَةٍ إليها، وإنَّما يَفعَلونَه أَشَرًا وبطَرًا وعبَثًا، وفي هذا كلِّه بَيانُ قُوَّةِ أهلِ ثَمودَ وشِدَّتِهم، ومع ذلِكَ كُلِّه فقد كانوا يَعبُدونَ الأصنامَ، ولم يَعتَبِروا بمَا حصَلَ لقَومِ عادٍ قُبَيلَهُم.

مَبعَثُ صالِحٍ عليه السلام:

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾[هود:٦٢]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾[هود]، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشُّعراء].

بعَثَ اللهُ تَعالىٰ صالِحًا إلىٰ قَومِهِ يَدعوهُم إلىٰ عِبادَتِهِ وحدَهُ ونَبذِ ما كانوا يَعبُدونَه مِن الأصنام، واسمُهُ الكامِلُ: صَالِحُ بنُ عُبَيدِ بْنِ ماسِحِ بنِ عُبَيدِ بنِ حادِرِ بنِ ثَمُودَ، وكانَ شابًّا راجِحَ العَقل، يتوسَّمونَ فيه الصَّلاحَ، قالَ اللهُ علىٰ لِسانِهم: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾[هود:٦٢]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بدَأَ خلقَ أبيكُم آدمَ مِنها، ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ فجعَلَكُم تعمُرونَها وتستَغِلُّونَها، ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ لما وقَعتُم فيه مِن الشِّركِ والمَعاصِي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ فيما تستَقبِلونَه مِن أعمالِكُم، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ مِن عِبادِهِ ﴿مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾ [هود] لمَن أخلَصَ له مِنهُم الدُّعاءَ.

وكانَ ممَّا قالَهُ صالِحٌ عليه السلام لقَومِهِ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ اللهَ الَّذي خلَقَكُم ورزَقَكُم؟! ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾﴾ مِن اللهِ علىٰ ما أُرسِلتُ به، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ فيما أدعوكُم إليه، ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشُّعراء].

جَوابُ قَومِهِ له:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف]، ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[هود]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[الشُّعراء]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[القمر]، ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾[النَّمل].

لمَّا بعَثَ اللهُ صالِحًا إلىٰ قومِهِ استكبَروا وكفَرُوا برِسالَتِه، قالَ تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾[الشُّعراء]، وذلِكَ لأنَّهُم لمَّا كذَّبوا صالِحًا كانوا مُكَذِّبينَ لسائِرِ الأنبياءِ، و﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وهم سادَتُهم وكُبَراؤُهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾؟! وهذا سُؤالُ استِكبارٍ واستِهزاءٍ، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف]، وقالوا: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِن قبلُ، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[هود] أي: في شكٍّ كبيرٍ مِن صِحَّةِ ما تدعونا إليه.

وقالَ الكُفَّارُ مِنهُم لصالِحٍ عليه السلام تنفيرًا مِنه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ أي: المَسحورينَ، ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فكيفَ يُوحىٰ إليكَ مِن دونِنا؟! ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ تدُلُّ علىٰ صِدقِكَ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[الشُّعراء]، وقالوا: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا﴾ إذا سلَّمنا أمرَنا لبَشَرٍ مِثلِنا ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: في خَيبةٍ وخُسرانٍ، ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟! وما سبَبُ تفضيلِهِ علينا بذلِكَ؟ ثمَّ رَمَوهُ بالكَذِبِ فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[القمر] أي: مُتكَبِّرٌ جبَّارٌ.

وكانَ ممَّا قالَهُ قومُهُ له أن ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾، أي: ما رأينا علىٰ وَجهِكَ ووُجوهِ مَن معَكَ مِن خيرٍ، فكانوا يتشاءمُونَ بهم، ولا يُصيبُ أحدًا مِنهُم سوءٌ إلَّا نَسبَهُ إلىٰ صالِحٍ ومَن اتَّبعَهُ، ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ فهو يُجازيكُم بهِ، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النَّمل] فيَستدرِجُكُم اللهُ فيما أنتُم فيهِ مِن الضَّلالِ.

واستَعجَلَ قَومُ صالِحٍ العَذابَ، فسألُوهُ أن يُنزِلَ بهم العذابَ إن كانَ يَقدِرُ علىٰ ذلِكَ، فقالَ لهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الَّتي هي العَذابُ ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ الَّتي كنتُم ستُؤتَونَها لو أنَّكُم آمَنتُم باللهِ وأطعتُمُوني فيما أدعوكُم إليهِ مِن الخيرِ، ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾[النَّمل].

قِصَّةُ النَّاقَةِ:

﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[الإسراء]، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾[الأعراف]، ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾[هود]، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾[الشُّعراء]، ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩﴾[القمر]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾[الشَّمس].

لمَّا استكبَرَ قَومُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالوا له: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾[الشُّعراء] أرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يُبيِّنَ لهُم صِدقَهُ، ويُقيمَ عليهِم الحُجَّةَ، فجعَلَ لهُم آيةً بيِّنَةً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ أي: دالَّةً دلالَةً لا مِراءَ فيها علىٰ صِدقِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما يَدعوهُم إليهِ مِن وَحدانِيَّةِ اللهِ، ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[الإسراء] أي: جَحَدوا بها وكفَروا باللهِ، وقالَ

تَعالىٰ: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً﴾ أي: اختِبارًا ﴿لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ أي: انتَظِر ما يؤولُ إليه أمرُهُم، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ ۝٢٧﴾[القمر] أي: اصبر عليهم.

والَّذي حصَلَ أنَّ قَومَ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ طلَبُوا مِنهُ تَعجيزًا له أن يُخرِجَ لهُم مِن صَخرَةٍ أشارُوا إليها ناقةً عُشَرَاءَ، ووَعَدوهُ أن يُؤمِنوا إن هو فعَلَ ذلِكَ، فقامَ يُصَلِّي ويَدعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ أن يُجيبَهُم لعلَّهُم يهتَدونَ، فأجابَهُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ ذلِكَ، فانشَقَّتِ الصَّخرَةُ وخَرجَت مِنها ناقَةٌ يتقَلَّبُ جَنينُها في بَطنِها، وقالَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهُم: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافَها إلىٰ اللهِ إضافَةَ تَشريفٍ، ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ حَيثُ شاءَت، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾ مِن اللهِ بسبَبِ كُفرِكُم وإيذائِكُم للنَّاقَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٣﴾[الأعراف]، ﴿عَذَابٞ قَرِيبٞ ۝٦٤﴾[هود]، ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦﴾[الشُّعراء]، واشتَرَطَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليهم أن يَكونَ الماءُ قِسمَةً بينَهُم وبينَ النَّاقةِ، يَشرَبونَ يَومًا وتَشرَبُ يَومًا، وجعَلَ لهُم أن يَحلُبوا النَّاقةَ يَومَ شُربِها، فكانوا يَملَؤُون أوعِيَتَهُم لبَنًا، قالَ تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥﴾[الشُّعراء]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ﴾ شِربُهُم الماءَ في اليَومِ المُخَصَّصِ لهُم، وشِربُهُم اللَّبَنَ يومَ وُرودِها، ﴿مُّحۡتَضَرٞ ۝٢٨﴾[القمر] أي: يَحضُرونَهُ.

وذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّ جُندَعَ بنَ عَمرٍو أحَدَ رُؤساءِ ثمودَ آمَنَ لمَّا رأىٰ النَّاقَةَ، ودعا بَقِيَّةَ الأشرافِ إلىٰ الإيمانِ معه فأبَوا عليه، لكِنَّهُم بقَوا مع ذلِكَ يَحلُبونَها ويَشرَبونَ مِن لبَنِها يومَ وُرودِها، فلمَّا طالَ الزَّمَنُ اتَّفَقوا علىٰ عَقرِ النَّاقَةِ ليَبقىٰ لهُم الماءُ كُلَّ الأيَّامِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾[الشَّمس]، وكانَ الَّذي تَولَّىٰ عَقرَها رَجُلٌ مِنهُم يُقالُ له قُدارُ بنُ سالِفٍ، وقد جاءَ وَصفُهُ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه، قالَ ﷺ: «**انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ**»، وأخرَجَ النَّسائيُّ والحاكِمُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال لعليٍّ وعمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَىٰ النَّاسِ؟**»، قُلْنا: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَىٰ هَذِهِ**»

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ قَرْنِهِ «حَتَّىٰ يَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ» وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: تَناوَلَ النَّاقةَ بيدِه ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر] النَّاقةَ، فلمَّا رأىٰ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاقةَ بكىٰ، وعلِمَ أنَّ اللهَ مُعَذِّبُهم علىٰ ذلِكَ، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ [هود]، فهو وَعْدٌ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، واللهُ لا يُخلِفُ الميعادَ، ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الشُّعراء]، ولم يَكُن النَّدَمُ لِيَنفَعَهُم حينئِذٍ.

مُحاوَلَتُهم قَتلَ النَّبيِّ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النَّمل].

لمَّا وعَدَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قومَهُ أن يأتِيَهُم العذابُ بعد ثلاثةِ أيَّام غاظَهُم ذلِكَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ هم كُبَراؤُهم ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وهم الَّذين غَلَبوا علىٰ أمرِ قومِهم، وأطاعَهُم الباقونَ، ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟﴾ أي: تحالَفوا وتبايَعوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: لَنَقتُلَنَّهُم غيلَةً، فإن كانَ صادِقًا فيما يَعِدُنا به مِن العَذابِ عَجَّلناهُ قبلَنا، وإن كانَ كاذِبًا ألحقناهُ بناقَتِه، نَعوذُ باللهِ مِن الخِذلانِ! ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ كَذِبًا ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وهُم أبعَدُ ما يَكونونَ عن الصِّدقِ، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النَّمل] واللهُ تَعالىٰ إنَّما يَمكُرُ بالماكِرينَ الَّذين يَستَحِقُّون أن يُمكَرَ بهم، فلمَّا جاؤُوا إليه ليلًا ليَقتُلوه أرسَلَ اللهُ عليهم حِجارةً رَضَختهُم، فكانوا أوَّلَ قومِهِم هلاكًا كما كانوا أوَّلَهُم ضَلالًا وإضلالًا.

هَلاكُ قومِ ثَمودَ:

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود]، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴾ [النَّمل:٥٢]، ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الذَّاريات]، ﴿ فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [القمر].

بعدَ أن أهلَكَ اللهُ الرَّهطَ التِّسعَةَ الَّذي سبَقَ ذِكرُهُم، بَقِيَ عامَّةُ مَن كفرَ مِن ثَمودَ يَنتَظِرونَ ما يُفعَلُ بهم، فلمَّا أشرَقَتِ الشَّمسُ مِن اليَوم الثَّالِثِ أتاهُمُ العَذابُ، ووصَفَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عذابَهُم بالصَّاعِقَةِ، والصَّيحَةِ، والرَّجفَةِ، والعَذابِ الهونِ، والتَّدميرِ، والطَّاغِيَةِ، والدَّمدَمَةِ، وخُلاصَةُ ذلِكَ أنَّهُم أتَتهُم صَيحَةٌ مِن السَّماءِ مِن فَوقِهِم، ورَجَفَتِ الأرضُ مِن تَحتِهِم، ففاضَتْ أرواحُهُم وسكَنَت حَرَكَتُهُم، قالَ تَعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ مَيِّتينَ قد أُلقِيَ بَعضُهُم علىٰ بَعضٍ، ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ ﴾ أي: كأنَّهُم لم يَعيشُوا في تِلكَ الدِّيارِ مِن قَبلُ! ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴾ [النَّمل:٥٢]، وقالَ: ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الذَّاريات]، وقالَ: ﴿ فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [القمر] أي: كالنَّباتِ اليابِسِ لا روحَ فيه.

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّتَي هُودٍ وصَالِحٍ عليهما السلام:

❍ لا يوجَدُ ذِكرٌ لقِصَّتَي عادٍ وثَمودَ في الكُتُبِ الَّتي بينَ أَيدِي أهلِ الكِتابِ، وليسَ مَعنىٰ هذا أنَّ موسىٰ عليه السلام لم يُخبِر قَومَه بأخبارِ عادٍ وثَمودَ؛ بل إنَّه جاءَ في القرآنِ ما يدُلُّ علىٰ أنَّه أخبَرَهم، فقد قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [إبراهيم]، فلعلَّ بَني إسرائيلَ أهمَلوا ذِكرَهما لأنَّهما مِن العَرَبِ، فأتىٰ القرآنُ مُهَيمِنًا علىٰ الكُتُبِ السَّابِقَةِ، فجَمَعَ القَصَصَ كُلَّها، وجاءَ مُبَيِّنًا قَصَصَ عادٍ وثَمودَ، وذكَرَ أسماءَ أجدادِهِم، والأمكِنَةَ الَّتي سَكَنوها، وذكَرَ مِن أوصافِهِم وأخبارِهِم، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾[التَّوبة:٧٠]، فكانَ في ذلِكَ آيَةٌ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ورَدٌّ علىٰ مَن اتَّهَمَه بالتَّلَقِّي عن أهلِ الكِتابِ.

❍ كثيرًا ما يَقتَرِنُ ذِكرُ عادٍ وثَمودَ في القُرآنِ، ولعلَّ ذلِكَ لأنَّهما يشتَرِكانِ في أُمورٍ منها:

- أنَّهما أمَّتانِ مِن العَرَبِ البائِدَةِ.
- أنَّهما سَكَنا جَزيرَةَ العرَبِ وما جاوَرَها.
- أنَّ الله آتاهُما قوَّةً شديدَةً كما تقدَّمَ ذِكرُه في قِصَّتَيهما.
- أنَّهما لمَّا دُعِيا إلىٰ عِبادَةِ اللهِ أظهَرَا الكُفرَ والجَبَروتَ.
- أنَّهما أُهلِكا بعامَّةٍ.

❍ في سورَةِ هودٍ بدأَت ثلاثُ قِصَصٍ نفسَ البدايَةِ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ﴾ [هود:٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾[هود:٦١]، ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ [هود:٨٤]، ثمَّ خُتِمَت قصَّةُ هودٍ عليه السلام بقولِه تعالىٰ: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾[هود]، وخُتِمَت قصَّةُ صالحٍ عليه السلام بقولِه تَعالىٰ: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾ [هود]، وخُتِمَت قصَّةُ شُعَيبٍ عليه السلام بقولِه تعالىٰ: ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ

ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾[هود]، فالله عَزَّوَجَلَّ قيَّد عادًا بأنَّهم قومُ هودٍ، ولم يُقيِّد ثمودَ وأهل مَديَنَ، قالوا: لأنَّ عادًا كانوا أكثرَ مِن قَوم، فقَومُ هودٍ هم قِسمٌ مِن عادٍ وليسُوا كُلَّ عادٍ، ولذلِكَ قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[النَّجم]، وهم عادُ إرَمَ كما تقدَّمَ، وهُناكَ عادٌ الآخِرَةُ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ عادًا الأولىٰ قَومَ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَكَنوا الأَحقافَ مِن أرضِ اليَمَنِ، والأحقافُ جَمعُ حِقْفٍ، وهو كَثيبُ الرَّملِ إذا طالَ واعوَجَّ وتقَوَّسَ، وهو دونَ الجبَلِ، والأحقافُ مَوضِعٌ مَعروفٌ باليَمَنِ تضُمُّ حَضرَمَوتَ وما حَولَها مِن الرِّمالِ.

❍ مِن فَضائِلِ نَبيِّ اللهِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه سُمِّيَت سورَةٌ طَويلَةٌ باسمِهِ، وسُمِّيَت سورَةٌ أُخرىٰ باسمِ مَوضِعِ قَومِهِ (الأحقافِ)، وسورَةُ هودٍ هي إحدَىٰ السُّوَرِ الَّتي لها خُصوصِيَّةٌ في القُرآنِ، فقد أخرَجَ التِّرمِذِيُّ وغَيرُهُ عن أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قالَ للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رَسُولَ اللهِ، قَدْ شِبْتَ! قالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَ** ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾**[النَّبأ]، وَ**﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ ﴾**[التَّكوير]**»، قيلَ: إنَّ أشَدَّ آيَةٍ في سورَةِ هودٍ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي قَولُه تعالىٰ: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود].

❍ تقَدَّم قولُ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ ﴾[الأعراف:٦٩]، وقالَ لهم كذلِكَ: ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾[الشُّعراء]، فتبَيَّنَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنعَمَ عليهم بنِعَمٍ كثيرَةٍ، وفتَحَ عليهم الدُّنيا فتحًا، فلمَّا تنافَسوها ولم يشكُروا اللهَ علىٰ ما آتاهُم مِن فَضلِه أُهلِكوا، ولهذا قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحَديثِ المُتَّفق عليه: «**وَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»، وفي هذا تَحذيرٌ نبَويٌّ مِن الاشتِغالِ بالتَّرَفِ والرَّفاهِيَةِ بدَلَ الإقبالِ علىٰ اللهِ والانقِيادِ لأَوامِرِه ووصاياه، وممَّا ابتُلِيَ المُسلِمونَ به كثرَةُ زخرَفَةِ المساجِدِ، وهذا مِن قَبيلِ ما أنكرَه هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ قَومِه بقَولِه: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾

[الشُّعراء:١٢٨] أي: أتبنونَ علىٰ كُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بُنيانًا هائِلًا لا لمَصلَحَةٍ وإنَّما عبثًا؟! فليَنتَبِه المُسلِمُ إلىٰ أنَّ النِّعمَةَ الَّتي يُنعِمُ اللهُ بها علىٰ العَبدِ قد تنقَلِبُ نِقمَةً عليه إذا هو لم يُحسِن شُكرَها واستَعملَها في غَيرِ مَرضاةِ اللهِ تَعالىٰ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ خاطَبَ قومَه بقَولِه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾[هود:٥٢]، وفي هذا بَيانٌ أنَّ الاستِغفارَ مِن أسبابِ حُصولِ الرِّزقِ، وقد قالَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلِكَ لقَومِه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾[نوح].

❍ لم يكُن شِركُ عادٍ وعُتُوُّهم عن أمرِ رَبِّهم بَعيدًا عن زمَنِ الطُّوفانِ؛ بل كانوا قَريبي عَهدٍ مِن النُّبُوَّةِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ عن هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾[الأحقاف:٢١]، وقالَ: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾[فصِّلت:١٤].

❍ قالَ تَعالىٰ عن قَومِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا جاءَهم العذابُ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾[الأحقاف:٢٤]، والمُرادُ بالعارِضِ: السَّحابُ؛ وذلك لأنَّه يَعترِضُ السَّماءَ ويَحجُبُ رؤيتَها، فاستَبشَروا برؤيَةِ السَّحابِ وظَنُّوا أنَّه يأتيهِم بالمَطَرِ، لكنَّه كان عذابًا لهم، ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ إذا رأىٰ الغَيمَ عُرِفَ في وَجهِه الخَوفُ، أخرَجَ الشَّيخان عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾[الأحقاف:٢٤]**»، وفي هذا تَعليمٌ مِنه ﷺ لأُمَّتِه أن يَكونوا دائمًا بين رَجاءِ رحمَةِ اللهِ وبين خَوفِ عذابِه، وهذا هو حالُ المُؤمِنِ في سائِرِ أحوالِه.

وجاءَ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ**

مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ أهلَكَ عادًا بالرِّيح، وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا**» وهي ريحُ القَبولِ الَّتي تأتي مِن المَشرِقِ، «**وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**» وهي الرِّيحُ الغَربيَّةُ، فالرِّيحُ شَيءٌ واحِدٌ لكنَّها تكونُ سببًا للنَّصرِ لمَن أقبَلَ علىٰ اللهِ وانقادَ لأمرِهِ، وتكونُ سببًا للهَلاكِ والعَذابِ لمَن أدبَرَ وعصَىٰ أمرَ رَبِّه، ومِن لَطيفِ المُناسبَةِ كَونُ ريحِ القَبولِ سببًا لنُصرَةِ أهلِ القَبولِ، وكَونُ الدَّبورِ سببًا لهَلاكِ أهلِ الإدبارِ.

❍ مِن اللَّطائِفِ المُتعَلِّقَةِ بِقِصَّةِ صالِحٍ عليه السلام في القُرآنِ الكَريمِ أنَّه ورَدَ ذِكرُه عليه السلام مُصرَّحًا باسمِه ٩ مرَّاتٍ، وأنَّ عدَدَ الَّذينَ هَمُّوا بقَتلِه ٩ رَهطٍ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النَّمل].

❍ قَومُ صالِحٍ عليه السلام هم ثَمودُ، نِسبَةً إلىٰ أبيهِم الأعلىٰ ثَمودَ بنِ عاثِرٍ -أخي عادٍ- بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليه السلام، وثَمودُ مُشتَقَّةٌ مِن الثَّمَدِ وهو الماءُ القَليلُ، وفي هذا مُناسَبَةٌ وهي أنَّ ثَمودَ كانَ خَيرُهم قَليلًا؛ بل لم يكُن فيهم خَيرٌ، وذلِكَ لكُفرِهم، وعُتُوِّهم، وعِنادِهم، وعَقرِهم النَّاقَةَ الَّتي أخرَجَها اللهُ لهم استِجابَةً لطَلَبِهم، ومُحاوَلَتِهم قَتلَ نَبيِّهم عليه السلام.

❍ سكَنَت ثَمودُ الحِجرَ مِن أرضِ الحِجازِ، و الحِجرُ مُشتَقٌّ مِن الحَجْرِ وهو المَنعُ، ومُناسَبَةُ التَّسميَةِ أنَّ اللَّهَ مَنَعَهم بكُفرِهم مِن كُلِّ خَيرٍ، كما أنَّ الحِجرَ يُطلَقُ علىٰ العَقلِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾ أي: لمَن له عَقلٌ يَعقِلُ بهِ، فكانَ في ذلِكَ مُقابَلةٌ، بأن أسكَنَهم اللَّهُ الحِجرَ وهم أقَلُّ النَّاسِ عُقولًا لكُفرِهم، فقد قالَ تَعالىٰ عن الكفَّارِ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة].

❍ كما أنَّ ثَمودَ اتَّصفوا بأوصافٍ تُطابِقُ اسمَهم واسمَ المَوضِعِ الَّذي سَكَنوه، فإنَّ نبيَّهم صالِحًا عليه السلام كذلِكَ أُعطِيَ نَصيبًا مِن اسمِه، فكانَ صالِحًا في أقوالِهِ وأفعالِه، عاقِلًا، مَرجُوًّا مِن قَومِه قبلَ أن يدعُوَهم إلىٰ الحَقِّ، قالَ تعالىٰ عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾[هود:٦٢]، أي: يتوسَّمون فيه الصَّلاحَ ويرجونَ مِنه الخَيرَ.

❍ لم تَرِد في القرآنِ سورَةٌ باسمِ صالِحٍ عليه السلام كما هو الحالُ مع نوحٍ وهودٍ وإبراهيمَ ويوسُفَ عليهم السلام، لكِن ورَدَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي سكَنَه قَومُه، وهي سورَةُ الحِجرِ، كما ورَدَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي سكَنَته عادٌ وهي سورَةُ الأحقافِ، وقد قرَنَ اللَّه تعالىٰ بينَ أصحابِ مَديَنَ وقَومِ لوطٍ في سورَةِ الحِجرِ فقالَ: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩﴾ أي: طَريقٍ يؤُمُّه النَّاسُ، وهو واضِحٌ بَيِّنٌ لهم، وذلِكَ لأنَّ مَدينَ ومَوضِعَ قَومِ لوطٍ في طَريقِ قُرَيشٍ إلىٰ الشَّامِ، ثمَّ قالَ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾[الحِجر] والحِجرُ كذلِكَ في طَريقِهم كما هو مَعروفٌ.

❍ ذكَرَ اللَّهُ عز وجل نِعَمًا كثيرَةً أنعَمَ بها علىٰ ثَمودَ، مِن الأنعامِ، والجنَّاتِ، والأموالِ، والقُوَّةِ، وغيرِ ذلِكَ، لكِنَّ الَّذي تكرَّرَ امتِنانُ اللَّهِ بِه عليهم في القرآنِ هو الأمنُ، فقالَ: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾[الحِجر]، وقالَ: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦﴾[الشُّعراء]، وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ في بَيانِ أهَمِّيَّةِ الأمنِ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**». أخرَجَه التِّرمذِيُّ وابنُ ماجه.

❍ أوَّلُ مَن ذُكِرَ عنهم التَّطيُّرُ في القرآنِ هم ثَمودُ، قالَ تعالىٰ: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النَّمل]، فكانوا يَتَشاءمُونَ بصالِحٍ عليه السلام ومَن معه مِن المُؤمِنينَ، ولا يُصيبُ أحدًا مِنهُم سوءٌ إلَّا نَسبَهُ إليهم، والطِّيَرَةُ مُحرَّمَةٌ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ**»، وعندَ أبي داودَ والتِّرمذِيِّ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»، فعِلاجُ الطِّيَرَةِ والتَّشاؤُمِ يَكونُ بتَحقيقِ العَبدِ للتَّوكُّلِ علىٰ اللَّهِ وتَفويضِ جَميعِ أُمورِه إليه.

❍ تقَـدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالـىٰ اسـتَجابَ لطَلَـبِ ثَمودَ إذ سـأَلوا نبيَّهـم صالِحًا ﷺ أن يُخـرِجَ لهـم ناقَـةً عُشَـراءَ مِـن صخـرَةٍ صمَّـاءَ أشـاروا إليهـا، وأمَرَهـم أن يَكونَ المـاءُ قِسـمَةً بينَهـم وبيـنَ النَّاقَـةِ، يشـرَبونَ يومًـا وتشـرَبُ يومًـا، ومـع ذلِـكَ لم يُؤمِنـوا لصالـح ﷺ، مـع مُعايَنَتِهم لانشِـقاقِ الصَّخرَةِ عـن النَّاقَةِ، ومـع كَونِهم يحلبـونَ النَّاقـةَ فيَشـرَبونَ مِـن لبَنِهـا، وذلِـكَ قولُـه تَعالـىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾[الإسـراء]، ثـمَّ ازدادوا في طُغيانِهـم فعقـروا النَّاقـةَ، نَعـوذُ بـاللهِ مِـن الخِـذلانِ، ومِـن الحَـورِ بعـدَ الكَورِ.

❍ كانَ الشَّـقِيُّ الَّـذي عقَـرَ النَّاقَـةَ مِـن قَـومِ صالـحٍ رجُلًا واحِـدًا، قـالَ تعالىٰ: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾[القمـر]، ومَـع ذلِـكَ نسَـبَ اللهُ تَعالـىٰ الفِعـلَ إليهـم جَميعًا فقـالَ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ۝١٥٧﴾[الشُّـعراء]، وذلِـكَ لأنَّهُم لمَّـا رَضـوا فِعلَه وشَـجَّعوه عليـه كانـوا كالمُباشِـرِ للفِعلِ، ولهـذا لمَّا قُتِـلَ غُلامٌ غيلَـةً في زَمـانِ عُمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـالَ: «**لَوْ تَمَـالَأَ عَلَيْـهِ أَهْـلُ صَنْعَـاءَ لَقَتَلْتُهُـمْ جَمِيعًا**». أخرَجَـه مالكٌ.

❍ قـالَ ابـنُ الجَـوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «التَّبصِـرَةِ» (١/ ١٠٣): (اعْتَبِـرُوا إِخْوَانِـي بِهَـؤُلاءِ الْهَالِكِيـنَ، وَانْظُـرُوا سُـوءَ تَدْبِيرِ الْخَاسِـرِينَ، لا بِالنَّاقَـةِ اعْتَبَـرُوا، وَلا لِتَعْوِيضِهِمُ اللَّبَـنَ شَـكَرُوا، وَعَتَـوْا عَـنِ النِّعَـمِ وَبَطِـرُوا، وَعَمُـوا عَـنِ الْكَـرَمِ فَمَـا نَظَـرُوا، وَأُوعِـدُوا بِالْعَـذَابِ فَمَـا حَـذِرُوا، كُلَّمَـا رَأَوْا آيَـةً مِـنَ الآيَـاتِ كَفَـرُوا، الطَّبْـعُ الْخَبِيـثُ لا يَتَغَيَّـرُ، وَالْمُقَـدَّرُ ضَلالُـهُ لا يَـزَالُ يَتَحَيَّـرُ، خَرَجَـتْ إِلَيْهِـمْ نَاقَـةٌ مِـنْ أَحْسَـنِ النَّعَـمِ، وَدَرَّ لَبَنُهَـا لَهُـمْ فَتَوَاتَـرَتِ النِّعَـمُ، فَكَفَـرُوا وَمَـا شَـكَرُوا، فَأَقْبَلَتِ النِّقَـمُ، أَعَاذَنَـا اللَّـهُ وَإِيَّاكُـمْ مِنَ الْكُفْـرَانِ، وَحَفِظَنَـا مِنْ مُوجِبَـاتِ الْخُسْـرَانِ، إِنَّهُ إِذَا لَطَـفَ صَـانَ)، آميـن.

❍ تقَـدَّمَ الحَديثُ المُتَّفَـقُ عليه: «**أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَـالَ: لا تَدْخُلُوا مَسَـاكِنَ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا إِلَّا أَنْ تَكُونُـوا بَاكِيـنَ أَنْ يُصِيبَكُـمْ مَـا أَصَابَهُـمْ، ثُـمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِـهِ وَهُـوَ عَلَـىٰ الرَّحْـلِ**»، قـالَ ابـنُ هُبَيـرَةَ رَحِمَهُ اللهُ: (فيـه مِـن الفِقـهِ: أنَّـه إذا مَـرَّ إنسـانٌ بـدارِ قَـومٍ كانـوا قد عُذِّبـوا أسـرَعَ هارِبًا عنهـم لِئَلَّا يتَـأَدَّىٰ إليه شَـيءٌ مِن العَـذابِ الَّذي هـم فيـه...).

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّتَيْ هُودٍ وَصَالِحٍ عليهما السلام:

[١] أُرسِلَ هودٌ عليه السلام إلىٰ: ❍ عادٍ الأولىٰ. ❍ ثَمودَ. ❍ أصحابِ الأَيكَةِ.

[٢] هودٌ عليه السلام من ذُرِّيَّةِ (❍ سام ❍ يافِث ❍ حام) بن نوح.

[٣] قَومُ هودٍ عليه السلام هم: ❍ عَادٌ الأولىٰ. ❍ ثَمودُ. ❍ بَنو إسرائيلَ.

[٤] عادٌ الأولىٰ مِن العرَبِ (❍ العارِبَةِ ❍ المُستَعرِبَةِ)، وهم العرب الَّذين كانوا (❍ قبل ❍ بعد) إسماعيلَ عليه السلام، وأمَّا ذُرِّيَّة إسماعيل عليه السلام فهم من العرَبِ (❍ العارِبَةِ ❍ المُستَعرِبَةِ).

[٥] سُمِّيَت سورَةٌ في القُرآنِ باسم هودٍ عليه السلام (❍ صح ❍ خطأ)، وسُمِّيت سورةٌ باسم المَوضِعِ الَّذي سكَنَه قَومُه (❍ صح ❍ خطأ).

[٦] سكَنَ قَومُ هودٍ (❍ الأحقاف ❍ بابِلَ ❍ الشَّامَ) بأرضِ (❍ الشَّام ❍ اليَمَنِ)، وهم (❍ أوَّلُ ❍ ثاني) مَن عَبَدَ الأصنامَ بعدَ (❍ قوم نوح ❍ الطُّوفانِ ❍ الجَميعِ)، وهم (❍ أوَّلُ ❍ ثاني) أُمَّةٍ أهلَكَهُم اللهُ بذُنوبِهِم وشِركِهم بعدَ السَّفينَةِ.

[٧] هلَاكُ قَوم هودٍ كانَ بـ: (❍ الرِّيحِ ❍ الغَرَقِ ❍ الصَّاعِقَةِ)، ونجَّىٰ اللهُ هودًا (❍ وَحدَهُ ❍ ومَن آمَنَ معه أجمَعينَ).

[٨] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ هودٍ عليه السلام بدَليلِها مِن القُرآنِ:

قُوَّةُ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف].

النُّصح والأمانة: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ [هود].

[٩] عُرِفَ قومُ هودٍ عليه السلام بـ: ❍ الكِبر. ❍ البَسطَةِ في الخَلقِ. ❍ بناءِ البُروجِ المُشيَّدَةِ. ❍ البَطشِ الشَّديدِ. ❍ الجَميعُ.

[١٠] مَنَحَ اللهُ عز وجل قومَ هودٍ عليه السلام أهَمَّ ما يملِكُ الإنسانُ، وهو: ❍ الصِّحَّةُ. ❍ الأرضُ الخِصبَةُ.

[١١] مِن السُّوَرِ الَّتي ذكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّها شيَّبَته: ❍ هودٌ. ❍ الواقِعَةُ. ❍ المُرسَلاتُ. ❍ النَّبأُ. ❍ التَّكويرُ. ❍ الجَميعُ.

[١٢] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ بالنِّسبَةِ لهودٍ ﷺ:

قَومُهُ:	عادٌ الأولىٰ.
سكَنَ قَومُهُ:	سامِ بن نوحٍ.
هو وقَومُهُ مِن ذُرِّيَّةِ:	أوَّلُ مَن عَبَدَ الأصنامَ بعدَ الطُّوفانِ، وأوَّلُ قومٍ عذَّبَهُم اللهُ بعدَ نوحٍ.
ذَنبُ قَومِهِ أنَّهم:	الأحقافَ باليَمَنِ.

[١٣] ورَدَ ذِكرُ الأحقافِ مرَّةً واحدةً فقط في القُرآن : ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] قَومُ هودٍ ﷺ هم: ❍ عادٌ الأولىٰ. ❍ عادُ إرَمَ. ❍ كلاهما صحيحٌ.

[١٥] وُصِفَت عادٌ الأولىٰ بذاتِ العِمادِ، ومَعناها: ❍ خِيامُ الشَّعرِ ذاتُ الأعمِدَةِ الطَّويلةِ. ❍ طُولُ القامَةِ.

[١٦] وُصِفَت الرِّيحُ الَّتي أهلكَت عادًا بالعُقمِ، أي: ❍ ليسَ فيها إنتاجٌ. ❍ أنَّها شديدةٌ باردةٌ. ❍ الجَميعُ.

[١٧] لم يُذكَر لنا في القُرآنِ كيف نجَّىٰ اللهُ هودًا ومَن معه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] وُصِفَت الرِّيحُ الَّتي أهلكَت عادًا بأنَّها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥]، أي: دمَّرَت كلَّ شيءٍ حتَّىٰ المَنازِل: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] مَن هو النَّبيُّ الَّذي أخرجَ لقَومِهِ ناقةً مِن الصَّخرِ؟
❍ صالِحٌ. ❍ هودٌ. ❍ آدَمُ.

[٢٠] أُرسِلَ النَّبيُّ صالحٌ ﷺ إلىٰ: ❍ ثَمودَ. ❍ أهلِ بابِلَ. ❍ القِبطِ.

[٢١] ما هي آيَةُ صالح ﷺ؟ ❍ النَّاقَةُ. ❍ السَّفينَةُ. ❍ العَصا.

[٢٢] كم عددُ الَّذين هَمُّوا بقَتل صالح ﷺ؟ ❍ ٥. ❍ ٩. ❍ ١٩.

[٢٣] ماذا كانَ عِقابُ قَومِ ثَمودَ؟ ❍ الطُّوفانُ. ❍ الرِّيحُ. ❍ الصَّيحَةُ.

[٢٤] صالِحٌ ﷺ مِن ذُرِّيَّةِ إرَمَ بنِ سامِ بن نوحٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٥] كانَ قَومُ صالِحٍ (❍ بَعدَ ❍ قَبلَ) قَومِ (❍ عادٍ ❍ ثَمودَ)، وعَبَدوا (❍ الأصنامَ ❍ الكَواكِبَ)؟

[٢٦] آيَةُ صالِحٍ ﷺ هي النَّاقَةُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٧] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾:	وهم عادٌ الأولىٰ، عادُ إِرَمَ.
﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾:	بُعِثَت الرُّسُلُ قبلَه وبعدَه يُنذِرونَ قومَهم.
﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾:	شَدِيدَةَ الهُبوبِ
﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾:	تبنونَ علىٰ كُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بُنيانًا هائِلًا لا لمَصلَحَةٍ، وإنَّما عبثًا؟!!
﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ﴾:	هو هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩﴾:	ما نحنُ عليه ليس سِوىٰ دينِ الأباءِ والأجدادِ، ولن نُعَذَّبَ عليه.
﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:	استَعجَلوا العَذابَ تَهاوُنًا مِنهم وعدَمَ تَصديقٍ.
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:	الَّتي اتَّخَذَت الخِيامَ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ.
﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾:	تبنونَ بُروجًا مُشَيَّدَةً كأنَّكُم ستُعَمِّرونَ في الأرضِ ولا تَموتونَ!
﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾:	هذا السَّحابُ يأتينا المطَرُ.

[٢٨] قَومُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم (○ ثَمودُ ○ عادٌ ○ مَديَنُ)، وهُم مِن العَرَبِ العارِبَةِ (○ صح ○ خطأ)، وسَكَنوا (○ الحِجرَ ○ الأحقافَ ○ مَديَنَ).

[٢٩] ذُكِرَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ (○ ٧ ○ ٩ ○ ٥) مرَّاتٍ؟

[٣٠] هَلَكَ قَومُ صالِحٍ لمَّا عَقَروا النَّاقَةَ، فأجَّلَهُم صالِحٌ (○ ٥ ○ ٤ ○ ٣) أيَّام، ثمَّ أخَذَتْهُم الصَّيحَةُ (○ صح ○ خطأ)، ونجَّىٰ اللهُ صالِحًا (○ وَحدَهُ ○ ومَن معه مِن المُؤمِنينَ).

[٣١] أعظَمُ نِعمَةٍ أنعَمَ اللهُ بها علىٰ قَومِ صالِحٍ عليه السلام: ❍ الجنَّاتُ. ❍ المالُ.
❍ الأمنُ. ❍ القُوَّةُ الجسَدِيَّةُ.

[٣٢] مَعنىٰ ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾[الفجر]: ❍ أخَذوه. ❍ قطَعوه.

[٣٣] قالَ تَعالىٰ عن ثَمودَ: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾[الحِجر]
أي: مِن غيرِ: ❍ خَوفٍ. ❍ حاجَةٍ. ❍ الجَميع.

[٣٤] ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ عن قَومِ صالِحٍ عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟
وهذا سُؤالُ: ❍ استِفهام. ❍ استِكبارٍ واستِهزاءٍ.

[٣٥] ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾، أي: ❍ دالَّةً دَلالةً لا مِراءَ فيها. ❍ غيرَ عَمياءَ.

[٣٦] أرسَلَ اللهُ تَعالىٰ النَّاقَةَ (❍ آيَةً ❍ فِتنةً ❍ كلاهما) لثَمودَ.

[٣٧] وصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عذابَ ثَمودَ بـ: ❍ الصَّاعِقَةِ. ❍ الصَّيحَةِ. ❍ الرَّجفَةِ.
❍ العَذابِ الهونِ. ❍ التَّدميرِ. ❍ الطَّاغِيَةِ. ❍ الدَّمدَمَةِ. ❍ الجَميع.

[٣٨] اربِط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ صالِحٍ عليه السلام بدَليلِها مِن القُرآنِ:

العِزَّةُ في قَومِهِ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

النُّصحُ لله: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾[هود].

[٣٩] قالَ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ لأنَّهم لمَّا رَضوا فِعلَه وشَجَّعوا عليه كانوا كالمُباشِرِ للفِعلِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٠] أوَّلُ مَن ذُكِرَ عنهم التَّطيُّرُ في القُرآنِ هم ثَمودُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] ذكَرَ اللهُ نِعَمًا كثيرةً أنعَمَ بها علىٰ ثَمودَ، ومِن النِّعَمِ الَّتي تكرَّرَ امتِنانُ اللهِ بها عليهم في القرآنِ الأمنُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٢] في طريقِ قُرَيشٍ إلىٰ الشَّام: ❍ مَدينُ. ❍ قومُ لوطٍ. ❍ الحِجرُ. ❍ الجَميعُ.

[٤٣] اتَّصَفَت ثَمودُ بأوصافٍ تُطابِقُ اسمَهم واسمَ مَوضِعِهم، بخِلافِ نبيِّهم صالح: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٤] مِن اللَّطائِفِ أنَّ صالحًا عليه السلام ذُكِر في القرآنِ (❍ ٩ ❍ ٨ ❍ ٧) مرَّاتٍ، وهو عددُ الَّذينَ همُّوا بقَتلِه، وكذلِكَ أنَّ ريحَ القَبولِ سببٌ لنُصرَةِ أهلِ القَبولِ، وأنَّ ريحَ الدَّبورِ سببٌ لهَلاكِ أهلِ الإدبارِ (❍ صح ❍ خطأ).

أَبُو الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسمُ:	إبراهيمُ - ومَعناهُ: أبٌ رَحيمٌ.
اسمُ الأبِ:	آزَرُ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾[الأنعام:٧٤].
اللَّقبُ:	[١] خَليلُ اللهِ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾[النِّساء]. [٢] أبو الأنبياءِ: فكُلُّ نبيٍّ بُعِثَ بعدَه فهو مِن نَسلِهِ. [٣] إمامُ الحُنَفاءِ: ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[النَّحل:١٢٠].
زَوجاتُهُ:	[١] سَارَّةُ: أمُّ إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، أبي يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جدِّ بَني إسرائيلَ. [٢] هَاجَرُ: أمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جدِّ العَرَبِ.
مِنْ فَضَائلِه:	[١] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾[النَّحل]. [٢] قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فقالَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ». مُسْلِمٌ. [٣] كلُّ الأنبياءِ بَعدَه مِن نَسلِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ﴾. [٤] أُمِرَ مُحمَّدٌ ﷺ باتِّباعِ مِلَّتِهِ: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾. [٥] أَوَّلُ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ. أخرجه مالكٌ عن ابن المُسَيَّب مُرسَلًا. [٦] أَوَّلُ مَنِ اخْتَتَنَ علىٰ رَأْسِ ثَمانِينَ سنَةً بالقَدُومِ. مُتَّفَقٌ عليه. [٧] أَوَّلُ الخَلَائِقِ يُكْسَىٰ يومَ القِيَامَةِ. مُتَّفَقٌ عليه. [٨] أُمِرْنَا أن نُصلِّيَ عليهِ وعلىٰ آلِه في كلِّ صَلاةٍ نُصَلِّيها. [٩] هو أفضلُ الأنبياءِ والرُّسُلِ بعدَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ. [١٠] بَنَىٰ الكَعبةَ وهو أَوَّلُ مَنْ أَذَّنَ بالحَجِّ، ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج:٢٧]. [١١] قوَّةُ المُحاجَّةِ، ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾[الأنعام:٨٠].

مِهنَتُه:	البِنـاءُ - بَنَـىٰ الكَعبَـةَ مـع ابنِـه إسـماعِيلَ عليهما السلام، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾[البقـرة:١٢٧].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِـرَ ٦٩ مَـرَّةً في ٢٥ سُـورَةٍ، وسُـمِّيَتْ سُـورَةٌ باسْـمِهِ، وهو ثانـي أكثَرِ الأنبِيَـاءِ ذِكْـرًا فـي القُرآنِ بعدَ موسَـىٰ عليه السلام.
صِفاتُه الخَلْقِيَّةُ:	قـالَ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْـتُ إِبْرَاهِيـمَ -صَلَـوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْـهِ- فَـإِذَا أَقْـرَبُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِـهِ شَـبَهًا صَاحِبُكُـمْ» يعنـي: نفسَـهُ صلى الله عليه وسلم. أخرجَـهُ مُسـلِمٌ.
دِينُه:	﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمـران].
كِتابُه:	صُحُفُ إبراهيمَ، ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[الأعلىٰ].
هِجرَتُه:	هاجَـرَ إبراهيـمُ عليه السلام مـن بابِـلَ إلـىٰ الشَّـام، ثـمَّ إلـىٰ مِصرَ، ثـمَّ إلىٰ الشَّـامِ مـرَّةً أُخـرىٰ، وهاجَـرَ بأهلِه إلـىٰ مكَّةَ.
أهَمُّ آياتِه:	[١] ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيـمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء]. [٢] ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[البقـرة:٢٦٠]. [٣] ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[الصَّافَّات]. [٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾[الحجر:٥٤]. [٥] مَقـامُ إبراهيـمَ، وهـو الحَجـرُ الَّـذي قـامَ عليه عِنـدَ بِنـاءِ الكَعبَةِ، وعِنـدَ أذانِـهِ بالحَجِّ. [٦] أذانُهُ بالحَجِّ، فأسمَعَ كلَّ من يَحُجُّ إلىٰ يوم القِيامَةِ. [٧] كلُّ نَبيٍّ بعدَهُ مِن ذُرِّيَّتِهِ. [٨] مُستَجابُ الدَّعوةِ. [٩] ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيـمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[الأنعام:٨٣]

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام مُختصَرةً:

مولِدُه ونشأتُه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء].

وُلِدَ إبراهيمُ عليه السلام بأرضِ بابِلَ مِن العِراقِ، وهو إبراهيمُ بنُ تارَخَ (وهو آزَرُ) بنِ ناحورَ على ما يذكُرُهُ أهلُ السِّيَرِ، ثمَّ هاجَرَ إلى أرضِ الشَّامِ، فاستقرَّ بدِمشقَ، وكانَ أهلُ الشَّامِ يعبُدونَ الكَواكِبَ والأصنامَ، وأُوتِيَ إبراهيمُ رُشدَهُ في صِغَرِهِ قبلَ بُلوغِهِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء].

دعوتُه لأبيه:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التَّوبة].

لمَّا نشأ إبراهيمُ وشبَّ أنكَرَ على أبيهِ عِبادَةَ الأوثانِ مع اللَّهِ تعالى، وبدَأ بأبيهِ لأنَّهُ أحقُّ النَّاسِ بإخلاصِ النَّصيحَةِ، وذكَرَ اللَّهُ تعالى ما كانَ بينَهُما مِن المُناظَرةِ فقالَ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ فلا ينفعُكَ ولا يَدفَعُ عنكَ ضررًا، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ وإن

كُنتُ مِن صُلبِكَ وأصغَرَ مِنك، ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ طريقًا مُستَقيمًا مُوصِلًا إلىٰ نَيلِ المَطلوبِ والنَّجاةِ مِن المَرهوبِ، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: لا تُطِعْهُ، وقد قالَ ﷺ لعَديِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بَيانِ مَعنىٰ اتِّخاذ النَّصارَىٰ واليَهودِ أحبارَهُم ورُهبانَهُم أربابًا مِن دونِ اللَّهِ: «**يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ**». أخرجَهُ البُخاريُّ.

قالَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾ مُخالِفًا لأمرِ اللَّهِ، مُستَكبِرًا عن طاعَتِهِ، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ علىٰ شِركِكَ وعِصيانِكَ لِما أمَرَكَ اللَّهُ به، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾[مريم] ولا تنفعُكَ وَلايَةُ الشَّيطانِ شيئًا؛ لأنَّهُ يومَ القِيامَةِ يتبَرَّأُ مِن أتباعِهِ، ويقولُ: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾[إبراهيم]، ﴿قَالَ﴾ أبوهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾؟ أي: تارِكُها وغيرُ راضٍ بها، ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ أي: لأَسُبَّنَّكَ وأشتِمَنَّكَ، ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾﴾ زمانًا طويلًا، ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾، وهذه هي حالُ المُؤمنينَ مِن عِبادِ اللَّهِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾[الفرقان]، وإنَّما أرادَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقولَ: أمَّا أنا فلا يَمَسُّكَ مِنِّي مَكروهٌ لِحُرمَةِ الأُبُوَّةِ، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ فأطلُبُ مِنهُ أن يغفِرَ لكَ ويَهدِيَكَ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾﴾[مريم] لطيفًا بي مُستَجيبًا لدُعائي، وقد لبِثَ يستَغفِرُ لأبيهِ مدَّةً طويلةً، بل إنَّهُ كانَ مِن دُعائِهِ بعدَ أن كَبُرَ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[إبراهيم]، لكنَّهُ انقطَعَ عنِ الاستِغفارِ له بعدَ ذلك، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾﴾[التَّوبة].

وفي حديثِ البُخاريِّ: «**يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ:**

فَالْيَـوْمَ لَا أَعْصِيـكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَـا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِـي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُـونَ، فَـأَيُّ خِـزْيٍ أَخْـزَىٰ مِـنْ أَبِي الْأَبْعَـدِ؟ فَيَقُـولُ اللَّـهُ تَعَالَىٰ: إِنِّـي حَرَّمْتُ الْجَنَّـةَ عَلَـىٰ الْكَافِرِيـنَ، ثُـمَّ يُقَـالُ: يَـا إِبْرَاهِيـمُ؛ مَا تَحْـتَ رِجْلَيْـكَ؟ فَيَنْظُـرُ فَإِذَا هُـوَ بِذِيـخٍ مُلْتَطِّـخٍ»، والذِّيخُ ذَكَـرُ الضِّباعِ كثيرُ الشَّـعرِ، مُتلطِّخٌ برَجيـعٍ مِن نَتَنِه، «فَيُؤْخَـذُ بِقَوَائِمِـهِ فَيُلْقَىٰ فِـي النَّارِ».

مُناظَرَتُهُ لأهلِ بابِلَ:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت]، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأنبياء]، ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[الشُّعراء].

بعـدَ أن دعَـا إبراهيـمُ ﷺ أبـاهُ، أخَـذَ يَدعُـو قومَـهُ وهم أهـلُ بابِـلَ، فقالَ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ لتجتَمِعُـوا علـىٰ عِبادَتِها في الدُّنيا صَداقَـةً وأُلفَةً مِنكُـم ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ينعكِـسُ حالُكُم فـ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ وتتجاحَـدونَ، ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يلعَنُ التَّابِـعُ المَتبـوعَ، كمـا يلعَـنُ المَتبـوعُ التَّابِـعَ، ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت].

وسـألَهُم إبراهيـمُ ﷺ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾؟ أي:

مُقيمُونَ عليها، ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فاحتَجُّوا بصَنيعِ الآباءِ؛ لأنَّهُ لا حُجَّةَ لهُم على الحَقيقَةِ، ﴿ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ فسفَّهَهُم وسفَّهَ آباءَهُم، ولهذا ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾؟ لأنَّهم لم يسمَعوا بهذا الكلامِ مِن قبلُ، ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: خلقَهُنَّ وما يَحتَوينَ مِن العدَمِ، ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأنبياء] على أنَّهُ لا ربَّ ولا معبودَ سِوى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وقالَ لهُم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾؟ يسألُهُم سُؤالَ تقريرٍ لهُم، لعلَّهُم يُراجِعونَ أنفُسَهُم ويعبُدونَ اللَّهَ الَّذي يملِكُ وَحدَهُ النَّفعَ والضُّرَّ، لا شَريكَ لهُ ولا نِدَّ، ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ ﴾، فإن كانُوا يملِكونَ ضرًّا لأحدٍ فَلْيُصيبوني بسوءٍ، فإنِّي لا أُبالي بهم ولا أُفكِّرُ فيهم، ولا أعبُدُ ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الَّذي خلَقَ الخَلقَ، وذكَرَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن صِفاتِ رُبوبيَّةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وهو الَّذي يَهدي مَن يَشاءُ ويُضِلُّ مَن يَشاءُ، ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾، فيرزُقُني بما سخَّرَ مِن الأسبابِ الكَونيَّةِ، ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ بما جعَلَ مِن أسبابِ الشِّفاءِ الشَّرعيَّةِ والكَونيَّةِ، ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾، ولا يَقدِرُ على ذلِكَ أحدٌ غيرُهُ، ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشُّعراء]؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:١٣٥]؟! الجوابُ: لا أحَدَ.

تَكسيرُ الأصنام:

﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾[الصَّافَّات]، ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ

يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء].

فلم يستَجِبْ له قَومُهُ، وكانَ لهُم عيدٌ يخرُجونَ إليهِ، فلمَّا قرُبَ خُروجُهم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ ففهِموا أنَّهُ مريضٌ، وإنَّما أرادَ أنَّهُ ضعيفٌ، وهذا مِن بابِ التَّعريضِ في الكَلامِ، وليسَ مِن بابِ الكَذِبِ، وإنَّما أوهَمَهُم ذلِكَ لِئَلَّا يخرُجَ معهُم وليَختَلِيَ بأَصنامِهم، ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: خَرَجوا دونَهُ، ﴿فَرَاغَ﴾ أي: تحرَّكَ بسُرعَةٍ فَورَ خُروجِهم مُستَخفِيًا ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾؟! وكانُوا قد وضَعُوا بينَ يَدَي الأصنامِ طعامًا، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾؟! لأنَّهُم لم يُجيبوهُ لمَّا سألَهُم، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصَّافَّات].

وكانَ قد توعَّدهُم قبلَ ذلِكَ بقولِهِ: ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ أقسَمَ باللَّهِ ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ أي: لَأُحَرِّضَنَّ علىٰ أذاهُم وتكسيرِهم، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ إلىٰ عيدِكُم، فسمِعَهُ بعضُهُم، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ أي: حُطامًا، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يَعني الصَّنمَ الكبيرَ عندَهُم، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، وقيلَ: إنَّهُ وضَعَ القَدومَ الَّتي كسَرَ بها الأصنامَ في يدِ ذلِكَ الصَّنمِ الكَبيرِ، فلمَّا رَجَعوا مِن عيدِهم ورأوا ما حَصَلَ لِأصنامِهم ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ في صَنيعِهِ الَّذي صَنَعَ، ﴿قَالُواْ﴾ أي: قالَ الَّذينَ سَمِعوا تَوَعُّدَهُ لهُم قبلَ ذلكَ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ شابًّا ﴿يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ علىٰ رُؤوسِ الأَشهادِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ سُؤالَنا له وإقرارَهُ بفِعلِه، وهذا الَّذي أرادوهُ هو عَينُ الَّذي أرادَهُ إبراهيمُ عليه السلام، فإنَّه إذا حاجَّهُم أمامَ الملأِ كانَ ذلِكَ أدعىٰ لِأنْ يَعتبِرَ النَّاسُ. فلمَّا أحضَروهُ أمامَ النَّاسِ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ قالَ

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وهم يعلمونَ أنَّ الأصنامَ لا تنطِقُ، فأرادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنهُم أن يُبادِروا بالاعترافِ بهذِهِ الحقيقةِ، ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمَلامةِ ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾؛ لأنَّكُم تركتُمُ الأصنامَ لوحدِها عُرضةً للاعتِداءِ، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: أطرَقُوا في الأرضِ وقالُوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فلِمَ تسألُنا؟! ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ أي: قُبحًا لكُم ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِن الأصنام ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الأنبياء] وتتدبَّرونَ ما أنتُم فيه مِن الضَّلالِ والسَّفَهِ إذ تعبُدونَ ما لا ينفعُكُم ولا يضُرُّكُم؟!

نَجاتُه مِن النَّارِ:

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء]، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾[الصَّافَّات].

فلمَّا حجَّهُم إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعَجَزوا عن إجابَتِهِ أرادوا مُعاقَبَتَهُ ونُصرَةَ أصنامِهِم، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، فجَمَعوا الحَطَبَ الكثيرَ، فجَعَلوهُ في حُفرةٍ وأضرَموا عليهِ النَّارَ، وألقَوهُ فيها، فتوَكَّلَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندَ البُخاريِّ موقوفًا: «**كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، أي: إنَّ اللَّهَ كافيني سوءَ كلِّ ذي سوءٍ، فلا أحتاجُ إلىٰ غيرِهِ، فحينَئِذٍ استَجابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لهُ، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾، فخرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنها لم يُصِبهُ أذًى، فكانَتْ آيةً شاهِدَةً علىٰ صِدقِهِ أمامَ أعيُنِ النَّاسِ، وفي حَديثِ أُمِّ شريكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندَ البُخاريِّ: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**»، قال تعالىٰ: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء]، وفي الآيةِ الأُخرىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

ففازُوا بالخَسارَةِ والسَّفالَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ جرَّاءَ كُفرِهم باللَّهِ، وعِنادِهم، وعدمِ استِجابَتِهم لنَبيِّهم.

مُحاجَّةُ النُّمرود:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

وكانَ النُّمرودُ مَلِكَ بابِلَ في زَمنِ النَّبيِّ إبراهيمَ عليه السلام، وكانَ قد مَكَثَ مُدَّةً طويلَةً في المُلكِ، فحملَهُ ذلِكَ علىٰ إنكارِ وُجودِ اللَّهِ عزوجل، وادَّعىٰ لنفسِهِ الألُوهيَّةَ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي﴾ وُجودِ ﴿رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ هذه المُدَّةَ الطَّويلَةَ، فطَلَبَ مِن إبراهيمَ دليلًا علىٰ وُجودِ اللَّهِ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فالمَخلوقاتُ مُفتَقِرةٌ إلىٰ مَن يوجِدُها مِن العَدَمِ، ومَن يُرزُقُها ويُدَبِّرُ أُمورَها، فالحَياةُ والمَوتُ دليلٌ علىٰ وُجودِ اللَّهِ، ﴿قَالَ﴾ النُّمرودُ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، قالَ ذلِكَ عِنادًا ومُكابَرَةً، وإلَّا فإنَّهُ يعلَمُ ولا شَكَّ أنَّهُ لا يَملِكُ حياةً ولا مَوتًا، فانتقَلَ إبراهيمُ عليه السلام إلىٰ ذِكرِ حُجَّةٍ ثانيَةٍ، وليسَ ذلِكَ إقرارًا مِنهُ بكَونِ النُّمرودِ يُحيي ويُميتُ، وإنَّما هو تَنزُّلٌ معه في المُناظَرَةِ، وإتيانٌ بما يقطَعُ حُجَّةَ الخَصمِ، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾، أي: إنَّ الَّذي يخلُقُ ويُحيي ويُميتُ هو نفسُهُ الَّذي يتصَرَّفُ في الوُجودِ، بما في ذلِكَ الشَّمسُ والقَمرُ والكَواكِبُ، فإذا كُنتَ إلهًا كَما تدَّعي ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أي: بالشَّمسِ، ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ بدَلَ إتيانِها مِن المَشرِقِ، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي: أُخرِسَ النُّمرودُ، ولم يجِدْ ردًّا لحُجَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة] فلا يُلهِمُهُم حُجَّةً ولا بُرهانًا، ولا يَهديهِم سبيلًا.

هِجرَتُه إلَى الشَّامِ:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت]، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء].

فلمَّا أصرَّ أبوهُ وقومُه علىٰ الكُفرِ هجرَهم مِن بابِلَ بالعِراقِ إلىٰ بِلادِ الشَّام، قالَ تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابنُ أخيهِ هارانَ، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت]، وقال إبراهيمُ مُخاطبًا أباهُ وقومَهُ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وأتبرَّأُ مِن آلِهَتِكُم الَّتي تدعونَها مِن دونِ اللَّهِ، ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، ﴿عَسَىٰٓ﴾ تحقيقيَّةٌ مُوجِبَةٌ وليست للشَّكِّ، ﴿أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم]، قالَ تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء]، وهي أرضُ الشَّام، أرضُ المَحشَرِ والمَنشَرِ، وهي الَّتي بُعِثَ فيها الأنبياءُ، ويَنزِلُ فيها عيسَىٰ ابنُ مَريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمانِ.

زَواجُه مِن سارَّةَ:

تزوَّجَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن سارَّةَ، والمَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّها ابنَةُ عَمِّه هارانَ، وأنَّهُ تزوَّجَها قبلَ خُروجِه مِن بابِلَ ثمَّ خرَجَ بها، وقيلَ: إنَّهُ تزوَّجَها في طَريقِ هِجرَتِهِ إلىٰ الشَّامِ.

مُحاجَّتُه لأهلِ الشَّامِ في الكَواكِبِ:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ [الأنعام].

ثـمَّ أخـذَ إبراهيـمُ فـي دَعـوَةِ أهـلِ الشَّـامِ، وكانَ مِنهُـم مَـن يعبُـدُ الكَواكِـبَ السَّـبعةَ، فـكانَ مِـن مُحاجَّتِهِ لهـم أن بَيَّنَ لهُـم أنَّ الكَواكِـبَ لا تصلُـحُ للعِبادَةِ، قـــالَ تَعالـىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي: تغشَّـاهُ وستَـــرَهُ، ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ قيـلَ: الزُّهـرَةُ، وقيـلَ: المُشـتَري، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ علـىٰ سـبيلِ المُحاجَّـةِ لا الإِقـرارِ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكَوكَـبُ أي: غـابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾، فـإنَّ الخالِـقَ الـرَّازِقَ المُدَبِّـرَ لا يصلُـحُ أن يغيـبَ عـن خَلقِـهِ؛ لِـدوامِ افتِقارِهم إليـهِ، ثـمَّ ذهـبَ إلـىٰ ما هو أكبَـرُ مِنَ ذلِـكَ وهو القَمَـرُ، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ أي: طالِعًـا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾، ثـمَّ انتقَـلَ إلـىٰ ما هـو أكبَـرُ مِن ذلِـكَ وهو الشَّـمسُ، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ حجمًـا وأكثَرُ إضاءَةً، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾[الأنعـام]، فأبطَـلَ بذلِكَ عِبادَتَهُـم للكَواكِـبِ.

قِصَّةُ سارَّةَ مع المَلِكِ الجَبَّارِ:

ثـمَّ هاجَـرَ إلىٰ مِصرَ، وفيهـا كانَتْ قِصَّتُـهُ مع المَلـكِ الجبَّارِ، قـال ﷺ: «**إِنَّهُ قَـدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَـارَّةُ، وَكَانَتْ أَحْسَـنَ النَّـاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَـذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَـمْ أَنَّـكِ امْرَأَتِـي يَغْلِبْنِـي عَلَيْـكِ، فَـإِنْ سَـأَلَكِ فَأَخْبِرِيـهِ أَنَّكِ أُخْتِـي، فَإِنَّكِ أُخْتِـي فِـي الْإِسْـلَامِ، فَإِنِّـي لَا أَعْلَـمُ فِـي الْأَرْضِ مُسْـلِمًا غَيْـرِي وَغَيْـرَكِ، فَلَمَّـا دَخَـلَ أَرْضَـهُ رَآهَـا بَعْـضُ أَهْـلِ الْجَبَّـارِ، أَتَاهُ فَقَـالَ لَـهُ: لَقَدْ قَـدِمَ أَرْضَـكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِـي لَهَـا أَنْ تَكُـونَ إِلَّا لَـكَ، فَأَرْسَـلَ إِلَيْهَـا فَأُتِـيَ بِهَـا، فَقَـامَ إِبْرَاهِيـمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَـىٰ الصَّـلَاةِ، فَلَمَّـا دَخَلَـتْ عَلَيْهِ لَـمْ يَتَمَالَـكْ أَنْ بَسَـطَ يَـدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَـتْ يَدُهُ قَبْضَـةً شَـدِيدَةً، فَقَـالَ لَهَا: ادْعِـي اللَّـهَ أَنْ يُطْلِقَ يَـدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَـتْ، فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَـدَّ مِـنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَىٰ،فَقَـالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِـكَ، فَفَعَلَـتْ، فَعَادَ،فَقُبِضَتْ أَشَـدَّ مِـنَ الْقَبْضَتَيْـنِ الْأُولَيَيْـنِ، فَقَالَ: ادْعِـي اللَّهَ أَنْ يُطْلِـقَ يَدِي، فَلَـكِ اللَّهُ أَنْ لَا أَضُـرَّكِ، فَفَعَلَـتْ وَأُطْلِقَـتْ يَـدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَـاءَ بِهَا فَقَالَ لَـهُ: إِنَّكَ إِنَّمَـا أَتَيْتَنِي بِشَـيْطَانٍ، وَلَـمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَـانٍ، فَأَخْرِجْهَـا مِـنْ أَرْضِـي، وَأَعْطِهَـا هَاجَـرَ، قَـالَ:**

فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا». مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ مُسلمٍ.

عَودَتُه إلى الشَّامِ:

ثمَّ عاد ﷺ إلىٰ الشَّام، وأمَرَ لوطًا ﷺ أن ينزِحَ بأهلِه إلىٰ مَدينَةِ سدُومَ، وبها يومَئذٍ قومٌ كُفَّارٌ فُجَّارٌ، فلبِثَ فيهم زمانًا يدعوهُم إلىٰ اللَّهِ، وكانُوا يأتونَ الفاحِشَةَ، واستُقبِلَ إبراهيمُ في بَيتِ المَقدِسِ استِقبالًا حسنًا، واستقرَّ به.

قصَّةُ هاجَرَ وإسماعيلَ:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّات]، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة].

ولم يُؤتَ إبراهيمُ ﷺ ولدًا من سارَّةَ، فلمَّا كَبُرا وهَبَت له هاجَرَ، فدخَلَ بها، فحملَت منه بإسماعيلَ ﷺ، وكانَ اللَّهُ ﷻ قد بشَّرَهُ به قبلَ ذلِكَ، فإنَّ إبراهيمَ دعا ربَّهُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾، فجاءتهُ البِشارَةُ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّات]، وهو إسماعيلُ ﷺ، فلمَّا ولَدَتْ هاجَرُ إسماعيلَ ﷺ غارَتْ منها سارَّةُ، فخَرَجَ إبراهيمُ ﷺ بها وبابنِها إلىٰ مكَّةَ بأمرِ اللَّهِ ﷻ، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: **«جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ**

إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[إبراهيم]».

ودعا إبراهيمُ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ﴾ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ في الحياةِ الدُّنيا، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[البقرة:١٢٦].

قَالَ: «وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ-، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا.

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ، تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ- حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا.

فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ

وَأَبُـوهُ، وَإِنَّ اللَّـهَ لَا يُضَيِّـعُ أَهْلَـهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًـا مِـنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّـيُولُ فَتَأْخُـذُ عَـنْ يَمِينِـهِ وَشِـمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِـكَ حَتَّىٰ مَـرَّتْ بِهِـمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُـمَ -أَوْ أَهْـلُ بَيْـتٍ مِنْ جُرْهُـمَ- مُقْبِلِيـنَ مِنْ طَرِيقِ كَـدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْـفَلِ مَكَّـةَ، فَـرَأَوْا طَائِـرًا عَائِفًـا، فَقَالُـوا: إِنَّ هَـذَا الطَّائِـرَ لَيَـدُورُ عَلَـىٰ مَـاءٍ، لَعَهْدُنَـا بِهَـذَا الْـوَادِي وَمَـا فِيهِ مَـاءٌ، فَأَرْسَـلُوا جَرِيًّـا أَوْ جَرِيَّيْنِ، فَـإِذَا هُمْ بِالْمَـاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُـمْ بِالْمَـاءِ فَأَقْبَلُـوا، قَـالَ: وَأُمُّ إِسْـمَاعِيلَ عِنْـدَ الْمَـاءِ، فَقَالُـوا: أَتَأْذَنِيـنَ لَنَـا أَنْ نَنْـزِلَ عِنْـدَكِ؟ فَقَالَـتْ: نَعَـمْ، وَلَكِـنْ لَا حَـقَّ لَكُمْ فِـي الْمَاءِ، قَالُـوا: نَعَمْ، قَـالَ ابْـنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: فَأَلْفَـىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْـمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِـبُّ الْإِنْسَ، فَنَزَلُـوا وَأَرْسَـلُوا إِلَـىٰ أَهْلِيهِـمْ فَنَزَلُوا مَعَهُـمْ، حَتَّـىٰ إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَـاتٍ مِنْهُمْ وَشَـبَّ الْغُـلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّـةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَـهُمْ وَأَعْجَبَهُـمْ حِينَ شَـبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُـوهُ امْـرَأَةً مِنْهُمْ». أخرجـه البخاريُّ.

قِصَّةُ الذَّبحِ:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصَّافَّات].

فلمَّـا شَـبَّ إسـماعيلُ وصارَ يسـعىٰ مـع أبيـهِ فـي مَصالِحِـه اختبَرَهمـا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وقـالَ إبراهيـمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنِـهِ البكـرِ الَّـذي رُزِقَـهُ علـىٰ الكِبَـرِ بعد طـــولِ انتظـارٍ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، ورُؤيـا الأنبيـاء وَحـيٌ وحَـقٌّ، فامتَثَـلَ إبراهيـمُ الرُّؤيـا وعرضَها علـىٰ إسـماعيلَ ليَكونَ أطيَـبَ لقلبِـهِ، وقالَ: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾، فبـادَرَ الغُـلامُ الحَليـمُ ابـنُ الحَليـمِ مُطيعًـا لأبيـه ولرَبِّـهِ و﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، وأيُّ صبرٍ هـذا؟! ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: استَسـلَمَا لأمـرِ اللَّـهِ عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: ألقـاهُ علـىٰ وجهِـهِ لِئَلَّا يَنظُـرَ إلىٰ وَجهِهِ حيـنَ ذَبحِهِ، فعلِـمَ اللَّـهُ عَزَّوَجَلَّ امتِثالَهُما

لأمرِهِ، فسلَّمَ إسماعيلَ مِن الذَّبحِ، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ وحصَلَ المَقصودُ مِن الاختِبارِ، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ أي: الاختِبارُ الظَّاهِرُ، ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصَّافَّات]، فجعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِداءَ إسماعيلَ كبشًا أبيَضَ أقرَنَ أنزَلَهُ عند جَبَلِ ثَبِيرٍ، فذبَحَهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحُفظَ قرناهُ داخِلَ الكَعبَةِ إلىٰ زَمَنِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ.

تنبيهٌ: زعَمَ بعضُهُم أنَّ الذَّبيحَ إنَّما هو إسحاقُ لا إسماعيلُ، ومَن قالَ هذا إنَّما تَبِعَ بني إسرائيلَ في ذَلِكَ، وقد أمَرَنا النَّبيُّ ﷺ أن لا نُصَدِّقَهُم ولا نُكَذِّبَهُم، وسِياقُ القُرآنِ يدُلُّ علىٰ أنَّهُ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلاهُما نَبيٌّ مُرسَلٌ، ومن ذلِكَ أنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ قالَ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود]، ولا يمكِنُ أن يُبشَّرَ إبراهيمُ بإسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنَّه سيكونُ له مِن الولَدِ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمَّ يُؤمَرَ بذبحِ إسحاقَ وهو صغيرٌ قبلَ أن يولَدَ له.

قِصَّةُ زَوجَتَي إسماعيلَ:

قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تتمَّةِ الأثَرِ المُتقَدِّمِ: «**وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا.**

وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَىٰ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ

أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ».

بِنَاءُ الْكَعْبَةِ:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ؛ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا

حَوْلَ الْبَيْتِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]».

وكان مِن دُعائهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند بناءِ الكَعبةِ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهو خاتمُ الأنبياءِ مُحمَّدٌ ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

الملائكةُ وتبشيرُهم لسارَّةَ بإسحاقَ:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود]، ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحجر].

قالَ تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ يا أيُّها الرَّسولُ ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ وهم مِن المَلائكةِ، ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: خائفونَ، وذلكَ بعدَ أن رَدَّ عليهم السَّلامَ، فقد قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ إكرامًا لضيفِه، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾؛ لأنَّهم مَلائكةٌ لا يأكُلون كما يأكُلُ بنو آدمَ، فـ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: استنكرَ عدمَ أكلِهم مِن العِجلِ، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود]، فعندَها ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخفْ، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

وهـو إسـحاقُ ﷺ، فاندَهَشَ مِن بُشـراهُم لأنَّـهُ كانَ قد كَبُرَ سِـنُّهُ، فـ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ﴾ ومـسَّ زَوجَتـي سـارَّةَ ﴿ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾، فأكَّـدوا لـه البِشـارَةَ و﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ اليائِسـينَ مِـن فَضـلِ اللَّـهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾؟! وحاشـاهُ ﷺ أن يَكـونَ مِـن الضَّالِّينَ وهـو إمامُ الحُنَفـاءِ، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾[الحِجـر] وهـم قـومُ لـوطٍ ﷺ، أرسـلَهُم اللَّـهُ إليهـم بالعَذابِ.

فبشَّـرتهُ الملائِكَـةُ بإسـحاقَ ﷺ ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أي: سـارَّةُ ﴿قَآئِمَةٌ﴾ فسـمِعَتِ مـا دارَ بيـنَ إبراهيـمَ ﷺ والمِلائِكَةِ ﴿فَضَحِكَتْ﴾ مِـن ذلِكَ ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، وفيـه أنَّ يَعقـوبَ يولَـدُ فـي حَياتِهِما لتقَـرَّ أعيُنُهُما أكثَـرَ، فتعجَّبَـت لِذلِكَ كمـا تعجَّبَ إبراهيـمُ قبلَهــــا و﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾، وقيـل: إنَّ إبراهيـمَ كانَ قد بلَـغَ مائةَ سَـنَةٍ، وكانَت سـارَّةُ قـد بلَغَت تِسـعينَ، فـكانَ ردُّ المَلائِكَةِ أن ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

وَفاتُه:

اختَلَـفَ أهـلُ السِّـيَرِ فـي مُـدَّةِ حَياتِـهِ ﷺ،وأصَـحُّ ذلِـكَ مـا فـي «الأدب المُفـرَدِ» عـن أبي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**اخْتَتَـنَ إِبْرَاهِيـمُ ﷺ وَهُوَ ابْـنُ عِشْـرِينَ وَمِائَةٍ، ثُـمَّ عَـاشَ بَعْدَ ذَلِـكَ ثَمَانِينَ سَـنَةً**»، فيَكـونُ قد عاشَ مائَتَي سـنةٍ، وماتَت سـارَّةُ قبلَـه بزمَـنٍ، وقيـل: إنَّـهُ تـزَوَّجَ بعدَهـا أكثَـرَ مِـن امـرأَةٍ ووَلَـدنَ لـه، ودُفِـنَ في مَدينَـةِ الخَليـلِ مِن أرضِ فِلسـطينَ علىٰ مـا يذكُرُه أهلُ السِّـيَرِ، ولا يُعلَـمُ مَكانُ قبـرِهِ ﷺ لا بتَواتُـرٍ، ولا بخَبـرٍ مَعصـومٍ، بـل إنَّـهُ لا يُعلَـمُ مَـكانُ قبـرِ نبـيٍّ مِن الأنبيـاءِ إلَّا قبـرُ نبيِّنا ﷺ.

إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	أَبَواهُ:	أبوهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ابنُهُ البِكرُ، وأُمُّهُ هاجَرُ.
	لَقَبُهُ:	الذَّبيحُ، فَداهُ اللهُ بكَبشٍ عظيمٍ لمَّا أسلَمَ أمرَهُ إلىٰ اللهِ.
	زَوجَتُهُ:	وتزَوَّجَ مِن قَبيلَةِ جُرهُمٍ العَربيَّةِ كما سبَقَ.
	قَومُهُ:	بعَثَهُ اللهُ إلىٰ أهلِ مكَّةَ حيثُ عاشَ هو وأُمُّهُ، وهُم قَبيلَةُ جُرهُمٍ العَرَبِيَّةُ اليَمَنِيَّةُ الَّتي جاوَرَتهم رغبَةً في زَمزَمَ.
	مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾[الصَّافَّات]. [٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾، ولم يُذكَر هذا الفَضلُ إلَّا لَه، وذلِكَ لأنَّه صدَقَ في قَولِه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. [٣-٤] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾[مريم]. [٥-٦] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾، ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾[الأنبياء]. [٧] بَنىٰ الكَعبَةَ مع أبيه إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
	ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ إسماعيلُ في القرآنِ ١٢ مرَّةً، وهو المَقصودُ بقَولِه تَعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾[الصَّافَّات]؛ وأمَّا إسحاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكانَت البَشارَةُ بِه: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾[الحجر].
	آياتُهُ:	[١] بِئرُ زَمزَمَ. [٢] الفِداءُ مِن الذَّبحِ.
	مَوتُهُ:	ماتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ودُفِنَ مع أُمِّهِ بمَكَّةَ.

إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ	أَبَواهُ:	أبوهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ابنُهُ الثَّاني، وأُمُّهُ سارَّةُ.
	زَوجَتُهُ:	قيلَ: اسمُها رفقا.
	أولادُهُ:	له وَلَدانِ: العيصُ والِدُ الرُّوم، ويَعقوبُ والدُ بني إسرائيلَ.
	قَومُهُ:	بُعِثَ إلىٰ أهلِ الشَّامِ الكَنعانيِّينَ الَّذينَ بُعِثَ إليهم إبراهيمُ.
	مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾[الحجر]. [٢] ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: علىٰ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ [الصَّافَّات:١١٣]. [٣] ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾[الأنعام:٨٤]، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾[الأنبياء:٧٣]. [٤] ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾[الأنبياء]. [٥] ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[الأنبياء].
	ذِكرُهُ:	ذُكِرَ إسحاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ١٧ مرَّةً.
	آياتُهُ:	آيَتُهُ الولادَةُ مِن أبوَينِ كَبيرَينِ، قيلَ إنَّ عُمرَ إبراهيمَ كانَ مائةَ سَنةٍ، وعُمرَ سارَّةَ كانَ تِسعينَ سَنةً.
	مَوتُهُ:	ماتَ ودَفَنَه ابنُهُ يَعقوبُ مع أبيهِ إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

تَنبيهٌ: لم يُذكَر مِن قصَّةِ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ شيءٌ كثيرٌ، وغالِبُ المَواضِعِ الَّتي ذُكِرَ فيها إمَّا في سِياقِ قِصَّةِ أبيهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو في سِياقِ قصَّةِ ابنِهِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللهُ أعلَمُ بما كانَ مِن شأنِه، لكِنَّ الَّذي نَجزِمُ به أنَّ كثيرًا ممَّا وصَفَه به أهلُ الكِتابِ لا يُقبَلُ مِنهم لما فيه مِن التَّنَقُّصِ مِنه، وتِلكَ هي عادَةُ أهلِ الكِتابِ، وليسَ غَريبًا علينا تنقُّصُهم للأنبياءِ، كيف وهم قَتَلَةُ الأنبياءِ؟!

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ إبراهيمَ وَوَلَدَيْه إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

○ النَّبيُّ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو خَليلُ الرَّحمَنِ، والخُلَّةُ هي أعلىٰ درَجاتِ المَحبَّةِ، ولم يوصَف بها في القرآنِ غيرُه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[النِّساء] أي: صيَّره خَليلًا له عَزَّ وَجَلَّ، وجاءَ عندَ مُسلم عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»، وعليه فإنَّ مرتَبَةَ الخُلَّةِ لم تحصُل إلَّا للنَّبيِّ إبراهيم ونبيِّنا محمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

○ ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ مَن لم يَعكُف قَلبُه علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَحدَه دونَ غيرِه، فإنَّه سيَعكُفُ علىٰ تَماثيلَ مُتنوِّعَةٍ؛ كما قالَ إمامُ الحُنَفاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾[الأنبياء]، فتَعَلُّقُ القلبِ بغَيرِ اللهِ، واشتِغالُه به، والرُّكونُ إليه عُكوفٌ مِنه علىٰ التَّماثيلِ الَّتي قامَت بقَلبِه، وهو نَظيرُ العُكوفِ علىٰ تَماثيلِ الأصنامِ؛ ولهذا سَمَّاه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبدًا لها، ودَعَا عليه بالتَّعْسِ والنَّكسِ، فقالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**». أخرجه البخاريُّ.

○ جاءَ ذِكرُ مُحاجَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه في عدَّةِ مَواضِعَ مِن القرآنِ، وذلِكَ دَليلٌ علىٰ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رفعَه بالعِلمِ واليَقينِ وقُوَّةِ الحُجَجِ علىٰ غيرِه، فحاجَّ النُّمرودَ في ادِّعائه الرُّبوبيَّةَ بقولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾[البقرة:٢٥٨]، وحاجَّ أباه وقَومَه في عِبادَةِ الأصنامِ الَّتي لا تنفَعُ ولا تَضُرُّ، وحاجَّ أهلَ الشَّامِ في عِبادَةِ الكَواكِبِ مع أُفولِها وغِيابِها كما في سورَةِ الأنعامِ، ومع ما آتاه اللَّهُ مِن العِلمِ والحِكمَةِ ظلَّ يطلُبُ المَزيدَ، حتَّىٰ قالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾[البقرة:٢٦٠].

❍ لمَّـا وُلِدَ لإبراهيمَ عليه السلام إسـماعيلُ وإسـحاقُ حَمِـدَ اللهَ تبارك وتعالى علىٰ ذلِـكَ فقالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾، وفي ذلِـكَ بيـانُ أنَّ هِبَـةَ الأولادِ الصَّالِحيـنَ مِـن نِعَـمِ اللهِ علـىٰ عِبـادِه، وأنَّه يَجِـبُ علىٰ الإنسـانِ أن يحمَدَ اللهَ علـىٰ ذلِـكَ، وأن يَدعُـوَ لأولادِه، ولهـذا قـالَ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيـم]، والولَـدُ الصَّالِـحُ ممَّـا ينتَفِعُ الإنسـانُ به بعـدَ مَوتِه، فقد قـالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كمـا عندَ مسـلم: «**إذَا مَاتَ الْإِنْسَـانُ انْقَطَـعَ عَنْهُ عَمَلُـهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَـةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَـةٍ، أَوْ عِلْـمٍ يُنْتَفَـعُ بِـهِ، أَوْ وَلَـدٍ صَالِـحٍ يَدْعُـو لَـهُ**»، ومَن لـم يرزُقه اللَّـهُ تعالىٰ الولَـدَ فإنَّـه ينبَغي له الدُّعـاءُ وطلَـبُ الذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَـةِ؛ كما دعا إبراهيـمُ عليه السلام لمَّا هجَـرَ قَومَـه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافَّـات]، وانظُـر كيـفَ قيَّـدَ دُعاءَه بالصَّالِحيـنَ، وأمَّـا الذُّرِّيَّـةُ الطَّالِحَةُ فمُصيبَةٌ ومَفسَـدَةٌ علـىٰ الوالِدِ.

❍ ورَدَت قِصَّـةُ بَشـارَةِ إبراهيـمَ وسـارَّةَ في ثـلاثِ سُـوَرٍ مِـن القـرآن: هـودٍ، والحِجـرِ، والذَّاريـاتِ، وأُشـيرَ إليهـا في سـورَةِ العَنكَبـوتِ، وهـذا ليسَ مِـن بابِ التَّكـرارِ وإنَّمـا مِـن بابِ تَفريـقِ القِصَّةِ ليَكونَ سـببًا في إعمـالِ العَقـلِ والجَمعِ بينَ المَواضِـعِ، فيَكـونَ فيـه تدَبُّـرٌ للقـرآنِ، والتَّدبُّـرُ في القرآنِ عِبـادَةٌ، وهذا هـو الحالُ في سـائِرِ القَصَـصِ في القـرآنِ.

❍ جـاءَ في القـرآنِ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام بُشِّـرَ بولَدَين: إسـماعيلَ وإسـحاقَ، وضابِطُ التَّفريـقِ بينهمـا أنَّـه إذا ذُكِـرَ تَبشـيرُه بإسـماعيلَ وُصِـفَ بأنَّـه حليـمٌ؛ كمـا في قَولِه تَعالـىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّـات]، بينَمـا إذا ذُكِرَ تَبشـيرُه بإسـحاقَ وُصِـفَ بأنَّه عليـمٌ؛ كمـا في قَولِـه تَعالـىٰ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحِجر]، ومُناسـبَةُ ذلِـكَ أنَّ الحِلمَ سِـمَةٌ ظاهِرَةٌ في قصَّـةِ إسـماعيلَ عليه السلام في القرآنِ، لاسِـيَما في قصَّـةِ الذَّبـحِ، كمـا أنَّ العِلـمَ صِفَـةٌ بـارِزَةٌ في قصَّـةِ إسـحاقَ ويَعقـوبَ وسـائِرِ الأنبيـاءِ مِـن ذُرِّيَّتِهما.

❍ ممَّـا اختَـصَّ اللهُ تَعالـىٰ به إبراهيـمَ عليه السلام أن هـداه لبنـاءِ الكَعبَةِ الَّتي هـي قِبلَةُ الأنبيـاء كلِّهـم مِـن لـدُن آدمَ عليه السلام إلـىٰ آخِـرِ الزَّمـانِ، وأمَـرَه أن يُـؤَذِّنَ في النَّـاسِ بالحَـجِّ فيسـمَعُه كلُّ مَن كتَـبَ اللهُ له الحجَّ إلىٰ يَـوم القِيامَةِ، وجعَـلَ اللهُ تَعالىٰ مِن حِكَـمِ أعمالِ الحَـجِّ والعُمرَةِ أنَّ فيها تذكيـرًا بمَقاماتِ إبراهيـمَ عليه السلام وأهلِ بَيتِه في

عِبادَتِهم للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي صِدقِهم وإخلاصِهم وقُوَّةِ إيمانِهم باللهِ ورُسُلِه، وحثَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علىٰ الاقتِداءِ بِهم في كلِّ أحوالِهم الدِّينيَّةِ، فجعَلَ عندَ الحجَرَ الَّذي قامَ عليه إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ بَنىٰ الكَعبَةَ مُصَلًّىٰ لكُلِّ مَن طافَ بالبَيتِ، وجعلَ مِن أركانِ الحَجِّ السَّعيَ بينَ الصَّفا والمَروَةِ كما سَعَت هاجَرُ أمُّ إسماعيلَ بينَهما وهي تَبغي الماءَ لابنِها، وغيرُ ذلِكَ مِن المَواقِفِ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أثناءَ بنائِهما للكَعبَةِ كانَ مِن دُعائِهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]، وهذا هو حالُ المُؤمِنِ مع رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنَّه يَكونُ دائِرًا في سائِرِ أحوالِه بينَ الخَوفِ والرَّجاءِ، ولا يَنبَغي للمُؤمِنِ أن يغتَرَّ بعمَلِه أو أن يَجزِمَ بقَبولِ اللَّهِ له؛ كما وصَفَ اللَّهُ تَعالىٰ المُؤمِنينَ الصَّادِقينَ بقَولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون].

❍ ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ قُدوم المَلائِكَةِ علىٰ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشروعِيَّةُ إكرام الضَّيفِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذَّاريات] أكرَمَهم اللهُ بأن طهَّرَهم مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، وأخلَصَهم للعِبادَةِ والطَّاعَةِ، وأكرَمَهم إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بحُسنِ الضِّيافَةِ، فأحسَنَ إليهم القَولَ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾، وقَدَّمَ إليهم أفضَلَ الطَّعامِ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود]، ومِن حُسنِ ضِيافَتِه أنَّه قرَّبَه مِنهم وقالَ بعِبارَةٍ لَيِّنَةٍ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذَّاريات]؟ ومَعنىٰ: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ عجَّلَ بتَقديمِ الطَّعامِ، وفي ذلِكَ دَليلٌ علىٰ مَشروعِيَّةِ الاستِعدادِ للضَّيفِ في سائِرِ الأحيانِ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ بشارَةَ المَلائِكَةِ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بإسحاقَ علىٰ كِبَرِه وكِبَرِ زَوجَتِه سارَّةَ آيَةٌ له عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي كذلِكَ آيَةٌ لإسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن وُلِدَ لامرَأَةٍ عَجوزٍ لا يولَدُ لمِثلِها عادَةً، فهو أمرٌ خارِجٌ عن العادَةِ، وهي كرامَةٌ لسارَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ولهذا بشَّرَتها المَلائِكَةُ به مُباشَرَةً، وقالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

❍ قِصَّةُ قُدوم المَلائِكَةِ إلىٰ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمَثابَةِ التَّوطِئَةِ لإهلاكِ قَوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُلاحَظُ أنَّهم لمَّا أُرسِلوا بالعَذابِ والهَلاكِ قدَّموا البُشرىٰ بإبراهيمَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ وزَوجِه بولادَةِ إسحاقَ ومِن بَعدِه يَعقوبَ في حَياتِهما، فإنَّ في ذلِكَ بَيانًا مِن اللَّهِ تَعالىٰ أنَّه إذا قضىٰ بإغلاقِ بابِ الشَّرِّ قابَلَه بفَتحِ بابٍ للخَيرِ، وهذه سُنَّةٌ قَدَرِيَّةٌ جارِيَةٌ.

❍ كانَ مِن دُعاءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قالَ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشُّعراء] مِن كلِّ عمَلٍ أو قَولٍ يُخالِفُ الشَّرعَ، خالٍ مِن الشَّهواتِ والشُّبُهاتِ، وعلىٰ رَأسِ ذلِكَ الشِّركُ والنِّفاقُ، فمَن سلِمَ قَلبُه مِن ذلِكَ فهو الفائِزُ عندَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يومَ القِيامَةِ، فأثنىٰ اللهُ تَعالىٰ علىٰ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾ [الصَّافَّات]، وذلِكَ مِمَّا أكرَمَه اللهُ تَعالىٰ به، ويُعلَمُ مِن هذا أنَّ مَدارَ الفَوزِ عندَ اللهِ يومَ القِيامَةِ علىٰ القَلبِ، ولهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يُكثِرُ مِن الدُّعاءِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»؛ كما عندَ أحمَدَ والتِّرمِذِيِّ وابنِ ماجه، وقالَ كذلِكَ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»؛ كما عندَ مُسلم.

❍ تقَدَّمَت قِصَّةُ النَّبيِّ إبراهيمَ مع ابنِه إسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكيفَ أنَّ اللهَ أوحىٰ إليه أن يذبَحَ ابنَه البِكرَ الَّذي طالَ انتِظارُه له، وكيفَ أنَّ الأبَ والابنَ استَجابا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولم يتأخَّرا عن قَبولِ أمرِه، فلمَّا علِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صِدقَهما فدىٰ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكَبشٍ أقرَنَ، ورفَعَ درَجَتَهما في عِلِّيِّينَ، وفي هذا دَليلٌ علىٰ أنَّ مَن عزَمَ علىٰ فِعلِ الطَّاعةِ و سَعىٰ لها سَعيَها، وأخَذَ بالأسبابِ القَدَرِيَّةِ، ثمَّ حصَلَ ما يَمنَعُه مِن إكمالِها = فإنَّ اللهَ تَعالىٰ بمَحضِ فضلِه وكرَمِه يكتُبُ له أجرَه كاملًا غيرَ ناقِصٍ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**».

❍ تقَدَّمَ أنَّ ممَّا وصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَولَه: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤]، ولا شكَّ أنَّ الأنبياءَ كلَّهم صادِقونَ في وُعودِهم؛ لأنَّ إخلافَ الوَعدِ مِن صِفاتِ المُنافِقينَ، لكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خصَّ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الوَصفِ، ولعلَّ

ذلِكَ لأنَّه صدَقَ وعدَه لأبيه إبراهيمَ عليه السلام في قِصَّةِ الذَّبح لمَّا ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصَّافَّات]، وكذلِكَ كانَ عليه السلام، ولهذا وصَفَه اللهُ تَعالىٰ بأنَّه صابِرٌ فقالَ: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾ [الأنبياء].

- في قصَّةِ الذَّبحِ لإسماعيلَ عليه السلام فوائِدُ كثيرَةٌ لا تكادُ تُحصىٰ، مِن أهَمِّها:
  - أنَّه علىٰ صِغَرِ سِنِّه فعَلَ ما لا يستَطيعُه الكِبارُ ذَوو العُقولِ الرَّاجِحَةِ، وذلِكَ لقُوَّةِ إيمانِه وحُسنِ تَربيَتِه، وهكذا يَكونُ النَّشءُ الصَّغيرُ إذا أُحسِنَت تَربيَتُه وتَزكيَتُه.
  - أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لم يَقُل: (إنِّي أُريدُ أن أذبَحَك)؛ لأنَّ ذلِكَ فيه شِدَّةٌ عليه، وإنَّما ألطَفَ له العِبارَةَ فقالَ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّافَّات:١٠٢].
  - أنَّ إبراهيمَ عليه السلام خيَّرَه ولم يُجبِره، وذلِكَ اختِبارٌ لإسماعيلَ عليه السلام.
  - أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ألهَمَ إسماعيلَ عليه السلام أن يَقولَ: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولم يَكِل نفسَه إلىٰ قُوَّةِ إيمانِه.
  - أنَّ في استِسلامِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام لأمرِ اللهِ عز وجل الشَّاقِّ علىٰ النَّفسِ تَحقيقًا لمَعنىٰ الإسلامِ، الَّذي هو (**الاستِسلامُ لله بالتَّوحيدِ، والانقِيادُ له بالطَّاعَةِ، والبَراءَةُ مِن الشِّركِ وأهلِه**).
  - أنَّ الأنبياءَ هم أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كما عندَ أحمَدَ والحاكِمِ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

[١] مَن هو خَليلُ اللهِ؟ ○ إبراهيمُ. ○ موسَىٰ. ○ نوحٌ.
[٢] نبيَّان اشترَكا في بناءِ الكَعبَةِ: ○ إبراهيمُ وإسماعيلُ. ○ إبراهيمُ وإسحاقُ.
[٣] مَن هي أوَّلُ امرأَةٍ تزوَّجها ابراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ○ سارَّةُ. ○ هاجَرُ.
[٤] ما اسمُ أمِّ إسماعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ○ سارَّةُ. ○ هاجَرُ.
[٥] النَّبيُّ الَّذي لم تُحرِقهُ النَّارُ هو: ○ إبراهيمُ. ○ إسماعيلُ. ○ لوطٌ.
[٦] كيفَ وصَلَ صَوتُ إبراهيمَ حينَ أَذَّنَ إلىٰ النَّاسِ جميعًا؟ ○ كانَ ذا صَوتٍ جَهوريٍّ. ○ أوصَلَهُ اللَّهُ بقُدرَتِهِ.
[٧] أوَّلُ مَن نادىٰ بالحَجِّ إلىٰ بَيتِ اللهِ: ○ آدَمُ. ○ إبراهيمُ. ○ مُحمَّدٌ.
[٨] كيفَ أعجَزَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النُّمرودَ عن التَّمادِي في الكُفرِ: ○ أمَرَهُ أن يُحيِيَ المَوتَىٰ. ○ أمَرَهُ أن يأتِيَ بالشَّمسِ مِن المَغرِبِ.
[٩] سُمِّيَ إبراهيمُ أبا الأنبياءِ: ○ لأنَّ ابنَيهِ كانا نَبِيَّينِ. ○ لأنَّ كُلَّ مَن جاءَ بعدَهُ مِن الأنبياءِ مِن ذُرِّيَّتِهِ.
[١٠] كم عددُ الطُّيورِ التَّي أُمِرَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بضمِّها؟ ○ ٤. ○ ٥. ○ ٣.
[١١] مَن هو الَّذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ؟ ○ أبوهُ آزَرُ. ○ النُّمرودُ. ○ أخوهُ.
[١٢] مَن النَّبيُّ الَّذي كانَ أبوهُ كافِرًا؟ ○ إبراهيمُ. ○ إسماعيلُ. ○ شُعيبٌ.
[١٣] ترَكَ إبراهيمُ هاجَرَ وإسماعيلَ في: ○ بَيتِ المَقدِسِ. ○ مِصرَ. ○ المَدينَةِ النَّبَوِيَّةِ. ○ مكَّةَ.
[١٤] لُقِّبَ إبراهيمُ بـ: ○ أبي الأنبياءِ. ○ خَليلِ الرَّحمنِ. ○ إمامِ الحُنَفاءِ. ○ أحَدِ أولي العَزمِ. ○ الْجَميعِ. ○ الْجَميعِ إلَّا الأوَّلَ.
[١٥] إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أفضَلُ أولي العَزمِ: ○ مُطلَقًا. ○ بعدَ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
[١٦] لم تَثبُتِ الخُلَّةُ لأحَدٍ فيما عَلِمْنا إلَّا لـ: ○ إبراهيمَ. ○ محمَّدٍ. ○ كِلَيهِما.
[١٧] كانت مِهنَةُ إبراهيمَ: ○ البِناءَ. ○ التِّجارَةَ.
[١٨] زَوجَةُ إبراهيمَ هي: ○ سارَّةُ. ○ هاجَرُ. ○ كِلاهُما.

[١٩] إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو (○ أكثَرُ ○ ثاني أكثَرِ) الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ.

[٢٠] أشبَهُ النَّاسِ بإبراهيمَ (○ محمَّدٌ ○ موسىٰ ○ عيسىٰ ○ آدمُ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[٢١] دينُ النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإسلامُ كبقيَّةِ الأنبياءِ: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٢] كِتابُ النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو : ○ الصُّحُفُ. ○ الزَّبورُ.

[٢٣] آيَةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ○ النَّجاةُ مِن النَّارِ. ○ إحياءُ الطَّيرِ بإذنِ اللهِ. ○ الرُّؤيا وفِداءُ إسماعيلَ بالكَبشِ. ○ وُلِدَ له علىٰ الكِبَرِ. ○ مَقامُهُ عند الكَعبَةِ. ○ أذانُهُ بالحَجِّ. ○ لم يأتِ نبيٌّ بعده إلَّا مِن ذُرِّيَّتِهِ. ○ مُستجابُ الدَّعوَةِ. ○ الجميعُ.

[٢٤] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

ربَّاهُ اللهُ وأكرَمَهُ بفَضائِلَ وصِفاتٍ حَميدَةٍ:	﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[إبراهيم].
خَيرُ البَرِيَّةِ:	أحاديثُ مُتَّفقٌ عليه.
جَميعُ الأنبياءِ مِن بَعدِهِ مِن نَسلِهِ:	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾[النَّحل]...
أُمِرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتِّباعِ مِلَّتِهِ:	حَديثٌ أخرجَهُ مالِكٌ مُرسَلًا.
أوَّلُ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ:	قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ**».
أوَّلُ مَنِ اخْتَتَنَ، وأوَّلَ مَن يُكْسَىٰ يومَ القِيامَةِ:	﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾[النَّحل:١٢٣].
أُمِرْنَا أن نُصلِّيَ عليهِ:	في أحاديثِ الصَّلاةِ الإبراهيمِيَّةِ.

[٢٥] مَن النَّبيُّ الَّذي سُمِّيَ بالذَّبيحِ؟ ○ إسماعيلُ. ○ إسحاقُ. ○ يَعقوبُ.

[٢٦] كانَ إسماعيلُ يأمُرُ أهلَهُ بـ: ○ الصَّلاةِ. ○ الزَّكاةِ. ○ كلاهما.

[٢٧] أُرسِلَ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهلِ: ○ مكَّةَ. ○ الشَّامِ. ○ مِصرَ.

[٢٨] الدَّليلُ علىٰ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولٌ: ○ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾. ○ ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾. ○ أنَّه أُنزِلَ عليه الصُّحُفُ. ○ جميعُ ما تقدَّمَ. ○ الأوَّلُ والثَّاني فقط. ○ هو عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيٌّ وليسَ برَسولٍ.

[٢٩] فَدَىٰ اللهُ إسماعيلَ بـ: ○ كَبشٍ. ○ ناقَةٍ. ○ بقَرَةٍ.

[٣٠] مَن هي أُمُّ إسحاقَ عليه السلام؟ ❍ سارَّةُ. ❍ هاجَرُ.

[٣١] بُعِثَ إسماعيلُ عليه السلام إلىٰ أهل مَكَّةَ وهم قبيلَةُ جُرهُم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٢] ممَّا وُصِفَ به إسماعيلُ عليه السلام في القرآنِ: ❍ حليمٌ. ❍ صادقُ الوَعدِ. ❍ يأمُرُ أهلَه بالصَّلاةِ والزَّكاةِ. ❍ رَضِيَ اللهُ عنه. ❍ صابِرٌ. ❍ صالِحٌ. ❍ الجميعُ. ❍ الجميعُ إلَّا الأخيرَ.

[٣٣] ممَّا اختصَّ اللهُ به إسماعيلَ عليه السلام: ❍ بِناءُ الكَعبةِ مع أبيه. ❍ ذُرِيَّتُهُ هم العربُ المُستَعرِبَةُ ومِنهم نبيُّنا ﷺ. ❍ الجميعُ.

[٣٤] آيةُ إسماعيلَ عليه السلام: ❍ بِئرُ زَمزَمَ. ❍ الفِداءُ مِن الذَّبحِ. ❍ الجَميعُ.

[٣٥] وُلِدَ لِإسحاقَ يعقوبُ عليهما السلام، ويُعرَفُ بإسرائيلَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٦] قومُ إسحاقَ هم أهلُ الشَّامِ الكَنعانِيُّونَ، وهم نفسُ القَومِ الَّذينَ بُعِثَ فيهم إبراهيمُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٧] ممَّا وُصِفَ به إسحاقُ: ❍ عليمٌ. ❍ مُبارَكٌ عليه وعلىٰ ذُرِّيَّتِهِ. ❍ مَهدِيٌّ وهادٍ إلىٰ الحقِّ. ❍ صادِقٌ. ❍ صالِحٌ. ❍ الذَّبيحُ. ❍ الجميعُ إلَّا الذَّبيحَ.

[٣٨] آيةُ إسحاقَ عليه السلام الوِلادَةُ مِن أبَوَينِ كَبيرَيْنِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٩] اختَر مِن القائمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائمَةِ اليُسرىٰ:

مَعنىٰ إبراهيمَ:	البِناءُ.
اسمُ أبي إبراهيمَ:	أبٌ رَحيمٌ.
لقَبُ إبراهيمَ:	آزَرُ.
مِهنَةُ إبراهيمَ:	خَليلُ اللهِ، وأبو الأنبِياءِ.
﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾	إسحاقُ عليه السلام
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾	إسماعيلُ عليه السلام

[٤٠] خَليلُ الرَّحمنِ (❍ إبراهيمُ ❍ محمَّدٌ ❍ كلاهما)، والخُلَّةُ هي (❍ أعلىٰ ❍ أوسَطُ) درجاتِ المَحبَّةِ.

[٤١] لم يُذكَر في القُرآنِ من قصَّتِه شيءٌ كثيرٌ: ❍ إسحاقُ. ❍ إسماعيلُ.

[٤٢] (❍ خيَّرَ ❍ أجبَرَ) إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ عليهما السلام في الذَّبحِ.

نَبِيُّ اللهِ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أصلُه:	هو ابنُ هارانَ أخي إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قومُه:	آمَنَ مع النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثمَّ أرسلَهُ اللهُ إلىٰ أهل سَدومَ ليَدعُوهم.
عمَلُهم:	كانَ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكفُرونَ باللهِ، ويَفعلونَ الفاحِشَةَ، فيَأتونَ الرِّجالَ مِن دونِ النِّساءِ، ويَفعَلونَ سائِرَ أنواعِ الخَبائِثِ.
ممَّا وَصفَهُ اللهُ به:	[١] ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾[القمر]. [٢-٣] ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾[الأنبياء:٧٤]. [٤] ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾[الأنبياء].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ لوطٌ في القرآنِ ٢٧ مرَّةً، وذُكِرَت قِصَّتُهُ مع قَومِهِ في ٨ سُوَرٍ، وقُرِنَت قِصَّتُه غالِبًا مع قصَّةِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
هَلاكُ قومِه:	أنزَلَ اللهُ بهِمُ العَذابَ، ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: مَدينَةُ سَدومَ ﴿سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾[الحجر].

مِن وَسائِلِ الوِقايَةِ مِن الفَواحِشِ: تَقوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ - الإكثارُ مِن الدُّعاءِ - اللهُ يُعَوِّضُ عَبدَه إذا تَرَكَ المَعصيَةَ للهِ - الهِجرَةُ مِن بلَدِ الكُفرِ - تَركُ الكَلامِ في شَهوَةِ الفَرجِ والفَمِ - المُبادرة بالزَّواجِ عندَ القُدرَةِ وإلَّا الصَّومُ - التَّقليلُ مِن الطَّعامِ والشَّرابِ - غَضُّ البصَرِ، والبُعدُ عن مَواطِنِ النِّساءِ - تَركُ الخَلوَةِ بالنِّساءِ الأجنَبيَّاتِ - أمرُ النِّساءِ بالحِجابِ، وعدَمُ لينِ الكلامِ معَهنَّ - قِراءَةُ سورَةِ يوسُفَ والتَّدَبُّرُ فيها - صُحبَةُ الصَّالِحينَ - تذَكُّرُ (كما تَدينُ تُدانُ) - إشغالُ النَّفسِ بما ينفَعُها - اجتِنابُ ما يَزيدُ مِن الشَّهوَةِ - وَضعُ الهاتِفِ والكُمبيوتر في مَكانٍ يَراهُ الغَيرُ - المُحافَظَةُ علىٰ شَعيرَةِ إنكارِ المُنكَرِ.

قصَّةُ نَبِيِّ اللهِ لوطٍ عليه السلام مُختصَرةً:

نَسَبُه ومَبعَثُه:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾[العنكبوت]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[الأنبياء]، ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[العنكبوت].

هو لوطُ بنُ هارانَ بنِ تارَحَ، وتارَحُ -كما تقدَّم- هو آزرُ أبو إبراهيمَ عليه السلام، فلوطٌ هو ابنُ أخي إبراهيمَ عليه السلام، وكانَ ممَّن آمنَ معه، وهاجَرَ معه لمَّا خرَجَ مِن بابِلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ وهو ببابِلَ قبلَ أن يَخرُجَ منها، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ عليه السلام لأبيه وقومِهِ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾[العنكبوت]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[الأنبياء] وهي أرضُ الشَّامِ، وتقَدَّمَ أنَّهما هاجَرا بعدَ ذلِكَ إلىٰ مِصرَ، ثمَّ عادا إلىٰ الشَّامِ، وأمرَ إبراهيمُ لوطًا عليه السلام أن يذهَبَ إلىٰ سَدومَ فيَدعُوَ أهلَها، وكانوا علىٰ الكُفرِ والفُجورِ، وكانوا قد ابتَدَعوا مَعصِيَةً لم يسبِقهُم أحَدٌ مِن العالَمينَ إليها، وهي أنَّ رِجالَهُم كانوا يأتونَ الرِّجالَ شهوَةً مِن دونِ النِّساءِ، ولهذا نُسِبَت هذه الفَعلَةُ الشَّنيعَةُ إليهم، ولم تكُن هذه مَعصِيَتَهم الوَحيدَةَ؛ بل إنَّهم كانوا يَقطَعونَ الطَّريقَ، ويأتون في ناديهم كلَّ أنواعِ المُنكَرِ مِن الأقوالِ والأفعالِ، ولم يكُن لهُم مُروءَةٌ ولا أنَفَةٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[العنكبوت]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾[الأنبياء].

دَعْوَتُهُ لِقَوْمِهِ:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشُّعراء]، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النَّمل]، ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر].

لمَّا قدِمَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ على أهلِ سَدومَ دعاهُم إلىٰ تَوحيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وتَركِ ما كانوا عليه مِن الكُفرِ والمَعاصي، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾، وذلِكَ لأنَّهُم لمَّا كذَّبوا لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا مُكَذِّبينَ بسائِرِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فلا فرقَ بينَهُم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ أُخُوَّةَ إقامَةٍ، لا أُخُوَّةَ دينٍ ووَلاءٍ، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ اللَّهَ الَّذي خلقَكُم ورزَقَكُم؟ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾، وكان مِن أهَمِّ ما دعاهُم إليه بعدَ تَوحيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أن دَعاهُم إلىٰ تَركِ الفاحِشَةِ، فقالَ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ تَنكِحونَهم في أدبارِهِم، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ اللَّاتي أحلَّ لكُم، وفطَرَكُم علىٰ حُبِّهِنَّ، والإفضاءِ إليهِنَّ؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشُّعراء] تَجاوَزتُم ما أحلَّ اللَّهُ لكُم إلىٰ ما وراءَهُ مِن الحَرامِ.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أنَّ ذلِكَ مِن الفاحِشَةِ، وتعلَمونَه حقَّ اليَقينِ؛ لأنَّكُم أنتُم الَّذينَ ابتَدعتُموهُ ولم تُسبَقوا إليه، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وليسَ المُحرَّمُ -كما ادَّعىٰ بعضُ الجَهَلَةِ والمُغرِضينَ في هذاالزَّمانِ- أن يترُكَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ لرَجُلٍ، بل إنَّ أصلَ إتيانِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ هو عَينُ الفاحِشَةِ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ﴾ سُفَهاءُ ﴿تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النَّمل] عظيمَ حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عليكُم. وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أي: عذابَ اللهِ وبأسَهُ الشَّديدَ الَّذي لو أُنزِلَ بهِم

هلكوا كما هلَكَ الظَّالِمونَ قبلَهُم، وكانوا أشَدَّ مِنهم قوَّةً، ﴿فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر] أي: لم يَلتَفِتوا إلىٰ إنذارِهِ، وإنَّما شَكُّوا فيه وتَمارَوا بينَهُم.

جَوابُ قَوْمِه لَهُ:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النَّمل]، ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشُّعراء]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

لمَّا دعا لوطٌ قَومَهُ إلىٰ عِبادَةِ اللَّهِ وحدَهُ وتَركِ ما هم عليه مِن الفاحِشَةِ كذَّبوهُ وعادَوهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ﴾ وهُم أهلُهُ ﴿مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ﴾، ولم يَذكُروا غيرَ أهلِهِ لأنَّه لم يُؤمِنْ معه أحَدٌ غيرُهم، ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النَّمل] مِن أدبارِ الرِّجالِ وأدبارِ النِّساءِ، ولا يُقِرُّونكُم علىٰ فِعلِكُم، فسُبحانَ اللَّهِ، كيفَ صارَتِ الطَّهارَةُ تُهمَةً ومَسبَّةً؟! و﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن عَيبِ ما نحنُ فيه مِن الفاحِشَةِ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾، فلمَّا رأىٰ أنَّهم مُصِرُّونَ علىٰ ما هم فيه مِن الطُّغيانِ، وأنَّهم لن يستَجيبوا له ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: المُبغِضينَ، فتبَرَّأَ ممَّا هم عليه، ثمَّ دعا اللَّهَ أن يُنجِيَهُ مِنهم فقالَ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشُّعراء]، ودعا كذلِكَ بقَولِهِ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

مَجِيءُ المَلائِكَةِ ونُزُولُ العَذَابِ:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ

ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾[هود].

تقدَّم في قِصَّةِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ ﷺ زيارَةُ المَلائِكَةِ له، وتَبشيرُهُم إيَّاهُ بإسحاقَ ويَعقوبَ ﷺ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ والخَوفُ مِن المَلائِكَةِ قبلَ أن يتحَقَّقَ أمرَهُم، ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾[هود]، وذلِكَ أنَّ المَلائِكَةَ أخبَروهُ أنَّهم أُرسِلوا إلىٰ قومِ لوطٍ بالعَذابِ، فقالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾، يُريدُ: كيفَ تُهلِكونَ قَريَةً فيها لوطٌ النَّبيُّ المُؤمِنُ؟! فـ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾[العنكبوت]، وما كُنَّا لنُهلِكَه وأهلَهُ، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾، ثمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجِدالِ، ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾[هود]، وأمرُ اللَّهِ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾[نوح:٤]، ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي: قومُ لوطٍ ﴿ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾﴾[هود].

ثمَّ انصَرَفَت المَلائِكَةُ مِن عندِ إبراهيمَ وقَدِمت علىٰ لوطٍ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا﴾ وكانوا في صورَةِ شُبَّانٍ حِسانٍ ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ لأنَّه لم يكُن يعلَمُ أنَّهم مِن المَلائِكَةِ، ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ لما خَشِيَ عليهم مِن قومِهِ، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾﴾ شَديدُ البَلاءِ، ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ لمَّا رَأَوا ضَيفَهُ ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: مُسرِعينَ يُهَروِلونَ، ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ولم يَزَل هذا حالُهم، فلمَّا قَدِموا علىٰ لوطٍ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ يُرشِدُهم إلىٰ أزواجِهم، والنَّبيُّ بمَنزِلَةِ الأبِ للأُمَّةِ، ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ مِمَّا تُريدونَهُ مِن الفاحِشَةِ، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ فتفضَحوني فيهم، ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾﴾ يَقبَلُ ما آمُرُكم بهِ؟! ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: لا أرَبَ لَنا فيهِنَّ، ولا نَشتَهيهِنَّ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ

(٧٩)﴾ وهو إتيانُ الذُّكورِ!

فلمَّا رأىٰ لوطٌ عليه السلام إصرارَهم ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ لكُنتُ نكَّلتُ بكُم، ولم يكُن عَزيزًا فيهم؛ لأنَّهُ لم يكُن مِن صُلبهم، قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فيما أخرَجهُ التِّرمذِيُّ: «**رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَىٰ لُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذْ قَالَ:** ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)﴾، **فَمَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ**»، ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)﴾ كانَ يَأوي إلىٰ اللَّهِ جلَّ وعلا.

فلمَّا رأَتِ المَلائِكَةُ ما ألَمَّ بلوطٍ عليه السلام ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن﴾ يَستَطيعوا أن ﴿يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[هود]، وأَخذوا يُصَبِّرونَه فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[العنكبوت:٣٣]، وبشَّروهُ بإهلاكِ الظَّالِمينَ فقالوا: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾[العنكبوت]، وأمَروهُ بأن يَخرُجَ بأهلِهِ، قالوا: ﴿فَأَسْرِ﴾ والإسراءُ هو المَشيُ باللَّيلِ ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾[هود] أي: في آخِرِ اللَّيلِ، وأمَروهُ أن يتَّبِعَ أدبارَهُم ويَمشِيَ خَلفَهُم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ بسبَبِ ما يَسمَعُ مِنَ الأصواتِ المَهولَةِ المُزعِجَةِ لما يَنزِلُ بالظَّالِمينَ مِنَ العَذابِ، ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾، وذلِكَ لأنَّها خانَت لوطًا عليه السلام، وقد جاءَ عندَ الحاكِمِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَىٰ الضَّيْفِ**»، وقيلَ: إنَّها خرَجَت معهم، فلمَّا سمِعَت صوتَ العَذابِ التَفَتَت خلفَها وقالَت: (وا قوماهُ)، فأصابَها حجَرٌ مِنَ السَّماءِ فقتَلَها، ثمَّ قالَتِ المَلائِكَةُ تُبَشِّرُ لوطًا بقُربِ هَلاكِ الظَّالِمينَ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾؟!

وكانَ قَومُ لوطٍ في هذه الأثناءِ واقِفينَ علىٰ البابِ يُريدونَ الضَّيفَ، ولوطٌ عليه السلام يُدافِعُهُم، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾، وذلِكَ أنَّ جِبريلَ نزَلَ إليهم فضرَبَهُم بجَناحِهِ فأَعماهُم عن لوطٍ وأهلِهِ وعن الضَّيفِ، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨)﴾[القمر]، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عندَ طُلوعِ الشَّمسِ ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أعلىٰ قريَةِ سَدومَ

﴿سَافِلَهَا﴾ فقُلِبَت علىٰ رأسِها، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ أي: مِن طينٍ مُستَحجِرَةٍ مُتَتابِعَةٍ مُعَدَّةٍ في السَّماءِ لإهلاكِهم، ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ كلُّ حَجَرٍ مِنها مَكتوبٌ عليه اسمُ الشَّخصِ الَّذي يُهلَكُ به، ﴿وَمَا هِيَ﴾ أي: هذه النِّقمَةُ والعَذابُ الشَّديدُ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ممَّن تشبَّهَ بقَومِ لوطٍ، وعمِلَ بعَمَلِهم ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[هود]، وقد ابتُلينا بهم في هذا الزَّمانِ، فنسأَلُ اللَّهَ أن يُسَلِّمَنا مِن العَذابِ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ لُوطٍ عليه السلام:

❍ أوَّلُ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه لوطٌ عليه السلام في سورة الأنعامِ، وأوَّلُ مَوضِعٍ ذُكِرَت فيه قصَّتُهُ مع قَومِهِ في سورَةِ الأعرافِ، وآخِرُ مَوضِعٍ في سورَةِ القَمَرِ.

❍ **لَطيفَةٌ**: بدَأَ اللهُ تعالىٰ سورَةَ النَّجمِ بقَولِهِ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾، قيلَ: هو نجمُ الثُّرَيَّا إذا سقَطَ مع الفَجرِ، وقيلَ: هو النَّجمُ إذا رُمِيَت به الشَّياطينُ، ثمَّ قالَ تَعالىٰ في أواخِرِها: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾[النَّجم]، وهم قَومُ لوطٍ، حمَلَ جِبريلُ مَدينتَهم فقلَبَها علىٰ رَأسِها ثمَّ أهواها إلىٰ الأرضِ.

❍ لمَّا ذكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أكثَرَ الأُمَمِ الظَّالِمَةِ كقَومِ نوحٍ وعادٍ وثَمودَ وغَيرِهم ذكَرَ دَعوَةَ أنبيائِهم لهُم إلىٰ التَّوحيدِ، واقتَصَرَ في كَثيرٍ مِن المَواضِعِ علىٰ ذلِكَ، وهذا بخِلافِ قَومِ لوطٍ عليه السلام، فإنَّه ما مِن مَوضِعٍ في القُرآنِ ذُكِرَ فيه دَعوَةُ لوطٍ عليه السلام لهُم إلَّا وجاءَ فيه أنَّه دَعاهُم إلىٰ تَركِ ما كانُوا عليه مِن الفاحِشَةِ، وعظَّمَ ذلِكَ عليهم، وكانَ ذلِكَ بدايَةَ دَعوَتِه لهم، وذلِكَ لأمورٍ مِنها:

- أنَّهم أحدَثوا فاحِشَةً لم يُسبَقوا إليها فكانت سِمَةً لهُم، وعلامَةً علىٰ كُفرِهم واستِكبارِهم علىٰ اللهِ جلَّ وعلا، ولهذا فإنَّ عليهم وِزرَ عمَلِهم لهذه المَعصيَةِ، ووِزرَ كلِّ مَن عمِلَ بها إلىٰ يومِ القِيامَةِ.
- أنَّ أصلَ انحِرافِهم كانَ عمَلِيًّا، بخِلافِ بَقِيَّةِ الأُمَمِ الَّتي كانَ أصلُ انحِرافِها عقَلِيًّا عقَدِيًّا.
- أنَّ الله وصَفَهم بقَولِه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[الحجر]،

وذلِكَ ما كانوا عليه مِن المَعصِيَةِ، والسَّكرانُ لا يصِحُّ أن يُخاطَبَ ويُحاجَجَ إلَّا بعدَ أن يُفيقَ مِن سكرَتِه.

- لأنَّهم غرِقوا في المَعاصي والفَواحِشِ، والغَريقُ لا يصِحُّ مُخاطَبَتُه بالعَقلِ إلَّا بعدَ إنقاذِه مِن الغَرَقِ.
- لأنَّ طَهارَةَ الظَّاهِرِ مُقدَّمَةٌ علىٰ طَهارَةِ الباطِنِ.

❍ قالَ لوطٌ عليه السلام لقومِه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾[النَّمل:٥٥]، وفي هذا بَيانُ أنَّ المُحرَّمَ ليسَ فقط -كما ادَّعىٰ بعضُ الجَهَلَةِ والمُغرِضينَ في هذا الزَّمانِ- أن يترُكَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ لرَجُلٍ، بل إنَّ أصلَ إتيانِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ هو عينُ الفاحِشَةِ، ولذلِكَ قالَ في الآيَةِ الأُخرىٰ: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾[الشُّعراء]، ولَفظُ الذُّكرانِ فيه الوَصفُ بالرُّجولَةِ والامتِلاءِ بها، وفي ذلِكَ تَعظيمٌ وتَشنيعٌ لِفعلِهم.

❍ لمَّا جاءَتِ المَلائِكَةُ لوطًا تصَوَّروا في صورَةِ بشَرٍ، وفي ذلِك فَوائِدُ مِنها:

- ابتِلاءُ النَّبيِّ لوطٍ عليه السلام، ولهذا ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾[هود].
- إعطاءُ قَومِه فُرصَةً ليَرجِعوا عن غَيِّهم ويُؤمِنوا للوطٍ عليه السلام.

❍ هلكَت امرَأةُ لوطٍ عليه السلام فيمن هلَكَ بسبَبِ دَلالَتِها علىٰ الضَّيفِ، وسمَّىٰ اللهُ تَعالىٰ ذلِكَ خِيانَةً للوطٍ عليه السلام، وأمَّا ما يظُنُّه النَّاسُ مِن أنَّها خانَت زَوجَها بالزِّنا فغيرُ صحيحٍ؛ لما تقدَّم عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَىٰ الضَّيْفِ**»، وأخرَجَ عبدُ الرَّزَّاقِ عن سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةَ قالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُسْأَلُ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِ الْكَعْبَةِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم:١٠]، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالزِّنَا، وَلَكِنْ كَانَتْ هَذِهِ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَكَانَتْ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ الْأَضْيَافِ**».

❍ قالَ تَعالىٰ في سورَةِ الشُّعراء: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾، فجعَلَها فيهم لا مِنهُم، وذلِكَ لأنَّها وفَدَت مع لوطٍ عليه السلام عليهم، ولم تكُن مِن صُلبِهم، لكنَّه قالَ في سورَةِ الأعرافِ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأعراف]، فجعَلَها مِنهم، وذلِكَ لأنَّها لمَّا كفرَت وخانَت نبيَّ اللهِ صارَت مِنهم، ودُخولُ

امـرَأَةِ لـوطٍ عليه السلام فـي العَـذابِ دليـلٌ علـىٰ أنَّ مَـن لم يفعَـل فِعـلَ قَوم لـوطٍ لكنَّه رَضِيَـه لهـم وقـالَ: (كلُّ إنسـانٍ حُرٌّ فيمـا يفعَـلُ) فإنَّه يُلحَـقُ بهم.

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩﴾[الحاقَّـة]، وقـالَ: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣﴾[النَّجـم]، والمُؤتَفِـكاتُ هـي قُـرىٰ قَـوم لـوطٍ، سُـمِّيَت بذلِـكَ لأنَّهـا ائتَفكَـت بهـم، أي: انقلَبَـت، قـالَ قتـادَةُ رحمه الله: (﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ قَوْمُ لُـوطٍ ائْتَفَكَـتْ بِهِـمْ أَرْضُوهُـمْ، فَجَعَـلَ أَعَالِيَهَـا سَـافِلَهَا)، قـالَ البَغَـوِيُّ رحمه الله: (وَقِيـلَ: يُرِيـدُ الْأُمَـمَ الَّذِيـنَ ائْتَفَكُـوا بِخَطِيئَتِهِـمْ، أَيْ أُهْلِكُـوا بِذُنُوبِهِـمْ).

❍ النَّاظِـرُ فِي ذَمِّ اللهِ تَعالـىٰ للأُمَـمِ الهالِكَـةِ يرىٰ أنَّه لم تُـذَمَّ أُمَّةٌ كمـا ذُمَّ قَومُ لوطٍ عليه السلام، فقـد وُصِفـوا بـأنَّهم ﴿قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝٨١﴾[الأعـراف]، ﴿قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨﴾[الحجـر]، ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾[الحجـر]، ﴿قَوۡمٌ عَادُونَ ۝١٦٦﴾[الشُّـعراء]، ﴿قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝٥٥﴾[النَّمـل].

❍ انتَشَـرَ فِي هـذا الزَّمـانِ فِعـلُ قَـوم لـوطٍ حتَّـىٰ دخَـلَ بَعـضَ بـلادِ الإسـلام، وصـاروا يُسَـمُّونَه بغَيـرِ اسـمِهِ، فيَقولونَ: رجُـلٌ مِثلِيٌّ وامـرَأَةٌ مِثلِيَّةٌ، وهو كتَسـمِيَةِ الخَمـرِ مَشـروبًا روحِيًّـا، والرِّبـا فوائِـدَ وغَيرِ ذلِـكَ، وإنَّما نُسَـمِّي هـذا الفِعلَ كما هـو: شُـذوذًا وفاحِشَـةً وانتِكاسًـا للفِطرَةِ.

❍ مِـنَ التَّدابيـرِ الَّتي تَقي الإنسـانَ بـإذنِ اللهِ تَعالىٰ مِـن الزِّنا واللِّـواطِ وغير ذلِكَ مِن الفَواحِشِ:

- تَقـوىٰ اللهِ عز وجل والإكثـارُ مِـن الدُّعـاءِ؛ كمـا دعـا يوسُـفُ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾[يوسـف:٣٣].
- استِحضارُ مَعنـىٰ تَعويضِ اللهِ لعَبـدِه إذا ترَكَ المَعصِيَـةَ للهِ، قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكَ لَـنْ تَـدَعَ شَـيْئًا لِلَّـهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِـهِ مَا هُوَ خَيْـرٌ لَكَ مِنْـهُ**». أخرجه أحمد.
- الهِجـرَةُ مِـن بلَـدِ الكُفرِ الَّذي تَكثُـرُ فيه الفَواحِـشُ ودَواعي الفِتنَـةِ وتكونُ فيـه ظاهِـرَةً للعَيانِ إلـىٰ بلَدِ الإسـلام الَّذي تَقِلُّ فيـه وتَخفىٰ.
- تَـركُ الـكَلام في كُلِّ مـا يتعلَّـقُ بشَـهوَةِ الفَـرجِ والفَـم، قـالَ الأحنَـفُ بـنُ قَيـسٍ رحمه الله: «**جَنِّبُوا مَجَالِسَـنَا ذِكْرَ النِّسَـاءِ وَالطَّعَـامِ، إِنِّي أُبْغِـضُ الرَّجُلَ يَكُونُ وَصَّافًـا لِفَرْجِـهِ وَبَطْنِـهِ**»، ويُسـتَفادُ مِـن قَـولِ لـوطٍ عليه السلام لقَومِـه: ﴿وَتَأۡتُونَ

﴿فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[العنكبوت:٢٩] وُجوبُ تَطهيرِ المَجالِسِ مِن الأقوالِ والأفعالِ الماجِنَةِ.

- المُبادرة بالزَّواج عندَ تَحقُّقِ القُدرَةِ، فإن لم يستطع فعليه بالصَّوم؛ لقولِه ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**».
- التَّقليلُ مِن الطَّعامِ والشَّرابِ؛ لما فيه مِن إضعافِ الشَّهوَةِ الجِنسِيَّةِ.
- غَضُّ البصَرِ، والبُعدُ عن مَواطِنِ تَواجُدِ النِّساءِ كالأسواقِ.
- تَركُ الخَلوَةِ بالنِّساءِ الأجنَبِيَّاتِ؛ لقَولِه ﷺ: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**». أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ وابنُ ماجَهْ.
- أمرُ النِّساءِ بالحِجابِ، وعدَمُ لينِ الكلامِ معَهنَّ، أو الخَلوَةِ، أو مُصافَحَةِ النِّساءِ، أو الاختلاطِ بهنَّ.
- قِراءَةُ سورَةِ وقِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام، والتَّدَبُّرُ فيها، وكذلِكَ باقي قَصَصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ وسِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وخاصَّةً ما كانَ في هذا البابِ.
- صُحبَةُ الصَّالِحينَ الَّذين يأمُرونَ بالمَعروفِ وينهَونَ عن المُنكَرِ.
- تذَكُّرُ قاعِدَةِ **(كما تَدينُ تُدانُ)**؛ فالزِّنا دينٌ لابُدَّ أن يُقضىٰ.
- إشغالُ النَّفسِ بما ينفَعُها وتجَنُّبُ الفراغِ، فالفراغُ قاتِلٌ؛ لأنَّ فيه اختِلاءً بالنَّفسِ الأمَّارَةِ بالسُّوءِ، وبالشَّيطانِ.
- اجتِنابُ الوَسائِلِ الَّتي تَزيدُ مِن الشَّهوَةِ وتُفضي إلىٰ الفَسادِ، ومِن ذلِكَ ما استَجَدَّ في زَمانِنا مِنَ الأجهِزَةِ الإلكترونِيَّةِ والبرامِجِ الَّتي تحتَويها، فيَنبَغي حَذفُ هذه البَرامِجِ وعدَمُ الاغتِرارِ بالنَّفسِ، كما يَنبَغي تَجَنُّبُ الاشتِراكِ المَفتوحِ في الشَّبكَةِ العَنكبوتِيَّةِ، والاستِغناءُ عنه بالباقاتِ المَحدودَةِ.
- وَضعُ الهاتِفِ وجِهازِ الكُمبيوتر في مَكانٍ يَراهُ الغَيرُ؛ لأنَّ الإنسانَ يَضعُفُ مع الخَلوَةِ كما تقَدَّمَ.
- المُحافَظَةُ علىٰ شَعيرَةِ إنكارِ المُنكَرِ، ولو في أقَلِّ درَجاتِها الَّتي هي إنكارُه بالقَلبِ؛ لأنَّ في ذلِكَ إحياءً للقَلبِ وحَملًا له علىٰ المَعروفِ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ لُوطٍ عليه السلام:

[١] أُرسِلَ لوطٌ عليه السلام إلىٰ أهلِ: ❍ بابِلَ. ❍ سَدومَ. ❍ مِصرَ.
[٢] ما هو عَذابُ قَومِ لوطٍ؟ ❍ الصَّيحَةُ. ❍ الرِّيحُ. ❍ الحِجارَةُ مِن سِجِّيلٍ وقَلبُ القَريَةِ.
[٣] مِنَ الصِّفاتِ الَّتي ذُكِرَ بها النَّبيُّ لوطٌ عليه السلام في القرآنِ: ❍ الشُّكرُ. ❍ الحُكمُ والعِلمُ. ❍ الصَّلاحُ. ❍ الجميعُ. ❍ الجميعُ إلَّا الثَّاني.
[٥] وصَفَ لوطٌ عليه السلام قَومَه بقَولِه: قَومٌ: ❍ تَجْهَلُونَ. ❍ مُسْرِفُونَ. ❍ عَادُونَ. ❍ الجميع.
[٦] لم يُؤمِن مع لوطٍ عليه السلام إلَّا: ❍ أهلُه. ❍ أهلُه إلَّا امرأتَه. ❍ أهلُه وقليلٌ معهم.
[٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ هذه أُخُوَّةُ: ❍ إقامَةٍ. ❍ دينٍ ووَلاءٍ. ❍ الجَميع.
[٧] سبَبُ مَساءَةِ لوطٍ عليه السلام لِقُدومِ الضَّيفِ: ❍ خَوفُه عليهم مِن قَومِه. ❍ كُرهُه إكرامَ الضَّيفِ. ❍ خَوفُه مِنَ الضَّيفِ.
[٨] كانَت خِيانَةُ زَوجَةِ لوطٍ عليه السلام بـ: ❍ الدَّلالَةِ علىٰ الضَّيفِ. ❍ الرِّضا بما كانَ عليه قَومُه. ❍ الثَّالِثُ والرَّابِعُ.
[٩] انتشَرَ في هذه الأيَّامِ تسمِيَةُ فِعلِ قَومِ لوطٍ بغَيرِ اسمِه (❍ صح ❍ خطأ)، والصَّحيحُ فيه أنَّهُ (❍ شُذوذٌ ❍ فَاحشَةٌ ❍ انتِكاسٌ للفِطرَةِ ❍ الجميع).
[١٠] لم تُذَمَّ أمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ كما ذُمَّ قَومُ لوطٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] مَن رَضِيَ عمَلَ قَومٍ حُشِرَ معهم كما حُشِرَتِ امرَأةُ لوطٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٢] دُخولُ امرأةِ لوطٍ عليه السلام في العذابِ دليلٌ علىٰ أنَّ مَن لم يَفعَلِ الفاحِشَةَ لكن رَضِيَها فإنَّه (❍ يُلحَقُ ❍ لا يُلحَقُ) بالفاعِلينَ، و(❍ لا يُقالُ ❍ يُقالُ): كُلُّ إنسانٍ حُرٌّ فيما يفعَلُه، فإنكارُ المُنكَرِ (❍ واجِبٌ ❍ مُستحَبٌّ ❍ جائِزٌ)، وأقلُّ درَجاتِه بـ(❍ اليدِ ❍ اللِّسانِ ❍ القَلبِ).

[١٣] المُؤتَفِكاتُ هي (❍ قُرىٰ قَومِ لوطٍ ❍ ما جُعِلَ عاليه سافِلَه ❍ الجميع)، وسُمِّيَت بذلِكَ (❍ لانقلابِها ❍ لأنَّهم ما سبَقَهم بها أحَدٌ ❍ الجميع).

[١٤] علىٰ قَومِ لوطٍ ﷺ: ❍ وِزرُهم. ❍ وِزرُ مَن عمِلَ عملَهم إلىٰ يَومِ القِيامَةِ. ❍ الجميع.

[١٥] مَعصِيَةُ قَومِ لوطٍ: ❍ الفاحِشَةُ. ❍ قَطعُ الطَّريقِ. ❍ إتيانُ المُنكَرِ مِن القَولِ والفِعلِ في ناديهم. ❍ الجَميع.

[١٦] لم تكُنْ لقَومِ لوطٍ ﷺ: ❍ مُروءَةٌ. ❍ أنَفَةٌ. ❍ الجَميع.

[١٧] ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ أي: تجاوَزتُم ما أحَلَّ اللهُ لكم إلىٰ ما وراءَه مِن الحَرام: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] ﴿قَوۡمٌ مُّسۡرِفُونَ﴾ أي: هذا العَمَلُ الدَّنيءُ القَبيحُ هو في نَفسِه إسرافٌ، ومُجاوَزَةٌ للحَدِّ الَّذي حدَّه اللهُ لعِبادِه، ولو وقَعَ مِن صاحِبِه مرَّةً واحِدَةً في دَهرِه كلِّه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] اللِّواطِيَّةُ عكَسُوا فِطرَةَ اللهِ الَّتي فطَرَ عَلَيْهَا الرِّجالَ، وقلَبوا الطَّبيعَةَ الَّتي ركَّبَها اللهُ في الذُّكورِ وهي شَهوَةُ النِّساءِ دون الذُّكورِ، فقلَبوا الأَمْرَ، وعكَسوا الفِطرَةَ والطَّبيعَةَ، فأتَوا الرِّجالَ شهوَةً مِن دونِ النِّساءِ، ولهَذا قلَبَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِمْ دِيارَهم فجعَلَ عالِيَها سافِلَها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٠] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

الطَّهارَةُ تُهمَةٌ ومَسبَّةٌ عندَ أهلِ الأهواءِ:	﴿ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.
يُشرَعُ بُغضُ أهلِ الشَّهواتِ والشُّبهاتِ:	﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾.
النَّبيُّ بمَنزِلَةِ الأبِ لأُمَّتِه:	﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.
كانَ لوطٌ ﷺ يأوي إلىٰ اللهِ ﷻ:	﴿فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾.
لم يكُن مِن قَومِ لوطٍ مَن يَقبَلُ أمرَه:	﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾.
آمَنَ لوطٌ مع إبراهيمَ ﷺ:	﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ﴾.
فيه الامتِلاءُ بالرُّجولَةِ:	﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾.
كانَت امرَأَةُ لوطٍ تدُلُّ علىٰ الضَّيفِ:	﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾.
يَجِبُ تَطهيرُ المَجالسِ مِن المُنكراتِ:	﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَقَبُهُ:	خَطيبُ الأنبياءِ.
زَمانُهُ:	قيلَ: إنَّه أدرَكَ إبراهيمَ، وآمَنَ معه، ودخَلَ معه دِمَشْقَ.
قَوْمُهُ:	أُرسِلَ إلىٰ مَديَنَ، وهي بأطرافِ الشَّام ممَّا يلي الحِجازَ، وأهلُها هم أصحابُ الأيكَةِ، وهي شجرَةٌ.
ممَّا وُصِفوا به:	[١] ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ في مَعيشَتِكُم ورزقِكُم. [٢] ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾. [٣] ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾.
ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] الأمانَةُ، ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨﴾[الشُّعراء]. [٢] الإصلاحُ، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾[هود:٨٨]. [٣] الإنابَةُ، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[الأنعام:٨٤]. [٤] التَّوكُّل، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾[الأعراف:٨٩]. [٥] النُّصحُ، ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾[الأعراف:٩٣].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ١١ مرَّةً.
ممَّا اختصَّ به:	هو أحَدُ خمسَةِ أنبياءَ عرَبٍ، وهم: هودٌ، وصالِحٌ، وشُعَيبٌ، وإسماعيلُ، ومحمَّدٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
هَلاكُ قَومِهِ:	كانَ عذابُهُم بالصَّيحَةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾[هود].

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ شُعَيْبٍ عليه السلام مُختصَرةً:

قَومُه:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[الأعراف:٨٥]، ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[الحجر]، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[الشُّعراء].

أرسَلَ اللَّهُ شُعَيبًا عليه السلام إلىٰ أهلِ مَدينَ، وهي قَريَةٌ بأَطرافِ الشَّامِ قَريبَةٌ مِن مَوضِعِ قَومِ لوطٍ عليه السلام، وكانَ أهلُها مِن العرَبِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[الأعراف:٨٥]، ولم يكُن عليه السلام مِن نَسلِهم، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[الشُّعراء]، ولم يقُل: (أخوهُم) كما في قَصَصِ باقي الأنبياءِ، وذكَرَ غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ: إنَّ أهلَ مَدينَ هم أصحابُ الأيكَةِ المَذكورونَ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾[الحجر]، والأيكَةُ هي الشَّجَرَةُ المُلتَفَّةُ.

وكانَ أهلُ مَدينَ علىٰ الشِّركِ، وكانوا يَقطَعونَ الطَّريقَ، ويُفسِدونَ في الأرضِ، وعُرِفوا بالتَّطفيفِ وبَخسِ المِكيالِ والميزانِ، فبعَثَ اللَّهُ إليهم شُعَيبًا عليه السلام يَدعوهُم، واختُلِفَ في نَسَبِهِ اختِلافًا كثيرًا، وقد جاءَ في «المُستَدرَكِ» عن مُحمَّدِ بنِ إسحاقَ رحمه الله: (شُعَيْبُ بنُ مِيكَائِيلَ)، قالَ: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذا ذكَرَهُ قالَ: «**ذاكَ خَطِيبُ الأَنْبِيَاءِ؛ لِمُرَاجَعَتِهِ قَوْمَهُ**»، وضبطَهُ بعضُهُم: شُعَيبُ بنُ مَلْكَايِنْ بنِ يَشجُنَ، وقيلَ: إنَّه كانَ قد آمَنَ بإبراهيمَ عليه السلام يومَ أُلقِيَ في النَّارِ وهاجَرَ معه، واللَّهُ أعلَمُ.

دَعوَتُه لِقَومِه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ

بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأعراف]، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾﴾[هود]، ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾[هود]، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾[هود].

لمَّا أرسَلَ اللَّهُ تَعالىٰ شُعَيبًا إلىٰ أهلِ مَدينَ دعاهُم إلىٰ توحيدِ اللَّهِ، و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾، وهذه هي دعوةُ المُرسَلين، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ وقامَتِ الحُجَجُ والبَراهينُ علىٰ صِدقِ ما جِئتُكُم به، ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ واترُكوا ما أنتُم عليه مِنَ التَّطفيفِ، ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ فتأكُلوا أموالَهُم بغَيرِ حقٍّ، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالشِّركِ والمَعاصي ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾، فقد أصلَحَ اللَّهُ الأرضَ وأعَدَّها لأهلِ الطَّاعةِ، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ أي: تقطعونَ الطَّريقَ وتتوعَّدونَ النَّاسَ بالقَتلِ إن لم يُعطوكُم أموالَهُم، ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المُستقيمِ ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا﴾ أي: تبغونَ أن تكونَ سَبيلُ اللَّهِ تعالىٰ ﴿عِوَجٗاۚ﴾ مائلَةً.

وكانَ ممَّا قالَ لهُم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ في العَدَدِ مُستَضعَفينَ في الأرضِ ﴿فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ وجعَلَكُم أعِزَّةً فيها، ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأعراف] الَّذينَ أصابَهُم العَذابُ الشَّديدُ، ﴿ وَإِن كَانَ

﴿طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ فاختلفتُم فيما جِئتُكُم به، ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكُم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأعراف]، وقالَ لهُم: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ في مَعيشَتِكُم ورزِقِكُم، ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾[هود] في الدَّارِ الآخرَةِ.

وممَّا قالَ لهم كذلِكَ: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ أي: بَصيرَةٍ ﴿مِّن رَّبِّى﴾ فيما أدعو إليهِ ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، يَحتمِلُ أن يُريدَ: النُّبُوَّةَ، أو الرِّزقَ الحَلالَ، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكِبَهُ بعد أن نَهيتُكُم عنه، ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ فيما آمُرُكُم به أو أنهاكُم عنه ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جَميعِ أُموري، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ أي: أرجِعُ، ثمَّ حذَّرهُم مِثلَ عذابِ مَن قبلَهُم فقالَ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ﴾ أي: عَداوَتي وبُغضي علىٰ ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ مِن العَذابِ في الدُّنيا، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ زَمنًا ولا مَكانًا، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ ممَّا أنتُم عليه مِن الشِّركِ والمَعاصي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ مُستقبلًا ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[هود] يُحِبُّ مَن تابَ إليه وأنابَ.

وقالَ لهُم كذلِكَ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ اللَّهَ الَّذي خلَقَكُم ورزَقَكُم؟! ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾ فيما أدعوكُم إليه مِن تَركِ الشِّركِ والمَعاصي، ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشُّعراء]، وقالَ لهُم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾[الشُّعراء] أي: وآباءَكُم الأوَّلينَ.

جَوابُ قومِه:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾[الأعراف:٨٨]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[الأعراف]، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ

أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾[هود]، ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾[هود]، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الشُّعراء].

لمَّا دعا شُعَيبٌ قومَهُ إلىٰ التَّوحيدِ وتَركِ ما هُم عليه مِن الضَّلالِ أَبَوْا واستكبَروا، و﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: زُعماؤُهُم وأكابرُهُم ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ قريةِ مَدينَ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف:٨٨] ولم يكُن شُعَيبٌ يومًا علىٰ مِلَّتِهم، ولمَّا كانُوا قد جُبِلوا علىٰ مُخالَفَةِ الحَقِّ قالوا لقَومِهِم: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ فيما يَدعوكُم إليه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[الأعراف]، وهذا مِنهُم صَدٌّ عن سَبيلِ اللَّهِ وإرجافٌ للمُؤمِنينَ، ولذلِكَ كانَ عِقابُهُم الرَّجفةَ كما سيأتي، و﴿قَالُواْ﴾ كذلِكَ علىٰ سَبيلِ التَّهكُّمِ والسُّخرِيَةِ: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ أي: قِراءَتُكَ ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِنَ الأوثانِ والأصنامِ، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ فنترُكَ التَّطفيفَ ونُخرِجَ الزَّكاةَ؟! ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود]، وما كانَ استِهزاؤُهُم هذا لِيَضُرَّ شُعَيبًا ولا المُؤمِنينَ معه.

وقالَ الظَّالِمونَ كذلِكَ: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ ونفهَمُ ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ في دَعوَتِكَ لنا، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ أي: ضَريرَ البصَرِ، أو ذليلًا، أو قليلَ الأَتباعِ، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ أي: قومُكَ ﴿لَرَجَمْنَٰكَۖ﴾ إمَّا رَميًا بالحِجارَةِ، وإمَّا بالسَّبِّ والشَّتمِ، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ فلا مَعَزَّةَ لك عِندَنا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جَلَّ وعَلا؟! ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ اتَّخذتُم جَنابَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ﴾ لا تُطيعونَهُ ولا تُعظِّمونَهُ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾[هود] يَعلَمُ جميعَ أعمالِكُم ويَجزيكُم عليها.

واتَّهموا شُعَيبًا عليه السلام كما هي سُنَّةُ الظَّالِمينَ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ فقالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾ أي: المَسحورينَ، ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ وكَيفَ نُطيعُ بشَرًا مِثلَنا؟! ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾ الَّذينَ يتعَمَّدونَ الكَذِبَ على اللَّهِ، وقالوا بجَهلِهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا﴾ أي: قِطَعًا أو عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ [الشُّعراء] يَعلَمُ إن كُنتُم تستَحِقُّون ما تسألونَه مِن العَذابِ، وهو غيرُ ظالِمٍ لكُم.

فلمَّا يَئِسَ مِنهُم قالَ مُهَدِّدًا لهُم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ وطَريقَتِكُم ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على طَريقَتي، ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ مِنِّي ومِنكُم، ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ أي: انتَظِروا ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ [هود] أي: مُنتَظِرٌ، وقالَ شُعَيبٌ ومَن معه مِن المُؤمِنينَ: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ واعتمَدنا، ودَعَوْا: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف] أي: احكُم بينَنا وبينَ قَومِنا وانصُرنا عليهِم.

حُضُورُ الْعَذَابِ:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾ [هود]، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾ [الشُّعراء].

لمَّا أصَرَّ أهلُ مَديَنَ على كُفرِهم وطُغيانِهم واستَعجَلوا عَذابَ اللَّهِ تَعالى أجابَهُم اللَّهُ إلى ذلِكَ، وأنزَلَ بهم العذابَ الشَّديدَ، ووصَفَ اللَّهُ عذابَهُم بالصَّيحَةِ، والرَّجفَةِ، وعذابِ يَومِ الظُّلَّةِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ مِن السَّماءِ، والصَّيحةُ هي: الهَلاكُ، يُقالُ: صيحَ بهم إذا أُهلِكوا، ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ صَرعَىٰ لا أرواحَ لهُم، ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ أي: كأنَّهُم ما عاشُوا في تِلكَ الدِّيارِ، ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾[هود]؛ لأنَّهم كانوا عربًا مِثلَهُم، وشابَهوهُم في الكُفرِ، وكانوا قَريبينَ مِنهُم مَكانًا، وقالَ تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾[الأعراف:٩١] أي: رجَفَت بهِم الأرضُ، وقالَ تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ أي: أظَلَّتهُم سَحابَةٌ فيها شرٌّ مِنْ نَارٍ ولَهَبٍ ووَهجٍ عَظِيمٍ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشُّعراء] فاضَت فيه نُفوسُهُم، وزَهَقَت أرواحُهم، وأصبَحوا جُثَثًا خامِدَةً.

فلمَّا رأىٰ شُعَيبٌ ما نزَلَ بهِم مِن العَذابِ تَولَّىٰ عنهُم وقالَ مُوَبِّخًا ومُقَرِّعًا لهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ الَّتي أُرسِلتُ بها إليكُم، ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ مُخلِصًا النَّصيحَةَ، ﴿فَكَيۡفَ﴾ استِفهامُ إنكارٍ ﴿ءَاسَىٰ﴾ أي: آسَفُ ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾[الأعراف]، لا آسَفُ عليكُم وقد كفَرتُم بما جِئتُكُم به.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ شُعَيبٍ عليه السلام:

○ تقَدَّمَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمَّىٰ شُعَيبًا عليه السلام خَطيبَ الأنبياءِ، وذلِكَ لفَصاحَتِهِ وحُسنِ بَيانِهِ، ومع ذلِكَ قالَ له قَومُه: ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود:٩١]، وهذا هو حالُ أهلِ الأهواءِ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، يَجعَلُ اللَّهُ في آذانِهم وَقرًا، ويَجعَلُ بينَهُم وبينَ الحَقِّ ومَن جاءَ به حِجابًا، ولهذا قالَ بَعضُ المُفَسِّرينَ: إنَّما قالوا ذلِكَ إعراضًا عن سَماعِهِ واحتِقارًا لكَلامِهِ، وقالَ بَعضُهم: لأنَّهُم كانوا لا يُلقونَ إليه أفهامَهُم لشِدَّةِ نُفورِهم مِن كَلامِه.

○ قالَ تعالىٰ في سورةِ الأعرافِ: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾، وقالَ في سورة الشُّعَراءِ: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، ولم يقُل: (أخوهُم) كما في بَقِيَّةِ الأنبياءِ، ومُناسَبةُ ذلِكَ أنَّه عز وجل لمَّا نسَبَ

القَـومَ إلـىٰ مَدينَةِ مَديـنَ ذكَرَ الأُخُـوَّةُ؛ لأنَّ شُـعيبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن لـم يكُـن مِـن صُلبِهِم فهُـو قـد سـاكَنَهُم فصارَ أخًـا لهُـم بالمُجـاوَرةِ، ولمَّا نسَـبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ القَـومَ إلىٰ مـا كانـوا عليـه مِـن الكُفـرِ وعِبـادَةِ الأيكَـةِ لـم يُناسِـب أن يَذكُـرَ الأُخُـوَّةَ؛ لأنَّ المَقـامَ مَقـامُ عَداوَةٍ فـي الدِّينِ.

❍ ذكَـرَ اللَّـهُ تَعالـىٰ مِـن مَعاصـي قَـوم شُـعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مـا عُرِفـوا بـه حتَّـىٰ صارَ سِـمَةً لهـم وهـو التَّطفيـفُ والغِشُّ فـي الميـزانِ، ولهذا قـالَ لهم شُـعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[هـود:٨٥]، ويُستَفادُ مِـن هذا أنَّ الشِّـركَ يُفضـي إلـىٰ فسـادِ الأخـلاقِ والأعمـالِ، وأنَّ الإيمـانَ يُفضـي إلـىٰ حُسـنِ الأخـلاقِ والأعمـالِ لمـا فيـه مِـن مُراقَبَـةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

❍ يتبَيَّـنُ مِـن شـدَّةِ إنـكارِ شُـعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ علـىٰ قَومِـه تَطفيفَهـم وغِشَّـهم فـي الميـزانِ أنَّ ذلِـكَ مِن كَبائِـرِ الذُّنوبِ، وهو كذلِكَ في شَـرعِنا، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾[المطففيـن]، ويَدخُـلُ فـي هـذا أنـواعُ الغِـشِّ الَّتـي اسـتَحدَثَها النَّاسُ في هـذا الزَّمـانِ، ومـا أكثَرَهـا عنـد التُّجَّارِ! قـالَ النَّبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عنـد التِّرمِـذيِّ وابنِ ماجَـهْ: «**إِنَّ التُّجَّـارَ يُبْعَثُـونَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فُجَّارًا إِلَّا مَـنِ اتَّقَـىٰ اللَّهَ وَبَـرَّ وَصَدَقَ**»، فليَحـذَرِ التُّجَّـارُ هـذا الوَعيـدَ الشَّـديدَ، وليَتَّقـوا اللَّـهَ فـي تِجارَتِهم فـلا يُدخِلوا بُطونَهـم وبُطـونَ مَـن يَعولـون إلَّا حـلالًا طَيِّبًا.

❍ ذكَـرَ شُـعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِـن خَطايـا قَومِـه ما هـو أعَـمُّ مِـن التَّطفيفِ وهـو بَخسُ النَّـاسِ أشـياءَهم الَّتـي يسـتَحِقُّونَها، فقـالَ: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الأعـراف:٨٥]، والبَخـسُ هـو النَّقـصُ عن الحَـقِّ الواجِـبِ بالتَّعييـبِ والتَّزهيدِ أو المُخادَعَـةِ عـن القيمَـةِ أو الاحتِيـالِ، ويَدخُـلُ فـي ذلِـكَ مثَـلًا بَخـسُ الرَّجُلِ حقَّـه مِـن حُسـنِ المُعامَلَـةِ والتَّوقيـرِ، فيَجِـبُ علىٰ مَن سُـئِلَ عـن رَجُـلٍ أن يُبيِّنَ فضلَـه علـىٰ مـا هـو عليـه، وأن لا يَزدَرِيَه.

❍ قـالَ شُـعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقَومِـه: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ [هـود:٨٦]، قـالَ ابـنُ عبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**الَّـذِي يُبْقِـي اللَّـهُ لَكُـمْ مِـنْ أَمْوَالِكُـمْ بَعْدَ تَوْفِيَتِكُـمُ الْكَيْـلَ وَالْـوَزْنَ خَيْـرٌ لَكُـمْ مِمَّـا تَسْـتَكْثِرُونَ أَنْتُـمْ بِـهِ عَلَىٰ غَيْـرِ وَجْهِهِ**»،

وهـذا مَعنًـىٰ مُهِـمٌّ للغايـةِ، ينبَغـي لـكُلِّ مُسـلِم أن يستَحضِرَه فـي مُعامَلاتِـه.

❍ قـالَ قَـومُ شُـعيب ﵇ مُستَهزِئينَ: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾[هـود:٨٧]؟! قـالَ سُـفيانُ الثَّـورِيُّ ﵀: (إِي وَاللَّـهِ؛ تَأْمُـرُهُ وَتَنْهَاهُ)، وذلِكَ لأنَّ اللَّـهَ تَعالىٰ يَقولُ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[العنكبوت:٤٥].

❍ قالَ شُـعَيبٌ ﵇ لقَومِـه: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأعـراف]، الخِطـابُ بالصَّبـرِ يشـمَلُ:

- **الطَّائِفَـةَ المُؤمِنَـةَ**: وفيه تَسلِيَةٌ لها وتَبشيرٌ بالنَّصرِ مِن اللَّـهِ والتَّمكينِ في الأرضِ بعدَ الاستِضعافِ.
- **الطَّائِفَـةَ الكافِـرَةَ**: وفيـه تَهديدٌ لهـا بالعِقابِ الَّذي سـيَنزِلُ عليهـا مِن اللَّهِ إن اسـتَمَرَّت في كُفرِهـا وطُغيانِها.

❍ قَـولُ الكُفَّارِ مِن قَومِ شُـعَيبٍ ﵇: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾[هـود:٩١] يُنظَرُ إليه مِـن وَجهَينِ:

- **الأوَّلُ**: أنَّ أولـي الرَّحِـم وإن كانوا مِـن أهل الضَّلالِ والزَّيـغ قد يَكونونَ سـبَبًا لدَفـعِ الشُّـرورِ عـن المُسلِمِ، وهذه مِـن الحِكَـمِ الَّتي شُـرِعَت لأجلِها صِلَـةُ الرَّحِـمِ.
- **الثَّانـي**: أنَّ تَقديـمَ الجاهِ والعَشـيرَةِ والسُّـلطانِ علىٰ حُكـمِ اللَّهِ ﷿ مِن السَّـفاهَةِ، ولهذا كانَ رَدُّ شُـعيبٍ ﵇ عليهـم: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾[هود:٩٢]؟!

❍ تقـدَّم أنَّ اللَّـهَ تَعالـىٰ وصَـفَ عـذابَ قَـومِ شُـعَيبٍ ﵇ بالصَّيحَـةِ والرَّجفَةِ ويَـوم الظُّلَّةِ:

- فقـالَ فـي سـورَةِ الأعـرافِ: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ﴾ أي: رجَفَـت بهِـم الأرضُ، ومُناسَـبَةُ ذلِـكَ أنَّـه ﷿ ذكَـرَ قبلَهـا إرجافَهُـم وتَوَعُّدَهُم لشُـعَيب ﵇ والمُؤمِنِيـنَ معـه بالإخـراجِ، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾

[الأعراف:٨٨]، فقُوبِلَ الإرجافُ بالرَّجفَةِ.

- وأمَّا في سورة هودٍ فقد ذكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ تهكُّمَهم واستِهزاءَهم بشُعَيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقولَهم: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾[هود]، ثمَّ قالَ بعدَها: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، فقابَلَ استِهزاءَهم بذِكرِ الصَّيحَةِ الَّتي أسكَتَتهُم مع الرَّجفَةِ الَّتي أسكنَتهم، فأصبَحوا جاثِمينَ.
- وأمَّا في سورَةِ الشُّعراءِ فذكَرَ قولَهم لشُعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشُّعراء]، فأجابَهم اللَّهُ تعالى ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾[الشُّعراء].

ويتبَيَّنَ مِن هذا أنَّ الجَزاءَ مِن جِنسِ العمَلِ، وهي قاعِدَةٌ مُطَّرِدَةٌ في الشَّرعِ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] خَطيبُ الأنبياءِ هو (❍ إبراهيمُ ❍ شُعيبٌ ❍ نوحٌ)، سُمِّيَ بذلِكَ (❍ لفَصاحَتِه ❍ لبَلاغَتِه ❍ كلاهما).

[٢] أصحابُ الأيكَةِ هم قومُ: ❍ يوسُفَ. ❍ لوطٍ. ❍ شُعَيبٍ.

[٣] نبيٌّ ذُكِرَ في القُرآنِ، أمَرَ قومَهُ بتوحيدِ الله، وإيفاءِ الكَيلِ، ونَهاهُم عن بَخسِ النَّاسِ أشياءَهُم، والإفسادِ في الأرضِ: ❍ إبراهيمُ. ❍ لوطٌ. ❍ شُعيبٌ.

[٤] كانَ عَذابُ قومِ شُعَيبٍ بـ: ❍ الرَّجفَةُ والصَّيحَةُ. ❍ الطُّوفانُ. ❍ الحِجارَةُ مِن سِجِّيلٍ.

[٥] قَومُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم أهل (❍ مَدينَ ❍ عادٍ ❍ الأحقافِ)، وأهلُها هم أصحابُ (❍ الأيكة ❍ السَّدِّ).

[٦] كانَ قَومُ شُعَيبٍ: ❍ كُفَّارًا. ❍ يقطَعونَ الطَّريقَ. ❍ يَبخَسونَ المِكيالَ والميزانَ ويُطَفِّفُونَ. ❍ الجَميعُ.

[٧] ممَّا وُصِفَ به شُعَيبٌ ﷺ: ❍ الأمانَةُ. ❍ الإصلاحُ. ❍ الإنابَةُ. ❍ التَّوكُّلُ. ❍ النُّصحُ. ❍ الجميعُ.

[٨] شُعَيبٌ مِن الأنبياءِ الخَمسةِ العَرَبِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] هَلاكُ قَومِ شُعَيبٍ كانَ بالصَّيحَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] الشرك يَفضي إلىٰ فساد الأخلاق والأعمال كما في أصحاب الأيكة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] مِن أهَمِّ العِبَرِ الَّتي لابُدَّ من الإفادَةِ مِنها في سِيَرِ الأنبياءِ: ❍ الدَّعوَةُ للتَّوحيدِ. ❍ مُواجَهةُ الفَسادِ بالحِكمَةِ. ❍ الإصلاحُ. ❍ الجَميع.

[١٢] مِن أخلاقِ قَومِ شُعَيبٍ ﷺ: ❍ الكُفرُ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ. ❍ بَخسُ المِكيالِ. ❍ الفَسادُ. ❍ التَّطفيفُ. ❍ الجَميع.

[١٣] فسادُ قَومِ شُعيبٍ ﷺ كان في التِّجارَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] البيِّنَةُ المَذكورَةُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]: (❍ لم يذكُرها ❍ ذكَرها) القرآنُ.

[١٥] نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ﷺ هو خَطيبُ الأنبياءِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٦] اختَر مِن القائمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائمَةِ اليُسرىٰ:

إخوَةٌ بالمُجاوَرَةِ:	﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.
لم يَذكُرِ الأُخُوَّةَ للبَراءَةِ مِن مَعبودِهم:	﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾.
قليلُ حلالٍ أعظَمُ مِن كثيرٍ حرام:	﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.
الصَّلاةُ تَنهىٰ عن الفَحشاءِ والمُنكَرِ:	﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.
العَمَلُ بالعِلمِ:	﴿أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾.
تَعظيمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:	﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ﴾.
لأنَّهم مِعوَلُ هَدمٍ:	﴿قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾.

نَبِيَّا اللهِ يَعْقُوبُ وَيُوسُفُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	أَبَوَاهُ:	أبـوهُ إسـحاقُ بـنُ إبراهيـمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأمُّـه رِفقا، وقـد بُشِّـرَ بـه إبراهيـمُ وسـارَّةُ مع إسـحاقَ، ووُلِـدَ في حَياتِهِمـا.
	لقَبُه:	إسرائيلُ - فهو أبو بَني إسرائيلَ.
	أولادُه:	له اثنَا عشَرَ ولَدًا، أفضَلُهُم يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	ممَّا وَصَفَه اللهُ بِهِ:	[١] التَّوكُّلُ، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[يوسف:٦٧]. [٢] العِلمُ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾[يوسف:٦٨]. [٣] مِن ذُرِّيَّتِهِ الأنبياءُ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾[مريم:٥٨]. [٤] النُّصـحُ لبَنيـهِ عنـدَ المَـوتِ، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[البقـرة:١٣٣]. [٥] تأويلُ الرُّؤيا؛ كما في قصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. [٦] ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[يوسف:٦]. [٧] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[يوسف].
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِـرَ يَعقـوبُ باسـمِهِ في القـرآنِ ١٦ مـرَّةً، وذُكِـرَ مـرَّةً واحـدةً بلقبِـهِ: إسـرائيلَ، ونُسِـبَ بنـو إسـرائيلَ إليـه ٤٠ مـرَّةً.
	آياتُه:	[١] ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف:٩٤]. [٢] ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[يوسف:٩٦].
	مَوتُه:	استَقدَمَهُ يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مِصرَ فسَـكَنَها، ولمَّا مـاتَ حَمَلَهُ يوسُـفُ عمـلًا بِوَصِيَّتِه فدَفَنَهُ في بَيـتِ المَقدِسِ.

يوسف عليه السلام	أبَواه:	أبوه يَعقوبُ عليه السلام، وأُمُّه راحيلُ بنتُ خالِ يَعقوبَ.
	لقَبُهُ:	[١] الكَريمُ بنُ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ. [٢] الصِّدِّيق، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[يوسف:٤٦].
	قومُهُ:	بُعِثَ إلى أهلِ مِصرَ الأقباطِ، فقد قالَ مُؤمِنُ آلِ فِرعَونَ لقومِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[غافر:٣٤].
	ممَّا وَصَفَهُ اللّٰه بهِ:	[١-٤] ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. [٥-٧] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾. [٨] مُخلَصٌ، ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾. [٩] ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[يوسف]، «أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ». مسلمٌ. [١٠] مُستجابُ الدَّعوةِ، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾. [١١] الصِّدق، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾. [١٢] الحِفظُ، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾. [١٣] الكَيدُ، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾. [١٤] المُلكُ، ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾.
	ذِكرُهُ في القرآنِ:	ذُكِرَ في القرآنِ ٢٧ مرَّةً، وأُنزِلَت سورةٌ باسمِهِ جاءَت فيها قصَّتُهُ مُطوَّلَةً، سمَّاها اللهُ ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف:٣].
	آياتُهُ:	[١] تَصديقُ الصَّبيِّ أو الرَّجُلِ لهُ في قصَّةِ مُراوَدَةِ امرأَةِ العَزيزِ لهُ عن نَفسِهِ. [٢] أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، أي: الجَمالِ.
	مَوْتُهُ:	دُفِنَ في مِصرَ، ثمَّ لمَّا خرجَ موسَى ببني إسرائيلَ مِن مِصرَ حمَلَهُ في التَّابوتِ عملًا بِوصيَّتِهِ.

قصَّةُ نَبِيَّي اللهِ يَعقُوبَ ويُوسُفَ عليهما السلام مُختصَرةً:

البِشَارَةُ بيَعْقُوبَ عليه السلام وَمَوْلِدُه:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾[هود]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾[الأنبياء:٧٢].

تقَدَّمَ في قِصَّةِ خَليلِ الرَّحمن إبراهيمَ عليه السلام أنَّه لمَّا بلَغَ مِن العُمُرِ مائةَ سَنَةٍ، وبلَغَت سارَّةُ زَوجَتُهُ تِسعينَ سنَةً جاءَتهُ المَلائِكَةُ يُبلِغونَه نُزولَ العَذابِ بقَومِ لوطٍ عليه السلام، وتُبَشِّرُهُ بإسحاقَ عليه السلام، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ فسمِعَتِ ما دارَ بينَ إبراهيمَ عليه السلام والمَلائِكَةِ ﴿فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾، فيَعقوبُ هو ولَدُ إسحاقَ عليهما السلام، واسمُ أمِّه رِفقا، وفي هذه البِشارَةِ دَلالَةٌ علىٰ أنَّ يَعقوبَ وُلِدَ في حَياةِ إبراهيمَ عليه السلام وسارَّةَ لتقَرَّ أعيُنُهُما أكثَرَ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾[الأنبياء:٧٢] أي زِيادَةً علىٰ ما طلَبَ، وكانَ إبراهيمُ قد دعا أن يُرزَقَ ولَدًا، وقد أُوتِيَ إسحاقُ عليه السلام ولَدَين توأمَين: العيصَ، وهو أبو الرُّوم، ويَعقوبُ عليه السلام وهو إسرائيلُ الَّذي يُنسَبُ إليه بَنو إسرائيلَ، وقيلَ: إنَّه سُمِّيَ يَعقوبَ لأنَّه خرَجَ مِن بَطنِ أُمِّه بعدَ العيصِ وكان آخِذًا بعَقِبِه.

كِبَرُ يَعقوبَ وبِناؤُهُ بَيتَ المَقدِسِ ومَوتُ إسحاقَ عليهما السلام:

ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّه لمَّا شبَّ يَعقوبُ عليه السلام خرَجَ إلىٰ حرَّانَ فأقامَ بها عشرين سنَةً، فتزوَّجَ فيها ووُلِدَ له ولَدٌ كثيرٌ، مِنهُم أحَدَ عشَرَ ابنًا فيهِمُ الصِّدِّيقُ يوسُفُ عليه السلام، وأُمُّه راحيلُ بنتُ خالِ يَعقوبَ عليه السلام، ثمَّ أوحىٰ اللَّهُ إليه أن يَرجِعَ إلىٰ بلادِ أبيهِ، وبَنىٰ عندَ رُجوعِه بيتَ المَقدِسِ البِناءَ الأوَّلَ الَّذي كان بعدَ بِناءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام الكَعبَةَ بأربَعينَ سنَةً، وقد جاءَ في «الصَّحيحين» أنَّ أبَا ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:

«**الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ**»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**»، ثمَّ ولَدَت له بعد ذلِكَ راحيلُ ابنَها الثَّاني بِنيامينَ، وماتَت في طَلقِها.

ثمَّ أقامَ يَعقوبُ عليه السلام مع أخيه العيصِ وأبيه إسحاقَ عليه السلام بقَريَةِ حَبرونَ الَّتي كانَ قد أقامَ بها النَّبيُّ إبراهيمُ عليه السلام، فلمَّا ماتَ إسحاقُ دفنه ابناه في المَغارَةِ الَّتي اشتَراها إسحاقُ ودفَنَ بها إبراهيمَ عليه السلام.

رُؤْيَا يُوسُفَ عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

تقَدَّم أنَّ يَعقوبَ عليه السلام أُوتِيَ اثنا عشَرَ ولَدًا ذكَرًا، وإليهم تُنسَبُ أسباطُ بَني إسرائيلَ، وقد قصَّ اللَّهُ تَعالىٰ قِصَّتَهُ مُفصَّلَةً في سورَةِ يوسُفَ، ومِن ذلِكَ أنَّه رَأىٰ رُؤيا قبلَ أن يَبلُغَ الحُلُمَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾، وقد فسَّرَها غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ بأنَّ الكَواكِبَ إخوَتُهُ وأنَّ الشَّمسَ والقَمرَ والِداهُ، والسُّجودُ بمَعنىٰ الإجلالِ والاحتِرامِ له، فلمَّا قصَّها علىٰ أَبيهِ -وكانَ عالِمًا بتَفسيرِ الرُّؤىٰ- خَشِيَ أن يُحَدِّثَ يوسُفُ إخوَتَهُ فيَحسُدوهُ، فـ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يَحتالوا لكَ حيلَةً يُؤذونَكَ بها، والَّذي قد يَحمِلُهم علىٰ ذلِكَ هو الشَّيطانُ، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾، ثمَّ بشَّرَهُ قائلًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يَختارُكَ مِن بَينِ النَّاسِ ويَجعلُكَ نَبيًّا، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فتتعلَّمُ تَعبيرَ الرُّؤىٰ، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالرِّسالَةِ ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف] يَعلَمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالَتَه.

حَسَدُ إخوَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ وإلقاؤُهُ في البئرِ:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾[يوسف]، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف]، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف].

تَحقَّقَ ما خَشِيَهُ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن حسَدِ إخوَةِ يوسُفَ له، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ أي: عِبَرٌ ومَواعِظُ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ عن ذلِكَ، ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعَةٌ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾[يوسف] في تَقديمِه يوسُفَ وبنيامينَ علينا، وحُبِّه لهُما أكثَرَ مِنَّا، وأرادوا التَّخَلُّصَ مِنه، فأشارَ بَعضُهُم بقَتلِه، وأشارَ آخَرُ بأن يُلقىٰ في بِئرٍ لعلَّ بعضَ المارَّةِ يَجِدُه فيَأخُذُه، فاستَحسَنوا رأيَ الأخيرِ وعَمِلوا به، وسَألوا أباهُم أن يُرسِلَه معهُم في الرَّعيِ وألَحُّوا في السُّؤالِ حتَّىٰ قَبِلَ ذلِكَ، فذَهَبوا به وألقَوهُ في البِئرِ، فثبَّتَه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وصبَّرَهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ وصَنيعِهِم الَّذي صَنعوا في حَقِّكَ مُستَقبلًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾[يوسف] ولا يَعلَمون مَن تكونُ وقتَئذٍ.

ثمَّ عَمَدوا إلىٰ شاةٍ فذبَحوها وجعَلوا مِن دَمِها علىٰ قَميصِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونَسُوا أن يُخَرِّقوا القَميصَ، ثمَّ انصَرفوا إلىٰ أبيهم وهُم يَبكونَ، وزَعَموا كَذِبًا أنَّ الذِّئبَ أكَلَه لمَّا ذَهَبوا يَلعَبونَ وتَرَكوه عِندَ مَتاعِهِم، فلم يُصَدِّقهُم يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا رأىٰ القَميصَ غيرَ مُخَرَّقٍ، وقالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وزَيَّنَتهُ لكُم، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: سأَصبِرُ صَبرًا لا جَزَعَ فيه ولا شَكوىٰ، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف] وتَذكُرُونَ مِن الكَذِبِ.

دُخولُه مِصرَ ونَشأَتُه بِهَا:

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ

عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف].

لمَّا أُلقِيَ يوسُفُ في البئرِ ساقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إليهِ أُناسًا مُسافِرينَ نزلوا قَريبًا مِن البئرِ، وأرسَلوا مَن يتطَلَّبُ الماءَ لهُم، فلمَّا أدلَىٰ دَلوَهُ في البئرِ تشبَّثَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدَّلوِ وخَرجَ مِن البئرِ، فاستبشَرَ الرَّجُلُ به، فأسَرَّهُ هو ومَن معه عن باقي رُفقَتِهِم لِئَلَّا يُشارِكوهُم فيه، وأَخبَروهُم أنَّهُم اشتَرَوه، وذكَرَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ إخوَةَ يوسُفَ جلَسُوا يَرقُبُونَه بعد أن ألقَوهُ في البئرِ، فلمَّا أخرَجَهُ السَّيَّارَةُ باعُوه لهُم، وكتَمَ يوسُفُ ذلِكَ مَخافَةَ أن يَقتُلَهُ إخوَتُهُ.

ثُمَّ قَدِمَ السَّيَّارَةُ بيوسُفَ إلىٰ مِصرَ، وقَيَّضَ اللَّهُ له عَزيزَ مِصرَ الَّذي علىٰ خَزائِنِها فاشتَراهُ مِن السَّيَّارَةِ، وقيلَ: إنَّ اسمَهُ قطفيرُ، وتَوسَّمَ في يوسُفَ الخَيرَ والصَّلاحَ فقال لزَوجَتِهِ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾، وامتَنَّ اللَّهُ تَعالىٰ علىٰ يوسُفَ بهذا فقالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مِصرَ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ أي: تَعبيرِ الرُّؤىٰ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ إذا أرادَ شَيئًا فلا رادَّ له، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف] حِكمَةَ اللَّهِ في خَلقِهِ.

دُخولُه السِّجنَ:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يوسف]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾[يوسف].

لمَّا بلَغَ يوسُفُ أشُدَّهُ واستكمَلَ عَقلُهُ أوتِيَ الحُكمَ والنُّبُوَّةَ، واللَّهُ أعلَمُ كم كانَ عُمُرُه حينَئِذٍ، وآتاهُ اللَّهُ جمالًا في الخِلقَةِ، وقد جاءَ في حَديث

المِعراجِ عند مُسلمٍ أنَّه ﷺ لَقِيَ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في السَّماءِ الثَّالِثَةِ، قالَ ﷺ: «إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ» أي: نِصفَهُ، فأحبَّتهُ امرَأةُ العَزيزِ الَّتي كانَ في بَيتِها حُبًّا شديدًا وفُتِنَت به، فتَجمَّلَت له -وكانت جَميلَةً- وراوَدَته عن نَفسِهِ، فامتَنَع مِن ذلِكَ وردَّها ردًّا جَميلًا، واعتَذَرَ بأنَّ العَزيزَ قد أكرَمَه ولم يكُن ليُقابلَه بالسُّوءِ، فلمَّا أصرَّت وغَلَّقَت عليه الأبوابَ أراهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيةً يَعلَمُها اللَّهُ صرَفَه بها عن امرَأةِ العَزيزِ، ففَرَّ مِنها هارِبًا وهي تَطلُبُه مِن خَلفِهِ، فأخَذَت بقَميصِهِ فتقَطَّع حتَّىٰ سقَطَ عنه، فلمَّا وَصَلا إلىٰ البابِ لَقِيَا العَزيزَ، فانقَلَبَت بمَكرِها واتَّهَمت يوسُفَ أنَّه أرادَها فامتَنَعت عنه، فتكلَّمَ يوسُفُ عندَها وأخبَرَ أنَّها هي مَن أرادَتهُ وأنَّها شَقَّت قَميصَهُ لمَّا جذَبَته، وشَهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها أنَّه إن كان القَميصُ شُقَّ مِن الخَلفِ فإنَّ يوسُفَ هو الصَّادِقُ، وأصَحُّ ما قيلَ في الشَّاهِدِ قَولُ ابنِ عبَّاسٍ عند الطَّبريِّ أنَّه كانَ رَجُلًا ذا لِحيَةٍ.

فلمَّا تَحقَّقَ العَزيزُ بَراءَةَ يوسُفَ أمَرَهُ أن يَكتُمَ ما كانَ من امرَأَتِه، وأمرَها أن تستَغفِرَ، ومع ذلِكَ فقد انتَشَرَ أمرُها بينَ النِّساءِ، فعِبنَ ذلِكَ عليها، فلمَّا بلَغَها ذلِكَ احتالَت عليهِنَّ، فدعَتهُنَّ إلىٰ مَجلِسِها، وخَبَّأَت يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقدَّمَت لهُنَّ مِن الأكلِ ما يُحتاجُ فيه إلىٰ سِكِّينٍ، ثمَّ أخرَجَتهُ عليهِنَّ فافتُتِنَّ بجَمالِهِ وقَطَّعنَ أيدِيَهُنَّ، ورَجَعت إليه فدَعَتهُ إلىٰ نَفسِها مرَّةً أُخرىٰ وهدَّدته بالسِّجنِ إن هو أبَىٰ، فعِندَها قالَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ مِن الفاحِشَةِ ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ فتكِلُني إلىٰ نَفسي ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أي: أَمِلْ إليهِنَّ ﴿وَأَكُن﴾ بسَبَبِ ذلِكَ ﴿مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾، ولم يكُنِ اللَّهُ تَعالىٰ ليَخذُلَ عبدَهُ المُخلِصَ، ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعاءِ مَن دَعاهُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ بأحوالِهِم وما يُصلِحُهُم، فلمَّا أصرَّت امرَأةُ العَزيزِ علىٰ مُراوَدَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وخَشِيَ العَزيزُ أن تُفتَضَحَ امرَأتُهُ بينَ النَّاسِ رَأىٰ أن يَسجُنَه مُدَّةً مِن الزَّمَنِ.

قِصَّةُ يُوسُفَ ﷺ مَعَ صَاحِبَيهِ فِي السِّجْنِ:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف].

لمَّا دخَلَ يوسُفُ السِّجنَ اشتُهِرَ فيه بينَ السُّجَناءِ بالصَّلاحِ وكثرَةِ العِبادَةِ والصِّدقِ، حتَّىٰ لُقِّبَ بالصِّدِّيق، ودخَلَ معه السِّجنَ فَتَيانِ شابَّانِ أُعجِبا به وأَحَبَّاه حُبًّا شديدًا، وقيلَ: كان أحَدُهما ساقِيَ المَلِكِ والآخَرُ خَبَّازَهُ، فشكَّ المَلِكُ أنَّهما يَنوِيانِ دَسَّ السُّمِّ له فحَبَسَهما، فكانَ أن رَأَىٰ كُلٌّ مِنهُما رُؤيا، فرأىٰ الأوَّلُ أنَّه يَعصِرُ عِنبًا، ورأىٰ الثَّاني أنَّه يَحمِلُ فَوقَ رَأسِهِ خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ مِنه، فعَرَضا رُؤياهُما علىٰ يوسُفَ ﷺ، فقالَ: سَوفَ أُنَبِّئُكُما بتَفسيرِ ذلِكَ قَبلَ أن يَأتِيَكُما طَعامٌ تَطعَمانِهِ اليَومَ، وقَبلَ أن يُخبِرَهُما بما يَكونُ دَعاهُما إلىٰ تَوحيدِ اللَّهِ ﷻ وإخلاصِ العِبادَةِ له، ثُمَّ أجابَهُما فقالَ: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ أي: أنَّه يَخرُجُ مِنَ السِّجنِ، ﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ وليسَ بناجٍ، ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١﴾ [يوسف]، وأبهَمَ يوسُفُ ﷺ مَنِ النَّاجي ومَنِ الهالِكُ، لكنَّه أسَرَّ لمَن ظنَّ أنَّه يَنجو -وهو الأوَّلُ- وطلَبَ مِنه إذا هو قابَلَ المَلِكَ أن يذكُرَ له أمرَ يوسُفَ ﷺ، لكنَّ الشَّيطانَ أنساهُ أن يذكُرَه فلبِثَ يوسُفُ ﷺ في السِّجنِ بِضعَ سِنينَ، والبِضعُ بينَ الثَّلاثِ والتِّسعِ، وقيلَ: لَبِثَ سَبعَ سِنينَ.

رُؤيَا المَلِكِ وَتَعبِيرُ يُوسُفَ ﷺ لَهَا وَخُرُوجُهُ مِنَ السِّجْنِ:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

بعد مُضِيِّ بِضع سِنينَ رأى المَلِكُ رُؤيا أشكَلَت عليه، وكانَت سببًا لخُروج يوسُفَ عليه السلام مِن السِّجنِ، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ مِن البَقَرِ ﴿عِجَافٌ﴾ أي: هَزيلَةٌ، ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، فعَرَضَها على الكهَنَةِ والوُزَراءِ ليَعبُروها له، قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف] أي: إن كنتُم تُحسِنون تأويلَ الرُّؤى، ولم يكُن لهُم عِلمٌ بالتَّأويل فقالوا: هي مِن تَخاليطِ الأحلام، وتذكَّرَ الَّذي نجا مِن السِّجن يوسُفَ عليه السلام، فسأَلَ المَلِكَ أن يُرسِلَه إليه، فأتاه وذكَرَ له رُؤيا المَلِكِ فعَبَرَها يوسُفُ عليه السلام له ولم يُعَنِّفه على نِسيانِهِ ماأوصاهُ به، وكان تأويلُهُ أنَّه سيأتيهِم المَطَرُ والخِصبُ سبعَ سِنينَ هنَّ البَقَراتُ السَّبعُ السِّمانُ، تُنتِجُ الأرضُ فيهنَّ، وذلِكَ هو السُّنبلات الخُضرُ، ونصَحَهم أن يَقتَصِدوا خِلالَهنَّ في الأكلِ ولا يُسرِفوا، وأن يدَّخِروا ما حصَدوه في سُنبُلِه لئَلَّا يُسرِعَ إليه الفَسادُ، ثمَّ يأتي بعد ذلِكَ سَبعُ سِنينَ شِدادٌ لا مطَرَ فيهنَّ ولا يُنبِتنَ شيئًا، وهنَّ البقراتُ السَّبعُ العِجافُ، يأكُلونَ خِلالَهُنَّ ما ادَّخَروه قَبلُ، وذلِكَ هو السُّنبُلاتُ اليابساتُ، ثمَّ يأتي بعدَ ذلِكَ كُلِّه عامٌ مُمطِرٌ يَرجِعونَ فيه إلى ما كانوا عليه قَبلُ مِن النَّتاجِ والعَصرِ.

فلمَّا بلَغَ هذا التَّأويلُ المَلِكَ أعجَبَه وعَلِمَ أنَّه حَقٌّ، فطلَبَ مِنهم أن يُحضِروه إليه، فلمَّا جاءَ رَسولُ المَلِكِ إلى يوسُفَ عليه السلام امتنَع عن الخُروج مِن السِّجنِ حتَّى تثبُتَ بَراءَتُهُ، مع طولِ مُكثِه في السِّجنِ وكَونِهِ مَظلومًا، وذلِكَ دَليلٌ على شِدَّةِ صَبرِه، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**»، وأمَرَ يوسُفُ عليه السلام الرَّسولَ أن يَرجِعَ إلى المَلِكِ ويسألَه عن النِّسوَةِ اللَّاتي قطَّعن أيدِيَهُنَّ، فجَمَعَ المَلِكُ النِّسوَةَ وسأَلَهُنَّ عن ذلِكَ، فذكَرنَ ما يَعلَمنَ مِن بَراءَةِ يوسُفَ عليه السلام وعِفَّتِهِ، واعترَفَتِ امرأَةُ العَزيزِ بذَنبِها ليَعلَمَ زَوجُها أنَّها لم تَخُنه في الحَقيقَةِ، وأنَّها راوَدَت يوسُفَ عن نَفسِه فامتَنَعَ ولم يُجِبها.

فلمَّا تيقَّنَ المَلِكُ بَراءَةَ يوسُفَ ونزاهَتَهُ قالَ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أي: أجعلْهُ مِن خاصَّتي، ﴿فَلَمَّا﴾ جاءَهُ يوسُفُ و﴿كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾﴾ أي: ذو مَكانَةٍ وأمانَةٍ، فـ﴿قَالَ﴾ يوسُفُ ﷺ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وفي هذا جَوازُ سُؤالِ المَنصِبِ لمَن علِمَ مِن نَفسِه القُدرَةَ عليه، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ خازِنٌ أَمينٌ ﴿عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾ ذو عِلمٍ وبَصيرَةٍ، وامتَنَّ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ يوسُفَ فقالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مِصرَ ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ أي: يَسكُنُ فيها حيثُ شاءَ بعد ما أصابَه مِنَ الضِّيقِ، ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[يوسف].

دُخُولُ إِخْوَةِ يُوسُفَ ﷺ عَلَيْهِ وَمَا جَرَى بَيْنَهُمْ:

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يوسف]، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾[يوسف]، ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾﴾[يوسف]، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾[يوسف].

بعدَ مُضِيِّ السِّنينِ السَّبعَةِ الأولىٰ جاءَتْ سِنونُ الشِّدَّةِ والضِّيقِ، فعمَّت بلادَ مِصرَ وما جاوَرها، ووصَلَت إلىٰ بِلادِ الشَّام حيثُ النَّبيُّ يَعقوبُ ﷺ وبَنوهُ، وصارَ يوسُفُ ﷺ يَبيعُ الطَّعامَ علىٰ مَن يَرِدُ إليهِ مِن خارجِ مِصرَ بثَمَنِهِ لا يَزيدُ عليه، لكنَّه كانَ لا يُعطي الرَّجُلَ إلَّا حِملَ بَعيرٍ في كُلِّ سنَةٍ، فبلَغَ ذلِكَ إخوَةَ يوسُفَ، فخَرَجَ عشرَةٌ مِنهُم ببِضاعَتِهم يَرجونَ المِيرَةَ مِن يوسُفَ ﷺ، وحبَسَ يَعقوبُ ﷺ بنيامينَ عندَه لِخَوفِهِ عليه، ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يوسف]، أي: لم يَعرفوهُ

لِطـولِ الأمَـدِ وتغَيُّـرِ المَلامِـحِ، ولـم يَكونُـوا يتَوَقَّعـونَ أن يَفعَـلَ اللَّـهُ بـه ما فعَـلَ! فجهَّـزَ يوسُـفُ عليه السلام لهُـم جَهازَهُـم، وسـأَلَهم إن كانَ لهُم إخـوَةٌ فذَكَروا بنيامينَ، فقـالَ: إن لـم تقدَمـوا بـه معَكُـم فـي العـامِ القابِـلِ فإنَّكُـم سـتُمنَعونَ الميـرَةَ، وجعَـلَ بضاعَتَهُـم الَّتـي جَلَبـوا معهُم يَشـتَرونَ بهـا الميرَةَ فـي رِحالِهم خَوفًـا أن لا يَكـونَ معهُـم غَيرُهـا فيَمتَنِعـوا عـنِ القُـدومِ فـي العـامِ الثَّاني.

فلمَّـا رَجَعـوا إلـىٰ بِلادِهـم ذكَـرُوا ذلـكَ لأَبيهـم فامتَنَع مِـن إرسـالِ بِنيامينَ معهُـم خَوفًـا أن يُصيبَـهُ مـا أصـابَ يوسُـفَ عليه السلام قبلَـه، ولمَّـا فتَحـوا مَتاعَهُـم وَجَـدوا بِضاعَتَهُـم قـد رُدَّت إليهـم فأعجَبَهـم ذلِـكَ، وألَحُّـوا علـىٰ أبيهِـم أن يُرسِـلَ معهـم أخاهُم، وأصابَتهُـم الحاجَةُ الشَّـديدةُ، فقَبِلَ يَعقـوبُ عليه السلام بعد أن أخَـذَ عليهـم المَواثيقَ والعُهـودَ، وأوكَلَ عليهمُ اللَّـهَ تَعالىٰ تَغليظًـا عليهم، ولمَّا وادَعَهُـم أمَرَهـم إذا قَدِمـوا مِصـرَ أن لا يَدخُلوا مِن بـابٍ واحِدٍ خَوفًـا عليهم مِن أن تُصيبَهُـم العَيـنُ لِجمالِهـم وحُسـنِ هَيئَتِهم، وبيَّـنَ لهُم أنَّ ذلِكَ لـن يَرُدَّ قضاءَ اللَّـهِ إذا جـاءَ فالحُكـمُ لـه وَحـدَهُ، فانطَلَقـوا جَميعًا إلـىٰ مِصرَ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أكرَمَهُـم وأحسَـنَ إليهـم، ثـمَّ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ أي: اختَلَـىٰ بـه دونَهُم، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسُـفُ، وأَخبَرَهُ مـا صَنَعـوهُ بـه، وقـال: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ وتَحـزَن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسـف] ومـا صَنَعـوهُ مَعـي، ثـمَّ جهَّـزَ لهُـم جَهازَهُـم، وأمَـرَ بَعـضَ فِتيانِهِ أن يَجعَلـوا إنـاءَ الفِضَّـةِ الَّذي كانـوا يَكيلـونَ به الطَّعـامَ في مَتـاعِ بِنياميـنَ، وكانَت تِلـكَ حيلَـةً مِنـه علـىٰ إخوانِهِ، ثـمَّ نادىٰ مُنـادٍ أنَّ إنـاءَ المَلِـكِ قد سُـرِقَ، وجَعَلَ لِمَـن وَجَـدَه وجاءَ بـه حِملَ بَعيرٍ مِـن الطَّعـام، وتكَفَّلَ بذلِـكَ لهُم، فأَنكَـرَ إخوَةُ يوسُـفَ أن يَكونُـوا سـارِقينَ، وذكَّـروا فِتيـانَ المَلِـكِ بمـا سَـبَقَ لهُم مِن السِّـيرَةِ الحسَـنَةِ، فقالُـوا لهُـم: لـو وَجَدنـاه عِنـدَ أحَدِكُـم فمـا يَكـونُ جَـزاؤُهُ عندَكُـم؟ وكانَ السَّـارِقُ فـي شَـريعَةِ إبراهيـمَ عليه السلام يُدفَـعُ إلـىٰ المَسـروقِ مِنـهُ، فأَجابُـوا بذلِـكَ، وهـذا هـو مـا أرادَهُ يوسُـفُ عليه السلام بحيلَتِه.

﴿فَبَدَأَ﴾ يوسُـفَ عليه السلام البَحـثَ ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بنياميـنَ تَورِيَةً

مِنه، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ بنيامين، فعَمِلَ بحُكمِهم على أَنفُسِهم وأخذَ بنيامينَ عندَهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ كَيدًا مَحبوبًا فيه الحِكمَةُ البالِغَةُ، ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ أي: في حُكمِ مَلِكِ مِصرَ، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ ومِن ذلِكَ رَفعُ اللَّهِ تَعالىٰ ليوسُفَ ﷺ، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف] ولا أعلَمَ وأحكَمَ مِن اللَّهِ.

فلمَّا حصَلَ ما حصَلَ حاوَلَ إخوَةُ يوسُفَ أن يُخَلِّصوا أخاهُم بنيامينَ مِن العَزيزِ، وذكَرُوا ليوسُفَ ﷺ أنَّ له أبًا كَبيرًا في السِّنِّ يُحِبُّه حُبًّا شَديدًا طَمَعًا مِنهم أن يَعطِفَ عليه، وقالوا له: خُذ أحَدَنا مَكانَه، فأَبَىٰ ذلِكَ وأَخبَرَهُم أنَّه إن فعَلَ ذلِكَ كانَ ظالِمًا لمَن أخَذَه مَكانَ بنيامينَ وهو بَريءٌ، ولمَّا يَئسُوا مِن استِجابَتِه انفَرَدوا عن النَّاسِ وجَعَلوا يتَناجَونَ بينَهُم ليَخرُجوا ممَّا وقَعُوا فيه، وذكَّرَهُم أكبَرُهُم -وهو الَّذي أشارَ بإلقائِهِ في البِئرِ- بالعَهدِ الَّذي أخَذَه عليهم أبوهُم، وأخبَرَهُم أنَّه لن يُفارِقَ مِصرَ حتَّىٰ يَرضَىٰ عنه أبوهُ أو يَشاءَ اللَّهُ تَخليصَ بنيامينَ فيَرجِعَ به، وأمَرَهُم أن يَرجِعوا إلىٰ يَعقوبَ ﷺ ويَصدُقوا معه في حِكايَةِ ما كانَ مِن أمرِ بنيامينَ، فرَجَعوا إلىٰ أبيهم وأخبَروهُ القِصَّةَ، وأشهَدوا مَن كانَ معهُم في سَفَرِهم ليُصَدِّقوهُم.

فلم يُصَدِّقهُم يَعقوبُ ﷺ وقالَ كما قالَ لهُم حينَ رَجَعوا دونَ يوسُفَ: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾، ثمَّ دعا اللَّهَ تَعالىٰ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ أي: ثلاثَتهُم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ في أفعالِهِ وقَدَرِه، ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أعرَضَ عن بَنيه، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ حيثُ جدَّدَ فَقدُ بنيامينَ حُزنَهُ على يوسُفَ مِن قَبلُ، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ ساكِتٌ لا يَشكُوا لأحَدٍ مِن الخَلقِ، فخَشِيَ عليه بَنوهُ إن استَمَرَّ علىٰ تِلكَ الحالِ الهَلاكَ، وذَكَروا له ذلِكَ، فقالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ﴾ وما أنا فيه مِن الهَمِّ ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَحدَهُ، ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف] فأَرجو مِنه كُلَّ خيرٍ، ونَدَبَ بَنيهِ أن يَذهَبوا ليَستَعلِموا عن خَبَرِ يوسُفَ وبنيامينَ، ولا ييأَسوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ.

عَفْوُ يوسُفَ ﷺ عَنْ إِخْوَتِه، وَإِدْخَالُ عَائِلَتِه مِصْرَ:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) ﴾[يوسف]، ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) ﴾[يوسف].

خَرَجَ إخوةُ يوسُفَ ﷺ إلىٰ مِصرَ يتحسَّسون خبَرَ يوسُفَ وأَخيه، ويسألونَ العَزيزَ الميرَةَ مرَّةً أُخرىٰ، وكانت قد أصابَتهُم الفاقةُ وقِلَّةُ ذاتِ اليَدِ، ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ مِن الجَدبِ والقَحطِ، ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ ﴾ نبتغي بِها الميرَةَ ﴿ مُزْجَاةٍ ﴾ أي: رَديئةٍ قَليلةٍ، ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾ وأَعطِنا بهذه البِضاعةِ الرَّديئةِ ما كُنتَ تُعطينا، ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ إمَّا بقَبولِ البِضاعةِ المُزجاةِ مِنَّا، أو بإعطائِنا أخانا، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) ﴾، فلمَّا رَأىٰ يوسُفُ ﷺ ما هم فيهِ مِن الجَهدِ والشِّدَّةِ، وتذكَّرَ أباهُ وما أصابَهُ مِن الحُزنِ لفَقدِ ابنَيهِ، رَقَّ لذلِكَ، وأخَذَته الرَّأفةُ والشَّفقةُ عليهم، فأذِنَ اللَّهُ له في أن يُعرِّفَهُم نَفسَهُ، فـ﴿ قَالَ ﴾ لهُم: ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) ﴾[يوسف]؟ فتَعَجَّبوا لذلِكَ، وكيفَ أنَّه عرَفَهُم لسَنتَين وكتَمَ ذلِكَ عنهم، فأخبَرَهم بما مَنَّ اللَّهُ تَعالىٰ عليه به مِن النِّعَمِ، ومِن ذلِكَ أنَّه جمَعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ بعد فِراقٍ طَويلٍ، وعندَها اعترَفوا له بالفَضلِ، وأنَّهُم أخطَأوا في حَقِّه، فأظهَرَ لهُم العَفوَ، ووعَدَهُم أن لا يَذكُرَ صَنيعَهُم به، وزادَهُم الدُّعاءَ لهُم بالمَغفِرَةِ.

ثمَّ أعطىٰ يوسُفُ قَميصَهُ لإخوَتِهِ، وأمَرَهُم أن يذهَبوا به إلىٰ أبيهِ فيُلقوهُ علىٰ وَجهِهِ، وأخبَرَهُم أنَّه سيَعودُ إليه بصَرُهُ الَّذي كانَ قد ذهَبَ مِن كَثرَةِ البُكاءِ علىٰ يوسُفَ وأَخيهِ، وطلَبَ مِنهُم أن يُقدِموا يَعقوبَ ﷺ وكُلَّ بَنيه إلىٰ مِصرَ، فلمَّا

خرَجوا مِن مِصرَ مُتَّجِهينَ إلىٰ الشَّام قالَ يَعقوبُ عليه السلام لمَن كانَ عِندَهُ مِن بَنيه: إنِّي أجِدُ ريحَ يوسُفَ، فلم يُصَدِّقوهُ، وقالوا: إنَّكَ لَفي خَطَإكَ القَديم، وما كان يَنبَغي أن يَقولوا له ذلِكَ؛ لأنَّه أبوهُم، ولأنَّه نَبيٌّ مُرسَلٌ، وكانَ الَّذي دخَلَ علىٰ أبيهِ بالقَميصِ يَهوذا، وهو الَّذي جاءَ بالقَميصِ المُلَطَّخِ قَبلُ، فأرادَ أن يمسَحَ هذا بهذا، فلمَّا ألقَىٰ القَميصَ علىٰ وَجهِ أبيهِ رجَعَ إليه بَصَرُه كما أخبرَهُم يوسُفُ عليه السلام، فعِندَها طلَبَ أولادُ يَعقوبَ عليه السلام مِن أبيهِم أن يَستَغفِرَ لهُم، فأرجَأَهُم إلىٰ السَّحَرِ ليَكونَ أدعىٰ لقَبولِ دُعائِه، ثمَّ رَحَلَ يَعقوبُ عليه السلام وجَميعُ بَنيهِ إلىٰ مِصرَ كما طلَبَ مِنهُم يوسُفُ عليه السلام.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾، واشتَهَرَ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّ أُمَّه كانَت قد ماتَت عندَ وِلادَةِ بنيامينَ، وأنَّ المَذكورَ هنا خالَتُهُ، وهذا هو ما يَذكُرُه بَنو إسرائيلَ في كُتُبِهم، وظاهِرُ القُرآنِ أنَّها أُمُّه، وأنَّها كانَت حيَّةً، ولا نَنصَرِفُ عن هذا الظَّاهِرِ إلَّا بدَليلٍ صَحيحٍ، ﴿وَقَالَ﴾ يوسُفُ لهُم: ﴿ٱدۡخُلُوا۟ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩﴾ مِن كُلِّ سوءٍ، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فأجلَسَهُما معه علىٰ سَريرِه، ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ﴾ أي: أبَواهُ وإخوَتُهُ الأحَدَ عشَرَ ﴿سُجَّدٗا﴾ سُجودَ تَحيَّةٍ، وكانَ جائِزًا في الشَّرائِعِ الَّتي قَبلَنا، كما سجَدَت الملائِكَةُ لآدَمَ عليه السلام، ﴿وَقَالَ﴾ يوسُفُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ الَّتي قَصَّها عليه وهو صَغيرٌ، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾، ثمَّ ذكَرَ بَعضَ ما أنعَمَ اللَّهُ عليه به، وهذا مِن تَمامِ تَعظيمِ اللَّهِ تَعالىٰ، ومِن تَمامِ شُكرِ النِّعمَةِ بإضافَتِها إلىٰ المُنعِمِ بها، فقالَ عليه السلام: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ إذا أرادَ شَيئًا قيَّضَ له أسبابَهُ المُوصِلَةَ إليه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف].

وَفَاةُ يَعْقُوبَ عليه السلام وَخُرُوجُ يُوسُفَ عليه السلام بِهِ إِلَى الشَّامِ:

﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُوا۟ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة].

قِيلَ: إنَّ عُمُرَ يَعقوبَ عليه السلام يومَ دخَلَ مِصرَ كانَ مائةً وثلاثينَ سنةً، وأنَّه لَبِثَ بمِصرَ سبعَ عشرةَ سنةً ثمَّ حضَرَتهُ الوَفاةُ، فأوصىٰ بَنيه بالتَّوحيدِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾، سألَهم عليه السلام سُؤالَ تقريرٍ، فـ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾، ولم يكُن إسماعيلُ عليه السلام أبًا ليَعقوبَ كما هو مَعلومٌ، وإنَّما هو عَمُّه، وذَكَروه هُنا تَغليبًا، ولأنَّ العَمَّ بمَنزلَةِ الأَبِ، ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ لا نُشرِكُ معَه أحدًا، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[البقرة] مُطيعونَ خاضِعونَ، والإسلامُ هو مِلَّةُ كُلِّ الأَنبياءِ مهما تَنَوَّعَت شَرائِعُهُم، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَق عليه: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ**» أي: مِن أَبٍ واحِدٍ، «**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»، والمَقصودُ بالأُمَّهاتِ هنا الشَّرائِعُ.

وأوصىٰ يَعقوبُ عليه السلام أن يُدفَنَ مع أبيهِ إسحاقَ وجَدِّه إبراهيمَ الخَليلِ عليهم السلام في المَغارَةِ الَّتي بحَبرونَ مِن أرضِ الشَّامِ، فلمَّا ماتَ عليه السلام استَأذَنَ يوسُفُ عليه السلام مَلِكَ مِصرَ في الخُروجِ، وشَيَّعَه معَه شُيوخُ مِصرَ وأكابِرُها، فدَفَنوه في المَغارَةِ ورَجَعوا إلىٰ مِصرَ، وأقامَ إخوَةُ يوسُفَ بمِصرَ، وأكرَمَهم يوسُفُ عليه السلام وأحسَنَ جِوارَهُم.

وَفَاةُ يُوسُفَ عليه السلام:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف].

قالَ تَعالىٰ: علىٰ لِسانِ يوسُفَ عليه السلام في آخرِ قِصَّتِهِ في سورةِ يوسُفَ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾ وهذا اعترافٌ منه عليه السلام بما مَنَّ اللَّهُ عليه به مِن المُلكِ وتَعبيرِ الرُّؤىٰ، ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ثَناءٌ علىٰ اللَّهِ تَعالىٰ بما انفرَدَ به مِن الرُّبوبيَّةِ، ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ اعترافٌ باستِحقاقِ اللَّهِ للأُلوهيَّةِ والعِبادَةِ وحدَه لا شَريكَ له، ثمَّ دعا: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[يوسف]، وظاهِرُ السِّياقِ أنَّه دعا بهذا الدُّعاءِ

وهو صَحيحٌ، والدُّعاءُ بالمَوتِ في شَريعَتِنا غَيرُ جائِزٍ إلَّا لمَن خَشِيَ الفِتنَةَ، قالَ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَق عليه: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»، فإمَّا أنَّ ذلِكَ كانَ جائِزًا في شَريعَتِه، أو أنَّه دعا بذلِكَ لمَّا حضَرَه المَوتُ، أو أنَّه لم يتمَنَّ المَوتَ وإنَّما دعا أن يَموتَ علىٰ الإسلام، قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا قَولُ الجُمهورِ).

ولمَّا حضَرَ يوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المَوتُ أَوصىٰ كما أوصىٰ أَبوهُ مِن قَبلُ أن يُدفَنَ بالشَّامِ عِندَ آبائِه، وقيلَ: إنَّه أَوصىٰ إلىٰ أخيهِ يَهوذا، فلمَّا ماتَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حَنَّطوه ووَضَعوه في التَّابوتِ، لكنَّه بَقِيَ بمِصرَ إلىٰ أن أخرَجَهُ موسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعدَ سِنينَ طَويلَةٍ كما سَيأتي في قِصَّةِ موسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

تَبْرِئَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنَ الْهَمِّ بِالْفَاحِشَةِ:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[يوسف].

أفضَلُ ما قيلَ في تَفسيرِ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[يوسف]:

١. أنَّ جَوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ مُقَدَّمٌ عليها؛ كما قالَ أبو عبيدَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيرِ ابنِ أبي حاتِمٍ» (١٢/ ٥٧٢): (هذا علىٰ التَّقديمِ والتَّأخيرِ، كأنَّه أرادَ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَلَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا)، واختارَه أبو حَيَّانَ وغَيرُه، وعلىٰ قَولِ مَن منع ذلِكَ مِنَ النَّحوِيِّينَ يُقالُ: إنَّ جَوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ مَحذوفٌ يَدُلُّ عليه ما قبلَه، وعلىٰ الحالَينِ فإنَّه لم يَحصُل مِنه هَمٌّ بالزِّنا -عِياذًا باللَّهِ-؛ لأنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ أرادَ به الخَيرَ فأَراه بُرهانَه.

٢. ذهَبَ الرَّازِيُّ والخازِنُ والنُّعمانِيُّ والنَّيسابورِيُّ وغَيرُهم مِنَ المُفَسِّرين إلىٰ أنَّ المَعنىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: هَمَّ بدَفعِها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، فإنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أراهُ البُرهانَ ليُعلِمَه بأنَّه لو دَفَعَها لشَقَّ قَميصَها مِن قُبُلٍ، ولَكانَ ذلِكَ حُجَّةً لها عندَ زَوجِها بأن تقولَ: دفعَني

لِيُجبِرَنـي علـىٰ الفاحِشَـةِ، فلم يَدفَعها يوسُـفُ ﷺ، وإنَّما أدارَ لهـا ظَهرَه مُنصَرِفًـا عنهـا، فشَـقَّت قَميصَـه مِن دُبُرٍ، فـكانَ الدَّليـلُ عليها.

ويَنبَغـي أن يُعلَـمَ أنَّـه لـم يَـرِد فـي القـرآنِ ولا فـي صَحيـح السُّـنَّةِ مـا يـدُلُّ علـىٰ ماهِيَـةِ البُرهـانِ، ولا علـىٰ مَـن هـو الشَّـاهِدُ، ولا علـىٰ أنَّ يوسُـفَ ﷺ هَـمَّ بالفاحِشَـةِ، وإن كانَ بَعـضُ المُفَسِّـرينَ يَذكُـرُ ذلِـكَ، لكِـنَّ المُحَقِّقيـنَ علىٰ خِلافِـه، قـالَ ابـنُ الجَـوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فـي «زادِ المَسـيرِ» (٢/ ٤٢٩): (ولا يَصِـحُّ مـا يُـروىٰ عن المُفسِّـرين أنَّــه حـلَّ السَّـراويلَ، وقعَدَ مِنهـا مَقعَـدَ الرَّجُـل، فإنَّه لو كانَ هـذا دلَّ علـىٰ العَـزمِ، والأنبيـاءُ مَعصومـونَ مِـن العَـزمِ علـىٰ الزِّنـا).

ثـمَّ إنَّ هـذه الآيَـةُ مِـنَ المُتَشـابِهِ الَّـذي اختُلِـفَ فـي تَفسيرِه اختِلافًـا كَبيرًا، والقاعِـدَةُ أنَّ مـا كانَ مِن المُتَشـابِهِ فإنَّه يَنبَغـي رَدُّه إلىٰ المُحكَـمِ الَّذي لا خِلافَ فيـه، وممَّا يـدُلُّ علىٰ استِحالَةِ وُقـوعِ الهَـمِّ مِن يوسُـفَ ﷺ مِن سِياقِ القِصَّةِ نَفسِـها في سـورَةِ يوسُفَ:

١. تَبرِئَـةُ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ لِيوسُـفَ ﷺ بقَولِـه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[يوسف]، دلَّ ذلِـكَ علـىٰ أنَّ ماهِيَـةَ السُّـوءِ والفَحشاءِ مَصروفَـةٌ عنـه ﷺ، ومِـن دَلائِلِ هـذه الآيَةِ: لامُ التَّأكيـدِ والمُبالَغَـةِ في ﴿لِنَصۡرِفَ﴾، وعَطفُ الفَحشـاءِ علىٰ السُّـوءِ للتَّأكيدِ، وإثبـاتُ العُبودِيَّـةِ لـه ﷺ وهـي أعلـىٰ مَراتِـبِ المَـدحِ، ووَصفُـه بأنَّـه مِن ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ علـىٰ المَفعولِيَّـةِ، وفـي قِـراءَةٍ: ﴿ٱلۡمُخۡلِصِيـنَ﴾ علـىٰ الفاعِلِيَّةِ.

٢. تَبرِئَةُ يوسُـفَ ﷺ لنَفسِـه بقَولِه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[يوسف:٢٦]، وقَولِه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[يوسف:٣٣].

٣. تَبرِئَـةُ امـرأَةِ العَزيـزِ لـه ﷺ بقَولِهـا: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٥١﴾[يوسف].

٤. تَبرِئَـةُ الشَّـاهِدِ مِـن أهلِهـا لـه ﷺ بقَولِـه: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ٢٧﴾[يوسف].

٥. إقـرارُ العَزيـزِ ببراءَتـه ﷺ بقولـه: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾[يوسف].

٦. تبرِئـةُ النِّسـوَةِ لـه ﷺ بقولِهـنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ [يوسف:٥١]، ومُجـرَّدُ الهَـمِّ لـو وَقـعَ سـوءٌ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّي اللهِ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ ﷺ:

❍ يَعقـوبُ ﷺ هـو إسـرائيلُ الَّـذي يُنسَـبُ إليـه بَنـو إسـرائيلَ، فهـو أبوهـم الأوَّلُ، ومـع ذلِـكَ فإنَّهـم يَفتَـرونَ عليـه عـدَّةَ افتِـراءاتٍ في كُتُبِهـم، مِنهـا أنَّهـم زَعَمـوا أنَّـه احتـالَ لأَخـذِ النُّبـوَّةِ والبركَـةِ مِـن أبيـهِ إسـحاقَ ﷺ لنَفسِـهِ بـدَلًا مِـن أخيـهِ العيـصِ الَّـذي كانَ أكبَـرَ مِنـه سـنًّا وأَحَـبَّ إلىٰ أبيـهِ، وفي هـذا قَدحٌ في يَعقـوبَ ﷺ، ونِسـبَةٌ للجَهـلِ الشَّـديدِ والغَفلَةِ إلـىٰ أبيهِ ﷺ، وفيـه تَنَقُّصٌ مِن جَنـابِ اللَّـهِ تَعالىٰ الَّـذي قـالَ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام:١٢٤]، وهـذا الَّـذي وقَـعَ مِنهـم هُنـا قد تكَـرَّرَ مع كَثيـرٍ مِـن الأنبياءِ، فصـارَ القَـدحُ في الأنبيـاءِ سَـجيَّةً لهُـم، ولهـذا فإنَّنـا كُلَّما قرَأنـا في كِتـابِ اللَّـهِ تعالىٰ وسُـنَّةِ النَّبيِّ ﷺ وكُتُـبِ أهـلِ العِلمِ المُحقِّقيـنَ عن قَصَصِ الأنبيـاءِ ازدَدنا حُبًّـا لهُم؛ بخِلافِ الإسـرائيلِيَّاتِ فإنَّهـا تَزيـدُ مَـن طالَعَها بُغضًـا في الأَنبيـاءِ وبُعدًا عنهُـم وعن دينِ اللَّهِ!

❍ مِـن مَناقِـبِ يَعقوبَ ﷺ أنَّه لـم يُذكَر كلامُـه في مَوضِعٍ مِن مَواضِـعِ القُرآنِ إلَّا ويَذكُـرُ يَعقـوبُ ﷺ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فيـه، وهـذا دليـلٌ علـىٰ كَثـرَةِ ذِكـرِهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ وحُضـورِهِ في قَلبه، ومِـن ذلِكَ قَولُه تَعالـىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقـرة]، وقَولُهُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[يوسـف]، وقولُـهُ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾[يوسف].

❍ مِـن مَناقِـبِ يَعقـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثِقَتُـه برَبِّـه وحُسـنُ ظَنِّـه بـه عَزَّ وَجَلَّ، حيـثُ إنَّـه فقَـدَ أحَـبَّ بَنيـه إليـه يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثـمَّ أخـاه، ومـع ذلِكَ ظـلَّ صابـرًا مُحتَسـبًا، وقالَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسـف]، وقـالَ كذلِكَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف].

❍ مِـن حِكمَـةِ يَعقـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحُسـنِ تَدبيـرِه أنَّـه لمَّـا بعَـثَ بَنيه إلـىٰ مِصرَ في المـرَّةِ الثَّانِيَـةِ أمَرَهـم أن لا يَدخُلـوا مِـن بـابٍ واحِـدٍ فقـال: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، وذلِـكَ خَوفًـا عليهـم مِـن أن تُصيبَهُـم العَينُ لِجمالِهـم وحُسـنِ هَيئَتِهـم، وبيَّـنَ لهُـم أنَّ ذلِـكَ لـن يَـرُدَّ قضـاءَ اللَّـهِ إذا جـاءَ فالحُكـمُ لـه وَحـدَهُ، ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾، وأكَّـدَ اللَّـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هـذا المَعنـىٰ فقـالَ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾، وبيَّـنَ حِكمَـةَ يَعقـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعِلمَه فقـالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾[يوسـف].

❍ قـالَ العلَّامَـةُ السِّـعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومِنها -أي: مِـن الفَوائِدِ المُستنبَطَةِ مِن قِصَّةِ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ-: أنَّ استِعمالَ الأسبابِ الدَّافِعَـةِ للعَيـنِ أو غَيرِهـا مِـن المَكارِه، أو الرَّافِعَـةِ لهـا بعـد نُزولِهـا = غَيـرُ مَمنوعٍ؛ بـل جائِـزٌ، وإن كانَ لا يقَعُ شَـيءٌ إلَّا بقَضـاءٍ وقَـدَرٍ، فإنَّ الأسـبابَ أيضًا مِـن القَضـاءِ والقَدَرِ).

❍ أخـرَجَ التِّرمـذِيُّ عن النَّبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: «**إِنَّ الْكَرِيـمَ ابْنَ الْكَرِيم ابْـنِ الْكَرِيم ابْـنِ الْكَرِيـمِ يُوسُـفُ بْـنُ يَعْقُوبَ بْـنِ إِسْحَاقَ بْـنِ إِبْرَاهِيـمَ**»، ولا يُعلَمُ نبِـيٌّ ابنُ نبِـيٍّ ابـنِ نبِيٍّ ابـنِ نبيٍّ غيرُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ أفرَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سـورَةً لقصَّةِ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسـمَّاها باسـمِه، وسمَّاها أحسَنَ القَصَـصِ، قـالَ تعالـىٰ في أوَّلِها: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسـف:٣]، ولعلَّ تَسـمِيَتَها بأحسَـنَ القصَصِ للأسـبابِ الآتِيَةِ:

- أنَّهـا تحتَـوي علـىٰ عالَـمٍ كامِـلٍ مِـن العِبَـرِ والحِكَـمِ الجَليلَـةِ، ولهـذا قـالَ تَعالىٰ فـي آخِـرِ السُّـورَةِ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا

كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف].

- أنَّ يوسُفَ عليه السلام تجاوَزَ عن إخوَتِه وصبرَ علىٰ ما كانَ مِنهُم مِن أذًىٰ.
- أنَّ فيها ذِكرَ الأنبياءِ، والصَّالِحينَ، والعِفَّةِ، والغِوايَةِ، وسِيَرِ المُلوكِ، والمَمالِكِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ، وحِيَلِ النِّساءِ ومَكرِهِنَّ، وفيها ذِكرُ التَّوحيدِ، والفِقهِ، وتَعبيرِ الرُّؤىٰ.
- أنَّ مَآلَ مَن ذُكِرَ فيها مِن أشخاصٍ كانَ إلىٰ السَّعادَةِ والنَّجاح.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ قِصَّةَ يوسُفَ عليه السلام فيما ذكَرَه اللهُ تعالىٰ في كِتابِه بدَأَت برُؤياه الَّتي قصَّها علىٰ أبيهِ، وانتَهت بتَعبيرِ هذه الرُّؤيا وسُجودِ أبَوَيهِ وإخوَتِهِ تحِيَّةً له.

❍ كانَت رُؤيا يوسُفَ عليه السلام بمَثابَةِ التَّوطِئَةِ لقِصَّتِه الطَّويلَةِ العَظيمَةِ، وهكَذا هي سُنَّةِ اللهِ سبحانه وتعالى في خَلقِه، أنَّه إذا أرادَ أمرًا مِن الأُمورِ العِظامِ قدَّمَ بينَ يَدَيهِ مُقدِّمةً توطِئَةً له، وتَسهيلًا لأَمرِه، واستِعدادًا لما يَرِدُ فيه علىٰ العَبدِ مِن المَشاقِّ، لُطفًا بعَبدِه، وإحسانًا إليه؛ كما حدَثَ مع النَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عندما ذهَبَت به خَديجَةُ رضي الله عنها إلىٰ ورَقَةَ بنِ نَوفَلٍ.

❍ يتبيَّنُ مِن قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام مَشروعِيَّةُ تَعبيرِ الرُّؤيا، وأنَّه مِن العُلومِ المُفيدَةِ الَّتي يُيَسِّرُها الله سبحانه وتعالى لمَن يَشاءُ مِن عِبادِه، إذ كانَ في تَعبيرِ رُؤيا المَلِكِ صَلاحٌ لأهلِ مِصرَ خِلالَ السَّنَواتِ العِجافِ.

❍ لمَّا قصَّ يوسُفُ عليه السلام رُؤياه علىٰ أبيه قالَ له: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِن هذا مَشروعِيَّةُ كِتمانِ ما تُخشىٰ مَضَرَّتُه، حتَّىٰ ولو كانَ ذلِكَ مِن العِلمِ؛ كما قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لمُعاذٍ رضي الله عنه في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»، وفي حَديثِ الطَّبرانيِّ: «**اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**».

❍ تَأويلُ الرُّؤيا فيه اجتِهادٌ مِن المُؤَوِّلِ وبِناءٌ للأُمورِ علىٰ المُناسَبَةِ والمُشابَهَةِ في الاسمِ والصِّفَةِ، قالَ السِّعديُّ رحمه الله في تَفسيرِ يوسُفَ عليه السلام لرُؤيا

صاحِبَيه: (أوَّلَ رُؤيَا الَّذي رَأىٰ أنَّه يَعصِرُ خَمرًا أنَّ الَّذي يَعصِرُ في العادَةِ يكون خادِمًا لغَيرِه، والعَصرُ يُقصَدُ لغَيرِه، فلذلِكَ أوَّلَه بما يَؤولُ إليه، أنَّه يَسقِي ربَّه، وذلِكَ مُتضَمِّنٌ لخُروجِه مِن السِّجنِ، وأوَّلَ الَّذي رَأىٰ أنَّه يحمِلُ فوقَ رَأسِه خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ مِنه بأنَّ جِلدَةَ رَأسِه ولَحمَه وما في ذلِكَ مِن المُخِّ أنَّه هو الَّذي يَحمِلُه، وأنَّه سيَبرُزُ للطُّيورِ، بمَحَلٍ تتمَكَّنُ مِن الأكلِ مِن رَأسِه، فرأىٰ مِن حالِه أنَّه سيُقتَلُ ويُصلَبُ بعدَ مَوتِه فيَبرُزُ للطُّيورِ فتأكُلُ مِن رَأسِه، وذلِكَ لا يَكونُ إلَّا بالصَّلبِ بعدَ القَتلِ).

❍ جاءَ في رُؤيا يوسُفَ ﷺ ما ذَكَرَهُ بقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾، وتقَدَّمَ أنَّ تَعبيرَها سُجودُ إخوَتِه ووالِدَيه تحِيَّةً له لمَّا أدخَلَهُم مِصرَ، حيثُ إنَّ إخوَتَه هم الكَواكِبُ، وذكَرَ بَعضُ المُفَسِّرينَ أنَّ الشَّمسَ هي أُمُّه وأنَّ القَمَرَ هو أَبوهُ يَعقوبُ ﷺ، واستدَلُّوا لذلِكَ بأنَّ القَمَرَ مُذكَّرٌ والشَّمسَ مُؤَنَّثةٌ، وبما أخرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ والطَّبَرانِيُّ والبَيهَقيُّ عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها أنَّها كانَت نائِمَةً ورأسُها في حَجرِ زَوجِها ابنِ أبي الحُقَيقِ، قالت: «**فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ**» فأوَّلَ زَوجُها رُؤياها، قالت: «**فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: تَمَنِّينَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟**» يَقصِدُ النَّبيَّ ﷺ، وكانَت رُؤياها حقًّا.

❍ ممَّا حمَلَ امرَأَةَ العَزيزِ علىٰ مُراوَدَةِ يوسُفَ ﷺ عن نَفسِه تَوَحُّدُها معه واختِلاؤُها به، ولهذا نهىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن الخَلوَةِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ وابنُ ماجَهْ: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**».

❍ مِن سُنَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الكَونِيَّةِ أنَّ مَن آمَنَ به وأخلَصَ له في عِبادَاتِه ومُعامَلاتِه، فإنَّ اللهَ يدفَعُ عنه مِن أنواعِ السُّوءِ والفَحشاءِ وأسبابِ المَعاصي جَزاءَ ذلِكَ؛ كما في قصَّةِ يوسُفَ ﷺ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٢٤﴾[يوسف]، بل ويرفَعُ عنه ما نزَلَ به مِن البَلاءِ؛ كما في قصَّةِ الثَّلاثَةِ الَّذينَ دخَلوا في الغارِ فسَدَّته عليهم الصَّخرَةُ فدَعَوُا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَوسَّلوا بأعمالِهم الصَّالِحَةِ ففُرِجَت الصَّخرَةُ، والحَديثُ مُتَّفَقٌ عليه.

❍ وَصَفَ النِّسوَةُ يوسُفَ عليه السلام بالحُسنِ ظاهِرًا وباطِنًا، فأمَّا الظَّاهِرُ فقولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف]، وقد قالَ ﷺ كما عند مُسلم: «أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ» أي: نِصفَه، وأمَّا الباطِنُ فقولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ [يوسف:٥١].

❍ لمَّا تبيَّنَ للنِّسوَةِ جَمالُ يوسُفَ الظَّاهِرُ، وأُعجِبنَ به قُلنَ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف]، فظهَرَ مِنهُنَّ العُذرُ لامرأةِ العَزيزِ، وانقطَعَ لَومُهُنَّ لها، ولهذا أرادَت أن تُرِيَهُنَّ جمالَه الباطِنَ بالعِفَّةِ التَّامَّةِ فقالَت مُصَرِّحَةً: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾.

❍ اختارَ يوسُفُ عليه السلام السِّجنَ علىٰ المَعصِيَةِ، وهكَذا ينبَغي لكُلِّ مُسلِمٍ إذا خُيِّرَ بينَ المَعصِيَةِ الموجِبَةِ للعُقوبَةِ الأُخرَوِيَّةِ وبينَ العُقوبَةِ الدُّنيَوِيَّةِ أن يَختارَ العُقوبَةَ العاجِلَةَ.

❍ ينبَغي للدَّاعي إلىٰ اللهِ أن يتصَيَّدَ الفُرَصَ في دَعوَتِه كما فعَلَ يوسُفُ عليه السلام حينَ سألَه صاحِباهُ في السِّجنِ تَأويلَ رُؤياهما، فإنَّه لمَّا أحَسَّ مِنهما القابِلِيَّةَ للدَّعوَةِ طَمأَنَهما أنَّه سيَعبُرُ رُؤياهما بقولِه: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾، ثمَّ جعَلَ يَدعوهُما إلىٰ التَّوحيدِ مُبتَدِئًا بقولِه: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف].

❍ لمَّا رَأىٰ يوسُفُ عليه السلام أنَّ أحَدَ الفَتيَينِ يَنجو أوصاه أن يذكُرَه عند سَيِّدِه، لعلَّ ذلِكَ يَكونُ سببًا لخُروجِه مِن السِّجنِ، فيُستَفادُ مِن هذا جَوازُ الاستِعانَةِ بالغَيرِ لمَن أصابَه كَربٌ، وليسَ ذلِكَ مِن الشَّكوىٰ المَكروهَةِ، وتقَدَّمَ أنَّ الفَتىٰ نَسِيَ فلم يذكُره، ثمَّ لمَّا قَصَّ المَلِكُ علىٰ النَّاسِ رُؤياهُ وعجَزوا عن تأويلِها تذَكَّرَ الفَتىٰ وجاءَ إلىٰ يوسُفَ يستَفتيه في ذلِكَ، فلم يُنكِر عليه يوسُفُ عليه السلام نِسيانَه إيَّاه، ولم يُعَنِّفه؛ بل أجابَه جَوابًا تامًّا عن سُؤالِه، وهذا مِن تمامِ الإخلاصِ في تَعليمِ النَّاسِ وإرادَةِ الخَيرِ لهم.

❍ مِن لُطفِ اللهِ تعالى بيوسُفَ عليه السلام أن عرَضَ المَلِكُ الرُّؤيا علىٰ مَلَإِه قبلُ فعَجَزوا عن تأويلِها قبلَ أن يُؤَوِّلَها يوسُفُ عليه السلام، فإنَّه لو عبرَها ابتِداءً لم

يكُـن لهـا ذلِـكَ المَوقِـعُ، فلمَّا عجَزوا عـن تَأويلِهـا زادَ اهتِمـامُ المَلِكِ بهـا، فلمَّا عبرَهـا يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقَعَت مَوقِعًا عَظيمًـا، وهذا نَظيرُ سُـؤالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الملائِكَةَ عـن الأسـماءِ قبـلَ سُـؤالِه آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمَّا عجـزَت الملائِكَةُ وعلَّمَهـم آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أسـماءَ كلِّ شَـيءٍ حصَـلَ بذَلِـك زِيـادَةُ فَضلِـهِ، وهـو مـا أرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيانَـه لهم، وكمـا يَظهَـرُ فَضلُ أفضَـلِ الخَلـقِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يـومَ القِيامَـةِ، عندَما يُلهِـمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخَلـقَ أن يستَشـفِعوا بـآدَمَ، ثـمَّ بنـوحٍ، ثـمَّ بإبراهيـمَ، ثـمَّ بموسـىٰ، ثمَّ بعيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيَعتَـذِرونَ عنهـا، ثـمَّ يَأتـونَ محمَّـدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيَقـولُ: «**أَنـا لَهَا**». مُتَّفـقٌ عليه.

❍ ينبَغـي للمُسـلِمِ أن يسـعىٰ في دَفـعِ التُّهمَـةِ عـن نَفسِـه متىٰ قـدَرَ علـىٰ ذلِكَ، فـإنَّ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ امتَنَـعَ عـن الخُروجِ مِـن السِّـجنِ حتَّىٰ تتبَيَّـنَ براءَتُه، وتشـهَدَ علـىٰ ذلِكَ امـرَأَةُ العَزيزِ والنِّسـوَةُ اللَّاتي قطَّعـنَ أيدِيَهُنَّ، فقالَ للرَّسـولِ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾[يوسف:٥٠].

❍ لمَّـا مكَّـنَ المَلِـكُ ليوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قـالَ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِـن هـذا جَـوازُ طَلَـبِ الوِلايَـةِ لمَـن كان كُفؤًا وعلِـمَ أنَّـه لا يوجَـدُ مَن هو أكفَأُ مِنـه، ولا بأسَ حينَئِـذٍ مِن ذِكرِ الإنسـانِ لفَضائِلِه لمـا في ذلِكَ مِـن المَصلَحَـةِ الرَّاجِحَةِ.

❍ لمَّـا دخَـلَ إخـوَةُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عليـه في المرَّتَيـنِ الأولَيَين لـم يُعَرِّف نفسَـهُ لهُـم، واحتـالَ لأن يَأخُـذَ أخـاهُ عنـدَه، ولم يتَعَـرَّف إليهـم ويُقـدِم يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبَنيـهِ إلـىٰ مِصرَ إلَّا في المـرَّةِ الثَّالثَةِ، وذلِـكَ ابتِلاءٌ مِن اللهِ تَعالـىٰ لِيَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأنبِيـاءُ أشَـدُّ النَّـاسِ بَـلاءً، فلمَّـا أذِنَ اللهُ ليوسُـفَ بيَّـنَ لهُـم أنَّه أخوهُـم وقَبِلَ مِنهُـم اعتِذارَهُـم، وأقدَمَهُـم مِصـرَ ليُكرِمَهُم ويُحسِـنَ إليهِم.

❍ لمَّـا احتالَ يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ إخوَتِـه لم يكذِبْ وإنَّما اسـتَعمَلَ المَعاريضَ، وهـذا أمـرٌ جائِـزٌ ما لـم يكُن فيـه أكلٌ لحَـقِّ الغَيـرِ، ولهـذا قـالَ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[يوسف:٧٩]، ولـم يقُـل: (مَـن سـرَقَ)، فهـو إنَّمـا أوهَمَهم أنَّه سـرَقَ ولـم يُصَـرِّح بذلِكَ.

❍ يُستَفادُ مِـن احتيالِ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علـىٰ إخوَتِه جَوازُ اسـتِعمالِ الحِيَـلِ الَّتي يُتوَصَّـلُ بهـا إلـىٰ الحُقـوقِ المَشـروعَةِ، وأمَّـا التَّحايُلُ لإسـقاطِ واجِـبٍ أو فِعلِ

مُحَرَّم فهـو تَحايُـلٌ مَمنـوعٌ، ويُعاقَـبُ صاحِبُه بنَقيـضِ قَصدِه.

○ لمَّـا رجَـعَ إخوَةُ يوسُـفَ عليه السلام إلىٰ أَبيهم في المـرَّةِ الثَّانيَةِ ذكَـروا قاعِدَةً مهمَّةً في بـابِ الشَّـهادَةِ، وهـي قَولُهـم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾[يوسف:٨١]، والعِلـمُ إنَّمـا يَحصُـلُ بالمُعايَنَـةِ أو بخبَـرِ الصَّـادِقِ، فمَـن شَـهِدَ بغَيـرِ عِلـمٍ فقـد شَـهِدَ علـىٰ زورٍ، وأتـىٰ كَبيرَةً مِـن كَبائِـرِ الذُّنوب.

○ لمَّـا بعَـثَ يَعقوبُ عليه السلام بَنيـهِ إلىٰ مِصرَ في المـرَّةِ الثَّالِثَـةِ قالَ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[يوسف:٨٧]، فبـدَأَ بيوسُـفَ عليه السلام قبـلَ أخيـهِ مـع كَونِـه أبعَـدَ زَمانًـا، وفي ذلِـكَ دَليـلٌ علـىٰ شِـدَّةِ حُـبِّ يَعقـوبَ ليوسُـفَ عليه السلام، وعلـىٰ يَقينِـه باسـتِجابَةِ اللهِ تَعالـىٰ لدُعائِـه، وتَصديقِـه لرُؤيـا يوسُـفَ في صِغَرِه، ولأنَّـه إذا رَدَّ اللهُ لـه يوسُـفَ عليه السلام فإنَّـه يَـرُدُّ أخـاهُ مِـن بـابِ أَولىٰ.

○ قـالَ يَعقـوبَ عليه السلام لبَنيـه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]، و﴿إِنَّمَآ﴾ تُفيـدُ الحَصـرَ، أي: لا أَشـكو مـا بـي إلَّا إلـىٰ اللهِ عز وجل، وهـذا لا يُنافي الصَّـبرَ، وأمَّـا الشَّـكوىٰ لـدىٰ المَخلوقيـنَ فهـي ممَّا يُنـافي الصَّـبرَ، وممَّـا ينبَغي الإعـراضُ عنـه إلَّا عنـدَ مَن بيَـدِه رَفـعُ الضُّرِّ.

○ مِـن حِلـمِ يوسُـفَ عليه السلام وحُسـنِ خُلُقِـه أنَّـه عفا عـن إخوَتِـه لمَّا ظهَـرَ مِنهُم النَّـدَمُ والتَّوبَـةُ؛ بل زادَهم الدُّعـاءَ ووعَدَهـم أن لا يذكُرَ صَنيعَهـم ولا يَعيبَهم به، فـ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾.

○ لمَّـا رفَـعَ يوسُـفُ عليه السلام أبَويـه علىٰ العَـرشِ قـالَ مُخاطِبًا أبـاه: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ الَّتـي رأىٰ فـي صِغَرِه، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ فوَقَـعَ تَصديقُ رُؤياه، ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ ولـم يقُـل: (مِـنَ الْجُـبِّ)، ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾[يوسف:١٠٠]، قـالَ القُرطُبـيُّ رحمه الله في «تَفسيـرِه»: (ولـم يقُـلْ: مِـنَ الْجُبِّ استِعمالًا للكَـرَم، لِئَلَّا يُذَكِّـرَ إخوَتَه صَنيعَهـم بعـدَ عَفـوِه عنهـم بقَولِـه: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾[يوسف:٩٢]... وقيلَ: لأنَّ في دُخـولِ السِّـجنِ كانَ باختِيـارِه بقَولِـه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[يوسف:٣٣]، وكانَ في الجُـبِّ بـإرادَةِ اللهِ تَعالـىٰ لـه، وقيـلَ: لأنَّـه كانَ في السِّـجنِ مـع اللُّصوصِ والعُصـاةِ، وفي الجُبِّ مـع اللهِ تَعالىٰ، وأيضًا فـإنَّ المِنَّةَ في

النَّجاةِ مِن السِّجنِ كانَت أكبَرَ).

❍ اختلَفَ العُلماءُ في نُبُوَّةِ إخوَةِ يوسُفَ عليه السلام وهم الأسباطُ، واستَدَلَّ مَن قالَ بنُبُوَّتِهم بقولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾[النِّساء:١٦٣]، وبأنَّهم كانوا كَواكِبَ نَيِّرَةً يُهتَدىٰ بها في رُؤيا يوسُفَ عليه السلام، وأمَّا ما كانَ مِنهم مِن أَذِيَّةٍ ليوسُفَ وأخيه فقد تابوا مِنه تَوبَةً نَصوحًا مَقبولَةً، والتَّوبَةُ تَجُبُّ ما قبلَها مادامَت تحَقَّقَت شُروطُها، وهذا هو الَّذي رجَّحه العلَّامَةُ السِّعدِيُّ رحمه الله.

❍ تكرَّرت لفظَتا (وَلَمَّا) و(فَلَمَّا) كثيرًا في سورَةِ يوسُفَ، والتَّمييزُ بينَهما مِن وَجهَين:

- **الأوَّلُ**: ورَدَ لفظُ (وَلَمَّا) في ستَّةِ مَواضِعَ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾، ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾، وأمَّا باقي المَواضِعِ فجاءَت (فَلَمَّا).
- **الثَّاني**: (الفاءُ) تُفيدُ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ بينَما (الواوُ) تُفيدُ مُطلَقَ الجَمعِ، فمثلًا لو تأمَّلنا في قَولِه: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾[يوسف] نجِدُ أنَّ الفاءَ هي المُناسِبَةُ؛ لأنَّ ذَهابَهم بيوسُفَ عليه السلام كانَ بعدَ قَولِهم بفاصِلٍ زَمَنِيٍّ قَصيرٍ.

❍ يَذكُرُ كَثيرٌ مِن النَّاسِ في قِصَّةِ يوسُفَ عليه السلام أُمورًا لم تَرِد في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ، فليَنتَبِه مَن أرادَ أن يُكمِلَ القِصَّةَ أو يُحَسِّنَها بما يُذكَرُ في الإسرائيليَّاتِ الَّتي لا يُعرَفُ لها سَنَدٌ ولا ناقِلٌ وأغلَبُها كَذِبٌ= أنَّه مُستَدرِكٌ علىٰ اللهِ سبحانه وتعالى، ومُكَمِّلٌ لشَيءٍ يزعُمُ أنَّه ناقِصٌ، وحَسبُكَ بأمرٍ يَنتَهي إلىٰ هذا الحَدِّ قُبحًا، فإنَّ تَفاصيلَ هذه السُّورَةِ قد مُلِئَت في كَثيرٍ مِن التَّفاسيرِ بالأكاذيبِ والأُمورِ الشَّنيعَةِ المُناقِضَةِ لِما قَصَّه اللهُ عز وجل.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ يوسُفَ عليه السلام لُقِّبَ بالصِّدِّيقِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، وكذلِكَ مَريَمُ بِنتُ عِمرانَ لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾

[المائدة:٧٥]، وكذلِكَ أُمُّ المُؤمِنينَ عائِشَةُ بِنتُ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ بِنتِ الصِّدِّيقِ؛ كما جاءَ في مُسنَدِ أحمَدَ عن مَسروقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ الْمُبَرَّأَةُ)، ويَجمَعُ هَؤلاءِ الثَّلاثَةَ أنَّهم اتُّهِموا بالفاحِشَةِ كذِبًا وبُهتانًا، فبرَّأَهم اللهُ ممَّا اتُّهِموا به ورفَعَ ذِكرَهم بين النَّاسِ.

- وُصِفَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالإحسانِ في خمسَةِ مَواضِعَ مِن سورَةِ يوسُفَ:

١. قَولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾.

٢. قَولُ صاحِبَيه في السِّجنِ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

٣. قَولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾.

٤. قَولُ إخوَتِه: ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾.

٥. قَولُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفسِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عليهما السلام:

[١] الأسباطُ: ❍ أبناءُ إبراهيمَ عليه السلام. ❍ أبناءُ يَعقوبَ عليه السلام الاثنا عشَرَ وذُرِّيَّتُهم.
[٢] كم عددُ إخوَةِ يوسُفَ؟ ❍ ٥. ❍ ١٠. ❍ ١١.
[٣] ما اسمُ أبي يوسُفَ؟ ❍ إبراهيمُ. ❍ إسحاقُ. ❍ يَعقوبُ.
[٤] رَأىٰ يوسُفُ أحَدَ عشَرَ كوكبًا والشَّمسَ والقَمرَ له ساجِدينَ، فمَن الشَّمسُ والقَمرُ؟ ❍ أخوهُ وأُختُهُ. ❍ أبوهُ يَعقوبُ وأُمُّهُ. ❍ زَوجَتُهُ وابنُهُ.
[٥] مَن الَّذي أخرَجَ يوسُفَ مِن البِئرِ؟ ❍ عَزيزُ مِصرَ. ❍ امرَأةُ العَزيزِ.
❍ سَيَّارةٌ أرادُوا الاستِقاءَ مِن البئرِ.
[٦] ذهَبَ يوسُفُ بعدما خرَجَ مِن البئرِ إلىٰ: ❍ مِصرَ. ❍ القُدسِ. ❍ اليَمَنِ.
[٧] النَّبيُّ الَّذي أُفرِدَت سورَةٌ لِقصَّتِهِ: ❍ موسَىٰ. ❍ يوسُفُ. ❍ مُحمَّدٌ.
[٨] المَرأةُ الَّتي راوَدَتْ يوسُفَ عن نَفسِهِ هي: ❍ زَوجَةُ مِلكِ الشَّامِ.
❍ زُلَيخَةُ امرأةُ العَزيزِ.
[٩] رجَعَ بصَرُ يَعقوبَ عليه السلام لمَّا ألقَىٰ عليه البَشيرُ قَميصَ يوسُفَ: ❍ صح.
❍ خطأ.
[١٠] هل كانَ إخوَةُ يوسُفَ أنبياءَ؟ ❍ نعم. ❍ لا. ❍ قَولان لأهلِ العِلمِ.
[١١] سببُ عَداوَةِ إخوَةِ يوسُفَ لهُ: ❍ الغَيرةُ. ❍ الحسَدُ. ❍ كلاهُما.
[١٢] النَّبيُّ الَّذي أُلقِيَ في السِّجنِ: ❍ موسَىٰ. ❍ يوسُفُ. ❍ شُعيبٌ.
[١٣] خافَ يَعقوبُ علىٰ يوسُفَ مِن: ❍ الأسَدِ. ❍ الكَلبِ. ❍ الذِّئبِ.
[١٤] آذىٰ إخوَةُ يوسُفَ أخاهُم بأن: ❍ ألقَوهُ في البِئرِ. ❍ ضَرَبوهُ. ❍ باعوهُ.
[١٥] سبَبُ خُروجِ يوسُفَ مِن السِّجنِ: ❍ طَلَبُهُ ذلِكَ مِن المَلِكِ. ❍ تَفسيرُهُ لرُؤيا المَلِكِ.
[١٦] النَّبيُّ الَّذي كانَ في السَّماءِ الثَّالثَةِ في حَديثِ المِعراجِ: ❍ موسَىٰ.
❍ إبراهيمُ. ❍ يوسُفُ.
[١٧] هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بالصِّدِّيقِ هو: ❍ إسحاقُ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يوسُفُ.

[١٨] نبيٌّ نُقِلَ بعدَ مَوتِهِ مِن مِصرَ إلىٰ فِلِسطينَ: ❍ يَعقوبُ. ❍ يوسُفُ. ❍ موسَىٰ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني.

[١٩] نبيٌّ يُلقَّبُ بأبي اليَهودِ: ❍ إسحاقُ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يَعقوبُ.

[٢٠] لَقَبُ النَّبيِّ يَعقوبَ: ❍ الصِّدِّيقُ. ❍ خَطيبُ الأنبياءِ. ❍ إسرائيلُ.

[٢١] يَعقوبُ ﷺ أبوه (❍ إسحاقُ ❍ إسماعيلُ)، وبُشِّرَ به (❍ إسحاقُ ❍ إبراهيمُ)، ووُلِدَ في حياةِ إبراهيمَ وزَوجَتِهِ سارَّةَ.

[٢٢] أفضَلُ أولادِ يَعقوبَ هو يوسُفُ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] ممَّا وُصِفَ به يَعقوبُ ﷺ: ❍ التَّوكُّلُ. ❍ العِلمُ. ❍ مِن ذُرِّيَّتِهِ الأنبياءُ. ❍ النُّصحُ لبَنيهِ عندَ المَوتِ. ❍ تأويلُ الرُّؤيا. ❍ أتَمَّ اللَّهُ علىٰ آلِهِ النِّعمَةَ. ❍ التَّعلُّقُ باللَّهِ وعدَمُ اليَأسِ. ❍ الجَميعُ. ❍ الجَميعُ إلَّا تعبيرُ الرُّؤيا.

[٢٤] لُقِّبَ يوسُفُ ﷺ بـ: ❍ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ. ❍ الصِّدِّيقِ. ❍ الجميع.

[٢٥] بُعِثَ يوسُفُ ﷺ إلىٰ أهلِ مِصرَ الأقباطِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٦] ممَّا وُصِفَ به يوسُفُ ﷺ: ❍ اجتباهُ اللَّهُ. ❍ علَّمَه تأويلَ الرُّؤىٰ. ❍ أتَمَّ نِعمَتَه عليه. ❍ التَّمكينُ. ❍ الحُكمُ والعِلمُ والإحسانُ. ❍ مُخلَصٌ. ❍ أوتيَ شَطرَ الحُسنِ. ❍ مُستجابُ الدَّعوَةِ. ❍ الصِّدقُ. ❍ الحِفظُ. ❍ الكَيدُ. ❍ المُلكُ. ❍ الجَميعُ.

[٢٧] ذُكِرَت قِصَّةُ يوسُفَ ﷺ مُطوَّلةً في سورَةٍ سمَّاها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (❍ أحسَنَ ❍ أصدَقَ) القَصَصِ.

[٢٨] قصَّةُ يوسُفَ ﷺ هي أطوَلُ قصَّةٍ ورَدَت في سورَةٍ واحِدَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٩] قصَّةُ يوسُفَ ﷺ لم تَرِدْ في القرآنِ إلَّا مرَّةً واحِدَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٠] بدَأت قصَّةُ يوسُفَ ﷺ برُؤيا وانتَهَت بوُقوعِها كما: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣١] لم يَأتِ في سورَةِ يوسُفَ ﷺ إلَّا قصَّتُه؛ كما لم يَرِد في سورَةِ نوحٍ ﷺ إلَّا قصَّتُه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٢] ذكَـرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في سـورَةِ يوسُـفَ أنَّه يقُصُّ علىٰ رَسـولِه ﷺ في هـذا الكِتابِ أحسَـنَ القَصَـصِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٣٣] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي: لـ: ❍ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إسـماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٣٤] أوَّلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤيا يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ الشَّمسَ: (❍ أبوه ❍ أمُّه)، وأنَّ القمَرَ: (❍ أبوه ❍ أمُّه)، وأنَّ الكَواكِبَ: (❍ إخوَتُه ❍ عَشيرَتُه)، وأنَّه ستَنتَقِلُ به الأحوالُ إلىٰ أن يَصيرَ إلىٰ حالٍ يَخضَعونَ له فيه (❍ صح ❍ خطأ)، وأنَّ هذه النِّعمَةَ (❍ خاصَّةٌ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ❍ ستشمَلُ آل يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

[٣٥] مَعنىٰ قَـولِ يَعقـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: ❍ بـأن يُؤتِيَكَ في الدُّنيـا حسَـنَةً. ❍ بـأن يُؤتِيَكَ فـي الآخِرَةِ حسَـنَةً. ❍ الجَميع.

[٣٦] لمَّـا قـالَ يَعقـوبُ ليوسُـفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسـف:٥]: ❍ امتَثَـلَ يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ لـم يَمتَثِـل.

[٣٧] قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لبَنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، (أي: زيَّنَت لكُم أنفُسُكُم أمرًا قَبيحًا في التَّفريقِ بَيني وبَينَه)؛ لأنَّه رأىٰ مِن (❍ القَرائِنِ والأحوالِ ❍ رُؤيا يوسُفَ الَّتي قصَّها عليه ❍ الجَميع) ما دلَّه علىٰ ما قالَه.

[٣٨] جـاءَ في كُلِّ مَوضِـعٍ ذُكِـرَ فيـه يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سـورَةِ يوسُـفَ ذِكرُه للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَعَلُّقُـه بـه وَحـدَه: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٣٩] قَولُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: صَبرًا سـالِمًا مِن: ❍ السَّـخَطِ. ❍ التَّشَـكِّي إلـىٰ الخَلقِ. ❍ الجَميع.

[٤٠] أكثَرُ ما وُصِفَ به يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ الإحسانُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] قَـولُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾، قصَـدَ أن يدعُوَهمـا إلـىٰ الإيمـانِ في هذه الحـالِ الَّتي بـدَت حاجَتُهمـا إليه، ليَكـونَ أنجَـعَ لدَعوَتِه، وأقبَـلَ لهُمـا: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[٤٢] لمَّـا دخَلَـت السِّـنونَ المُجدِبَةُ، وسَـرىٰ الجَدبُ حتَّـىٰ وصَلَ إلىٰ فِلِسـطينَ الَّتـي يُقيـمُ فيهـا يَعقـوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبَنـوه، أرسَـلَ يَعقـوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنيـه لأجـلِ المِيرَةِ إلـىٰ مِصـرَ: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[٤٣] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾، هـذه المِحنَـةُ العَظيمَـةُ أعظَـمُ علـىٰ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِـن مِحنَةِ إخوَتِـه (❍ صح ❍ خطـأ)، وصَبرُه عليهـا أعظَمُ أجرًا (❍ صـح ❍ خطـأ)؛ لأنَّه صَـبرُ (❍ اختِيـارٍ ❍ اضطِرارٍ) مع وُجـودِ الدَّواعي الكَثيـرَةِ لوُقـوعِ الفِعـلِ، فقـدَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحبَّـةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهـا، وأمَّـا مِحنَتُـه بإخوَتِـه فصَـبرُه عليها صَـبرُ (❍ اختيـارٍ ❍ اضطِرارٍ).

[٤٤] قَـولُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَـن ظَـنَّ نَجاتَـه: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مِن بابِ الأَخـذِ بالأسـبابِ: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[٤٥] لمَّـا قالَـتِ امرَأَةِ العَزيـزِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، يَحتَمِلُ أنَّها أرادَت: ❍ زَوجَهـا، أي: ليَعلَـمَ زَوجُهـا أنَّه لم يَحصُل مِنها سِـوىٰ المُراوَدَةُ، ولم تُفسِـد عليـه فِراشَـه. ❍ يُوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: حيـنَ أقَرَّت أنَّهـا هي الَّتـي راوَدَتْه، وأنَّه صـادِقٌ، فلـم تَخُنه في حـالِ غَيبَتِه عنهـا. ❍ الجَميع.

[٤٦] قَولُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ (❍ ليسَ فيه ❍ فيه) حِرصُه عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الوِلايَةِ، وإنَّما هو رَغبَةٌ مِنه في النَّفعِ (❍ العامِّ ❍ الخاصِّ).

[٤٧] كُلُّ مَـن عـرَفَ مِن نَفسِـه الكَفاءَةَ والأمانَـةَ والحِفظَ (❍ فلَـه ❍ ليسَ له) أن يتقَـدَّمَ للمَناصِبِ.

[٤٨] قالَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفتيانِه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾، ولم يُخبِر إخوَتَه بها: ❍ خشـيَةَ أن يتَحَرَّجـوا مِـن أخذِهـا. ❍ ليُبَيِّـنَ لهم إحسـانَه إليهـم بكَيلِه لهم كَيـلًا وافِيًـا بغَيـرِ ثَمَـنٍ. ❍ خشـيَةَ ألَّا يَجِـدوا الثَّمَنَ فـي العامِ القابِـلِ فيَكونَ ذلِـكَ سـببًا لعَـدَمِ قُدومِهم عليـه. ❍ الجَميع.

[٤٩] امتَنَـع يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِـن الخُـروجِ مِن السِّـجنِ أوَّلَ مـرَّةٍ: ❍ حتَّىٰ تتبَيَّنَ براءَتُـه التَّامَّـةُ. ❍ لصَبـرِه، وعَقلِه، ورَأيِه التَّـامِّ. ❍ الجَميع.

[٥٠] مَعنـىٰ: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾: ❍ خرَجَـت مِـن أَرضِ مِصـرَ مُقبِلَةً إلىٰ أَرضِ فِلِسـطينَ. ❍ دخَلَت أرضَ فِلِسـطينَ.

[٥١] مَعنـىٰ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمًا﴾: (❍ أَدِمْ علَـيَّ الإسـلامَ ❍ ثَبِّتْنـي عليـه حتَّـىٰ تتَوَفَّانـي عليـه ❍ الجَميـع)، وهو (❍ مِن بـابِ ❍ ليسَ مِن بابِ) اسـتِعجالِ المَوتِ.

[٥٢] مَعنىٰ قَولِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: ❍ أنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَرُدُّهم عليه، ويُقِرُّ عَينَيه بالاجتماعِ بهم . ❍ أنَّ الأمرَ إذا ضاقَ اتَّسَعَ. ❍ أنَّ مع العُسرِ يُسرًا. ❍ الفألُ الحسَنُ. ❍ حُسنُ الظَّنِّ باللَّهِ. ❍ أنَّ اللَّه يَأتي بالبَعيدِ قبلَ القَريبِ، ولهذا قالَ: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾. ❍ الجَميع.

[٥٣] لماذا تأخَّرَ إبلاغُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوَتِه عن نَفسِه إلىٰ المرَّةِ الثَّالِثَةِ الَّتي يقدَمون فيها عليه؟ ❍ امتِثالًا لأمرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. ❍ ليَتَحقَّقَ ابتِلاءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بفَقدِ ابنَيه الآخَرَينِ. ❍ ليَكونَ في إبلاغِه لهم وَقعٌ كَبيرٌ عليهم؛ لما أرادَ اللَّهُ بهم مِن الخَيرِ. ❍ الجَميع.

[٥٤] قَولُ امرَأةِ العَزيزِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ فيه: ❍ تبرِئَةٌ لها. ❍ تبرِئَةٌ ليوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الفِعلِ. ❍ كلاهما صَحيحٌ.

[٥٥] ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ هذا القَولُ مِنهنَّ: ❍ مَكرٌ يتوَصَّلن به إلىٰ رُؤيَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ قَصَدنَ به مُجرَّدَ اللَّومِ لها والقَدحِ فيها.

[٥٦] اختَرِ مِن القائمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾:	ترهيبٌ لهم إن لم يَأتوا بأخيهم.
﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾:	أي: الثَّمَن الَّذي اشتَروا به الميرَةَ مِن يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾:	تَرغيبٌ لهم في الإتيانِ بأخيهم.

[٥٧] قَولُ النِّسوَةِ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ)، وقَولُهنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ).

[٥٨] يُعرَفُ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ: ❍ الصِّدِّيقِ. ❍ العَزيزِ. ❍ الكَريمِ. ❍ الأوَّلِ والثَّاني فقط. ❍ الجَميع.

[٥٩] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾:	أي: مُتَتابِعاتٍ.
﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾:	لا نُعَبِّرُ إلَّا الرُّؤيا، وأمَّا الأَحلامُ الَّتي مِن الشَّيطانِ أو مِن حَديثِ النَّفسِ فَلا نُعَبِّرُها.
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾:	لم يُعنِّفه يوسُفُ علىٰ نِسيانِه.
﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾:	أي: تَمنَعونَه مِن التَّقديمِ لهُنَّ.
﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾:	أي: لا قَليلًا ولا كَثيرًا.
﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾:	لم يَأتِ هذا مُصَرَّحًا به في رُؤيا المَلِكِ.
﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾:	هذا جَزمٌ مِنهم بما لا يَعلَمونَ، وتَعذُّرٌ مِنهم.
﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾:	لأنَّه أَبقىٰ له وأبعَدُ مِن الالتِفاتِ إليه.
﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾:	أي: أجعَلُه خَصيصَةً لي، ومُقرَّبًا لَدَيَّ.
﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾:	أي: مُتَمَكِّنٌ، أمينٌ علىٰ الأَسرارِ.
﴿مَكِينٌ أَمِينٞ﴾:	أي: تَمَحَّضَ وتبَيَّنَ.

[٦٠] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾:	أي: كَفيلٌ.
﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾:	لم يَقولوا: لم نَسرِقْ.
﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾:	لم يَقُل: وجَدَها، أو سرَقَها.
﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾:	
﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾:	قَدِموا عليهم؛ لإبعادِ التُّهمَةِ.
﴿ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾:	لأنَّهما ليسا شَقيقَين لهُما.
﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ﴾:	لم يَقولوا: ما الَّذي سَرَقنا؟
﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾:	لم يُفَرِّق بينَهم، ولم ينسَ الأكبَرَ.
﴿أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾:	لم يَقولوا :إنَّ أخانا سرَقَ.
﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾:	بأن يتمَلَّكَه صاحِبُ السَّرِقَةِ.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾:	لم يقُل: نعم.
﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾:	لم يقُل: مِن الجُبِّ.
﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾:	لم يقُل: نزَغَ الشَّيطانُ إخوَتي.
﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾:	لم يقُل: مِن الجوعِ والنَّصَبِ.
﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾:	ولم يقُل: بِنا، أو بِكُم.
﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾:	كأنَّ الذَّنبَ صدَر مِن الطَّرَفَينِ.
﴿بَيۡنِي﴾:	ولم يَقولوا: المُصَدِّقينَ.
﴿وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾:	بدَأَ بنفسِه ولم يُقَدِّمهُم أو يُفرِدهم.

نَبِيَّا اللهِ أَيُّوبُ وَذُو الكِفْلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ	أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ العيص بن إسحاقَ، وليس مِن بَني إسرائيلَ.
	قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ إلى **أهلِ حورانَ**، وتقعُ جَنوبَ الشَّامِ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾[ص:٤١]. [٢-٣] ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾[ص:٤٤]. [٤]﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٨٤].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ أيُّوبُ في القرآنِ **٤ مرَّاتٍ**.
	آيتُه:	آيَتُهُ أنَّهُ دعا اللهَ أن يكشِفَ عنه الضُّرَّ فأُوحِيَ إليه أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾﴾[ص].

ذو الكِفل عَلَيْهِ السَّلَامُ	أبُوهُ:	قيلَ: هو ابنُ النَّبيِّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ غيرُ ذلِكَ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١-٢] ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأنبياء]. [٣] ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[ص].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ ذو الكِفل في القرآنِ **مرَّتينِ**، ولم تُذكَر قِصَّتُه.
	مُختَصَرُ قِصَّتِه:	قيلَ: إنَّهُ تكفَّلَ لبَني قَومِهِ أن يَكفِيَهُم أمرَهُم، وأن يَقضِيَ بينهُم بالعَدلِ، فسُمِّيَ ذا الكِفل. وقيلَ: إنَّه كانَ مِن أنبياءِ بَني إسرائيلَ، استَخلَفَهُ اليَسَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ على النَّاسِ بعدَهُ.

قصَّةُ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرَةً:

نَسَبُهُ وَمَكَانَتُهُ:

اسمُهُ أَيُّوبُ بْنُ موص، والمَشهورُ أنَّه مِن ذُرِّيَّةِ العيص بن إسحاقَ بن إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّ امرَأتَه هي لِيَا بنتُ مَنسا بنِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتَّفَقَ أهلُ السِّيَرِ علىٰ أنَّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ بأرضِ حورانَ، وأنَّه كانَ ذا مالٍ كَثيرٍ، وأنَّه أُوتِيَ مِن الأنعامِ والعَبيدِ والأراضي، وكانَ له أولادٌ وأهلونَ كَثيرٌ.

ابْتِلَاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لَهُ:

شاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أن يَبتَلِيَ عَبدَه أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدَنِه وأهلِه، ولعَلَّ ذلِكَ لِما سبَقَ في عِلمِه مِن شَديدِ صَبرِه وقُوَّةِ تَوَكُّلِه علىٰ رَبِّه عَزَّوَجَلَّ؛ ليَكونَ البَلاءُ رِفعَةً له في الدَّرَجاتِ، وقد قال نَبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخرَجَه أحمَدُ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، وللتِّرمذيِّ وابن ماجه: «**يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

وذَكَروا أنَّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُصيبَ بأنواعِ المَرَضِ في بَدَنِه حتَّىٰ لم يبقَ مِنه عضوٌ سليمٌ سِوىٰ قَلبِه ولِسانِه، فكانَ صابرًا مُحتَسِبًا، ذاكِرًا للَّه تعالىٰ بقَلبِه ولِسانِه، وقيلَ: إنَّ ممَّا أُصيبَ به مَرَضَ الجُدَرِيِّ، وطالَ به المَرَضُ حتَّىٰ عافَهُ النَّاسُ، وقد ثبَتَ عند ابنِ حِبَّانَ والحاكِمِ مِن حَديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً**»، وقيلَ: إنَّه لمَّا ذهَبَ مالُهُ ولم يَعُد عِندَه ما يُنفِقُ منه صارَتِ امرأتُه تخدِمُ النَّاسَ، وكانَ النَّاسُ يَتحاشَونَها خَوفًا مِن أن تَنقُلَ إليهم ما أصابَ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّه وصَلَ بها الحالُ إلىٰ أن باعَت ضَفيرَتَيها لامرَأةٍ مِن الأشرافِ بالطَّعامِ، فلمَّا عَلِمَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلِكَ غَضِبَ.

سُؤَالُهُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الْبَلَاءَ:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[ص]، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء].

ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّ أيُّوبَ كانَ صابِرًا علىٰ بَلائِهِ، وأنَّه لم يشَأْ أن يسأَلَ اللَّهَ رَفعَه، وفي حَديثِ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُتَقَدِّمِ: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ**»، ولا شكَّ أنَّ هذا مِن تَسويلِ الشَّيطانِ وتلبيسِه، وإلَّا فقد تقدَّم أنَّ الأنبياءَ -وهم أفضَلُ البَشَرِ وأتقاهُم للَّهِ- هم أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، «**فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّىٰ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَىٰ الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَىٰ بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ**»، فسُبحانَ اللَّهِ، أيُّ تقوىٰ هذه؟!

فلَمَّا اشتَدَّ علىٰ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ البلاءُ دعا ربَّهُ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ فذكَرَهُ بمرتبةِ العُبوديَّةِ، وهي أعلىٰ مرتبةٍ يبلُغُها البَشَرُ، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ أي: تَعَبٍ ومَشَقَّةٍ، ﴿وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[ص] في البَدَنِ والمالِ، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء].

استِجَابَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِدُعَائِه:

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[ص]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء].

لمَّا دعا أيُّوبُ اللَّهَ تعالىٰ أن يَرفَعَ عنه البَلاءَ استَجابَ اللَّهُ دُعاءَهُ، جاءَ في حَديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُتقَدِّم: «**وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَىٰ حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَىٰ حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ**: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢﴾ [ص]» أي: اضرِب برِجلِكَ الأرضَ يُخرِجِ اللَّهُ عَينًا بارِدَةً مِن الماءِ، فاغتَسِل مِنها واشرَب، فلمَّا فعَلَ ذلِكَ ذهَبَ ما به مِن البَلاءِ، «**فَاسْتَبْطَأَتْهُ**» لمَّا تأَخَّرَ عنها «**فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ**» لم تَعرِفهُ، فـ«**قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَىٰ؟ وَاللَّهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا! قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ**»، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ وذلِكَ أنَّهم كانوا قد ماتوا فأحياهُم اللَّهُ جميعًا، وزادَهُ ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ تَعالىٰ مع مَن دَعاهُ فأخلَصَ الدُّعاءُ، فإنَّه يَستَجيبُ له بإعطائِه ما سأَلَ ويَزيدُه ما شاءَ مِن فضلِه، ولهذا قالَ: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ على صَبرِهِ وثَباتِهِ، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء] مِن ذَوِي العُقولِ ليَعلَموا أنَّ عاقِبَةَ الصَّبرِ الفرَجُ، وأنَّ اللَّهَ ذو فَضلٍ واسِعٍ.

وفي الحَديثِ أنَّه: «**كَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ**»، والأندَرُ هو ما تُحفَظُ فيه الحُبوبُ، «**أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّىٰ فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَىٰ عَلَىٰ أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ**» أي: الفِضَّةَ «**حَتَّىٰ فَاضَتْ**».

كَفَّارَةُ يَمِينِه:

﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤﴾ [ص].

وكانَ مِن أمرِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه غَضِبَ مِن امرَأتِه يومًا في مُدَّةِ مَرَضِه فحلَفَ إن شَفاهُ اللَّهُ تَعالىٰ أن يضرِبَها مائةَ جَلدَةٍ، فلمَّا شَفاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لم

يُرِد أن يُجازِيَها علىٰ خِدمَتِها له وصَبرِها معه تِلكَ السِّنينَ الطَّويلةَ بجَلدِها مائةَ جَلدَةٍ، فأرادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُكفِّرَ عنه ويَجعَلَ له مَخرَجًا، فأوحىٰ إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ أي: شِمراخًا فيه مائةُ قَضيبٍ، ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ ضَربةً واحِدَةً، فتبَرَّ بيَمينِكَ ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾، وهذا جَزاءُ مَن اتَّقىٰ وأنابَ، ولذلِكَ قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص] رَجَّاعٌ مُنيبٌ إلىٰ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

قِصَّةٌ أُخْرَى لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أخرَجَ البُخاريُّ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ**»، واللَّهُ أعلَمُ هل كانَ جَرادًا حيًّا أم جامِدًا، «**فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ**» أي: يأخُذُ بيَدِه ويَرمي في ثَوبِه يَجمَعُه، «**فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ**» إمَّا مُباشَرةً أو بواسِطَةِ مَلَكٍ، «**أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ**» مِن الجَرادِ؟ وليسَ هذا مُعاتَبَةً له، وإنَّما هو استِنطاقٌ بالحُجَّةِ، «**قَالَ: بَلَىٰ وَعِزَّتِكَ**» قد أغنَيتَني، «**وَلَكِنْ لَا غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» أي: خَيرِكَ، ولم يكُن أيُّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليَأخُذَ المالَ حُبًّا للدُّنيا وهو الصَّابِرُ المُنيبُ، وإنَّما أخذَه لأنَّه بركَةٌ مِن اللَّهِ تَعالىٰ قَريبُ عَهدٍ به.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- اختَلَفَ أهلُ السِّيَرِ في اسمِ زَوجَةِ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالَ بَعضُهم: لَيا، وقالَ آخَرُونَ: رَحمَةُ، ولم يصِحَّ في شَرعِنا شيءٌ في ذلِكَ، واستَدَلَّ بَعضُ الجُهَّالِ علىٰ الثَّاني بقَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص]، وهذا استِدلالٌ عَجيبٌ! وليس قائِلُه ببَعيدٍ ممَّن زعَمَ أنَّ اسمَ أخي يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نكتَل مُستَدِلًّا بقَولِهِ تَعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ [يوسف:٦٣].
- تقَدَّمَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وصَفَ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّه صابرٌ، وقد أثنىٰ اللهُ تَعالىٰ علىٰ الصَّابرين في مَواضِعَ مِن القرآنِ، منها قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحجّ]، والصَّبرُ لُغَةً: الحَبسُ، وأمَّا شَرعًا فهو: (**حَبسُ النَّفسِ عن مَحارِمِ اللهِ**)، وهو ثلاثةُ أنواع جمَعَها كلَّها أيُّوبُ عليه السلام:

١. صَبرٌ علىٰ أقدارِ اللهِ عز وجل المُؤلِمَةِ، ومِنه صَبرُ أيُّوبَ عليه السلام علىٰ مَرَضِه وما نزَلَ به، وهذا أمرٌ ظاهِرٌ.

٢. صَبرٌ علىٰ طاعَةِ اللهِ عز وجل، فإنَّ الطَّاعَةَ تَحتاجُ إلىٰ مُجاهَدَةِ النَّفسِ الأمَّارَةِ بالسُّوءِ، ومُجاهَدَةِ الشَّيطان، ومِنه لُجوءُ أيُّوبَ عليه السلام إلىٰ اللَّهِ عز وجل لرَفعِ ما نزَلَ به مِن البَلاءِ، وعدَمُ أخذِه بالأسبابِ المَمنوعَةِ.

٣. صَبرٌ عن مَعصِيَةِ اللهِ عز وجل، ومِنه صَبرُ أيُّوبَ عليه السلام عن الجَزَعِ والتَّسَخُّطِ.

❍ مِن أنواع التَّوسُّلِ المَشروعِ في الدُّعاءِ:

١. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بأسمائِه، ومِنه دُعاءُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذي أخرَجَه أحمَدُ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...**».

٢. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بصِفاتِه، ومِنه دُعاءُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كما عندَ أحمَدَ والنَّسائِيِّ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي...**».

٣. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بأفعالِه، ومِنه: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ**».

٤. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بالإيمانِ به، ومِنه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا﴾.

٥. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بطاعَتِه؛ كما في قِصَّةِ أصحابِ الغارِ الثَّلاثَةِ.

٦. التَّوسُّلُ بذِكرِ حالِ الدَّاعي، ومِنه دُعاءُ أيُّوبَ عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

٧. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى بدُعاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذي تُرجىٰ إجابَةُ دُعائِه، ومِنه توَسُّلُ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم بدُعاءِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [النِّساء].

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ [ص:٤٢]، أي: اضرِبِ الأرضَ بها ليَنبُعَ لكَ مِنها عَينٌ تَغتَسِلُ مِنها وتَشرَبُ، فيَذهَبُ عنكَ الضُّرُّ والأذىٰ، فجَعَلَ رَكضَهُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ سببًا لحُصولِ الشِّفاءِ، وفي ذلِكَ تأكيدٌ لمَبدَإِ التَّسَبُّبِ، وأنَّ الإنسانَ يَنبَغي له الأخذُ بالأسباب، ولا يَكفيهِ أن يتَوَكَّل على اللهِ دونَ تَحرُّكٍ مِنه، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يجعَلُ السَّبَبَ الضَّعيفَ الَّذي لا يَقومُ بالمُسبَّبِ عادَةً سبَبًا مُؤثِّرًا، فإنَّ الرَّكضَ ليسَ مِن عادَتِه إنباعُ الماء، وكما في قصَّةِ مريم بنتِ عِمرانَ لمَّا أُمِرَت بهَزِّ جِذعِ النَّخلَةِ، والمرأةُ ليسَ بمَقدورِها عادَةً أن تَهُزَّ النَّخلَةَ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ ﴾[ص:٤٤]، وهنا مَفعولُ الفِعلِ ﴿فَٱضۡرِب﴾ مَحذوفٌ، و لعلَّه -والعِلمُ عِندَ اللهِ- حُذِفَ للسَّترِ، فلم يَأتِ في القُرآنِ أنَّه أُمِرَ بضَربِ زَوجَتِه، وإنَّما جاءَ ذلِكَ عن بَعضِ السَّلَفِ، وهو مِن القَصَصِ المَعروفَةِ عِندَ بَني إسرائيلَ، ولو كانَ المَقصودُ أن نَعرِفَ عَينَ المَضروبُ لجاءَ مُصَرَّحًا به في القُرآنِ، وإنَّما المَقصودُ أن نَعرِفَ أنَّ الضَّربَ الَّذي كانَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حَلَفَ عليه يَحصُلُ بِرُّه فيه بأَخذِ هذا الضِّغثِ -أي: الشِّمراخِ- والضَّربِ به.

❍ ذكَرَ أهلُ العِلمِ أنَّ مِن شُروطِ إكرامِ اللهِ تَعالىٰ للعَبدِ بالنُّبُوَّةِ أن يَكونَ ذا قُوَّةٍ علىٰ حَملِ الرِّسالَةِ، ولهذا فإنَّنا نجزِمُ أنَّه ليسَ مِن الأنبياءِ أصَمُّ ولا أبكَمُ مثلًا؛ بخِلافِ الأعمىٰ فإنَّ العَمىٰ لا يمنَعُ مِن أداءِ الرِّسالَةِ، وأمَّا ما أُصيبَ به أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن البَلاءِ والمَرضِ فإنَّه ليسَ قادِحًا في صِحَّةِ نُبُوَّتِه؛ لأنَّه كانَ عارِضًا ثمَّ زالَ عنه.

❍ قالَ تَعالىٰ عن أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾[ص]، وإضافَةُ البَلاءِ إلىٰ الشَّيطانِ مِن إضافَةِ التَّسَبُّبِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ كانَ سببًا في ذلِكَ، وإلَّا فإنَّ الحسَنَةَ والسَّيِّئَةَ كلاهما مِن خَلقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ خَلقًا وإيجادًا، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾[النِّساء]؟!

❍ ينبَغي للمُسلِمِ أن يستَحضِرَ أنَّ ما يَحصُلُ له مِن نِعمَةٍ فإنَّه بمُقتَضىٰ رَحمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا لكَونِه يستَحِقُّ ذلِكَ، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾[الأنبياء].

❍ يُستَفادُ مِن قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾[ص] أنَّ الأصلَ في الحَنِثِ التَّحريمُ، وقد يَعرِضُ له ما يجعَلُه مَكروهًا، أو مُباحًا، أو مُستَحَبًّا، أو واجِبًا، علىٰ ما قرَّرَه أهلُ العِلمِ في بابِ الأيمانِ والنُّذورِ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ وَذِي الْكِفْلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] بُعِثَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهلِ (❍ حورانَ ❍ سَدومَ ❍ بابِلَ)، وكانَ ذا مالٍ ولـه أولادٌ كثيرونَ (❍ صح ❍ خطأ).

[٢] ممَّا وُصِفَ به أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ العُبودِيَّةُ. ❍ الصَّبرُ. ❍ الأَوبَةُ. ❍ مُستجابُ الدَّعوةِ. ❍ جميعُ ما سبَقَ.

[٣] آيَةُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ رَفعُ الضُّرِّ عنه. ❍ النَّجاةُ مِن النَّارِ. ❍ الجميع.

[٤] لا يَكادُ يُذكَرُ أحدٌ مِن أهلِ البَلاءِ إلَّا ويُذكَرُ صَبرُ أيُّوبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] نبيٌّ ابتُلِيَ بفُقدانِ المالِ والأولادِ وصحَّةِ الجسَدِ، ومع ذلِكَ لم يَزِده ذلِكَ إلَّا طاعَةً وشُكرًا لله: ❍ إبراهيمُ. ❍ صالِحُ. ❍ أيُّوبُ.

[٦] ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ لم يُذكَر لنا المَضروبُ للسَّترِ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي: ❍ هَروِلْ. ❍ اضرِبْ.

[٨] وُصِفَ ذو الكِفلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ: ❍ الصَّبرِ والصَّلاحِ. ❍ أنَّهُ خَيِّرٌ. ❍ الجميع.

[٩] سُمِّيَ ذو الكِفلَ بذلِكَ لأنَّه: ❍ تكفَّلَ لبَني قَومِه أن يَكفِيَهُم أمرَهُم، وأن يَقضِيَ بينَهُم بالعَدلِ. ❍ استَخلَفَه اليَسَعُ علىٰ النَّاسِ بعدَه. ❍ الجَميعُ.

[٥٦] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾:	بإعطائِه ما سَألَ وزِيادَةَ فَضل.
﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾:	ليعلموا أنَّ عاقِبَةَ الصَّبرِ الْفَرَجُ.
﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾:	أعلىٰ مرتَبَةٍ يَبلُغُها البَشَرُ.
﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾:	علىٰ صَبرِه وثَباتِه.

ذو النُّونِ يُونُسُ بْنُ مَتَّى عليه السلام:

اسمُهُ:	يونُسُ بنُ مَتَّىٰ، قيلَ: إنَّهُ مِن بَني إسرائيلَ، وقيلَ غيرُ ذلِكَ.
لَقَبُهُ:	﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي: الحوتِ ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾[الأنبياء:٨٧].
قَومُهُ:	أُرسِلَ إلىٰ أهلِ نِينَوَىٰ بالعِراقِ، وكانوا كُفَّارًا، فلم يَستَجيبوا لهُ.
ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] مُستَجابُ الدَّعوةِ، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٨٨]. [٢] مُسَبِّحٌ، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾[الصَّافَّات]. [٣] أنعَمَ اللهُ عليهِ، ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[القلم:٤٩]. [٤-٥] ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾[القلم:٥٠].
آيَتُهُ:	آيَتُهُ الحوتُ، وذلِكَ أنَّه أُلقِيَ في البَحرِ، فالتَقَمَهُ الحوتُ، فنادَىٰ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء]، فنَجَّاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.
ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ يونُسُ في القرآنِ ٤ مرَّاتٍ، وسُمِّيَت سورةٌ باسمِهِ، وذُكِرَ مرَّةً بذي النُّونِ، ومرَّةً بصاحِبِ الحوتِ.
ذِكرُهُ في السُّنَّةِ:	[١] «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». مُتَّفَقٌ عليه. [٢] «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ.
مَصيرُ قَومِهِ:	قَذَفَ اللهُ في قُلوبِهِم الإيمانَ بعدَ خُروجِ يونُسَ عليه السلام مِن بَينِهِم، فنَجَوا مِن العَذابِ.

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرَةً:

نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومُه:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[الصَّافَّات]، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[يونس]، ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[الصَّافَّات].

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[الصَّافَّات]، وذكَرَ نبيُّنا ﷺ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنسوبًا إلىٰ أبيه فقالَ كما في الحَديثِ المُتَّفَق عليه عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**»، وهو ﷺ إنَّما قالَ هذا تواضُعًا، وبَيانًا لفَضلِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإشارَةً إلىٰ فَضلِ سائِرِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولعلَّه كانَ قبلَ أن يُعلِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَّه خيرُ ولَدِ آدَمَ.

ولا يُعلَمُ كامِلُ نَسَبِهِ، لكن قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾[يونس] وهم أهلُ نينَوىٰ مِن أرضِ المَوصِل، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[الصَّافَّات]، وقد أوصَلَ بَعضُهُم الزِّيادَةَ إلىٰ سَبعينَ ألفًا، واللَّهُ أعلَمُ بقَدرِها.

خُرُوجُه عَلَيْهِ السَّلَامُ من بَلَدِه وتَوْبَةُ قَوْمِه:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء]، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[يونس].

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ والنُّونُ هو الحُوتُ، أي: وصاحِبَ الحُوتِ، وهو يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقَومِهِ بسبَبِ كُفرِهم وعِنادِهم، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء]، ومَعنىٰ (نَقْدِر): نُضَيِّق تَضييقًا، أو نَقضي قَضاءً، قالَ أهلُ التَّفسيرِ: إنَّه لمَّا طالَ كُفرُ قَومِ يونُسَ وعِنادُهم وعَدَهُم أن يَخرُجَ مِن بَينِهم وأن يَنزِلَ عليهم العَذابُ بعدَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، فأخافَهُم ذلِكَ، وجَعَلوا

يَرقُبونَه، فلمَّا خرَجَ مِن بَينِ أظهُرِهم أيقَنوا وُقوعَ العَذابِ، فقَذَفَ اللَّهُ في قُلوبهم الإيمانَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا﴾ بمَعنىٰ ما النَّافيةِ ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ فيما سلَفَ مِن القُرونِ ﴿ءَامَنَتْ﴾ بتَمامِها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، فإنَّهم أنابوا إلىٰ اللَّهِ، وتضرَّعوا له، واستكانوا بينَ يَدَيهِ، وسَألوهُ رَفعَ العَذابِ عنهُم، وقيلَ: إنَّهم لَبِثوا كذلِكَ أربَعينَ ليلَةً، فـ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ كلَّهُم رَحِمناهُم و﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس] أي: أخَّرناهُم إلىٰ أجَلٍ، واختلَفَ أهلُ التَّفسيرِ هل يَنفَعُهُم إيمانُهم في الآخِرَةِ أم لا، والَّذي يَظهَرُ مِنَ السِّياقِ أنَّه يَنفَعُهُم.

الْتِقَامُ الْحُوتِ له ﷺ:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصَّافَّات].

لمَّا خرَجَ يونُسُ ﷺ مِن بَينِ قَومِهِ مُغاضِبًا لهُم رَكِبَ سَفينَةً في البَحرِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أي: فرَّ وهرَبَ ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ وهو المَملوءُ بالأَمتِعَةِ، فلمَّا كانوا في وسَطِ البَحرِ ماجَت بهم السَّفينَةُ وكادوا يغرَقونَ، ولم يَجِدُوا مَخرَجًا إلَّا أن يُخَفِّفوا مِن حِملِ السَّفينَةِ، فتَشاوَروا ورَأوا أن يَقتَرِعوا، فمَن وقَعَت عليه القُرعَةُ ألقَوهُ في البَحرِ، ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: قارَعَ يونُسُ معهُم ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: المَغلوبينَ في القُرعَةِ، وتكرَّرَ ذلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، فألقىٰ نفسَهُ في البَحرِ، فأمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ حوتًا أن يَلتَقِمَهُ ويَحفَظَهُ فلا يُهَشِّمَ عَظمَهُ ولا لَحمَهُ، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصَّافَّات] أي: آتٍ بما يُلامُ عليهِ.

دُعَاؤُهُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ:

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصَّافَّات]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا

تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القلم].

لمَّا التقَمَ الحوتُ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسِبَ أنَّه قد ماتَ، فلَمَّا عَلِمَ أنَّه حيٌّ قامَ فصلَّىٰ للَّهِ تَعالىٰ، وبَقِيَ في بَطنِ الحوتِ ما شاءَ اللَّهُ له أن يَبقىٰ، وقيلَ: إنَّه بَقِيَ فيه أربَعينَ يومًا، فلمَّا طالَ بَقاؤُهُ فيه أثقَلَه الغَمُّ وكَظمُهُ، قالَ تعالىٰ مُخاطِبًا نَبيَّنا ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا اللَّهَ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم] مغمومٌ، ﴿فَنَادَىٰ﴾ يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الثَّلاثِ: ظُلمَةِ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةِ البَحرِ، وظُلمَةِ اللَّيلِ، وكانَ دُعاؤُه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فاعتَرَف بذَنبِه، وتابَ مِن خَطيئَتِهِ، وهذا شَرطٌ مِن شُروطِ قَبولِ التَّوبَةِ، وفي حَديثِ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ عند التِّرمذيِّ مَرفوعًا: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ**: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾؛ **فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**»، فلمَّا دعا اللَّهَ مُخلِصًا له الدُّعاءَ استَجابَ له، قالَ تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دُعاءَهُ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ الَّذي كانَ فيه، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مَضَتْ سُنَّتُنا أنَّنا ﴿نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء] مِن البَلاءِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ إمَّا لأنَّه كانَ مِن المُصَلِّينَ الذَّاكِرينَ اللَّهَ قَبلَ البَلاءِ، أو إشارَةً إلىٰ تَسبيحِهِ في بَطنِ الحوتِ، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ أي: إلىٰ يَومِ القِيامَةِ، واستَدَلَّ بَعضُ النَّاسِ بهذا علىٰ أنَّ حوتَ يونُسَ يَبقىٰ حيًّا إلىٰ يَومِ القِيامَةِ، وهو قَولٌ حادِثٌ لا يُعلَمُ مَن قالَ به مِن السَّلَفِ ولا مِن المُفَسِّرينَ المُعتَبَرينَ، وهو مع ذلِكَ استِدلالٌ ضَعيفٌ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ وهي الأرضُ الَّتي لا بِناءَ فيها ولا نَباتَ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ ضَعيفُ البَدَنِ، ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ وهو القَرعُ، ومَعلومٌ أنَّ ورَقَ القَرعِ كَبيرٌ ناعِمٌ يَصلُحُ لأنْ يُستَظَلَّ به، وله ريحٌ يُبعِدُ

الذُّبابَ ونَحوَه، كما أنَّ ثَمَرَه مُغَذٍّ، وقالَ تَعالىٰ: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٌ﴾ أي: رَحمةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٌ ٤٩﴾، ولكِنَّ رَحمَةَ اللَّهِ أدرَكَته بما سبَقَ له مِن عَمَلٍ صالِحٍ فنُبِذَ حينَ نُبِذَ وهو غَيرُ مَذموم، بل أنبَتَ اللَّهُ عليه اليَقطينَ -كما سبَقَ- حِفظًا له مِنَ السُّوءِ، ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اختارَهُ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ [القلم].

حَجُّه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أخرَجَ مُسلِمٌ مِن حَديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه: «أَتَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ هَرْشَىٰ»، والثَّنِيَّةُ هي الطَّريقُ بين الجَبَلَين، وهَرشىٰ ثَنِيَّةٌ قَريبَةٌ مِن الجحفَةِ، «فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَـذِهِ؟ قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَىٰ، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ» أي: مُكتَنِزَةِ اللَّحمِ، تامَّةِ الجِسمِ، سَمينَةٍ لا هَزيلَةٍ، «عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ» الَّذي تُقادُ به «خُلْبَةٌ» أي: لِيفٌ «وَهُوَ يُلَبِّي».

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- مِن اللَّطائِفِ أنَّ ذا النُّونِ يونُسَ بنَ مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكِرَ في سورة نونٍ، وهي سورَةُ القلَم، وذلِكَ قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ [القلم].
- ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لمَّا ترَكَ دعوَةَ قَومِه، وخرَجَ مِن بينِهم قبلَ أن يَأمُرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالخُروجِ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء]، أي: ظَنَّ أنَّنا لن نُضَيِّقَ عليه بسبَبِ خُروجِه، فحصَلَ معه ما حصَلَ مِن التِقامِ الحوتِ له، وذلِكَ تَضييقٌ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عليه، وهكذا كُلُّ مَن ترَكَ الدَّعوَةَ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مع قُدرَتِهِ عليها فإنَّ اللهَ يُضَيِّقُ عليه.
- وممَّا يُستَفادُ مِن هذه القِصَّةِ أهَمِّيَّةُ الصَّبرِ في الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ، قالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران].

❍ لمَّا ماجت السَّفينَةُ الَّتي ركِبَها يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأهلِها وكادوا يغرَقونَ، رَأَوا أن يُخَفِّفوا مِن حِملِ السَّفينَةِ، وذلِكَ بأن يَقتَرِعوا، فمَن وقَعَت عليه القُرعَةُ ألقَوهُ في البَحرِ، وذلِكَ لأنَّهم لو لم يَقتَرِعوا لتَشاحُّوا، ولم يرضَ أحَدٌ أن يَكونَ هو الَّذي يُلقى، وهذا أمرٌ غيرُ جائزٍ في شَرعِنا، قالَ ابنُ العَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الِاقْتِرَاعُ عَلَىٰ إِلْقَاءِ الْآدَمِيِّ فِي الْبَحْرِ لَا يَجُوزُ فَكَيْفَ الْمُسْلِمُ؟! فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيمَنْ كَانَ عَاصِيًا أَنْ يُقْتَلَ وَلَا أَن يُرْمَىٰ بِهِ فِي النَّارِ وَالْبَحْرِ)، وأمَّا مَحَلُّ إعمالِ القُرعَةِ في شَرعِنا فعندَ أحَدِ أمرَينِ:

- عندَ تَزاحُمِ حُقوقِ جَماعَةٍ مِن النَّاسِ بحيثُ لا يَكونُ لأحَدِهم مَزِيَّةٌ علىٰ الآخَرينَ؛ كما لو تَزاحَمَ اثنانِ علىٰ الإمامَةِ أو الأذانِ وتَساوَوا في الأهلِيَّةِ.
- عندَ وُجودِ الإبهامِ؛ كما لو طلَّقَ رجُلٌ امرَأتَه، وكانَ له زَوجَتانِ، ولم يكُن نَوَىٰ إحداهُما علىٰ التَّعيينِ.

❍ قالَ تَعالىٰ عن يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾[الصَّافَّات]، أي: آتٍ بما يُلامُ عليه، وهو خُروجُه مِن قَومِه مُغاضِبًا لهم قبلَ أن يأذَنَ اللَّهُ له، وكانَ الواجِبُ عليه أن يَصبِرَ، قالَ تَعالىٰ لنَبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾[القلم]، وحمَلَ بعضُ المُفَسِّرينَ هذه الآيَةَ علىٰ مَعنىٰ: أتىٰ بما يَلومُه النَّاسُ عليه، وإن لم يَكُن مُلامًا علىٰ الحَقيقَةِ، وأمَّا قَولُه تَعالىٰ: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾ [القلم] فقالَ ابنُ عاشورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (طَرِيقَةُ الْمُفَسِّرِينَ فِي نَشْرِ هَذَا الْمَطْوِيِّ أَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْحَالَ قَيْدٌ فِي جَوَابِ لَوْلا، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ نَبْذًا ذَمِيمًا، أَيْ: وَلَكِنَّ يُونُسَ نُبِذَ بِالْعَرَاءِ غَيْرَ مَذْمُومٍ)، وعلىٰ الوَجهَينِ فإنَّ هذا لا يُنقِصُ مِن قَدرِ نَبيِّ اللَّهِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولدَفعِ هذا التَّوهُّمِ قالَ نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**». مُتَّفَقٌ عليه.

❍ مِن فَضائلِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اختَصَّه بخَصيصَةٍ لم تَحصُل لغَيرِه، وهي أنَّه عبدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مَكانٍ لم يَعبُده فيه أحَدٌ مِن البَشَرِ فيما يُعلَم،

وهو بَطنُ الحوت، قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الثَّلاثِ ومِنها ظُلمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

❍ لم يأتِ في القرآنِ ولا في السُّنَّةِ بيانُ مُدَّةِ بَقاءِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بَطنِ الحوتِ، وقد قيلَ إنَّه لَبِثَ فيه أربَعينَ يومًا، وقيلَ غيرُ ذلك، ولا داعِيَ للخَوضِ في تَحديدِ ذلك، فإنَّه لو كانَ فيه مَصلَحَةٌ لنا لما أُبهِمَ عنَّا.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] مَن هو النَّبِيُّ الَّذي كانَ يُلَقَّبُ بذي النُّونِ؟ ❍ موسَىٰ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يونُسُ.

[٢] لقَبُ يُونُسَ بنِ (❍ مَتَّىٰ ❍ النُّونِ) هو (❍ ابنُ متَّىٰ ❍ ذو النُّون)، والنُّون هو (❍ الحوتُ ❍ اسمٌ لمَكانٍ).

[٣] بُعِثَ يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهل: ❍ نينَوىٰ. ❍ مَدينَ. ❍ الشَّام.

[٤] ممَّا وُصِفَ به يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ مُستَجابُ الدَّعوَةِ. ❍ مُسدَّدٌ. ❍ مِن المُسَبِّحينَ. ❍ أنعَمَ اللَّهُ عليه. ❍ مُجتَبًىٰ وصالِحٌ. ❍ الجميعُ.

[٥] آيَةُ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الحوتُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] سُمِّيَت سورَةٌ باسمِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (❍ صح ❍ خطأ)، وذُكِرَ مرَّةً بـ: (❍ ذي النُّونِ ❍ صاحبِ الحوتِ ❍ الجميع).

[٧] كانَ مَصيرُ قومِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ أُهلِكوا جَميعًا. ❍ آمَنوا جَميعًا. ❍ آمنَ بعضُهُم وكَفَرَ بعضُهُم.

[٨] كلُّ مَن ترَكَ الدَّعوَةَ مع قُدرَتِه عليها فإنَّ اللهَ يُضيِّقُ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتىٰ بما يُلامُ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] آخرُ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورَةِ: ❍ القلَمِ. ❍ العلَقِ. ❍ القصَصِ.

[١١] ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نُضيِّقَ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] ذُكِرَ في سورَةِ يونُسَ عدَمُ قَبولِ تَوبَةِ فِرعونَ حين أدرَكَته الوَفاةُ، وتَوبَةُ قَومِ يونُسَ لعِلمِ اللهِ بصِدقِهم: ❍ صح. ❍ خطأ.

كَلِيمُ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسمُ:	مُوسَىٰ - ومَعناهُ: الـمُنتَشَلُ مِن الـماءِ.
اسمُ الأبِ:	عِمْرَانُ - مِن سُلالة يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
اسمُ الأخِ:	هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بُعِثَ معه لِيَشُدَّ أَزرَهُ ويكونَ له ظَهيرًا.
اسمُ الخادِمِ:	يُوشَعُ بنُ نونٍ - صار نَبِيًّا بعدَ مَوتِ مُوسَىٰ وهارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
اسمُ الـمُعلِّمِ:	الـخَضِرُ - واختلفوا هل هو نبيٌّ أم رجلٌ صالحٌ.
اللَّقَبُ:	كليمُ الله، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النِّساء].
الزَّوجَةُ:	تزوَّجَ ابنَةَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ بمَدينَ، وأمهَرَها رَعيَ الغنَمِ ١٠ سِنينَ.
الكِتابُ:	التَّوراةُ والصُّحُفُ، واختُلِفَ هل هما كتابانِ أم كتابٌ واحدٌ.
الـمَكانُ:	وُلِدَ في مِصْرَ، وتُوفِّيَ في الطُّور، وهو الآنَ في السَّماء السَّادِسَةِ.
الـمِهنَةُ:	كانَ يرعَىٰ الغنَمَ؛ كما فعَلَ سائِرُ الأنبياءِ.
الـمُـرَبِّيَةُ:	آسِيَةُ بنتُ مُزاحِمٍ، وهي امرأةُ فرعونَ، ومِن النِّساءِ الكُمَّلِ.
العَصَا:	كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل عصًا يتوَكَّأُ عليها، ويهُشُّ بها الغَنَمَ، وغيرُ ذلِكَ.
الدِّينُ:	الإسلامُ بمَعناه العامِّ، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾[يونس]، وسُمِّيَ أتباعُه باليَهودِ إمَّا لقولِهم: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾، أو نِسبَةً ليَهوذا أكبر أولادِ يَعقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ممَّا وُصِفَ به:	[١] «رَجُلًا آدَمَ، طِوَالًا، جَعْدًا؛ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ». مُتَّفقٌ عليه. [٢] ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص]. [٣] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[القصص:١٤]. [٤] ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[الأحزاب]. [٥] قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (كان **مُستجابَ الدَّعوةِ** عندَ اللهِ). [٦] أحَدُ أولي العَزم. [٧] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[طه]. [٨] «رَحِمَ اللهُ مُوسَىٰ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». مُتَّفقٌ عليه. [٩] «إِنَّ مُوسَىٰ عليه السلام بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ قَوْمَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ لَهُمْ: مَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي». أخرجه أحمد. [١٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾[طه]. [١١] الشَّهامةُ، والرُّجولة، والمُبادرةُ لخدمةِ الغيرِ، والوَفاءُ بالعَهدِ، ونُصرَةُ المَظلومِ، والتَّواضُعُ، والحِرصُ علىٰ طلَبِ العِلمِ، وقُوَّةُ الحُجَّةِ، واللُّجوءُ إلىٰ اللهِ، والغضَبُ له، وسُرعَةُ التَّوبَةِ إلىٰ اللهِ، وسُرعَةُ اتِّخاذِ القَرارِ، واستِشعارُ حَجمِ المَسؤوليَّةِ، والزُّهدُ في الدُّنيا، وقَبولُ النَّصيحَةِ، والحَياءُ...
آياته كثيرةٌ، وهي على قِسمَين:	[أ] **قبلَ خُروجِه من مصرَ:** ومِنها الآياتُ التِّسعُ: [١] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[الأعراف]. [٢] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[الأعراف]. [٣] ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾[طه]. [٤] ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾[الشُّعراء:٦٣]. [٥-٩] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[الأعراف:١٣٣]. [ب] **بعدَ خُروجِه من مصرَ:** ومنها: [١] ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾. [٢] ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ﴾. [٣] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾.

هو أكثَرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ:	ذُكر ١٣٦ مرَّةً في ٣٤ سورةً، وأكثَرُ ذِكرِه في الأعرافِ (٢١ مرَّةً)، والقَصَصِ (١٨ مرَّةً)، وطه (١٧ مرَّةً)، واقترَنَ ذِكرُه في مَواضِعَ كَثيرةٍ بالدُّعاءِ؛ نحو: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾[طه]، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾[القصص]، ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾[الأعراف:١٥١].
مِن خَصائِصِ أُمَّتِه:	[١] بُعثَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أُمَّتينِ: أمَّةِ القبطِ مع فِرعونَ، وأمَّةِ بني إسرائيل بعد هلاكِ فِرعونَ. [٢] هو آخرُ الأنبياءِ الَّذين أهلَكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أُممَهم، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[القصص:٤٣]. [٣] هو أكثرُ الأنبياءِ أتباعًا بعد نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ». مُتَّفَقٌ عليه.

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ فيمن خالَفَ ما جاءَ به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليَهود: (فالأمَّةُ الغضبيَّةُ هم اليهودُ أهلُ الكذبِ، والبُهتِ، والغدرِ، والمكرِ، والحِيَلِ، قتلةُ الأنبياءِ، وأكَلَةُ السُّحتِ -وهو الرِّبا والرِّشا-، أخبثُ الأُمَمِ طَوِيَّةً، وأرداهُم سَجِيَّةً، وأبعَدُهم من الرَّحمةِ، وأقرَبُهم من النِّقمةِ، عادَتُهم البغضاءُ، ودَيْدَنُهم العداوةُ والشَّحناءُ، بيتُ السِّحرِ والكذبِ والحِيَلِ، لا يرونَ لمن خالفَهم في كُفرِهم وتكذيبِهم الأنبياءَ حُرمةً، ولا يَرقُبونَ في مُؤمنٍ إلًّا ولا ذمَّةً، ولا لمن وافقهم حقٌّ ولا شفقةٌ، ولا لمن شاركَهُم عندهم عدلٌ ولا نصفةٌ، ولا لمن خالطَهُم طُمأنينةٌ ولا أمَنَةٌ، ولا لمن استعملَهُم عندهم نصيحةٌ، بل أخبَثُهم: أعقلُهم، وأحذَقُهم: أغَشُّهُم، وسليمُ النَّاصِيَةِ -وحاشاه أن يوجد بينهم-: ليس بيهوديٍّ علىٰ الحقيقةِ، أضيقُ الخلقِ صُدورًا، وأظلَمُهم بيوتًا، وأنتَنُهم أَفْنِيَةً، وأوحَشُهم سجِيَّةً، تَحِيَّتُهم لعنةٌ، ولِقاؤُهم طِيَرَةٌ، شِعارُهُم: الغضبُ، ودِثارُهُم: المَقْتُ)، «هِدايَةُ الحَيارىٰ» (ص٨).

هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	**أبوه:**	هو ابنُ عِمرانَ، وهو الأخُ الأكبرُ لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	قومه:	بعَثَهُ اللهُ مُؤَيِّدًا لأخيه موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ استجابَةً لطلَبه، فكانَا رَسولَينِ إلىٰ فِرعَونَ وقومِهِ القِبطِ، وإلىٰ بَني إسرائيلَ.
	ممَّا وَصفَه اللهُ به:	[١] ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه]، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص]. [٢] ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه]. [٣] ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ [القصص]. [٤] ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾ [القصص:٣٥]. [٥] ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا﴾ [الأنبياء:٤٨]. [٦-١١] ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا﴾ ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧﴾ ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا﴾ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١﴾ [الصَّافَّات].
	ذكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ هارُونُ في القرآنِ ٢٠ مرَّةً، وقُدِّمَ علىٰ موسَىٰ في مَوضِعٍ واحِدٍ: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه].
	مَوتُه:	ماتَ هارونُ قبلَ موسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكانَ ذلِكَ في زَمَنِ التِّيهِ، وقيلَ: إنَّ بني إسرائيلَ اتَّهموا موسىٰ بقَتلِ أخيهِ!

سبَبُ كثرَةِ تَكرارِ قِصَّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ: قوَّة الحُجَّةِ، وكثرَةُ الآياتِ، وشدَّةُ الاستكبارِ والطُّغيانِ عند فرعونَ، قال ابنُ سِعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: (كثيرًا ما يَقرِنُ الباري بينَ نُبُوَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونُبُوَّةِ موسىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين كتابَيهما وشريعتَيهما؛ لأنَّ كتابَيهما أفضلُ الكُتُبِ، وشريعتَيهما أكمَلُ الشَّرائعِ، ونُبُوَّتَيهما أعلىٰ النُّبُوَّاتِ، وأتباعُهما أكثرُ المُؤمِنينَ)، كما أنَّ أمَّتَه باقِيَةٌ بخِلافِ مَن قبلَهم.

قصَّةُ نَبيِّ اللَّهِ موسَى عليه السلام مُختصَرةً:

قبلَ مَولِدِه عليه السلام:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُوا۟ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]، ﴿نَتۡلُوا۟ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعًا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُوا۟ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

لمَّا خرَجَ يوسُفُ بنُ يَعقوبَ عليهما السلام مِن السِّجن في مِصرَ، ومكَّنَ اللهُ عز وجل له في الأرضِ، أقدَمَ بني إسرائيلَ مِن الشَّامِ إلىٰ مِصرَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُوا۟ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]، وإسرائيلُ هو يَعقوبُ عليه السلام، فسكَنَ بنو إسرائيلَ مِصرَ مُكرَّمينَ في زَمَنِ يوسُفَ عليه السلام، فلمَّا ماتَ يوسُفُ لَقوا مِن فِرعَونَ وملإِهِ شدَّةً، وساموهُم سوءَ العذابِ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿نَتۡلُوا۟ عَلَيۡكَ﴾ يا أيُّها الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم ﴿مِن نَّبَإِ﴾ خبَرِ ﴿مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تكبَّرَ وطغىٰ ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعًا﴾ طَوائِفَ، يُصرِّفُ كلَّ طائفةٍ في أمرٍ مِن أُمورِ دَولَتِه، ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ﴾ وهُم بَنُو إسرائيلَ، خِيارُ أهلِ زَمانِهم، استَعمَلَهُم في أَخسِّ الصَّنائِعِ والحِرَفِ، وهو مع ذلِك ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ الذُّكورَ، فلا يُولَدُ لبَني إسرائيلَ ولَدٌ ذكَرٌ إلَّا ذبحَهُ جُنودُ فِرعَونَ مِن ساعَتِه، وذلك خوفًا مِن أن يوجَدَ مِن أبنائِهِم مَن يُزيلُ مُلكَهُ، فعاقَبَهُ اللهُ بنَقيضِ قَصدِه، وأرسَلَ إليهِ موسىٰ عليه السلام، فأزالَ مُلكَهُ، وأهلكَهُ وجُندَهُ، ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ أي: يُبقي بَناتِهم أحياءً، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾؛ كانَ مِن أكثَرِ خلقِ اللهِ فسادًا في الأرضِ علىٰ مَرِّ التَّاريخِ، وذكَروا أنَّ فِرعَونَ وملَأَهُ خَشوا هَلاكَ بني إسرائيلَ،

فأمَرَ فِرعَونُ بقَتلِ الأبناءِ عامًا وإبقائِهِم عامًا، فوُلِد هارونُ بنُ عِمرانَ في عامِ المُسامَحَةِ، ووُلِدَ موسَىٰ في عامِ القَتلِ.

قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، فكانَ ذلِكَ كما أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وهو وَزيرُهُ ومُساعِدُهُ علىٰ طُغيانِهِ ﴿وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم﴾ مِن بني إسرائيلَ ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾[القصص].

قِصَّةُ أُمِّه مع وِلادَتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ ﴾ [القصص].

لمَّا حَمَلَت أمُّ موسَىٰ به لم يَظهَرْ عليها مَخايِلُ الحَملِ، ولم يُتفطَّنْ لها، فلمَّا وَلَدَتهُ ذكرًا أحبَّتهُ حُبًّا شديدًا، وكانَ مَن رآهُ أحبَّهُ، وذلِكَ قولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾[طه:٣٩]، فخافَت عليه أُمُّه مِن فِرعَونَ ومَلَإِهِ أن يَقتُلوهُ، وضاقَت بذلِكَ ذَرعًا، فألهَمَها اللهُ أن تُلقِيَهُ في النَّهرِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ وَحيَ إلهامٍ وإلقاءٍ في الرَّوعِ ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ ﴾ حتَّىٰ يشبَعَ، ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ وكانت دارُها علىٰ حافَّةِ النِّيلِ، فجَعَلَتهُ في تابوتٍ ومهَّدَت لهُ فيهِ مَهدًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي

﴿ٱلْيَمِّ﴾[طه:٣٩]، فكانَت تُرضِعُهُ وتَجعلُهُ في التَّابوتِ، وتربِطُ التَّابوتَ بحبلٍ، وتُلقيهِ في النِّيل.

فنَسِيَت يومًا أن تَربطَهُ، فأخَذَهُ اليَمُّ فألقاهُ بالسَّاحل، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[طه:٣٩]، فطَمأنَها اللهُ بأَنْ أوحَىٰ إليها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾، فوعَدَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ ما كانَت تَرجوه مِن نَجاةِ ابنِها وعَودَتِهِ إليها وزِيادَةً، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ﴾ اللَّامُ للعاقِبَةِ أو التَّعليل، ﴿لَهُمْ عَدُوًّا﴾ في دينِهم ﴿وَحَزَنًا﴾ علىٰ ما يَنالُهُم مِنه مِن المَكروهِ، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾.

فلمَّا رآهُ فِرعَونُ هَمَّ بِقَتلِهِ، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسِيَةُ بِنتُ مُزاحِم: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، أي: عسىٰ أن يكُونَ قُرَّةَ عَينٍ لي ولَكَ يا فِرعَونُ، وذلِكَ لأنَّها لمَّا رَأتهُ أحبَّتهُ حُبًّا شديدًا، فكانَ لها قُرَّةَ عَينٍ كما أرادَت، ولم يكُن لِفرعَونَ، وذَلِكَ أنَّها آمَنَت فيما بَعدُ، وكانَت مِن خَيرِ نِساءِ العالَمينَ، وشَهِدَ اللهُ لها بالجنَّةِ؛ بل ضرَبَها اللهُ مثَلًا للَّذين آمنوا، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾[التَّحريم]، وأمَّا فِرعَونُ فقالَ عنه النَّبيُّ ﷺ في حديث الفُتونِ: «**وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ، لَهَدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ**». أخرجَهُ النَّسائيُّ في الكُبرىٰ.

وقالَت آسِيَةُ لِفرعَونَ: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فتبَنَّاهُ؛ لأنَّها لم يكُن لها ولَدٌ مِن فرعونَ، فوافَقَ فِرعَونُ علىٰ إبقاءِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ بما أرادَهُ اللهُ وقدَّره مِن كَونِهِ سببًا لهَلاكِ فِرعَونَ ومَلإِه.

فلمَّا فقدَت أمُّ موسىٰ ولَدَها حَزِنَت، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ﴾ أي: قلبُ ﴿أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ مِن كلِّ شيءٍ مِن أُمورِ الدُّنيا إلَّا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أي: أن تُظهِرَ للنَّاسِ أنَّهُ كانَ لها ولَدٌ وفقَدتهُ، وكانَت تُخفي

عنهم ذلِكَ، ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾، فثبَّتَها اللهُ وصبَّرَها، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ الأكبرِ منهُ ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: تتبَّعي أثرَهُ وابحَثِي عنهُ، ﴿فَبَصُرَتْ﴾ أُختُهُ ﴿بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: مِن غيرِ أن يُتفَطَّنَ لها أنَّها تبحَثُ عنه.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ تحريمًا قَدريًّا، فلم يقبَل أيًّا مِن النِّساءِ المُرضِعاتِ اللَّواتي في دارِ فِرعَونَ، فخَرَجوا به إلىٰ السُّوقِ يَبتَغونَ مَن تُرضِعُهُ، فرَأتهُ أُختُهُ فعَرَفَتهُ، فلمَّا رَأَتْ حَيرَتَهُم ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾، فلمَّا عَرَضوهُ علىٰ أُمِّهُ قَبِلَ ثَديَها، ففَرِحَت آسِيَةُ وجَعَلَتهُ عِندَ أُمِّهِ تُرضِعُهُ، وأكرَمَتها بالنَّفقَةِ، وذلِكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه] أي: تُطعَمَ وتُرَفَّهَ، وتُغَذَّىٰ بأَطيَبِ المَآكِلِ، وتَلبَسَ أحسَنَ المَلابِسِ بمَرأىٰ مِنِّي، قالَ تعالىٰ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[القصص]، وليسَ هُناكَ مَن هو أصدَقُ ولا أوفَىٰ بوَعدِهِ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

بُلوغُه أشُدَّهُ:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ في حَديثِ الفُتونِ: «**تَنَاوَلَ مُوسَىٰ لِحْيَةَ فِرْعَوْنَ فَمَدَّهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، قَالَ الْغُوَاةُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ لِفِرْعَوْنَ: أَلَا تَرَىٰ مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّهُ؟ إِنَّهُ زَعَمَ أَنْ يَرُبَّكَ وَيَعْلُوكَ وَيَصْرَعَكَ؟ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الذَّبَّاحِينَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ-، بَعْدَ كُلِّ بَلَاءٍ ابْتُلِيَ بِهِ وَأُرِيدَ بِهِ فُتُونًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ: مَا بَدَا لَكَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي وَهَبْتَهُ لِي؟ فَقَالَ: أَلَا تَرَيْنَهُ، إِنَّهُ يَزْعُمُ سَيَصْرَعُنِي وَيَعْلُونِي، قَالَتِ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمْرًا يُعْرَفُ فِيهِ الْحَقُّ، ائْتِ بِجَمْرَتَيْنِ وَلُؤْلُؤَتَيْنِ فَقَرِّبْهُنَّ إِلَيْهِ، فَإِنْ بَطَشَ بِاللُّؤْلُؤِ وَاجْتَنَبَ الْجَمْرَتَيْنِ عَرَفْتَ أَنَّهُ يَعْقِلُ، وَإِنَّ تَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ وَلَمْ يُرِدِ**

اللُّؤْلُؤَتَيْنِ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لا يُؤْثِرُ الْجَمْرَتَيْنِ عَلَىٰ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَهُوَ يَعْقِلُ، فَقَرَّبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَتَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ، فَنَزَعُوهُمَا مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَحْرِقَا يَدَيْهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَلا تَرَىٰ؟ فَصَرَفَهُ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ، وَكَانَ اللَّهُ بَالِغًا فِيهِ أَمْرَهُ»، ثـمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وذلِكَ إمَّا ببُلوغِ الحُلُمِ، أو بُلوغ ثلاثينَ سنةً، ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: تناهىٰ شَبابُه، وتمَّ خَلقُهُ واستَحْكَمَ، وذلِكَ عندَ الأربعينَ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فِقهًا في الدِّينِ، وعقلًا، وعملًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾، فوصَفَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالإحسانِ، وهو أعلىٰ مَراتِبِ الدِّينِ، وكانَ بَنُو إسرائيلَ يَحتَمونَ بهِ، فيَنصُرُهُم علىٰ مَن أرادَهُم بسُوءٍ.

قَتْلُهُ رَجُلًا مِنْ مَلإِ فِرْعَوْنَ:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يومًا ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ بينَ المَغرِبِ والعِشاءِ أو عِندَ نِصفِ النَّهارِ، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي: يَتَضارَبانِ، ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ مِن بَني إسرائيلَ، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ مِنَ الأقباطِ، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ﴾ أي: ضَرَبَهُ بكَفِّه أو بعَصاهُ ﴿مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتَلَهُ، ولم يكُن يَنوي قَتلَهُ، فعندَها ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي حَصَلَ مِنِّي مِن قَتلي للرَّجُلِ ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾، ثمَّ دعا ربَّهُ وأنابَ إليهِ و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾، وكانَ كغيرِه مِن

الأنبياءِ والرُّسُلِ مُستَجابَ الدَّعوَةِ، ﴿فَغَفَرَ﴾ اللهُ ﴿لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ مِن الجاهِ والعِزَّةِ والنِّعَمِ ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ الكافِرينَ بكَ.

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾ مِن الأقباطِ بسببِ قَتلِهِ رجُلًا منهُم، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظِرُ ما يكونُ منهُم، فمَرَّ في بَعضِ الطُّرُقِ ﴿فَإِذَا﴾ الإسرائيليُّ ﴿ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ يتضارَبُ مع رجُلٍ آخَرَ مِن الأقباطِ، فجعَلَ الإسرائيليُّ ﴿يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ علىٰ عدُوِّهِ، فـ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨﴾ أي: كثيرُ الشَّرِّ، ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ﴾ موسَىٰ ﴿أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا﴾ وهو القِبطِيُّ، حَسِبَ الإسرائيليُّ أنَّه يُريدُهُ بذلِكَ فـ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾ [القصص]، فعلِمَ القِبطِيُّ أنَّ موسَىٰ هو قاتِلُ صاحِبِهم بالأمسِ، فنقَلَ الخَبَرَ وبلغَ ذلِكَ فِرعَونَ، فعَزَمَ علىٰ قَتلِ موسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ، وأرسَلَ الجُندَ في طَلَبِهِ.

خروجُه من مصرَ:

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ﴾ مِن بَني إسرائيلَ عِلمَ بخُروجِ الجُندِ في طلَبِ موسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ فسلَكَ طريقًا أقصرَ، فلمَّا وصلَ إلىٰ موسَىٰ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ﴾ أي: يتشاوَرونَ ﴿بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ﴾ مِن البَلَدِ، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾، وصدَقَ الرَّجُلُ في نُصحِهِ، ﴿فَخَرَجَ﴾ موسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ ﴿مِنۡهَا﴾ وَحيدًا ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾، وكانَ قبلَ ذلِكَ مُترَفًا مُنعَّمًا، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ وهُم فِرعَونُ ومَلَأُهُ، وقيلَ: إنَّ اللهَ أرسَلَ إليهِ مَلَكًا دلَّهُ علىٰ الطَّريقِ، فاتَّبعَ موسَىٰ طَريقَ مَديَنَ، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص]، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَهُ.

اللِّقاءُ المُبارَكُ في مَدْيَنَ:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وهو بئرٌ يرِدُهُ رُعاةُ الشَّاءِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾ أي: تمنعانِ غنمَهُما مِن أن تَرِدَ علىٰ الماءِ معَ الغَنَمِ الأُخرىٰ، وذلِكَ خَشيَةَ أن يُصيبَهُما أذًىٰ، ﴿قَالَ﴾ لهُما موسَىٰ: ﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ﴾؟ أي: لِماذا لا تَرِدانِ مع النَّاسِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ أي: حتَّىٰ يفرُغَ النَّاسُ مِن السَّقيِ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾، فهذا الَّذي ألجأَنا إلىٰ السَّقيِ، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**فَجَعَلَ يَغْتَرِفُ فِي الدَّلْوِ مَاءً كَثِيرًا، حَتَّىٰ كَانَ أَوَّلَ الرِّعَاءِ، وَانْصَرَفَتَا بِغَنَمِهِمَا إِلَىٰ أَبِيهِمَا**».

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ فاستظَلَّ بشجَرَةٍ، وكانَ قد أصابَهُ مِن السَّفرِ تَعَبٌ شديدٌ، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ أي: مُحتاجٌ، ورجَعَتِ المرأتانِ إلىٰ أبيهما قبلَ الوَقتِ المُعتادِ، فسألَهُما أبوهُما عن ذلِكَ، فقصَّتا عليهِ خبرَهُما، فبعثَ إحداهُما لِتدعُوَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ مَشيَ النِّساءِ الحَرائِرِ، مُستَتِرةً عن أعيُنِ الرِّجالِ، فلمَّا قَدِمَت علىٰ موسَىٰ ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾،

أي: لِيُكافِئَكَ علىٰ صَنيعِكَ معنا، صرَّحَت لـه بالسَّبَبِ حتَّىٰ لا يتوَهَّمَ غيرَ ذلِكَ، فقَبِلَ موسَىٰ الدَّعوَة وقدِمَ علىٰ الرَّجُل، وقيلَ: اسمُهُ شُعَيبٌ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ أي: حكَىٰ لَهُ ما حَصَلَ لهُ بِمِصرَ وألجَأَهُ إلىٰ الخُروجِ مِنها، فـ﴿قَالَ﴾ الرَّجُلُ: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ فطِبْ نَفسًا وقَرَّ عينًا، فعِندَها ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ أي: اجعَلهُ أجيرًا عندَكَ يرعىٰ لنا الغنَمَ علىٰ أُجرَةٍ، وعلَّلت ذلِكَ بقَولِها: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾، وذلِكَ لِما رأَتْ مِن قُوَّتِهِ عندَ السَّقيِ، وأمانتِه في مُعامَلَتِهِ لهما وهما امرَأتانِ ضَعيفَتانِ أجنبيَّتانِ عنه، وكانَت تِلكَ فِراسَةً مِنها، فلمَّا رأىٰ الرَّجُلُ قُوَّةَ موسَىٰ وأمانتَهُ وحاجَتَهُ إلىٰ مكانٍ يأوِي إليهِ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أي: أُزَوِّجَكَ ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾، وسمَّىٰ لهُ المَهرَ فقالَ: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ أي: ثمانِيَ سنَواتٍ ترعَىٰ الغنَمَ، ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فتكونُ السَّنتانِ حُسنَ قَضاءٍ مِنكَ، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾، فقبِلَ موسَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ شرطَ الرَّجُلِ و﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ الشَّرطُ الَّذي اشتَرطتَ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ سواءٌ كانَ الأقلَّ أو الأكثرَ ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾[القصص]، وكفَىٰ باللهِ وكيلًا.

قَضاءُ الأجلِ وعودتُه إلى مِصرَ:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾[القصص].

في «صحيح البُخاريِّ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، حَتَّىٰ أَقْدَمَ عَلَىٰ حَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «**قَضَىٰ أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ**».

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ أي: أتَمَّ ﴿مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ وهو عشرُ سِنينَ، اشتاقَ إلىٰ أهلِهِ بمِصرَ، فأرادَ أن يَزورَهُم سِرًّا، فحَمَلَ أهلَهُ الَّذينَ معهُ وغنَمَهُ الَّذي وهَبَهُ له صِهرُهُ، ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾[القصص] مُتَّجِهًا إلىٰ مِصرَ.

مروره بالوادي المُقدَّس طوًى:

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

فلمَّا سارَ بأهلِهِ مرَّ بجبَلِ الطُّورِ بسَيناءَ إلىٰ الشَّرقِ مِن مِصرَ، وفي ليلةٍ مُظلِمَةٍ حاوَلَ إيقادَ النَّارِ فلَم يستَطِع، ثمَّ ﴿ءَانَسَ﴾ أي: رأىٰ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ تُضيءُ علىٰ بُعدٍ، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ حتَّىٰ آتِيَها، ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾؛ لأنَّه كان قد ضَلَّ الطَّريقَ، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ أي: قِطعةٍ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تَستدفِئونَ بها مِن البردِ، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: النَّار ﴿نُودِيَ﴾ ناداهُ اللهُ بصَوتٍ سَمِعَهُ بأُذُنَيهِ ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ مِن جانِبِ الوادي ممَّا يلِي الجبَلَ عن يَمينِ موسَىٰ ﷺ مِن ناحيَةِ الغَربِ، ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ شجَرَةٍ خَضراءَ، فقالَ لهُ ربُّه ﷻ مُخاطبًا إيَّاهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ فتعجَّبَ موسَىٰ ﷺ ممَّا سَمِعَ، وقالَ اللهُ له مُبيِّنًا له اصطفاءَهُ إيَّاهُ نبيًّا رسولًا: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: تخسَرَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

ثُـمَّ سَـأَلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾، وبيَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وظيفَتَها فقـالَ: ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾، فـأرادَ اللهُ أن يُرِيَـهُ قُدرَتَـهُ، فـ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[طـه]، فلمَّا رأىٰ موسَىٰ ذلِـكَ خافَ علىٰ نَفسِـهِ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[القصـص]، فطَمأَنَـهُ اللهُ فــ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾، وقـالَ: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾[القصـص]، وقـالَ: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾[النَّمـل].

ثمَّ أراهُ اللهُ آياتٍ أُخرىٰ ليَزدادَ اطمِئنانًا، فقالَ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾[طه]، وقالَ: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ﴾ يَدُلَّانِ علىٰ صِدقِكَ حينَ تَدعو فِرعَونَ وقَومَه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾[القصص]، فكانَ هذا مَبدَأَ رِسالَةِ موسَىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمرَهُ اللَّهُ بدَعوَةِ فِرعَونَ فقالَ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[طه].

فقَبِـلَ موسَـىٰ الرِّسـالَةَ، ودَعَـا ربَّـهُ فــ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾[طـه]، قيـلَ: إنَّ سـببَ العُقـدَةِ الجَمـرَةُ الَّتـي تناوَلَها وهـو صغيرٌ، وعلِمَ موسَـىٰ أنَّ فِرعَونَ وملأَهُ لن يستَجيبوا له، فـ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾، و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾[الشُّعـراء]، ثـمَّ طلَـبَ مِـن اللهِ أن يُرسِـلَ معــه أخاهُ هـارونَ ليُؤيِّدَهُ في دَعوَتِهِ لفرعَــونَ وقَومِهِ، فقـالَ: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾، فاستَجابَ اللهُ طلَبَـهُ و﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[القصـص]، وكانَ ممَّـا علَّـلَ به موسَـىٰ طلَبَ إشـراكِ أخيـهِ معه أن قـال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[طـه].

مُواجهتُه لفرعونَ:

﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ
سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠
مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾
وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ
مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾
[الشُّعراء]، ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء]،
﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا
مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ
لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا
كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف].

قالَ اللهُ تعالىٰ لموسَىٰ وهارونَ: ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾، فقَدِمَ موسَىٰ وهارونُ علىٰ فِرعَونَ، ودَعَواهُ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فـ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ مُعترِضًا علىٰ موسَىٰ: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ وجعَلَ يَمُنُّ عليه، وذكَّرَه بخَطيئَتِهِ فقالَ: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾، فلَم يُنكِرْ موسَىٰ ذلِكَ، وأقَرَّ علىٰ نفسِهِ فـ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

قبلَ أن يُنعِمَ اللهُ علَيَّ بالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ، ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١﴾، ثمَّ قالَ موسَىٰ لِفرعَونَ: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾؟ أي: أينَ إحسانُكَ إليَّ من كُفرِكَ باللهِ، وادِّعائِكَ الرُّبوبيَّةَ مِن دونِهِ، وإساءَتِكَ إلىٰ بَني إسرائيلَ؟!

ثمَّ سألَ فِرعَونُ موسَىٰ عن رَبِّهِ الَّذي يَدعو لِعِبادَتِه فـ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ﴾ موسَىٰ عليه السلام: هو ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ الخالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، وهو وَحدَهُ المُستَحِقُّ للعِبادَةِ، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ﴾ فِرعَونُ ﴿لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥﴾ إلىٰ قولِ موسَىٰ وتَعجَبونَ مِن زَعمِهِ أنَّ لكُم إلهًا غَيري؟ فـ﴿قَالَ﴾ لهُم موسَىٰ: إنَّ اللهَ هو ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦﴾ الَّذينَ كانوا قَبلَ أن يوجَدَ فِرعَونُ، ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يقولُ ذلِكَ غيرَ مُقِرٍّ لموسَىٰ عليه السلام بالرِّسالَةِ ﴿لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ ليس له عَقلٌ في دَعواهُ أنَّ لكُم إلهًا غيري، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: اللهُ هو ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾، فإن كانَ فِرعَونُ ربًّا فليَعكِس ذلِكَ، وهذا هو عينُ احتِجاجِ إبراهيمَ عليه السلام قبلَهُ في مُناظَرَةِ النُّمرودِ.

فلمَّا انقَطَعَت حُجَجُ فِرعَونَ وعجَزَ عن مُحاجَّةِ موسَىٰ عليه السلام ﴿قَالَ﴾ لموسَىٰ مُهَدِّدًا: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾، فلم يخَف موسَىٰ، وإنَّما عرَضَ عليهِ ما جاءَ به من الآيات، فـ﴿قَالَ﴾ لِفرعَونَ: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾، هل ستُؤمِنُ باللهِ وتتوبُ إليهِ؟ ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ: ﴿فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ﴾ موسَىٰ ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾، أي: أخرَجَ يدَهُ مِن جَيبِهِ فرَآها بيضاءَ مِن غَيرِ بَرَصٍ، ثمَّ ردَّها فعادَت إلىٰ لونِها الأوَّلِ، فلم يُصدِّق فِرعَونُ بعدَ أن رأىٰ الآياتِ البيِّناتِ الواضِحاتِ، و﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾[الشُّعراء]، وقالَ فِرعَونُ لموسَىٰ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ قيلَ: بمَعنىٰ ساحِرٍ، فهو فاعِلٌ بلَفظِ المَفعولِ، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ لِفرعَونَ في ثَباتٍ وعَزيمَةٍ: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ

الَّتي أَرَيتُكَ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ أي: حُججًا وبَراهينَ علىٰ صِدقي، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[الإسراء] أي: هالِكًا ومَلعونًا.

قالَ تَعالىٰ عن فِرعَونَ وقَومِهِ: ﴿وَقَالُواْ﴾ لِموسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾، فعاقَبَهُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بأنواعٍ مِن العَذابِ، قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ أي: الأمطارَ المُغرِقَةَ، وقيلَ: كثرَةُ المَوتِ، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فلم يترُكْ لهُم زرعًا، ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وهو السُّوسُ أو القَملُ أو البرغوثُ، ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ حتَّىٰ كثُرَ أذاها لهُم، ﴿وَٱلدَّمَ﴾ حتَّىٰ امتلأَت بِهِ أنهارُهُم وآبارُهُم، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ بيِّناتٍ واضِحاتٍ، ومع ذلِكَ قالَ: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ وهو ما سبَقَ ذِكرُهُ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾، فدَعا لهُم موسَىٰ فكشَفَ اللهُ عنهُم ذلِكَ كُلَّهُ، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[الأعراف]، فلم يُوفُوا بوَعدِهم لموسَىٰ، واستَمرَّ فِرعَونُ ومَلَأُه في كُفرِهِم وبَغيِهِم علىٰ بني إسرائيلَ.

قصَّتُه مع السَّحرة:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشُّعراء].

فلمَّا انقطَعَت حُجَّةُ فِرعَونَ وقَومِهِ، ولم يجِدوا ما يرُدُّونَ به علىٰ موسَىٰ وهارونَ، اتَّهمَ فِرعَونُ موسَىٰ بالسِّحرِ، وقالَ لقَومِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾؟ أي: بماذا تُشيرونَ عليَّ؟ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أجِّلهُما إلىٰ وَقتٍ لاحِقٍ، ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ الَّتي بمَملَكَتِكَ عُمَّالًا ﴿حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ يَجمَعوا و﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[الشُّعراء] بارِعٍ في السِّحرِ، عالِمٍ بطَرائِقِهِ، فيشهَدونَ بأنَّ الَّذي أتىٰ به موسَىٰ سِحرٌ.

ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لموسَىٰ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وهو اليومُ الَّذي يتفرَّغونَ فيه مِن أعمالِهِم، ويجتَمِعونَ فيهِ، فأرادَ موسَىٰ أن يشهَدوا ما يكُونُ بينَهُ وبينَ السَّحَرَةِ، لعلَّهُم يُصدِّقونَ برسالَتِهِ ويتَّبِعونَهُ، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ ليكونَ أظهَرَ لهُم وأجلَىٰ، ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾[طه]، ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ مِن الأقباطِ وبني إسرائيلَ ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ معنا؟ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ تفاؤُلًا منهم أنَّ السَّحَرَةَ سيَغلبونَ موسَىٰ وهارونَ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ الَّذينَ جمَعَهُم فِرعَونُ إلىٰ مَجلِسِه ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾؟ يطلُبونَ مِنه الإحسانَ إليهم إذا غَلَبوا موسَىٰ عليه السلام، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾[الشُّعراء]، فوَعدَهُم الإحسانَ إليهِم، وأن يجعلَهُم مِن المُقرَّبينَ لَديهِ، فلمَّا أرادوا مُنازَلَةَ موسَىٰ عليه السلام وعَظَهُم، فـ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم﴾ يُهلِكَكُم هلاكًا لا بقيَّةَ له ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾ خَسِرَ ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ الكَذِبَ علىٰ اللهِ، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾ أي: تشاجَرَ السَّحَرَةُ فيما ﴿بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾، فأسرَّ بعضُ السَّحَرَةِ لبعضٍ ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ وهي السِّحرُ؛ لأنَّ هؤلاءِ

السَّحَرَةَ كانُوا مُعَظَّمينَ بسببه، ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾ واحدًا، فألقُوا ما بأيديكُم مرَّةً واحِدَةً لِتَبهَروا أبصارَ النَّاسِ وتَغلِبوا موسَىٰ وهارونَ، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾[طه]، فإن استَعلَينا نحنُ فقد وعَدَنا فِرعَونُ العَطاءَ الجَزيلَ وأن يُقرِّبَنا مِنه، وإن استَعلَىٰ موسَىٰ كانت له الرِّياسَةُ.

فلمَّا عزَمُوا أمرَهُم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ أنتَ أوَّلًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحنُ ﴿أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾[طه]، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ﴾ أنتُم أوَّلًا ﴿مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ لِنَرَىٰ ما تَصنعونَهُ مِن السِّحرِ، ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الشُّعراء]، ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾، فخيَّلُوا إلىٰ أبصارِهم أنَّ ما فَعَلوهُ حقيقَةٌ، وليس الأمرُ كذلِكَ وإنَّما هو مُجرَّدُ تخييلٍ، ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾[الأعراف]، ومِن عظَمَةِ سِحرِهم أنَّهُ جعَلَ موسَىٰ عليه السلام قويَّ الإيمانِ والعَزيمَةِ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾، فعِندَها ثبَّتَهُ اللهُ وأيَّدَهُ، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ بِما مَعَكَ مِن الحَقِّ والآياتِ البيِّناتِ، ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ﴾ أي: تأكُلْ ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ مِن الحِبالِ والعِصِيِّ، ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[طه]، وهذا الَّذي وعَدَهُ اللهُ بِهِ هو الَّذي حصَلَ، ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الشُّعراء]، ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ﴾ فِرعَونُ وشيعَتُهُ ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾[الأعراف] وكانُوا يَرجُونَ الاستِعلاءَ علىٰ موسَىٰ، فعاقَبَهُم اللهُ بنقيضِ قَصدِهِم.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لمَّا رأَوا آيَةَ موسَىٰ عليه السلام؛ لِما عَلِموا مِن أنَّ ذلِكَ ليسَ سِحرًا كسِحرِهم، وإنَّما حقيقَةٌ عايَنوها في وَضحِ النَّهارِ، فسَجَدوا للهِ الَّذي أرسَلَهُ بالحَقِّ، و﴿قَالُوٓاْ﴾ مِن حينِهِم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وذلِكَ لِما أرادَ اللهُ بِهِم مِن الخَيرِ، ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فلمَّا رأىٰ فِرعَونُ ذلِكَ ﴿قَالَ﴾ لهُم: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؟ أي: كانَ ينبَغي أن تستَأذِنوني قبلَ أن تُعلِنوا إيمانَكُم، كلُّ ذلِكَ استِكبارًا مِنه وعِنادًا، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، وهذا استِمرارٌ مِنهُ في المُكابَرَةِ؛ لأنَّ النَّاسَ يعلَمونَ أنَّ

السَّحَرَةَ لم يسبق لهم أن لقُوا موسىٰ قبلَ ذلكَ اليوم، ثمَّ توعَّدَهُم فقالَ: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كيفَ يكونُ عذابي لكُم، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فلأَجعلَنَّكُم مُثلَةً، ولأَقتُلَنَّكُم شرَّ قِتلَةٍ، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضُرُّنا ذلكَ ولا نُبالي بهِ، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فلن يُضيعَ أجرَنا إذا آمنَّا وصبَرنا علىٰ أذاكَ، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ السَّابقةَ وما أكرَهتَنا عليهِ مِن السِّحرِ، ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾[الشُّعراء] أي: بسببِ أنَّنا بادَرنا بالإيمانِ قبلَ قومِنا الأقباطِ.

وقالَ السَّحَرَةُ كذلكَ لِفرعونَ: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[طه].

غَرَقُ فِرعَونَ ونَجاةُ بَني إسرائيلَ:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الشُّعراء].

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[يونس].

فلمَّا فشَلَت خُطَّةُ فِرعَونَ أمام النَّاسِ، وأيَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأَظهَرَ حُجَّتَهُ، وآمَنَ السَّحَرَةُ، لم يبقَ لِفرعَونَ وسيلَةٌ مع موسَىٰ إلَّا أن يَقتُلَهُ، فأرادَ اللهُ أن ينصُرَ أولياءَهُ كما وعَدَهُم، ويُهلِكَ الظَّالِمينَ، فأمَرَ اللهُ موسَىٰ أن يَخرُجَ ببني إسرائيلَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ﴾ والإسراءُ هو المَشيُ ليلًا ﴿بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾، فأصبحَتِ المَدينَةُ خاليَةً مِنهم، فغاظَ ذلِكَ فِرعَونَ، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: مَن يَجمَعُ الجُندَ، ونادىٰ فيهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يُريدُ بَني إسرائيلَ ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائِفَةٌ ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يَصِلُنا مِنهُم كُلَّ حينٍ ما يَغيظُنا، ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ونحنُ دائِمًا علىٰ حَذَرٍ مِنهُم أن يغدُروا بِنا، وأرادَ اللهُ خُروجَهُم ليُهلِكَهُم، قالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: أورَثنا دِيارَهُم، وأموالَهُم بني إسرائيلَ، وكانَ بنو إسرائيلَ قد استَعاروا مِنهُم حُليًّا كثيرًا، ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فأدرَكَ فِرعَونُ وجُندُه بني إسرائيلَ عندَ شُروقِ الشَّمسِ، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: رأىٰ بَعضُهُم بعضًا، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾؛ لأنَّهُم انتهَوا إلىٰ البَحرِ، ولا مَفَرَّ لهُم، لكِنَّ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثبتَ، وعَلِمَ أنَّ اللهَ ناصِرُ عِبادِهِ المُؤمِنينَ، فـ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾؛ لأنَّه هُو الَّذي أمرَني أن أخرُجَ بكُم، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾، فضرَبَ موسَىٰ البَحرَ بعَصاهُ كما أمَرَهُ اللهُ، ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ البَحرُ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ أي: كالجَبَلِ العَظيمِ، وقيلَ: إنَّه انفلَقَ عن اثنَي عشَرَ طريقًا، لكُلِّ سِبطٍ طَريقُهم، ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قرَّبنا فِرعَونَ وجُندَهُ، فكانَ أوَّلُهم عندَ آخرِ بَني إسرائيلَ حينَ انفلَقَ البَحرُ، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فسَلَكُوا في الطَّريقِ اليَبَسِ الَّذي جُعِلَ لهُم حتَّىٰ خَرَجوا مِن الجانِبِ الآخَرِ، فنَجَوا كلُّهُم ولم يَغرَق مِنهُم أحَدٌ.

فلمَّا رأىٰ فِرعَونُ انفِلاقَ البَحرِ خافَ، وتَرَدَّدَ في الوُلوجِ فيهِ، ثُمَّ حَمَلَتهُ نَفسُهُ علىٰ التَّقَدُّمِ خَشيَةَ ما قد يقولُهُ جُنودُهُ إذا تَوَلَّىٰ، فدَخَلَ بجُندِهِ يَتبَعُ

بني إسرائيلَ، فلَمَّا نجا بنو إسرائيلَ مع موسَىٰ، وهمَّ جُندُ فِرعَونَ بالوُصولِ إلىٰ الطَّرفِ الثَّاني، أمرَ اللهُ البَحرَ فارتَطَمَ عليهم، قالَ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٦٦﴾[الشُّعراء] فِرعَونَ وجُندَهُ، وقالَ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ﴾ أي: أدرَكَ فِرعَونَ ﴿ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾[يونس]، وما كانَ اللهُ لِيَقبَلَ تَوبَتَهُ، فإنَّ التَّوبةَ تَنقَطِعُ بالغَرغَرَةِ، وبطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وبحضورِ العذابِ العامِّ، وهذا الغَرَقُ الَّذي أصابَهُم مِن العذابِ العامِّ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾[غافر]، ولهذا قالَ اللهُ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾؟ كَيفَ نَقبَلُ تَوبَتَكَ الآنَ وقد عايَنتَ العذابَ؟ وفي الحَديثِ: «**لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ:** ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، **فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**». أخرَجَهُ التِّرمِذيُّ.

ثُمَّ إنَّ بعضَ النَّاسِ لم يُصَدِّق بغَرَقِ فِرعَونَ، فأخرَجَ اللهُ جسَدَهُ مِن البَحرِ، فرَفَعَهُ علىٰ نَشَزٍ مِن الأرضِ ليَراهُ النَّاسُ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نرفَعُ بَدَنَكَ فيكونُ علىٰ نَجوَةٍ مِن الأرضِ، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ دالَّةً علىٰ مَوتِكَ وهَلاكِكَ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾[يونس] لا يتَّعِظونَ ولا يَعتَبِرونَ بها.

وكانَت نَجاةُ موسَىٰ وبني إسرائيلَ في يَوم عاشوراءَ، وقد جاءَ في الحَديثِ: «**قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّىٰ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**». مُتَّفَقٌ عليه.

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وهم بَنو إسرائيلَ ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ﴾ قيلَ: هي الشَّامُ، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[الأعراف] أي: يَبنون.

قِصَّةُ العَجوزِ:

فلمَّا أغرَقَ اللهُ فِرعَونَ وجُندَهُ خرَجَ موسَىٰ ببني إسرائيلَ يُريدُ الأرضَ المُقدَّسةَ وهي أرضُ الشَّام، وعِندَ خُروجِهِم حصَلَت قِصَّةٌ عجيبَةٌ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟»، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّىٰ نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَىٰ قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّىٰ تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَىٰ بُحَيْرَةٍ -مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ-، فَقَالَتِ: انْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَنَضَبُوهُ، فَقَالَتِ: احْتَفِرُوا، فَحَفَرُوا وَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ ؏، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ إِذَا بِطَرِيقٍ مِثْلِ النَّهَارِ». أخرجه ابنُ حبَّانَ والحاكمُ، وصحَّحهُ الألبانيُّ.

مُرورُهم على عَبَدَةِ الأَصنام:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[الأعراف].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾، قيلَ: كانت أصنامُهم علىٰ صُوَرِ البَقَرِ، فـ﴿قَالُوا۟﴾ بنو إسرائيلَ: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ عظمَةَ اللهِ وجلالَهُ

وما يجبُ له من التَّنزيه، ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾أي: هالكٌ ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ من عبادة الأصنام، ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾، ثمَّ ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾[الأعراف]، لا يصحُّ أن يُعبَدَ إلَّا اللهُ الَّذي فضَّلكُم علىٰ غيركُم بأن هَداكُم للإيمانِ به، وأنجاكُم من عَدُوِّكُم.

مُحاوَلَتُه دُخولَ بَيتِ المَقدس ببَني إسرائيلَ:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾[المائدة].

فلمَّا اتَّجهَ بَنو إسرائيلَ إلىٰ بيتِ المَقدِسِ وجَدوا فيها قومًا مِن الجبَّارينَ، فندَبَهُم موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ قِتالِهم وإخراجِهم مِن بيتِ المَقدِسِ، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ فتَمتَنِعوا عن قِتالِ عَدُوِّكُم، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ بعدَ أن كُنتُم أنتم الرَّابحينَ، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ عُتاةً كَفَرةً، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾، وذلكَ لأنَّهُم كانوا قد رأَوا ما نَزَلَ بفِرعَونَ وجُندِه، فخافُوا علىٰ أنفُسِهم مِن القِتالِ، وكانَ حقُّهُم أن يثِقوا بربِّهم، ويَعلَموا أنَّ اللهَ ناصِرُهُم كما نصَرَهُم قبلُ، قالوا: ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢﴾، لكِنَّ اللهَ قدَّرَ كونًا أنَّهُ إنَّما يَنصُرُ مَن يَنصُرُه، ويَخذُلُ مَن يَخذُلُهُ.

ثمَّ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ بالإيمانِ والشَّجاعةِ لِقَومِهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن

كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فإذا توكَّلتُم علىٰ اللهِ نصَركُم علىٰ عَدُوِّكُم، لكنَّ أكثَرَ بَني إسرائيلَ أصَرَّ علىٰ النُّكولِ، و﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾، وهذا وَهَنٌ عظيمٌ مِنهُم، قيلَ: إنَّ موسَىٰ وهارونَ لمَّا سَمِعا قولَ قَومِهما سجَدَا للهِ عَزَّوَجَلَّ إعظامًا لهذا القَولِ وغضبًا للهِ، ثمَّ ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ مُعتَذِرًا لِرَبِّهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ أي: لا يُطيعُني في أمرِكَ إلَّا أنا وأخي، ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: اقضِ بينَنا وبينَ مَن نكَلَ، وقيلَ: افصِل بينَنا وبينَهُم، فعاقَبَهُم اللهُ علىٰ نُكولِهم، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ بيتُ المَقدِسِ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلا يستَطيعونَ الخُروجَ مِن هذا التيهِ أربَعينَ سنةً، ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة] تَسلِيَةً لموسَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ، وقد حَصَلَت لبَني إسرائيلَ في هذا التِّيهِ مع موسَىٰ عَلَيهِ السَّلَامُ أُمورٌ عجيبةٌ سنَذكُرُ بعضَها.

ذَهابُه إلى الطُّورِ:

لمَّا انصَرَف موسَىٰ ومَن معه عن بيتِ المَقدِسِ نزَلوا حولَ طورِ سَيناءَ، وصَعِدَ موسَىٰ الجبَلَ، فكلَّمهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن وَراءِ حِجابٍ، وأمرَهُ أن يُذَكِّرَ بَني إسرائيلَ بنِعَمِ اللهِ عليهِم، وأن يأمُرَهُم بالاغتِسالِ، ثمَّ يُدنِيَهُم إلىٰ الجبَلِ لِيَسمَعوا كلامَ اللهِ، فسَمِعوا ولم يَعقِلوا، وأنزَلَ عليهِم أحكامًا عظيمَةً فيها حِفظُ مَصالِحِهم.

ذِكرُ بعضِ ما حَصَلَ في التِّيهِ:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[طه]، ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ﴾[البقرة].

قالَ تَعالىٰ مُمتنًّا علىٰ بَني إسرائيلَ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾، فقد أنزَلَ اللهُ عليهِم في الأرضِ الَّتي ليس فيها زَرعٌ ولا ضَرعٌ المَنَّ، وهو طَعامٌ نَزَلَ عليهِم مِن السَّماءِ، يُصبِحونَ فيَجِدونَه في بُيوتِهم، فيأخُذون منه قَدرَ حاجَتِهم، ومَن ادَّخَرَ مِنه فسَدَ، وإذا كانوا بالنَّهارِ غَشِيَهُم طَيرٌ يُقالُ له السَّلوىٰ، فيَصيدونَهُ بغَيرِ كُلفةٍ، فيأكُلونَ مِنهُ، وكذلِكَ أنزَلَ اللهُ عليهِم الغَمامَ يُظِلُّهم نهارًا مِن حَرِّ الشَّمسِ، كلُّ ذلِكَ إنعامٌ مِن اللهِ علىٰ بَني إسرائيلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[طه]، وكانَ مِن نِعَمِ اللهِ عليهِم أن فجَّرَ لهُم الماءَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ﴾ لحَجَرٍ كانوا يَحمِلونَهُ معهم، ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ فشَرِبَ كلُّ سِبطٍ مِن عَينٍ، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾[البقرة].

فقابَلَ بَنو إسرائيلَ هذه النِّعَمَ بالجُحودِ وعدَمِ الصَّبرِ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وهو المَنُّ والسَّلوىٰ، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ﴾، فذكَروا أشياءَ كانوا يأكُلونَها قَبلُ، ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾؟! أي: أتستبدِلونَ الطَّعامَ الهَنيءَ النَّافِعَ الَّذي ينزِلُ عليكُم بالطَّعامِ الدَّنيءِ الَّذي ذكَرتُم؟! ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ أي: بَلَدًا مِن البُلدانِ ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ مِنَ الطَّعامِ، فإنَّه مَوجودٌ في كُلِّ مَكانٍ، وبسببِ جُحودِهم نِعمَةَ اللهِ وكَونِ طلَبِهم لا ضَرورةَ فيهِ فإنَّهم لم يُجابوا إليه، وعاقَبَهُم اللهُ علىٰ ذلِكَ، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ شرعًا وقدَرًا، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ﴾[البقرة].

سُؤالُ رُؤيَةِ الله:

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأعراف].

ثـمَّ واعـدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ موسَـىٰ أن يصـومَ ثلاثيـنَ يومًـا، قـالَ تعالـىٰ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾، فلمَّـا أكمَـلَ موسَـىٰ الثَّلاثيـنَ يومًـا استـاكَ بلِحـاءِ شَـجَرةٍ ليُغَيِّـرَ ريـحَ فمِـهِ، ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ فأتـمَّ اللهُ لـه عشـرًا أُخـرىٰ، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾، فلَمَّـا حَضَـرَ الميقـاتُ عَمَـدَ موسَـىٰ إلـىٰ الطُّـورِ ليُكلِّـمَ اللهَ، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ وهذا لِاشـتياقِهِ عَلَيۡهِ السَّلَامُ إلـىٰ رُؤيَـةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ كما هو حـالُ المُؤمنيـنَ، ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في الحَيـاةِ الدُّنيـا، وأمَّـا في الآخِرَةِ فـإنَّ المُؤمنينَ يَرونَ ربَّهُـم عَزَّوَجَلَّ، ويَكونُ ذلِكَ لهُـم أفضَـلَ الثَّوابِ وأعظَمَـهُ، قـالَ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ فكُشِـفَ الحِجـابُ عـنِ الجَبَـلِ وبـانَ لـه النُّـورُ ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ فاستَوىٰ الجَبَـلُ إلـىٰ الأرضِ فصـارَ تُرابًـا، وهـذا مع أنَّ الجَبَـلَ أعظَـمُ بُنيَـةً مِـن الإنسـانِ، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ مَغشِـيًّا عليـه لمَّا رأىٰ ذلِـكَ، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ موسَـىٰ مِـن صَعقَتِـهِ ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

وعندَهـا ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسَـىٰ عَلَيۡهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ لـكَ مِن وَراءِ حِجابٍ بلا واسِـطَةٍ، ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ

ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[الأعراف]، قيلَ اشتملَتِ الألواحُ على التَّوراةِ، وقيلَ: أُنزِلت قبلَ التَّوراةِ، وفي الحَديثِ المُتَّفق عليه يقولُ آدمُ مُخاطِبًا موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَا مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**»، ففيه أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كتَبَ الألواحَ بيَدِهِ.

قِصَّتُه مع السَّامريِّ:

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[طه].

وفي غِيابِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عبَدَ قومُهُ العِجلَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾؟ أي: لِمَ سَبقتَ قومَكَ إلى الطُّورِ وخلَّفتَهُم وراءَكَ؟ ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ قريبونَ مِنَ الطُّورِ، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أي: لِتزدادَ عنِّي رِضًا، فـ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسَىٰ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥﴾ فعَبَدوا العِجلَ مِن دونِ اللهِ، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ أي: جزِعًا مِن أن يُعَذِّبَهُم اللهُ قبلَ توبَتِهم، أو حَزينًا مِن فِعلِهم.

فلمَّا أدركَ قومَهُ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ فوَعَدَكُم خَيري الدُّنيا والآخرَةِ؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ في انتِظارِ ما وعَدَكُم اللهُ فنَسيتُم؟ ﴿أَمْ﴾ أي: بَلْ ﴿أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ٨٦﴾، فأجابَهُ بَنو إسرائيلَ و﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ بإرادَتِنا واختيارِنا، ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ وهي الحُلِيُّ الَّتي كانوا قد استَعاروها مِن الأقباطِ قبلَ هَلاكِهم مع فِرعَونَ، فتورَّعنا مِن أخذِها، ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ في حُفرَةٍ، ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾ التُّرابَ الَّذي التَقَطَهُ مِن أثَرِ فَرَسِ جِبريلَ عليه السلام حينَ مَشَوا في البحرِ، ودعا السَّامِرِيُّ أن تصيرَ الحُلِيُّ عِجلًا، فكانَ له ذلِكَ، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يُصدِرُ صَوتًا إذا مرَّت فيه الرِّيحُ، فافتُتِنَ بَنو إسرائيلَ ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ٨٨﴾، فاتَّهَموا موسَىٰ عليه السلام أنَّه نَسِيَ ربَّه هنا وذهَبَ يبحَثُ عنه في الطُّورِ! ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ٨٩﴾؟!

قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الَّذي خَلَقَكم ويرزُقُكُم ويُدَبِّرُ أُمورَكُم، ﴿فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ٩٠﴾، لكنَّهُم استَضعفوهُ، ولم يُجيبوهُ في دَعوَتِهِ، وكادوا يقتُلونَهُ، و﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ نَعبُدُه ونَسجُدُ له ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ٩١﴾، فلمَّا رجَعَ موسَىٰ غَضبانَ عليهم بدَأَ بأخيهِ يسألُهُ فـ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ فتُخبِرَني بأمرِهم؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ٩٣﴾ فيما كُنتُ عَهِدتُ إليك مِن خِلافَتي في بني إسرائيلَ؟ فعندَها ﴿قَالَ﴾ هارونُ: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ﴾ فإنَّما مَنَعني أن ألحَقَ بكَ فأُخبِرَكَ ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ لي: إنَّكَ بتَركِهم وحدَهم فقد ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ٩٤﴾ [طه]، وقالَ هارونُ لموسَىٰ عليهما السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿١٥٠﴾، فعندَها دعا موسَىٰ ربَّهُ فـ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[الأعراف].

ثمَّ ذهبَ موسَىٰ إلىٰ السَّامِرِيِّ يسألُهُ عن أمرِه، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ وهو جِبريلُ كما تقدَّمَ، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في الحُفرةِ لمَّا ألقىٰ النَّاسُ الحُليَّ، ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ فأعجبَها ذلِك، ﴿ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ﴾، فلا يمسُّكَ النَّاسُ ولا تَمَسُّهُم، ولا يُخالِطُكَ بَنو إسرائيلَ، عِقابًا لك بسببِ ما أحدَثتَ مِن المُنكرِ والشِّركِ باللهِ، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ للعُقوبةِ مِن اللهِ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ﴾، بل هو آتيكَ لا مَحالَةَ، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾ وهو العِجلُ، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[طه].

وقد عاقبَ اللهُ بني إسرائيلَ علىٰ عِبادَتِهم العِجلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة]، فامتثَلَ بعضُهم، ثمَّ أرادَ عُلماؤُهم أن يعتذِروا للهِ عَزَّ وَجَلَّ عن صنيعِ قومِهم وعِبادَتِهم العِجلَ، حتَّىٰ يرفعَ اللهُ عنهُم أمرَهُ إيَّاهُم بأن يقتُلوا أنفُسَهم، ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ﴾[الأعراف] بأمرٍ مِن اللهِ، فذهبَ بهم إلىٰ الميقاتِ، فلمَّا جاؤوا الميقاتَ اشترَطوا علىٰ موسَىٰ أن يُرِيَهُم اللهَ، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[البقرة]، ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

رفعُ الطُّور:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾[البقرة].

لمَّا جاءَ موسَىٰ قومَهُ بالألواحِ فيها التَّوراةُ أمرَهُم أن يقبَلوها ويعمَلوا بما فيها، فاشترَطوا عليه أن يعلَموا ما فيها أوَّلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أن تأخُذوا ما آتيناكُم مِن التَّوراةِ بقُوَّةٍ وحَزم وطاعةٍ لله، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لمَّا أَبيتُم ذلِك، وقُلنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ورُفِعَ الطُّورُ حتَّىٰ كانَ كالظُّلَّةِ فوقَ رُؤوسِهم، فلمَّا خَشوا أن يقَعَ عليهم سَجَدوا علىٰ خُدودِهم، وجَعلوا يَنظُرونَ إلىٰ الجبَلِ وهم سُجودٌ، فكشَفَ اللهُ عنهم ذلِكَ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ مُشاهَدةِ ذلِكَ الميثاقِ العظيمِ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾[البقرة].

قصَّةُ البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[البقرة].

وذلِكَ أنَّ رجُلًا مِن بَني إسرائيلَ قُتِلَ، فاختصَمَ فيه النَّاسُ، فجاءَ وَلِيُّهُ إلىٰ موسَىٰ عليه السلام، يسألُهُ، فأوحَىٰ إليه اللهُ أن يأمُرَهُم أن يذبَحوا بقرةً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ مِن دونِ تحديدٍ،

فـ﴿قَالُوٓاْ﴾ مُعترضين: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾؟! وما كانَ نبيُّ اللهِ أن يهزأَ بهم، ولكنَّهم أرادوا أن يُشدِّدوا علىٰ أنفسِهم، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ وهذا مِن تشديدِهم، ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾ هَرِمَةٌ ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ صغيرةٌ في السِّنِّ، ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: وَسَطٌ بين الصَّغيرةِ والكبيرةِ، ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾ ولا تُشدِّدوا علىٰ أنفسِكُم، فشدَّدوا و﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ أي: صافٍ، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ أي: تُعجِبُهم، ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ ذلَّلها العَمَلُ فهي ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ﴾ مِن العيوبِ، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي: لا بياضَ، فحينئذٍ ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ إذ عرَفوا البقرةَ الَّتي وصفَ لهُم، وقيلَ: إنَّ صاحِبَها باعَها لهُم بوزنِها ذهبًا، وقيلَ: بعشرةِ أضعافِ ذلِكَ، فلمَّا شدَّدوا شدَّد اللهُ عليهم، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾، ثمَّ قالَ: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ أي: تنازعتُم فيها، ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾ أي: بأيِّ جُزءٍ مِنها، ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ [البقرة]، فأحيا اللهُ الميِّتَ، وأنطقَهُ فأخبرَهم مَن قتلَه، ثمَّ رجعَ ميتًا كما كانَ، وكانت تِلكَ آيةً دالَّةً علىٰ صِدقِ رِسالَةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقاؤه بالخضر:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ

تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ
ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي
ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا
﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع
عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

وذلِكَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبَرَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رجُلٍ أوتِيَ عِلمًا لم يعلمهُ موسَىٰ، أخرَجَ الشَّيخانِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**قَامَ مُوسَىٰ النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ...**» في حديثٍ طويلٍ.

وقد ساقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه القصَّةَ فقالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشَعَ بن نونٍ، الَّذي صارَ نبيًّا بعد مَوتِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ أي: عَزَمتُ أنِّي لا أزالُ أسيرُ ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ مِن الزَّمانِ أسيرُ بَحثًا عن الرَّجُلِ، فسارَ موسَىٰ ويوشَعُ وحَمَلا معهُما حوتًا مملوحًا، وقيلَ لموسَىٰ: متىٰ فَقَدتَ الحوتَ فستَجِدُ الرَّجُلَ، ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

حُوتَهُمَا﴾ وسَقَطَ الحوتُ في الماءِ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾ أي: صارَ يسيرُ في الماءِ حتَّىٰ تَوارىٰ عنهُم، وأبصَرَهُ يوشَعُ، ونَسِيَ أن يُخبرَ موسَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلِكَ المَكانَ ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢﴾ أي: تعَبًا، فعندَها تذكَّرَ يوشَعُ الحوتَ و﴿قَالَ﴾ لموسَىٰ: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣﴾، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ أي: رجَعا يتتبَّعانِ أثرَهُما إلىٰ المَكانِ الَّذي فقَدا فيه الحوتَ، ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾ الصَّالِحينَ ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾، وهو الخضرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد اختَلَفَ أهلُ السِّيَرِ هل هو نَبِيٌّ أم لا؟

فـ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾ أي: لن تستطيعَ أن تَصبرَ علىٰ ما سَترىٰ مِنِّي مِن أُمورٍ تُخالِفُ شَريعتَكَ، ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨﴾ أي: عِلمًا، فـ﴿قَالَ﴾ له موسَىٰ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ﴾ الخضرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ أي: حتَّىٰ أُبيِّنَه لكَ، فوافَقَ موسَىٰ علىٰ شرطِهِ، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ معًا يَمشِيانِ علىٰ ساحِلِ البَحرِ، فرَأىٰ موسَىٰ ثلاثَةَ أُمورٍ لم يُدرِكْها:

الأمرُ الأوَّلُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ وكانَ أصحابُها قد حَملوهُم بلا أُجرَةٍ، فـ﴿خَرَقَهَاۖ﴾ الخضرُ، فتعَجَّبَ موسَىٰ مِن صَنيعِهِ و﴿قَالَ﴾ مُستنكِرًا: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾ أي: عظيمًا، فذكَّرَهُ الخضرُ بشَرطِهِ و﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢﴾، فعِندَها اعتَذَرَ موسَىٰ إليهِ بالنِّسيانِ فـ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣﴾ أي: لا تُعَسِّر عليَّ فإنِّي لم أتعمَّدْ.

الأمرُ الثَّاني: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا﴾ يَلعَبُ مع الغِلمانِ، فعَمَدَ إليه الخضرُ ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾، فاستَنكَرَ موسَىٰ ذلِكَ و﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ

جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ أي: مُنكَـرًا، فـ﴿قَالَ﴾ الخضرُ مرَّةً أُخرىٰ لموسَـىٰ: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾، وزادَ في هـذهِ المـرَّةِ ﴿لَّكَ﴾ فـدلَّ علـىٰ زِيـادَةِ التَّشـديدِ مِنه علىٰ موسَـىٰ عليه السلام، فاعترَفَ موسَـىٰ و﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ أي: لا تُـلامُ علـىٰ تَركِ مُصاحَبَتي إذا سـألتُكَ مرَّةً أُخرىٰ.

الأمـرُ الثَّالِـثُ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ مائـلًا ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يُريدُ أن يسـقُطَ، ﴿فَأَقَامَهُۥ ۖ﴾ أي: بَنـــاهُ بيَدَيـــهِ، فـ﴿قَالَ﴾ له موسَىٰ مُستَنكِـرًا: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ أي: لِـمَ لَـم تسـألْهُم أجـرًا علـىٰ إصلاحِـكَ للجِـدارِ وهـم قـد أَبَـو أن يُطعِمونا ويُضَيِّفونا.

فعِندَهـا ﴿قَالَ﴾ الخضرُ لموسَـىٰ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ﴾، لكِنِّي ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ أي: بتَفسيرِ ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ مِـن الأُمـورِ الثَّلاثَـةِ، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ أي: أمامَهُـم ﴿مَّلِكٌ﴾ ظالِـمٌ ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ سَـليمَةٍ ﴿غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ وظُلمًـا لأصحابِهـا، فـإذا وجدَهـا مَعيبَـةً تَركَهـا ولـم يأخُذهـا، فـكانَ في خَرقِـهِ لهـا حِفـظٌ لهـا لأصحابِهـا مِـن أن يأخُذَهـا المَلِـكُ مِنهـم، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾، وكانَ الولَـدُ سـيَكونُ كافِـرًا، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ أي: أن يَحمِلَهُمـا حُبُّـه علـىٰ أن يُتابِعـاهُ في الكُفـرِ، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ولَـدًا ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي: أزكَـىٰ مِنـه، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ أي: يَكونـانِ أرحَمَ به، أو يَكـونُ أبَـرَّ بهمـا، ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: في القَريَةِ الَّتي أقـامَ الخضـرُ بهـا الجِـدارَ المائِـلَ، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾ مالٌ مَدفـونٌ ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، ومِـن جَزاءِ الوالِـدِ الصَّالِحِ أن يَحفَـظَ اللهُ ذُرِّيَّتَهُ، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فيَكـونَ فيـه نَفـعٌ لهمـا، وهـذه الأُمـورُ الثَّلاثةُ الَّتي فعَلتُهـا كانَـت ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ﴾ لأصحـابِ السَّـفينَةِ، ولوالِـدَي الغُـلام، ولليَتيمَيـنِ، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[الكهـف].

قِصَّتُه مع قارونَ:

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ [القصص].

وأكثَرُ أهلِ السِّيَرِ مِن السَّلَفِ علىٰ أنَّ قارونَ ابنُ عَمِّ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّه كانَ يُسمَّىٰ المُنَوَّرَ لحُسنِ صَوتِهِ بالتَّوراةِ، ثمَّ افتُتِنَ بمالِه، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ﴾ أي: الأموالِ ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ أي: لَيَصعُبُ حَملُها عليهم، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ الصَّالِحونَ مِنهُم: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾ أي: لا تَبطَر بما أنتَ فيهِ مِن المالِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ المَرحينَ الأَشِرينَ البطرينَ، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾، فاستَعمِل ما آتاكَ اللهُ مِن مالٍ كثيرٍ في طاعَةِ رَبِّكَ، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فإنَّه سيَحصُلُ لك بصرفِ أموالِكَ في طاعَةِ اللهِ الثَّوابُ في الدُّنيا كذلِكَ، ﴿وَأَحۡسِن﴾ إلىٰ خَلقِ اللهِ ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ بمالِكَ الَّذي آتاكَهُ اللهُ، فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾.

فلم يَستَجِب قارونُ لنَصيحَةِ قَومِهِ، و﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ يقولُ: إنَّما آتاني اللهُ هذا المالَ لعِلمِه أنِّي أستَحِقُّهُ، ولمَحَبَّتِهِ إيَّايَ، فقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

ردًّا علىٰ دعواهُ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمالِ، ولو كانَت كثرةُ أموالِهم لمَحبَّةِ اللهِ لهُم لَما أهلكَهُم اللهُ، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾؛ لِكَثرةِ ذُنوبهم، ﴿فَخَرَجَ﴾ قارونُ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ العَظيمَةِ مُتجمِّلًا، فـ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ مِن قَومِهِ لمَّا رأَوهُ علىٰ تِلكَ الحالِ: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ في الحَياةِ الدُّنيا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مِنهُم لمَّا سَمِعوا مَقالَةَ أولئِكَ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ تَقريعًا لهُم، ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِن هذا الَّذي تَرونَهُ ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾، أي: لا يُلَقَّىٰ الجنَّةَ، أو: لا يُلَقَّىٰ هذه الكَلِمَةَ الَّتي قالوها.

وكانَ عِقابُ اللهِ لقارونَ في الدُّنيا أن خَسَفَ به الأرضَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، قيلَ: لأنَّ موسَىٰ عليه السلام دعا عليه، وقيلَ: لأنَّه فضَّلَ نفسَهُ علىٰ موسَىٰ، وفي الحديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قال بَعضُ الشُّرَّاحِ: هو قارونُ، ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لمَّا خُسِفَ به، فلم ينفَعهُ مالُهُ ولا خَدَمُهُ، ﴿وَمَا كَانَ﴾ هو ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ بنَفسِهِ، ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ لمَّا أعجَبتهُم زينَتُهُ ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ أي: ألم تَروا أنَّ ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾، وليسَ المالُ دالًّا علىٰ رِضا الله عز وجل ومَحبَّتِهِ، ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بلُطفِهِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خَسَفَ بهِ؛ لأنَّنا تَمَنَّينا لو كُنَّا مَكانَهُ، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص]، يَعنونَ أنَّ قارونَ كانَ كافِرًا، ولا يُفلِحُ الكافِرُ.

حَجُّه:

أخرَجَ مُسلِمٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِوادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**»، فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**»، ووادي الأزرَق

قَرِيبٌ مِن مكَّةَ بينَهُ وبينَها ميلٌ واحدٌ.

وَفاتُهُ:

تَوَفَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هارونَ ثمَّ موسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَبلَ انقِضاءِ زَمَنِ التِّيهِ، وقيلَ: إنَّ هارونَ لمَّا ماتَ اتَّهَمَ بَنو إسرائيلَ موسَىٰ أنَّهُ قتَلَهُ، وأنَّهُم اتَّهَموا يوشَعَ بنَ نونٍ بقَتلِ موسَىٰ لمَّا ماتَ!

وأخرَجَ الشَّيخان مِن حَديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» اختِبارًا لموسَىٰ، وكانَ يأتي النَّاسَ عِيانًا، «**فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ**» أي: لطَمَهُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، «**فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ**» إذا كانَ يُريدُ الحَياةَ «**يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ**» أي: علىٰ ظَهرِ ثَورٍ، «**فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ**» يزيدُها اللَّهُ في عُمُرِهِ، «**قَالَ**» موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟**» أي: ما الَّذي سَيَكونُ بعدَ انقِضاءِ هذه الزِّيادَةِ؟ أحَياةٌ أم مَوتٌ؟ «**قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ**» أي: مادُمتُ مَيِّتًا لا مَحالَةَ فلأَمُتِ الآنَ، «**قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ**» بَيتِ المَقدِسِ «**رَمْيَةً بِحَجَرٍ**» أي: قَدرَ ما يَبلُغُه الحَجَرُ إذا رُمِيَ، ولم يَطلُب أن يُدفَنَ في بَيتِ المَقدِسِ نَفسِهِ خَشيَةَ أن يُعلَمَ قَبرُهُ فيُفتَنَ النَّاسُ بهِ، ويَكونَ وَسيلَةً إلىٰ الشِّركِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ**»، والكَثيبُ هو الرَّملُ المُجتَمِعُ.

ذِكرُ أَشْهَرِ الأنبياءِ بَيْنَ موسَى وشَمْويلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

يوشَعُ بنُ نونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ	**اسمُه:**	هو يوشَعُ بنُ نونٍ، مِن ذُرِّيَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	قومُه:	تنبَّأَ بعد مَوتِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبُعِثَ إلىٰ **بَني إسرائيلَ**.
	آياتُه:	«**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَىٰ بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». أخرَجَهُ أحمَدُ.
	ذِكرُه:	ذُكِرَ في القرآنِ غيرَ مُصرَّحٍ باسمِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ **لِفَتَىٰهُ**﴾.
	مُلَخَّص قِصَّتِه:	كانَ موسَىٰ جهَّزَ بَني إسرائيلَ لِقتالِ الجَبَّارينَ إذا انتَهت مُدَّةُ التِّيهِ، وجعلَ علىٰ كُلِّ سِبطٍ مِنهُم نَقيبًا -أي: أميرًا-، ثمَّ ماتَ موسَىٰ قبلَ ذلِكَ، فلمَّا انقضىٰ التِّيهُ خَرَجَ يوشَعُ ببَني إسرائيلَ ففَتَحَ بيتَ المَقدِسِ، وقيل: إنَّه عاشَ بعدَ موسَىٰ ٢٧ سنةً ثمَّ تَوفَّاهُ اللهُ.

الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	**اسمُه ونُبوَّتُه:**	اختُلِفَ في اسمِهِ ونسَبِهِ وزَمانِهِ اختِلافًا كثيرًا، وزَعَمَ بعضُهُم أنَّه ابنُ آدَمَ لِصُلبِهِ، وأنَّه يعيشُ حتَّىٰ يُكَذِّبَ الدَّجَّالَ، ولا يصِحُّ في ذلِكَ شيءٌ، واختُلِفَ في نُبُوَّتِهِ والرَّاجِحُ أنَّه نبِيٌّ.
	آياتُه:	[١] ما تقدَّمَ ذِكرُهُ مِن أفعالٍ في قصَّتِهِ مع موسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. [٢] جاء عندَ البُخاريِّ: «**إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَىٰ فَرْوَةٍ**» أي: أرضٍ «**بَيْضَاءَ**» يابِسَةٍ ليسَ فيها نَباتٌ، «**فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ**»؛ لِما نَبَتَ فيها مِن العُشبِ.
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ في القُرآنِ غيرَ مُصرَّحٍ باسمِهِ، ﴿**عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا** ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف:٦٥].

حزقيل عليه السلام	اسمُهُ:	حِزقيلُ بنُ بوذَىٰ، وقيلَ: هو ابنُ العَجوزِ الَّتي تقدَّمَ ذِكرُها عندَ خُروجِ موسَىٰ عليه السلام ببَني إسرائيلَ مِن مِصرَ.
	زَمانُه:	قامَ بأمرِ بَني إسرائيلَ بعدَ موسَىٰ يوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام، ثمَّ كالِبُ بنُ يوفنَّا زَوجُ أُختِ موسَىٰ، ثمَّ بعدَه حِزقيلُ عليه السلام.
	مُلخَّصُ قِصَّتِه:	ذُكِرَت آيتُهُ في القُرآنِ، ولم يُصرَّح باسمِهِ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ بالطَّاعونِ، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتُوا كلُّهُم، ﴿ثُمَّ﴾ بعدَ مُدَّةٍ مرَّ النَّبيُّ حِزقيلُ بِهِم، فدعا اللهَ أن يُحيِيَهُم فـ﴿أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة].

إلياس عليه السلام	اسمُهُ:	إلياسُ بنُ ياسينَ، مِن ذُرِّيَّةِ هارونَ عليه السلام، وقيلَ: بَل أخو الخَضِرِ.
	قَومُهُ:	أرسلَهُ اللهُ بعدَ حِزقيلَ عليه السلام بزمانٍ إلىٰ بَني إسرائيلَ ببَعلَبَكَّ غربَ دِمَشقَ، وكانوا يعبُدونَ صَنَمًا يُقالُ له: بَعلٌ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصَّافَّات].
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] الذِّكرُ الحَسَنُ، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾[الصَّافَّات]. [٢] سلَّمَهُ اللَّهُ، ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾. [٣-٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.
	ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ إلياسُ عليه السلام مرَّتَينِ بلفظِ إلياسَ، ومرَّةً واحدَةً بلفظِ (إل ياسين) كما في سورَةِ يس.
	مَوتُه:	لمَّا دعا إلياسُ قَومَهُ إلىٰ اللهِ كذَّبوهُ وأرادوا قَتلَهُ، واللهُ أعلَمُ بما كانَ بعدَ ذلِكَ ففيهِ اختِلافٌ كثيرٌ.

اليسَعُ عليه السلام	اسمُه:	قيلَ: هو ابنُ عَمِّ إلياسَ عليه السلام، وقيلَ: اسمُهُ أسباطُ، وهو مِن ذُرِّيَّةِ يوسُفَ عليه السلام.
	زَمانُه:	أرسَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ بَني إسرائيلَ بعد إلياسَ عليه السلام.
	وَصفُه:	أنَّه مِن **الأخيارِ**، ﴿وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨﴾ [ص].
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ اليسَعُ عليه السلام في القرآنِ **مرَّتَينِ**.
	مُلَخَّصُ قِصَّتِه:	سُلِبَ بَنو إسرائيلَ في زَمانِهِ تابوتَ الميثاقِ الَّذي كانوا يحمِلونَهُ معهم في الحُروبِ فيُنصَرونَ ببركَتِهِ، وبَقَوا بعدَ اليسَعِ كالغنَمِ بلا راعٍ، إلىٰ أن جاءَ شَمويلُ عليه السلام.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ:

❍ مِن أهَمِّ ما يُستَفادُ مِن قِصَّةِ نَبيِّ اللهِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اللهَ يَبتَلي المُؤمِنينَ بأنواعِ البَلاءِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[العنكبوت]، والحِكمَةُ مِن هذا الابتِلاءِ التَّمحيصُ والتَّفريقُ بينَ الصَّادِقِ والكاذِبِ، وبينَ الصَّابرِ والقانِطِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران]؟! فإذا صبَرَ المُؤمِنونَ علىٰ الابتِلاءِ وجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ مكَّنَ اللهُ لهم وأورَثَهم الأرضَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾[القصص]، وقالَ موسَىٰ لقَومِه: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[الأعراف].

❍ وممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثرَةُ مُعالَجَتِه لبَني إسرائيلَ، وكثرَةُ التِوائِهم وتَغَيُّرِهم وعِصيانِهم للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كانَ يُخرِجُهم مِن فِتنَةٍ إلَّا ودخَلوا في أُخرىٰ أشَدَّ مِنها، وهذه هي طَبيعَةُ بَني إسرائيلَ الَّتي مِن أجلِها ضرَبَ اللهُ عليهم الذِّلَّةَ والمَسكَنَةَ، وسامَهم سوءَ العَذابِ، وقد ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ جُملَةً مِن فِتَنِهم مُختَصَرَةً بقَولِه: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾﴾[النِّساء] والآياتِ بعدَها، وقد بَقِيَت هذه الطَّبيعَةُ في اليَهودِ إلىٰ يومِنا هذا، نسأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينتَقِمَ مِنهم، وأن يَجعَلَ الدَّائِرَةَ عليهم.

❍ مع كُلِّ الفِتَنِ الَّتي عالَجَها موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بَني إسرائيلَ بَقِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صابرًا مُحتَسِبًا، وعامَلَهم مُعامَلَةً لَيِّنَةً في غالِبِها إلَّا عندَ كَونِ الحَزمِ أصلَحَ، وهكذا

يَنبَغِي للدَّاعي إلىٰ اللهِ أن يَكونَ قَصدُه دائِمًا صَلاحَ المَدعُوِّ، ولنا في نَبِيِّنا ﷺ أُسوَةٌ حسنَةٌ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه عن عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

❍ مِن عَجيبِ اللَّطائِفِ أنَّ كلَّ سورَةٍ تبدَأُ بالطَّاءِ تَرِدُ فيها قِصَّةُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَوائِلِها مُفصَّلَةً قبلَ سائِرِ القَصَصِ؛ مِثلَ: (طه، وطس، وطسم القَصَص، وطسم الشُّعَرَاء)، وليس في المَواطِنِ الأُخرىٰ مِمَّا يُبدَأُ فيه بالحُروفِ المُقطَّعَةِ مِثلُ ذلِكَ! كما أنَّ ما يَبدَأُ بـ(طسم) تكونُ قِصَّةُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه أطوَلَ مِمَّا يبدَأُ بـ(طس).

❍ لم يَرِد ذِكرُ هامانَ في الكُتُبِ الَّتي بينَ يَدَي أَهلِ الكِتابِ، وقد أنكَرَ اليَهودُ وُجودَه وخَطَّؤوا فيه القُرآنَ، إلىٰ أن ظهَرَ الاسمُ مَكتوبًا في بَعضِ الآثارِ الفِرعَونِيَّةِ، وأنَّ مَعناهُ: المَسؤولُ عن المَشاريعِ البِنائِيَّةِ الكُبرىٰ، وكَونُه مَسؤولًا عن البِناءِ يَتوافَقُ مع ما جاءَ في القُرآنِ مِن قَولِ فِرعَونَ: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾[القصص:٣٨]، واللهُ أعلَمُ.

❍ قالَ تعالىٰ عن أمِّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾[القصص:١٠]، والمَقصودُ: لِيَزيدَ إيمانُها، فإنَّها كانَت مُؤمِنَةً قبلَ أن يَحصُلَ لها ما حصَلَ، وإنَّما أرادَ اللهُ أن يُنعِمَ عليها فيَرفَعَها بصَبرِها واحتِسابِها، وفي هذا دَليلٌ علىٰ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُصُ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[القصص]، مِن بَلاغَةِ هذه الآيَةِ أنَّها جمَعَت:

- خبَرين: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ و ﴿خِفْتِ﴾.
- أمرَين: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و ﴿فَأَلْقِيهِ﴾.
- نَهيَين: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ و ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾.
- بَشارَتَين: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ و ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

❍ الوَحيُ المَذكورُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ ليس وَحيَ النُّبُوَّةِ، فإنَّ الوَحيَ يأتي في نُصوصِ الشَّرعِ علىٰ مَعانٍ:

- **الوَحيُ بالإلهامِ والإلقاءِ في الرَّوعِ**: ومِنه قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[النَّحل:٦٨].
- **الوَحيُ بالرُّؤيا المَنامِيَّةِ**: قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثَينِ المُتَّفقِ عليهما: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ**»، «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».
- الوَحيُ الشَّرعِيُّ: وهو وَحيُ النُّبُوَّةِ أو الرِّسالَةِ.

وما حصَلَ لأُمِّ موسىٰ عليها السلام يَحتَمِلُ أن يَكونَ مِن النَّوعِ الأوَّلِ أو الثَّاني.

❍ اللَّامُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾[القصص:٨] للتَّعليل، أي: تَعليلُ قَضاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ التِقاطَهم لموسىٰ عليه السلام كانَ بقَضاءِ اللهِ وقَدَرِه، وإنَّما رتَّبَه اللهُ علىٰ فِعلِهم وحذَفَ ذِكرَ القَضاءِ لأنَّ فِعلَهم سبَبٌ له، ولأنَّ ذلِكَ أبلَغُ في تَقريعِهم وإصابَتِهم بالغَمِّ والحسرَةِ، وممَّا يُستَفادُ مِن هذه الجُملَةِ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إذا أرادَ شيئًا كَونًا فإنَّه يُهَيِّئُ أسبابَه شيئًا فشيئًا، ولا يأتي به دُفعَةً واحِدَةً.

❍ يُستَفادُ مِن قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ﴾[القصص:١١] أنَّ الأخذَ بالأسبابِ الكَونِيَّةِ النَّافِعَةِ لا يُنافي الصَّبرَ والتَّوكُّلَ علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❍ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾[طه] دَلالَةٌ علىٰ استِحبابِ المَشيِ حافِيًا في البِقاعِ الشَّريفَةِ.

❍ النَّاظِرُ في قصَّةِ موسىٰ عليه السلام يَجِدُ أنَّه لا يفعَلُ شيئًا إلَّا ويَستَعينُ اللهَ تَعالىٰ ويَدعوه، ومِن ذلِكَ قَولُه لمَّا قَتَلَ القِبطِيَّ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، وقَولُه لمَّا خرَجَ مِن مِصرَ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص]، وقَولُه لمَّا قصَدَ مَديَنَ: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص]، وقَولُه بعدَ أن سقَىٰ للمَرأتَين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[القصص]، وقَولُه بعدَ أن قَبِلَ نِكاحَ ابنَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾[القصص]، وغَيرُ ذلِكَ.

❍ ذكَرَ بَعضُ أهلِ العِلمِ أنَّه يُشرَعُ الدُّعاءُ بـ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[القصص] لمَن أرادَ النِّكاحَ، وأنَّ هذا الدُّعاءَ سبَبٌ في تَيسُّرِ النِّكاحِ وأسبابِه.

❍ يُستَفادُ مِن قَولِه تَعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] أنَّ مَن عمِلَ عمَلًا خالِصًا للهِ، ثمَّ جُوزِيَ عليه بغَيرِ قَصدٍ مِنه فقَبِلَ الجَزاءَ، أنَّ ذلِكَ لا يُنقِصُ مِن أجرِ عمَلِه الَّذي عمِلَ.

❍ قَولُ البِنتِ لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص] مِن تَمامِ فِقهِها وحُسنِ فَهمِها، فإنَّ هذَينِ الوَصفَينِ يَحصُلُ بهِما تَمامُ الأعمالِ كلِّها سَواءٌ كانَت وِلايَةً، أو خِدمَةً، أو صِناعَةً، أو غيرَها مِنَ الأُمورِ، قالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: (فَإِنَّ الْوِلَايَةَ لَهَا رُكْنَانِ: الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ... وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ بِحَسْبِهَا؛ فَالْقُوَّةُ فِي إِمَارَةِ الْحَرْبِ تَرْجِعُ إِلَىٰ شَجَاعَةِ الْقَلْبِ وَإِلَىٰ الْخِبْرَةِ بِالْحُرُوبِ وَالْمُخَادَعَةِ فِيهَا... وَالْقُوَّةُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ تَرْجِعُ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِالْعَدْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِلَىٰ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ، وَالْأَمَانَةُ تَرْجِعُ إِلَىٰ خَشْيَةِ اللهِ وَأَلَّا يَشْتَرِيَ بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا).

❍ قالَ ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: «**أَفرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: ابْنَةُ صَاحِبِ مَدْيَنَ إِذْ قَالَتْ: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص]، وَخَدِيجَةُ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ**». أخرَجَهُ الحاكِمُ وصحَّحَه، ووافَقَه الذَّهبِيُّ.

❍ لَفظُ الإمام يُطلَقُ غالِبًا على مَن كانَ مَتبوعًا في الخَير، قالَ تعالى عن إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣]، لكِنَّه يُطلَقُ كذلِكَ على مَن كانَ مَتبوعًا في الشَّرِّ، قالَ تعالى عن فِرعَونَ ومَلَإِه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[القصص:٤١].

❍ لمَّا بعَثَ اللهُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فِرعَونَ وقَومِه قالَ موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾[طه]، ويُستَفادُ مِن هذا أنَّ الفَصاحَةَ والبَيانَ مِن الوَسائِلِ المُعينَةِ على الدَّعوَةِ إلى اللهِ، ويُستَفادُ كذلِكَ أنَّ مِن آدابِ الدُّعاءِ أن يَدعُوَ الإنسانُ اللهَ ما يَحصُلُ به المَطلوبُ، فإنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يسأَلْ زَوالَ اللَّثغَةِ وإنَّما سأَلَ حُصولَ الإفهامِ الَّذي هو المَقصودُ، واللهُ أعلَمُ بما يتحَقَّقُ به ذلِكَ.

❍ سَبَقَ أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ النُّبُوَّةَ لأخيهِ هارونَ بقَولِه: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾[القصص]، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَه، وأرسَلَ معه أخاه هارونَ، قالَ تَعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾[مريم]، ولهذا فإنَّه لا يوجَدُ أحَدٌ مِن الإخوَةِ أشَدُّ مِنَّةً وفَضلًا على أخيهِ مِن موسى على هارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

❍ في قَولِ اللهِ تَعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[طه]، خافَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الدَّعوَةِ ولم يخَفْ على نَفسِه؛ لأنَّه كانَ قد رَأى تَحَوُّلَ العَصا عندَ الطُّورِ، فكانَ في ذلِكَ تَهيِئَةٌ له، قالَ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تَفسيرِه» (١١/ ٢٢٢): (قيلَ: خافَ أن يَفتَتِنَ النَّاسُ قَبلَ أن يُلقِيَ عَصاهُ، وقيلَ: خافَ حينَ أبطَأَ عليه الوَحيُ بإلقاءِ العَصا أن يفتَرِقَ النَّاسَ قَبلَ ذلِكَ فيُفتَتَنوا)، وفي زِيادَةِ ﴿فِى نَفْسِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى أنَّها خيفَةُ تفَكُّرٍ لم يظهَرْ أثَرُها على مَلامِحِه، فجاءَهُ التَّثبيتُ مِن اللهِ قبلَ أن يَنطِقَ بها لِسانُه أو تعمَلَ بها جَوارِحُه، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾[طه]، وهكذا هو فرَجُ اللهِ قَريبٌ مِمَّن سأَلَه.

❍ قُدِّمَ موسى على هارونَ في كلِّ آياتِ القُرآنِ إلَّا في مَوضِعٍ واحِدٍ في سورَةِ طه، وهو قَولُه تَعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[طه]، وفي

هـذا مُراعـاةٌ لفَواصِـل الآيـاتِ، كمـا أنَّ سِـياقِ السُّـورَةِ فيـه بَيـانُ فضـل هارونَ عليه السلام، وتَخصيـصٌ لـهَ بزيـادَةِ الذِّكرِ، ولهذا لـم يَرِد الخِطـابُ بالتَّثنِيَـةِ إلَّا في هذه السُّـورَةِ، كمـا أنَّـه لـم يُذكَر خَوفُـه لمَّا ألقـىٰ السَّـحَرَةُ حِبالَهُـم، بينَما قـالَ تَعالىٰ عـن موسَـىٰ عليه السلام: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾[طـه]، وهـو خَـوفٌ علىٰ الدَّعـوَةِ كمـا تقَدَّمَ.

❍ ذكَـرَ اللهُ تَعالـىٰ في قصَّـةِ موسـىٰ عليه السلام أنواعًـا مِـن الخَـوفِ، فقـالَ عـن أمِّ موسـىٰ عليها السلام: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ﴾[القصـص:٧]، وقـالَ عن موسـىٰ عليه السلام: ﴿خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾[طـه]، وقـالَ: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾[طـه]، ويُسـتَفادُ مِـن هـذا كُلِّـه أنَّ الخَـوفَ مِـن طَبيعَةِ الإنسـانِ وجِبِلَّتِـه، وأنَّـه لا يُنقِـصُ مِـن قَـدرِ صاحِبِـه إلَّا أن يَحمِلَـه علـىٰ تَركِ ما أُمِـرَ بـه شـرعًا، أو فِعـلِ ما نُهِـيَ عنه.

❍ في قَولِـه تَعالـىٰ: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾[طـه]، قـالَ الأصبَهـانيُّ رحمه الله: (سُـبحانَ اللهِ! ما أعظَمَ شَـأنَهم! أَلْقَـوْا حِبالَهـم وعِصِيَّهُم للكُفـرِ والجُحـودِ، ثمَّ أَلقَوا رُؤوسَـهم بَعدَ سـاعَةٍ للشُّـكرِ والسُّـجودِ، فمـا أعظَمَ الفَـرقَ بَيـنَ الإلقاءَينِ!).

❍ يُلاحَـظُ في دَعـوَةِ موسـىٰ عليه السلام لفِرعَـونَ أنَّـه اسـتَعمَلَ أسـاليبَ مُختَلِفَـةً في خِطابِـهِ، حيـثُ اتَّصَفَ خِطابُـه أحيانًا باللِّيـنِ والرَّأفَـةِ، وذلِكَ في بِدايَـةِ أمرِه، قالَ تَعالـىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾[طـه]، وأحيانًـا يَكـونُ أشَـدَّ مِـن ذلِـكَ كقَولِـه: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾[الشُّـعراء]؟! واتَّصَـفَ في آخِـرِ أمرِه بالشِّـدَّةِ والغِلظَةِ كقَولِـه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾[الإسـراء]، وهكـذا يَنبَغي لـكُلِّ مَن تصَدَّىٰ للدَّعـوَةِ إلـىٰ اللهِ أن يُراعِيَ في خِطابِـه حـالَ المَدعُوِّ وحـالَ عامَّـةِ النَّاسِ.

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾، قيـلَ: هـو ابـنُ عَـمِّ فِرعَـونَ، وكانَ مُؤمِنًـا ﴿يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ خَوفًـا مِـن فِرعَـونَ ومَـلَإِه، فلمَّـا سَـمِعَ فِرعَـونَ وهـو يُريـدُ قَتـلَ موسـىٰ قـالَ: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا﴾ يُريـدُ موسَـىٰ عليه السلام، ﴿أَن﴾ أي: بسَـبَبِ أن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافـر:٢٨]؟! ولـم يَقُـل: (أتَقتُلـونَ

موسَىٰ؟)؛ كأنَّه رَجُلٌ نكِرَةٌ لا يَعرِفُه، قالَ العلَّامَةُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنَّ المَقامَ يَقتَضي ألَّا يُبيِّنَ أنَّ له اتِّصالًا به ومَعرِفَةً، فلو قالَ: أتقتُلونَ موسَىٰ؟ لقَالوا: هذا الرَّجُلُ يَعرِفُ موسَىٰ، ولَأخَذوه)، وقالَ: (لأنَّه ليسَ المَقصودُ مَعرِفَةَ الاسمِ، إنَّما المَقصودُ مَعرِفَةُ القَضِيَّةِ، أمَّا تَعيينُ الأسماءِ فهي مِن فُضولِ العِلْمِ).

❍ اليَومُ الَّذي أغرَقَ اللهُ تَعالىٰ فيه فِرعَونَ وجُندَه ونجَّىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمُؤمِنينَ معه هو يَومُ عاشوراءَ، وهو اليَومُ العاشِرُ مِن شَهرِ اللهِ المُحَرَّمِ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّىٰ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ، قَالَ: «**فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**»، وأمَّا جَعلُ الشِّيعَةِ الرَّوافِضِ هذا اليَومَ مأتَمًا يحزَنونَ فيه علىٰ مَقتَلِ السِّبطِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويَضرِبونَ أنفُسَهم، ويَفعَلونَ فيه المُنكَراتِ = فليس مِن دينِ اللَّهِ تَعالىٰ في شَيءٍ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[الأعراف:١٤٢]، وهذه قِراءَةُ الجُمهورِ، وقرَأَ أبو عَمرٍو وأبو جعفَرٍ ويَعقوبُ: ﴿وَوَعَدْنَا﴾ مِن غَيرِ مَدٍّ، قالَ ابنُ عاشورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾ بِأَلِفٍ بَعْدَ الْوَاوِ عَلَىٰ صِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ الْمُقْتَضِيَةِ حُصُولَ الْوَعْدِ مِنْ جَانِبَيْنِ: الْوَعْدِ وَالْمَوْعُودِ، وَالْمُفَاعَلَةُ عَلَىٰ غَيْرِ بَابِهَا، لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ، عَلَىٰ حَدِّ: سَافَرَ، وَعَافَاهُ اللهُ، وَعَالَجَ الْمَرِيضَ، وَقَاتَلَهُ اللهُ) فالمَعنىٰ في هذه الأفعالِ حاصِلٌ مِن جانِبٍ واحِدٍ، قالَ الرَّازي: (وقيلَ: المُفاعَلَةُ علىٰ بابِها، بتَقديرِ أنَّ اللهَ وعَدَ موسىٰ أنْ يُعطِيَه الشَّريعَةَ، وأمَرَه بالحُضورِ للمُناجاةِ، فوَعَدَ موسىٰ ربَّه أن يمتَثِلَ لذلِكَ).

❍ قالَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٤٣]، وقالَ قَومُه: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥]، والفَرقُ بينَ القَولَينِ مِن وَجهَينِ:

▪ أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ ذلِكَ شَوقًا إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وليتلَذَّذَ بالنَّظَرِ إليه، أمَّا أولَئِكَ فقالوه تشَكُّكًا، ولهذا استَحَقُّوا العُقوبَةَ.

■ أنَّ موسىٰ عليه السلام قالَ ذلِكَ مُخاطِبًا اللهَ عز وجل الَّذي يملِكُ أن يُريَه نفسَه، وأمَّا أولَئِكَ فخاطَبوا موسىٰ عليه السلام بما يَعلَمونَ أنَّه ليس له قُدرَةٌ عليه، فكانَ طَلَبُهم مِن بابِ التَّعجيزِ.

❍ ممَّا يُتَعَجَّبُ له في قِصَّةِ عِبادَةِ بَني إسرائيلَ للعِجلِ سُرعَةُ تَغَيُّرِهم وكُفرِهم باللهِ عز وجل بعد مُعايَنَتِهم للآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ اللهِ، وعلىٰ صِدقِ نُبُوَّةِ موسىٰ عليه السلام، ومُعايَنَةِ هَلاكِ فِرعَونَ وجُندِه، ولعَلَّ مِن أسبابِ ذلِكَ أنَّهم رُبُّوا في مِصرَ علىٰ الاستِعبادِ والذُّلِّ والتَّخويفِ والتَّجويعِ، فصاروا كالرَّعاعِ الهَمَجِ الَّذين يتبَعونَ كلَّ ناعِقٍ، فسَهُلَ علىٰ السَّامِريِّ أن يَقودَهم إلىٰ الهَلاكِ، ولهذا فإنَّ الدَّاعِيَ إلىٰ اللهِ ينبَغي أن يُرَبِّيَ النَّاسَ علىٰ أن يَكونوا أحرارًا، وعلىٰ اتِّباعِ الدَّليلِ، وعدَمِ الاغتِرارِ بكُلِّ مُفَوَّهٍ خَطيبٍ وكُلِّ ذي جاهٍ.

❍ لمَّا رجَعَ موسَىٰ عليه السلام إلىٰ قَومِه ووجَدَهم قد عبَدوا العِجلَ ألقىٰ الألواحَ الَّتي فيها التَّوراةُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾[الأعراف:١٥٠]، قالَ جُمهورُ المُفَسِّرينَ: ألقىٰ الألواحَ غَضَبًا علىٰ قَومِه، وليسَ إهانَةً لها، والصَّحيحُ أنَّها لم تتكَسَّر، إذ لم يَرِد ما يَدُلُّ علىٰ ذلِكَ في نَصٍّ ثابِتٍ.

❍ لمَّا عنَّفَ موسىٰ أخاه هارونَ عليهما السلام في تَركِ الإنكارِ علىٰ بني إسرائيلَ بعدَ أن عبَدوا العِجلَ، وأخَذَ بلِحيَتِه يَجُرُّه إليه، قالَ هارونُ: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾[طه:٩٤]، قالَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله: (ترَفَّقَ له بذِكرِ الأمِّ مع أنَّه شَقيقُه لأبَوَيه؛ لأنَّ ذِكرَ الأمِّ هاهنا أرَقُّ وأبلَغُ، أي: في الحُنُوِّ والعَطفِ)، فلمَّا ذكَرَ له هارونُ عليه السلام سبَبَ سُكوتِه عنهم تحَقَّقَ براءَتَه، وقالَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾[الأعراف]، ثمَّ تحَوَّلَ خِطابُه إلىٰ السَّامِريِّ ومَن تَبِعَه مِن قَومِه.

❍ احتَجَّ بَعضُ أهلِ العِلمِ بقَبضِ موسىٰ لِحيَةَ هارونَ عليهما السلام بأنَّ لِحيَةَ هارونَ عليه السلام كانَت تَزيدُ عنِ القَبضَةِ، وإلَّا ما كانَ بإمكانِ موسَىٰ عليه السلام أن يأخُذَ بها.

❍ قالَ تَعالىٰ في وَصفِ عَبَدَةِ العِجلِ: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ

بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة:٩٣]، قالَ قَتادةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أُشْرِبُوا حُبَّهُ حَتَّىٰ خَلَصَ ذَلِكَ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، وكذا قال أبو العاليةِ والرَّبيعُ بنُ أنسٍ، وهو ما ذهبَ إليه جُمهورُ المُفَسِّرينَ، قالَ ابنُ الجَوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: سُقوا حُبَّ العِجلِ، فحذَفَ المُضافَ وهو الحُبُّ، وأقامَ المُضافَ إليه مَقامَه... فأُضمِرَ الحُبُّ؛ لأنَّ المَعنىٰ مَعلومٌ)، وقالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَخَذَ مُوسَىٰ الْعِجْلَ فَذَبَحَهُ الْبَرْدَ، ثُمَّ ذَرَّ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَبْقَ بَحْرٌ يَجْرِي يَوْمَئِذٍ إلا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: اشْرَبُوا مِنْهُ، فَشَرِبُوا، فَمَنْ كَانَ يُحِبُّهُ خَرَجَ عَلَىٰ شَارِبَيْهِ الذَّهَبُ)، واللَّفظُ لا يُؤَيِّدُ هذا القولَ، قالَ أبو عُبيدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ قَالَ: إنَّ الْعِجْلَ أُحْرِقَ ثُمَّ ذُرِّيَ فِي الْمَاءِ فَشَرِبُوهُ، فَلَمْ يَعْرِفْ كَلَامَ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقُولُ فِي الْمَاءِ: أُشْرِبَ فُلَانٌ فِي قَلْبِهِ).

❍ قالَ تَعالىٰ في سِياقِ قِصَّةِ العِجل: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السَّامِرِيُّ ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ﴾ قالَ الَّذينَ تَبِعوه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾[طه]، اختَلَفَ المُفَسِّرونَ في النَّاسي، فرُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (نَسِيَ موسَىٰ، ضلَّ عنه -أي: عن مَكانِ العِجلِ- فلم يَهتَدِ له)، ورُوِيَ عنه: (أي: تَرَكَ ما كانَ عليه مِن الإسلام)، يَعني: السَّامِرِيَّ، وعن قَتادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قالَ السَّامِرِيُّ: موسَىٰ نَسِيَ ربَّه عِندَكم)، وقيلَ غَيرُ ذلِكَ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي: بيتَ المَقدِسِ، ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ أي: أبَحنا لكم أن تأكُلوا مِنها ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ أي: في أيِّ مَكانٍ كنتم مِن البَلَدِ، في وَسَطِها أو في أطرافِها، ﴿رَغَدًا﴾[البقرة:٥٨] أي: مُطمَئِنِّينَ، وليس هذا مِن بابِ إباحَةِ الغَنائِمِ لهم؛ لأنَّ الغَنائِمَ لم تُبَح إلَّا لأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، لِما جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»، فالإِذنُ هنا ليسَ علىٰ سَبيلِ التَّمليكِ وإنَّما علىٰ سَبيلِ الإباحَةِ، وأمَرَهم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يَدخُلوا سُجَّدًا، وأنْ يسألوه المَغفِرَةَ عندَ دُخولِهم بقَولِهم: (حِطَّةٌ)، فحَرَّفوا ذلِكَ ودَخَلوا يزحَفون علىٰ أستاهِهم إلىٰ الوَراءِ استِكبارًا واستِهزاءً، وقالوا: (حِنطَةٌ)، فكانوا فاسِقينَ بذلِكَ.

❍ ذكَرَ أهلُ العِلمِ أنَّ عصا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَت نِعمَةً علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلىٰ

بَني إسرائيلَ:

- أمَّا كونُها نِعمَةً علىٰ موسَىٰ ﷺ فلأنَّها آيَةٌ دالَّةٌ علىٰ رِسالَتِه.
- وأمَّا كَونُها نِعمَةً علىٰ بَني إسرائيلَ فلأنَّها كانَت سبَبًا في نَجاتِهم مِن فِرعَونَ، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[الشُّعراء:٦٣]، وسببًا كذلِكَ في إزالَةِ عَطَشِهم، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[البقرة:٦٠].

○ في قصَّة موسَىٰ مع الخضِر ﷺ فَوائدُ كَثيرَةٌ مِنها:

- تَنبيهُ بَني إسرائيلَ إلىٰ أهَمِّيَّةِ طَلَبِ العِلم، حيثُ حرِصَ موسَىٰ ﷺ النَّبيُّ العالِمُ علىٰ لِقاءِ الخضِر، وسافَرَ في طَلَبِه، ولَزِمَه في مَسيرِه، كلُّ ذلِكَ طلَبًا لما معه مِن العِلمِ الَّذي لم يُعلِّمه اللهُ إيَّاهُ، والرِّحلَةُ في طَلَبِ العِلم مِن أعظَمِ المَطالِبِ.
- الشَّيطانُ يقِفُ في طَريقِ طلَبِ العِلمِ، ويَجتَهِدُ في مَنعِ الطَّالِبِ منه، وفي هذه القِصَّةِ تسَلَّطَ الشَّيطانُ علىٰ الخادِمِ فأنساهُ ذِكرَ الحوتِ لئَلَّا يَجتَمِعَ موسَىٰ والخضِرُ ﷺ، ولم يستَطِع الشَّيطانُ أن يتسَلَّطَ علىٰ موسَىٰ ﷺ لعُلُوِّ هِمَّتِه وحِرصِه علىٰ طلَبِ العِلمِ، فيَنبَغي لكُلِّ طالِبِ عِلمٍ أن يَحذَرَ مِن مَكايِدِ الشَّيطانِ في هذا البابِ.
- ظنَّ موسَىٰ ﷺ أنَّه لا يوجَدُ أعلَمُ مِنه علىٰ الأرضِ، فأرشَدَه اللَّهُ إلىٰ الخضِرِ ليُعلِمَه أنَّ الإنسانَ مهما أوتِيَ مِن عِلمٍ فإنَّه يَجهَلُ أكثَرَ ممَّا يَعلَمُ، فلا يَنبَغي لأحَدٍ مِنَّا أن يَغتَرَّ بنَفسِهِ.
- الإرشادُ إلىٰ ما جاءَ به الأنبياءُ مِن الحِرصِ علىٰ مَصالِحِ النَّاسِ، والقِيام بما أمرَهُم اللهُ به.
- قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ موسَىٰ وفَتاهُ المَكانَ الَّذي يَقصِدانِه -وهو مَجمَعُ البَحرَينِ- ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[الكهف] أي: تعَبًا، ولم يَتعَب حتَّىٰ تَجاوَزَ المَكانَ المَقصودَ، وفيه بَيانُ عُلُوِّ هِمَّةِ موسَىٰ ﷺ وحِرصِه علىٰ لِقاءِ الخضِرِ والتَّعلُّمِ مِنه.
- في القِصَّةِ الكَثيرُ مِن الآدابِ الَّتي يَنبَغي للطَّالِبِ التَّحلِّي بها في طَلَبِه

للعِلمِ ومُصاحَبَتِه للعالِمِ، ومِن أهَمِّها التَّواضُعُ والاعتِرافُ بالفَضلِ، وكذلِكَ الآدابُ الَّتي يَنبَغي للعالِمِ أن يتحَلَّىٰ بها مع الطَّالِبِ، ومِن أهَمِّها بَيانُ الخَطَإِ عندَ وُقوعِهِ مِن الطَّالِبِ، والتَّدَرُّجُ في العِتابِ، ومُراعاةُ النِّسيانِ واعتِبارُه عُذرًا شَرعِيًّا.

▪ الدَّرسُ العَمَلِيُّ أَعلىٰ وأَفيَدُ مِن النَّظَرِيِّ، فلا يَستَوي رجُلٌ ترَبَّىٰ علىٰ الكُتُبِ والتَّسجيلاتِ المَرئِيَّةِ أو المَسموعَةِ مع رجُلٍ عارَكَتهُ الأحداثُ وحَوادِثُ الحَياةِ فكانَت تَربِيَةً له، فتَجِدُ الثَّاني أشَدَّ صَلابَةً في عُودِه وجَودَةِ مَعدَنِه، وفي صِفاتِه وأخلاقِهِ، وفي ثَباتِه علىٰ الحَقِّ.

▪ قالَ تعالىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ ﴾[الكهف]، قال ناصرُ الدِّينِ ابنُ المُنيرِ السَّكَندَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الانتِصافِ»: (بادَرَ مُوسَىٰ بالإنكارِ التِهابًا وحَمِيَّةً للحَقِّ، فقالَ: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾، ولم يَقُلْ: لتُغرِقَنا، فنَسِيَ نَفسَه واشتَغَلَ بغَيرِه، في الحالَةِ الَّتي كلُّ أحَدٍ فيها يَقولُ: نَفسِي نَفسِي، لا يَلوي علىٰ مالٍ ولا وَلَدٍ، وتِلكَ حالَةُ الغَرَقِ، فسُبحانَ مَن جَبَلَ أنبياءَه وأَصفِيَاءَه علىٰ نُصحِ الخَلقِ، والشَّفَقَةِ عليهم، والرَّأفَةِ بهم).

▪ مِن اللَّطائِفِ أنَّ اللهَ تَعالىٰ جعَلَ اجتِماعَ موسَىٰ والخضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -البَحرينِ في العِلمِ والصَّلاحِ- عندَ مَجمَعِ البَحرَينِ الحَقيقِيَّينِ، وفي حَديثِ أحمَدَ: «**وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ الْخَضِرُ: مَا يَنْقُصُ عِلْمِي وَلَا عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ**».

▪ مُراعاةُ العدَدِ ثلاثَةٍ في الشَّرعِ، وقد جاءَ في هذه القِصَّةِ مُراعاةُ الثَّلاثِ مرَّاتٍ في الإعذارِ إلىٰ النَّاسِ، وفي انتهاءِ الأمرِ، وهذا في الشَّرعِ كَثيرٌ؛ كالطَّلاقِ مَثلًا الحَدُّ الأخيرُ الَّذي يجِبُ فيه الانفِصالُ ولا رُجوعَ بعدَه إلَّا بعدَ زَوجٍ آخَرَ هو ثَلاثُ مرَّاتٍ.

▪ مِن تَواضُعِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه أرادَ الأكلَ مع خادِمِه، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾[الكهف:٦٢] بصيغَةِ الجَمعِ فهما مُشتَرِكانِ فيه.

❍ في قصَّةِ النَّبيِّ حِزقيلَ ﵇ قالَ تَعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟! وهذا استِفهامُ تَدبُّرٍ وتفكُّرٍ، ولم يشُكَّ ﵇ في قُدرَةِ اللهِ جلَّ وعلا علىٰ ذلِكَ، والدَّليلُ علىٰ ذلِكَ أنَّ اللهَ لمَّا أماتَهُ مائةَ عامٍ ثمَّ أحياهُ وبيَّنَ له ما كانَ مِن شأنِهِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وهذا نحوُ ما كانَ مِن شأنِ إبراهيمَ الخليلِ ﵇ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة:٢٦٠].

اخْتِبَارٌ في قِصَّة مُوسَى ﵇ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ:

[١] النَّبيُّ الَّذي لُقِّبَ بكَليمِ اللهِ: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.
[٢] النَّبيُّ الَّذي تحوَّلَت عَصاهُ إلىٰ حيَّةٍ: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.
[٣] مَن ماتَ أوَّلًا موسَىٰ أم هارونُ؟ ❍ موسَىٰ. ❍ هارونُ.
[٤] ذهَبَ موسَىٰ ﵇ بعدَ خُروجِهِ مِن مِصرَ خائِفًا إلىٰ: ❍ القُدسِ. ❍ مَديَنَ. ❍ الطُّورِ.
[٥] طلَبَ مُوسَىٰ العِلمَ مِن: ❍ داوُدَ. ❍ سُليمانَ. ❍ الخَضِرِ.
[٦] مِن آياتِ موسَىٰ: ❍ العَصا. ❍ اليَدُ. ❍ الطُّوفانُ. ❍ الجَرادُ. ❍ القُمَّلُ. ❍ الدَّمُ. ❍ الضَّفادِعُ. ❍ الجَدبُ. ❍ نَقصُ الثَّمراتِ. ❍ الجَميعُ.
[٧] علىٰ مَن أُنزِلَت التَّوراةُ؟ ❍ عيسَىٰ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.
[٨] أين كلَّمَ اللهُ موسَىٰ ﵇؟ ❍ في مِصرَ. ❍ في الطُّورِ. ❍ في القُدسِ.
[٩] أكثَرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ باسمِه: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ.
[١٠] كَم رَجُلًا اختارَ موسَىٰ مِن قَومِه ليَعتَذِروا إلىٰ اللهِ؟ ❍ ١٠. ❍ ٤٠. ❍ ٧٠.
[١١] ما اسمُ وَزيرِ فِرعونَ؟ ❍ السَّامريُّ. ❍ قارونُ. ❍ هامانُ.

[١٢] الَّـذي فَتَـنَ بَنـي إسـرائيلَ في غِيـابِ موسَـىٰ: ❍ السَّـامريُّ. ❍ قـارونُ. ❍ هامانُ.

[١٣] في أيِّ سورَةٍ قِصَّةُ موسَىٰ مع الخَضِرِ؟ ❍ الكَهف. ❍ طهَ. ❍ القَصَص.

[١٤] أُرسِلَ موسَىٰ إلىٰ: ❍ الأقباط. ❍ بني إسرائيلَ. ❍ كلاهُما.

[١٥] كانَ هَلاكُ فِرعَونَ؟ ❍ قَبلَ نُزولِ التَّوراةِ. ❍ بَعدَ نُزولِ التَّوراةِ.

[١٦] عددُ عُيونِ الماءِ الَّتي فَجَّرَتها عصا موسَىٰ عليه السلام: ❍ ٥. ❍ ١٠. ❍ ١٢.

[١٧] المَرأةُ الَّتي أوحىٰ اللهُ إليها في القُرآنِ؟ ❍ مَريمُ. ❍ أمُّ موسَىٰ.

[١٨] في أيِّ يَمٍّ أَلقَت أمُّ موسَىٰ ابنَها؟ ❍ البَحرُ الأحمرُ. ❍ النِّيلُ.

[١٩] الطَّاغِيَةُ الَّذي خَسَفَ اللهُ به وبدارِه: ❍ النُّمرودُ. ❍ قارونُ. ❍ فِرعَونُ.

[٢٠] مَـن مِـن عِبـادِ اللهِ الصَّالِحيـنَ أعطـاهُ اللهُ العِلـمَ والحِكمَـةَ، وكانَ لـهُ وَصايـا نافِعَـةٌ ورَدَ ذِكرُهـا في القُـرآنِ؟ ❍ الخَضِـرُ. ❍ لُقمـانُ. ❍ حِزقيـلُ.

[٢١] نبيَّـانِ اجتَمَعـا في وقـتٍ واحـدٍ: ❍ إبراهيـمُ ولـوطٌ. ❍ داوُدُ وسُـليمانُ. ❍ موسَـىٰ وهـارونُ. ❍ الجَميعُ.

[٢٢] موسىٰ عليه السلام هو أكثرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآن: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] هارونُ هو الأخُ (❍ الأكبرُ ❍ الأصغرُ) لموسَىٰ عليهما السلام.

[٢٤] ماتَ هارونُ عليه السلام (❍ قبلَ ❍ بعدَ) مَوتِ موسَىٰ عليه السلام في زمنِ التِّيهِ.

[٢٥] يُوشَـعُ بـنُ نـونٍ عليه السلام (❍ ذُكِـرَ ❍ لـم يُذكَـرْ ❍ ذُكِـرَ بـدونِ ذِكرِ اسـمِه) في القُرآنِ.

[٢٦] بُعِثَ يوشَعُ عليه السلام بعدَ مَوتِ: ❍ موسىٰ. ❍ داوُدَ. ❍ عيسىٰ.

[٢٧] النَّبـيُّ الَّـذي حبَـسَ اللهُ لـه الشَّـمسَ حتَّـىٰ يُتِـمَّ القِتـالَ هـو: ❍ يوشَـعُ. ❍ داوُدُ. ❍ شُعَيبٌ.

[٢٨] ذُكِرَ يوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام في القُرآنِ بدونِ اسمِه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٩] بُعِثَ إلياسُ عليه السلام إلىٰ قومٍ كانَ لهم صنَمٌ يُقالُ لهُ: ❍ بعل. ❍ سواع.

[٣٠] الَّـذي فتَـحَ بيـتَ المَقـدِسِ بعـدَ التِّيـهِ هـو: ❍ حِزقيـلُ. ❍ شُـعَيبٌ. ❍ داوُدُ. ❍ يوشَـعُ.

[٣١] ذُكِرَ يوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام في سورَةِ: ❍ البقَرَةِ. ❍ الكَهفِ. ❍ طه.

[٣٢] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

أخو موسَىٰ هو:	لِيَشُدَّ أزرَهُ في الدَّعوَةِ.
نالَ هارونُ الرِّسالَةَ:	الخَضِرُ.
أرادَ موسَىٰ لهارونَ الرِّسالَةَ:	هو أكثرُ الأنبياءِ مُطلَقًا.
خادِمُ موسَىٰ هو:	الإسلامُ، ولم يأتِ باليَهودِيَّةِ.
مِن حيثُ الآياتُ:	سَعةُ العلمِ، والحياءُ، والتَّوكُّلُ.
مِن حيثُ ذِكرُهُ في القُرآنِ:	الكليمُ.
مِن أوصافِه الخُلُقِيَّةِ:	هارونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِن أوصافِه الخَلقِيَّةِ:	هامانُ.
دينُ موسَىٰ:	يوشَعُ بنُ نونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مُعلِّمُ موسَىٰ هو:	التَّوراةُ والصُّحُفُ.
لقبُ موسَىٰ هو:	أُمَّتَين: الأقباطِ، وبَني إسرائيلَ.
عَدُوُّ موسَىٰ هو:	بِشَفاعَةِ موسَىٰ.
وَزيرُ عَدُوِّه هو:	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ ...
أُمِرَت أُمُّه بأمرَينِ، ونُهِيت عن أمرَينِ، وبُشِّرت ببَشارَتين:	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: كَمُلَ في الخِلقَةِ البَشَرِيَّةِ.
مِهنَةُ موسَىٰ هي:	يتوكَّأُ عليها، ويهُشُّ بها علىٰ غَنَمِهِ.
مُرَبِّيَةُ موسَىٰ هي:	هو أكثرُ الأنبياءِ بعدَ نَبيِّنا.
أُرسِلَ موسَىٰ إلىٰ:	الرَّعيُ.
كانَ موسَىٰ يحمِلُ معه عصًا:	آسِيَةُ امرأةُ فِرعَونَ.
عَبدَ قومُهُ بعد نَجاتِهم:	العِجلَ الَّذي صنعَهُ السَّامريُّ مِن ذهَبِ القَومِ وأثَرِ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
كِتابُ موسَىٰ هو:	فِرعَونُ، واسمُه رَمسيسُ الثَّاني.

[٣٣] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ موسَىٰ عليه السلام بدليلِها:

الصَّبرُ الكَثيرُ:	﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥﴾.
سَعةُ العِلمِ:	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.
التَّوكُّلُ علىٰ اللهِ:	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.
القُوَّةُ والأمانةُ:	﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.
انشِراحُ الصَّدرِ:	«**أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**».
الشَّهامَةُ والرُّجولةُ والمُبادَرةُ لخِدمَةِ الغَيرِ:	﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾.
الوَفاءُ بالعَهدِ:	«**مَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي**».
نُصرَةُ المَظلومِ:	﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.
التَّواضُعُ والاعتِرافُ بالفَضلِ، والحِرصُ علىٰ العِلمِ:	﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾.
سُرعَةُ اتِّخاذِ القَرارِ:	﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾.
رُجوعُهُ وأوبَتُه إلىٰ اللهِ:	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.
لُجوؤُهُ إلىٰ اللهِ، وثِقَتُهُ به وبالنَّصرِ:	﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾.
رَأفَتُه ورَحمَتُه:	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾.
الغَضبُ إذا انتهُكِت المَحارِمُ:	كما في قصَّةِ الَّذي وَكَزَه موسىٰ.
شِدَّةُ الْحَياءِ:	«**كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا**».
قُوَّتُه في عَرضِ الحَقِّ:	﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.
استِشعارُه لحَجمِ المَسؤوليَّةِ:	﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.
زُهدُه في الدُّنيا واختيارُ الآخِرَةِ:	﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾.
قَولُ النَّصيحَةِ:	﴿لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

[٣٤] اختَرِ مِن خَصائِصِ موسَىٰ وأُمَّتِهِ:

بُعِثَ في:	الَّذينَ أهلَكَ اللهُ أُمَمَهُم.
هو آخِرُ الأنبياءِ:	أتباعًا بعدَ نبيِّنا ﷺ.
هو أكثَرُ الأنبياءِ:	أُمَّتَينِ.

[٣٥] اربِط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليلِها:

وَزيرُ موسَىٰ، شدَّ اللهُ به عَضُدَه:	﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾.
التَّسبيحُ والذِّكرُ:	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.
الفَصاحَةُ:	﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾.
السُّلطانُ:	﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ ﴾، ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾.
أوتِيَ الكِتابَ:	﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.
مَنَّ اللهُ عليه، ونصَرَه، وهَداهُ، وجعَلَ له الذِّكرَ الحسَنَ، وسلَّمَهُ، وكانَ مُحسِنًا:	﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾.
قُدِّمَ موسَىٰ علىٰ هارونَ إلَّا في مَوضِعٍ واحدٍ:	﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[٣٦] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

مَعنىٰ اسمِ موسَىٰ:	عِمرانُ.
اسمُ أبي موسَىٰ:	في مِصرَ.
موسَىٰ مِن سُلالَةِ:	المُنتَشَلُ من الماءِ.
وُلِدَ موسَىٰ:	علىٰ مَشارِفِ القُدسِ.
دُفِنَ موسَىٰ:	يَعقوبَ بنِ إسحاقَ.

[٣٧] اربِط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ إلياسَ عليه السلام بدليلِها:

الذِّكرُ الحَسَنُ:	﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾
سلَّمَه اللهُ:	﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾.
عبدٌ مُؤمِنٌ مُحسِنٌ:	﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾.

نَبِيَّا اللهِ شَمْوِيل وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

شَمْوِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه:	شَمويلُ -أو صَمويلُ- بنُ بالىٰ، وقيلَ: أَشْمَوِيلُ، ومَعناهُ بالعِبرانِيَّةِ: سَمِعَ اللهُ دُعائِي.
	قَومُه:	أرسلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ لِيَلُمَّ شَملَهُم.
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ في القُرآنِ غيرَ مُصَرَّح باسمِهِ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾[البقرة:٢٤٦].
دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه:	داوُدُ بنُ إِيشَا، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بن يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	قَومُه:	أرسلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ بعدَ شَمويلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	كِتَابُه:	أنزَلَ اللهُ إليهِ الزَّبورَ، ونَزَلَ مُنَجَّمًا كما نزَلَ القُرآنُ.
	مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِه:	[١-٣] ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ﴾[البقرة]. [٤] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[النَّمل]. [٥-٦] ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّةِ، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[ص]. [٧-٨] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[ص]. [٩-١٠] ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[ص]. [١١] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦]. [١٢] «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا». مُتَّفَقٌ عليه.
	ذِكرُه:	ذُكِرَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ ١٦ مرَّةً.

داوُدُ عليه السلام	اسمُه:	داوُدُ بنُ إيشَا، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بن يَعقوبَ عليه السلام.
	آياتُه:	[١] ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء:٧٩]. [٢] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ]، فكانَ يَفتِلُ الحَديدَ بيَدِهِ كيفَ يشاءُ. [٣] كانَ يقرَأُ الزَّبورَ بصوتٍ لم تسمع الآذانُ مِثلَهُ، قالَ ﷺ لأبي موسىٰ رضي الله عنه: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». مُتَّفَقٌ عليه.
	موتُه:	صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ داوُدَ عليه السلام عاشَ مائةَ سنةٍ، ثمَّ جاءَه مَلَكُ المَوتِ فقبَضَ روحَهُ، ودفَنَهُ ابنُه سُليمانُ.

قِصَّةُ نَبِيَّيِ اللهِ شَمْويلَ وَدَاوُدَ عليهما السلام مُختَصَرَةً:

سُؤالُ بَني إسرائيلَ مَلِكًا يُقاتِلونَ مَعَهُ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة].

بَقِيَ بَنو إسرائيلَ مِن بَعدِ اليسَع ﷺ كالغَنَمِ بلا راع، قد بادَ مُلكُهم وسامَهُم العَمالِقَةُ العَذابَ، وأرهَقَتهُم الحُروبُ، فلمَّا اشتَدَّ ذلِكَ عليهم أرسَلَ الله إليهم شَمويلَ ﷺ، وقيلَ: إنَّه مِن ذُرِّيَّةِ هارونَ ﷺ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو النَّبيُّ شَمويلُ ﷺ ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءَنا، فخَشِيَ عليهم إن بعَثَ اللهُ لهُم مَلِكًا وأوجَبَ عليهِم الجِهادَ أن يتخَلَّفوا عنه ولا يَفوا بعَهدِهم، فـ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾ أي: ما يَمنَعُنا مِن أن نُقاتِلَ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ وأرضِنا الَّتي جعَلَ اللهُ لنا، ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾ أي: سُبيَ أبناؤُنا مِن عَدُوِّنا؟! وكانَ ما خَشِيَهُ النَّبيُّ شَمويلُ ﷺ حقيقَةً، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ ونكَلوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾.

وكانَ مِن شَأنِهم أنَّ اللهَ ﷻ أجابَهُم إلىٰ ما سألوه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ وكانَ رَجُلًا مِن أجنادِهم ﴿مَلِكًا﴾ عليكم، ولم يكُن مِن سِبطِ يَهوذا الَّذين كانَ فيهم مُلكُ بَني إسرائيلَ، ولهذا ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فهو فقيرٌ لا مالَ له، وكانَ الأَولىٰ لهُم أن يَقولوا: سَمِعنا وأطَعنا، واللهُ أعلَمُ حيثُ يَجعَلُ المُلكَ! ﴿قَالَ﴾ لهم النَّبيُّ شَمويلُ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ واختارَهُ مِن بينِكُم، ولستُ أنا الَّذي مَلَّكتُه عليكُم، ﴿وَزَادَهُۥ﴾ اللهُ ﴿بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ فجعَلَهُ أعلَمَ وأقوىٰ مِنكُم، وهذه مِن الصِّفاتِ الَّتي يَنبَغي توَفُّرُها في مَن يتوَلَّىٰ أمرَ النَّاسِ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ ولا يُسأَلُ عمَّا يفعَلُ، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: واسِعُ الفَضلِ ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بمَن يستَحِقُّ المُلكَ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ شَمويلُ ﷺ: ﴿إِنَّ ءَايَةَ﴾ وعلامَةَ ﴿مُلْكِهِۦٓ﴾ عليكُم ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الَّذي أُخِذَ مِنكُم، وكانوا إذا لَقوا عَدُوًّا قدَّموه أمامَهم فلا يَقومُ لهُم عَدُوٌّ، فسُلِبَ مِنهم بعد اليَسَعِ ﷺ كما تقَدَّمَ، وبشَّرَهم أنَّ التَّابوتَ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تَسكُنونَ إليه إذا

جاءَكُم، وتعلَمونَ صِدقَ نبيِّكُم، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ وكانَ فيه -علىٰ ما يُذكَرُ- عصَا موسَىٰ عليه السلام وبقايا ألواحِ التَّوراةِ، وبعضُ الثِّيابِ، ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ فتأتيكم به، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٤٨﴾[البقرة] باللهِ واليَومِ الآخِرِ.

قِتَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ طَالُوتَ:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾[البقرة].

لمَّا جاءَ بَني إسرائيلَ التَّابوتُ الَّذي جعلَه اللَّهُ آيةً لهُم علىٰ صِدقِ شَمويلَ عليه السلام وتمليكِ طالوتَ عليهم صدَّقوا وأذعَنوا، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ مُتَّجِهًا لِغَزوِ جالوتَ ومَن معه مِن العَماليقِ الجَبابِرَةِ الطُّغاةِ، ﴿قَالَ﴾ للجُنودِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾ أي: مُختَبِرُكم ﴿بِنَهَرٖ﴾ بين الأُردُنِ وفِلسطينَ، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ أي: لا يُقاتِلُ معي اليَومَ، ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ يَصحَبُني ويُقاتِلُ معي، ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ فلا بأسَ بذلِكَ، ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾، وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عن البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنهما: «**كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ -وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ**

إِلَّا مُؤْمِنٌ- بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِمِائَةٍ».

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي: النَّهرَ ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استقَلُّوا أنفُسَهُم و﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ لكثرتِهم وقُوَّتِهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يتيقَّنونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ يومَ القِيامَةِ، وهم أهلُ العِلمِ منهم، قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، فليسَ النَّصرُ بمُجَرَّدِ العدَدِ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ يُؤَيِّدُهم وينصُرُهم، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ في أرضِ المَعركَةِ دَعَوُا اللهَ فـ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ﴾ أي: أنزِل ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أمامَ عَدُوِّنا فلا نَفِرَّ ونهرب، ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾، فأجابَهُم اللهُ إلىٰ سُؤالِهم وأيَّدَهُم علىٰ عَدُوِّهم، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

وكانَ في جَيشِ طالوتَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكَرَ أصحابُ السِّيَرِ أنَّ طالوت وعَدَ مَن يَقتُلُ جالوتَ أن يُزَوِّجَه ابنتَه، فانتَخَبَ اللهُ لذلِكَ داوُدَ، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾، وذكَرَ بعضُ السَّلفِ أنَّه قتَلَه رميًا بالمِقلاعِ، وأحبَّ بَنوا إسرائيلَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فآلَ إليه المُلكُ عليهم بعدَ طالوتَ، وذلِكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١]، وذكَرَ بَعضُ السَّلفِ قصَّةً حصَلَت بين طالوتَ وداوُدَ قالَ عنها ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِي بَعْضِ هَذَا نَظَرٌ ونَكارَةٌ، واللَّهُ أعلَمُ).

مُلكُ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنُبُوَّتُه:

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[ص:٢٦].

هو داوُدُ بنُ إيشا، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بنِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَ المُلكُ في سِبطِ اللَّاوي والنُّبُوَّةُ في سِبطِ يَهوذا، فلمَّا كانَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جمَعَ اللَّهُ له بينَ المُلكِ والنُّبُوَّةِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ بعدَ طالوتَ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: النُّبُوَّةَ بعد شَمويلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١] مِن العِلمِ

الَّـذي اختصَّـهُ به عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦] استَخلَفناكَ مِـن بَعـدِ مَن كانَ قبلَك مِـن المُلوكِ والأنبيـاءِ، وممَّا يُذكَرُ أنَّ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هـو الخَليفـةُ الثَّـاني في الأرضِ، والأوَّل هـو آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كمـا في قَولِهِ تَعالـىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

ممَّا أُوتِيَهُ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مُلكِه:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ]، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

كانَ مِـن فَضل اللَّهِ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ أن آتاهُ مُلـكًا عَظيمًا، واختَصَّهُ بخَصائِصَ جَليلَـةٍ، قـالَ تَعالَـىٰ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ فكانَت الجِبالُ والطَّيـرُ يُصَلِّيـنَ معـه إذا صَلَّىٰ، وذلِـكَ لعُذوبَـةِ صَوتِهِ، وحُسـنِ قِراءَتِـهِ للزَّبورِ، ولذلِـكَ لمَّـا سَـمِعَ النَّبيُّ ﷺ حُسـنَ قِـراءَةَ أبي موسـىٰ الأشـعَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقُرآنِ قـالَ -كمـا في الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليـه-: «**لَقَـدْ أُوتِيـتَ مِزْمَـارًا مِـنْ مَزَامِيـرِ آلِ دَاوُدَ**»، أي: مِـن مَزاميـرِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عبَّـرَ عنـه بـالآلِ، ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ذلِـكَ لِما سـبَقَ في عِلمِ اللهِ وكُتِـبَ في اللَّوحِ المَحفـوظِ، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وهـي الدُّروعُ، وكانـوا قبلَ ذلِـكَ يَعمَلونَها علىٰ شَـكلِ صَفائِحَ، فلمَّا جـاءَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صنَعَها مِن الحِلَـقِ، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ وتَحميكُم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ في الحَـربِ، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبيـاء] أيُّهـا النَّـاسُ لله عَزَّ وَجَلَّ فَضلَهُ عليكُم في ذلِـكَ وغَيرِه؟

وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ والتَّأويـبُ

هو التَّسبيحُ كما تقدَّمَ، أمَرَ اللهُ الجِبالَ والطَّيرَ أن يُسَبِّحنَ معه، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ فكانَ يَفتِلُه بيَدِه دونَ أن يُدخِلَهُ النَّارَ أو يضرِبَه بالمِطرَقَةِ، ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ أي: اصنَعِ الدُّروعَ الكامِلَةَ الواسِعَةَ الَّتي تُغَطِّي جُلَّ البَدَنِ، ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي: عندَ صُنعِكَ للدُّروعِ السَّابِغَةِ كُن وسَطًا بينَ جَعلِها حَصينَةً وجَعلِها خَفيفَةً، أو توَسَّطْ في المِسمارِ فلا تجعَلْه صَغيرًا ولا كَبيرًا، ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ فيما أعطَيتُكُم مِنَ النِّعَمِ، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ] لا يَخفى عليَّ شَيءٌ مِن أعمالِكُم.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّة في العِلمِ والعَمَلِ، والقُوَّة في الطَّاعَةِ، وكانَ كَثيرَ العِبادَةِ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ** عليه السلام، **وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ يرجِعُ إلىٰ اللهِ في جَميعِ أُمورِه، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ أي: في أوَّلِ اليومِ وآخِرِه، ﴿ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلِكَ تُسَبِّحُ معه ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: وهي مَحبوسَةٌ في السَّماءِ، ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ مُطيعٌ، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ فجعَلناه كامِلًا، وآتيناه مِن كُلِّ ما يَحتاجُ إليه المُلوكُ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: الفَهمَ والفِطنَةَ والعَدلَ، ويَجمَعُ ذلِكَ النُّبُوَّةُ، ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص] أي: الإصابَةَ في القَضاءِ.

وكما أنعَمَ اللهُ علىٰ داوُدِ عليه السلام بمُلكٍ عَظيمٍ فقد أنزَلَ إليه كِتابًا عَظيمًا، قالَ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[النِّساء]، قيلَ: إنَّه أقرَبُ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ إلىٰ القُرآنِ، وقد سمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ قُرآنًا كما عندَ البُخاريِّ: «**خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ** عليه السلام **الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»، وهذه مَنقَبَةٌ أُخرىٰ له عليه السلام.

قِصَّةُ الْخَصْم:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ سُؤالٌ للتَّشويقِ ﴿نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ هما رَجُلانِ تَخاصَما ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾ أي: دخَلا عليه مِن فَوقِ السُّورِ وهو في مِحرابِ بَيتِه، ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ﴾ فزَعًا جِبلِّيًّا؛ لأنَّهما دخَلا عليه وهو في أشرَفِ جُزءٍ مِن بَيتِه، وكانَ قد أغلَقَ علىٰ نَفسِهِ في ذلِكَ اليَومِ واجتَهَدَ في العِبادَةِ، وأمَرَ أن لا يَدخُلَ عليه أحَدٌ، فـ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنَّما نحنُ ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ﴾ أي: اعتَدىٰ، ﴿بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي: لا تَحِف وتَظلِم في حُكمِك بينَنا، ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: دُلَّنا علىٰ الحُكمِ العَدلِ، وقالَ أحَدُهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾ علىٰ ديني ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ وهي أُنثىٰ الضَّأنِ، ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: هَبها لي لأُكمِلَ المائةَ، ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: غلَبَني في الجِدالِ، وكأنَّهُ كانَ فَصيحًا ذا بَيانٍ شَديدٍ، فلمَّا سَمِعَ داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلِكَ ﴿قَالَ﴾ قبلَ أن يسمَعَ مِن صاحِبِه: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشُّرَكاءِ ﴿لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ جعَلَ القَليلَ مُقابِلًا للكَثيرِ.

ثمَّ تذكَّرَ داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه أخطَأَ في انفِرادِهِ وخَلوَتِه دونَ النَّاسِ ممَّا اضطَرَّ هذينِ الخَصمَينِ إلىٰ تَسَوُّرِ المِحرابِ، وأخطَأَ في الحُكمِ قبلَ أن يسمَعَ مِن الخَصمِ، ﴿وَظَنَّ﴾ أي: عَلِمَ ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: اختبَرناه بذلِكَ، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ﴾ أي: ساجِدًا ﴿وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾﴾ أي: رجَعَ إلىٰ اللهِ، ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ لمَّا تابَ وأنابَ، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ أي: زِيادَةً في القُربِ مِنَّا، ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾﴾ أي: مَرجِعٍ في الآخِرَةِ.

ثـمَّ بيَّـن اللهُ تَعالـىٰ أنَّـه كانَ ينبَغي لـداوُدَ ﷺ أن يَخـرُجَ إلىٰ النَّـاسِ ليَحكُمَ بينَهُـم، فقـالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للَّـهِ تَعالـىٰ في تَبليغِ شَـرعِهِ والحُكـمِ بيـنَ النَّـاسِ، ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ في الحُكـمِ نَفسِـهِ، وفي طَريقَتِـه ولَوازِمِـه، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[ص]، وفي هـذا تَعليـمٌ لسـائِرِ الحُـكَّامِ والمُفتينَ.

مَوتُ دَاوُدَ ﷺ:

صـحَّ عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّ داوُدَ ﷺ عـاشَ مائةَ سـنةٍ، ثمَّ جـاءَه مَلَـكُ المَوتِ فقَبَـضَ روحَـهُ، ودَفَنَـهُ ابنُه سُـلَيمانُ ﷺ، أخرَجَ أحمَـدُ عن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**كَانَ دَاوُدُ النَّبِـيُّ فِيـهِ غَيْـرَةٌ شَـدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا خَـرَجَ أُغْلِقَتِ الْأَبْـوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَـىٰ أَهْلِـهِ أَحَـدٌ حَتَّـىٰ يَرْجِـعَ، قَـالَ: فَخَـرَجَ ذَاتَ يَـوْمٍ وَغُلِّقَـتِ الـدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُـهُ تَطَّلِـعُ إِلَـىٰ الـدَّارِ، فَـإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَـطَ الـدَّارِ، فَقَالَـتْ لِمَنْ فِـي الْبَيْـتِ: مِـنْ أَيْـنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُـلُ الدَّارَ وَالـدَّارُ مُغْلَقَـةٌ؟ وَاللَّـهِ لَتُفْتَضَحُنَّ بِـدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ فَـإِذَا الرَّجُـلُ قَائِـمٌ وَسَـطَ الـدَّارِ، فَقَـالَ لَـهُ دَاوُدُ: مَـنْ أَنْـتَ؟ قَالَ: أَنَـا الَّذِي لَا أَهَـابُ الْمُلُـوكَ، وَلَا يَمْتَنِـعُ مِنِّـي الْحُجَّـابُ، فَقَـالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّـهِ إِذنْ مَلَكُ الْمَـوْتِ، فَمَرْحَبًـا بِأَمْـرِ اللَّـهِ، فَرَمَـلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْـثُ قُبِضَتْ رُوحُـهُ، حَتَّىٰ فَرَغَ مِـنْ شَـأْنِهِ وَطَلَعَـتْ عَلَيْـهِ الشَّـمْسُ، فَقَـالَ سُـلَيْمَانُ لِلطَّيْـرِ: أَظِلِّـي عَلَـىٰ دَاوُدَ، فَأَظَلَّـتْ عَلَيْـهِ الطَّيْرُ حَتَّـىٰ أَظْلَمَـتْ عَلَيْهِـمُ الْأَرْضُ، فَقَـالَ لَهَا سُـلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحًـا جَنَاحًـا**»، قَـالَ أَبُـو هُرَيْـرَةَ: يُرِينَـا رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ كَيْـفَ فَعَلَـتِ الطَّيْرُ، وَقَبَـضَ رَسُـولُ اللَّـهِ يَـدَهُ ﷺ، «**وَغَلَبَـتْ عَلَيْـهِ يَوْمَئِـذٍ الْمَضْرَحِيَّـةُ**»، أي: غلبت علـىٰ التَّظليـلِ عليـه الصُّقـورُ ذاتُ الأجنِحَـةِ الطَّويلَةِ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيَّي اللهِ شَمْوِيلَ وَدَاوُدَ عليهما السلام:

○ ممَّا يتكرَّرُ في قصصِ أنبياءِ بَني إسرائيلَ خُبثُ اليَهودِ وكَثرةُ نُكولِهم، فإنَّ اللهَ تَعالىٰ لمَّا أجابَهم إلىٰ سُؤالِهم واختارَ طالوتَ مَلِكًا عليهم اعترَضوا عليه، وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[البقرة:٢٤٧]، ونَسوا أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أعلَمُ بمَن هو أحَقُّ بالمُلكِ، كما أنَّه أعلَمُ بمَن هو أهلٌ للنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ، فتَركَ أكثَرُهم القِتالَ مع طالوتَ، وكان ما كانَ ممَّا سبَقَ ذِكرُه.

○ أنكَرَ اليَهودُ نُبوَّةَ داودَ عليه السلام، وجعَلوه مَلِكًا مِن المُلوكِ، وذكَروا أنَّه مِن أعدَلِ المُلوكِ، لكِنَّهم مع ذلِكَ افتَرَوا عليه افتِراءً كبيرًا، ومِن ذلِكَ أنَّهم زَعَموا أنَّه زَنىٰ بامرَأةِ أحَدِ جُنودِه، وأنَّها حمَلَت مِن ذلِكَ الزِّنَىٰ، وأنَّه لمَّا رغِبَ فيها تسَبَّبَ في مَقتَلِ زَوجِها، وذلِكَ بإرسالِه إلىٰ الغَزوِ وجَعلِه في مُقَدِّمَةِ الجَيشِ، فلمَّا قُتِلَ زَوجُها تزوَّجَها، وذكَروا أنَّها أُمُّ سُلَيمانَ عليه السلام، وكلُّ هذا مَحضُ افتِراءٍ علىٰ نَبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ المُخلَصينَ، نَعوذُ باللهِ مِن صَنيعِهم، ونبرأُ إليه مِنهم ومِن تنَقُّصِهم الأنبياءَ وعَيبِهم إيَّاهم.

○ أنزَلَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ الزَّبورُ، ومَعناهُ المَزبورُ، أي: المَكتوبُ، وعندَ أحمدَ مِن حَديثِ واثِلَةَ بنِ الأسقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**»، زادَ البيهَقيُّ والطَّبَرانيُّ: «**وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**».

○ جاءَ عندَ البُخاريِّ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «**خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ عليه السلام الْقُرْآنُ**» أي: الزَّبورُ، «**فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»، وفي هذا تَسمِيَةٌ للزَّبورِ بالقُرآنِ.

○ قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[سبأ:١٠]، قدَّمَ سُبحانَهُ وتَعالىٰ الجِهَةَ ﴿مِنَّا﴾ علىٰ الفَضلِ ليَتبَيَّنَ عِظَمُ ذلِكَ الفَضلِ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا نُسِبَ إلىٰ جِهَةٍ عَظيمَةٍ

كانَ عَظيمًـا، ونُكِّـرَ الفَضـلُ ليَشـمَلَ كلَّ فَضـلٍ أوتِيَـه داودُ عليه السلام دينِيًّـا كانَ أو دُنيَوِيًّا.

❍ اسـتدَلَّ أهـلُ العِلـمِ بقَولِـه تَعالـىٰ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[سبأ:١٠] علـىٰ أنَّ الجَمـادَ يُحِـسُّ بخِطـابِ اللهِ سبحانه وتعالى، وإلَّا كانَ تَوْجيـهُ الخِطـابِ إليه عَبَثًـا، والقرآنُ مُنـزَّهٌ عـن العَبَـثِ، ولهـذا نَظائِـرُ مُتَعَـدِّدَةٌ في القرآنِ.

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠﴾[سـبأ]، اسـتَدَلَّ بهـا بَعضُهـم علـىٰ أنَّ داودَ عليه السلام كانَ حَـدَّادًا، ويُؤَيِّـدُ ذلِـكَ أنَّه عُلِّمَ صُنعَ الـدُّروعِ السَّـابِغَةِ، ثمَّ اختَلَفَ أهـلُ العِلـمِ في مَعنـىٰ الإلانَةِ علـىٰ قَولَينِ:

- أنَّ اللهَ تَعالـىٰ ألانَ لـه الحَديـدَ بتَسـخيرِ وتَهيِئَـةِ الوَسـائِلِ الَّتـي تُسـاعِدُه علىٰ ذلِـكَ، وتُسَـرِّعُه.
- أنَّ اللهَ تَعالـىٰ ألانَ لـه الحَديدَ بغَيْرِ السَّـبَبِ المَعلوم، فصـارَ الحَديدُ بيَدِه مِثْـلَ العَجيـن يَقـدِرُ علىٰ أن يُدوِّرَه كيفَ يَشـاءُ، ولعَلَّ هـذا أقرَبُ.

❍ تقدَّمَـت قِصَّـةُ الخَصمَيـنِ الَّذيـن تَسَـوَّرا المِحـرابَ علـىٰ داوُدَ عليه السلام، وقـد ذكَـرَ بعـضُ المُفَسِّـرينَ قصَّـةً مَنقولَـةً عـن أهـلِ الكِتـابِ، وفيها أُمـورٌ مُنكَـرَةٌ لا يَصِـحُّ نِسـبَتُها إلىٰ نَبيٍّ مِـن أنبياءِ اللهِ المُجتَبَيـنَ، قالَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله في «تفسـيره»: (ذكَـرَ المُفسِّـرونَ ههُنـا قصَّـةً أكثَرُها مَأخـوذٌ مِن الإسـرائيليَّاتِ، ولـم يَثبُت فيها عـن المَعصـوم حَديـثٌ يَجِـبُ اتِّباعُـه، ولكـن روىٰ ابنُ أبـي حاتِمٍ هنـا حديثًا لا يصِـحُّ سـنَدُه؛ لأنَّـه مِـن رِوايَـةِ يَزيـدَ الرَّقاشِـيِّ عـن أنَـسٍ رضي الله عنه، ويَزيـدُ وإن كانَ مِـن الصَّالِحيـنَ، لكنَّـه ضَعيفُ الحَديـثِ عنـد الأئِمَّـةِ؛ فالأَولـىٰ أن يُقتَصَرَ علىٰ مُجـرَّدِ تِـلاوَةِ هـذه القِصَّـةِ، وأن يُـرَدَّ عِلمُها إلـىٰ اللَّه عز وجل)، وما قَدَّمنا هو تَفسـيرٌ للقِصَّـةِ علـىٰ ظاهِرِهـا، وفيـه كِفايَـةٌ بـإذنِ اللَّـهِ، وقد قـالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فـي الحَديثِ المُتَّفَـقِ عليـه: «**لَتَتَّبِعُـنَّ سَـنَنَ مَـنْ قَبْلَكُمْ شِـبْرًا بِشِـبْرٍ وَذِرَاعًا بِـذِرَاعٍ**»، ومِن ذلِكَ اتِّبـاعُ سُـنَّتِهم فـي القَدحِ فـي الأنبيـاءِ وذِكرِهم بما يُشـينُهم.

❍ في آخِـرِ قِصَّـةِ الخَصمَيـنِ في سـورَةِ ص بيَّـنَ اللهُ تَعالـىٰ أنَّه كانَ ينبَغـي لداوُدَ عليه السلام أن يَخـرُجَ إلـىٰ النَّـاسِ لَيحكُـمَ بينَهُم، فقـالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦] للَّـهِ تَعالـىٰ في تَبليغِ شَـرعِهِ والحُكمِ بينَ النَّـاسِ، وهكَذا يَنبَغي

لكُلِّ مَن وَلِيَ أمرًا مِن أُمورِ النَّاسِ أن يُقَدِّمَ القِيامَ علىٰ أُمورِهم علىٰ شَأنِهِ الخاصِّ ولو كانَ عِبادَةً؛ لأنَّ النَّفعَ المُتَعَدِّيَ أولىٰ مِن النَّفعِ القاصِرِ.

○ جاءَ عندَ أبي داوُدَ مِن حَديث أبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﵁ قالَ: «**قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ ص، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ**» وهي عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ [ص]، «**نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ آخَرُ قَرَأَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ تَشَزَّنَ النَّاسُ**» أي: تَهَيَّأَ النَّاسُ «**لِلسُّجُودِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةُ نَبِيٍّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُمْ لِلسُّجُودِ، فَنَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدُوا**»، وجاءَ عندَ النَّسائيِّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ ﵄ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا**» للَّهِ تعالىٰ علىٰ قَبولِه توبةَ داوُدَ ﵇.

○ جاءَ عندَ التِّرمذيِّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ ﵄ قالَ: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ**»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ**».

○ جَعَلَ اللهُ تعالىٰ داوُدَ خَليفَةً في الأَرضِ فقالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦] وهو الخَليفَةُ الثَّاني في الأرضِ، والأوَّل هو آدَمُ ﵇ كما في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وعلىٰ هذا تكونُ علاقَةُ داوُدَ بآدَمَ ﵉ مِن وجهَين: الخِلافَةِ في الأرضِ، والزِّيادَةِ في العُمرِ كما تقَدَّمَ في قِصَّةِ آدَمَ ﵇.

○ قالَ تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]، وفي هذا دَليلٌ علىٰ أنَّ الشُّكرَ لا يَكونُ باللِّسانِ فقط، بل يكونُ كذلِكَ بالقَلبِ والجَوارِحِ، ولهذا ذكَرَ ابنُ أبي حاتِمٍ في «تَفسيرِه» (١٠/ ٣١٦٣) عن محمَّدِ بنِ كَعبٍ القُرَظِيِّ ﵀ أنَّه قالَ: (الشُّكرُ: تَقوىٰ اللهِ، والعَمَلُ بطاعَتِه).

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ شَمْوِيلَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] نبيٌّ وُصِفَ بأنَّ صِيامَهُ أفضَلُ الصِّيامِ وقِيامَه أفضَلَ القِيامِ: ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.

[٢] النَّبيُّ الَّذي لُقِّبَ بخَليفَةِ اللهِ في القُرآنِ: ❍ داوُدُ. ❍ سُلَيمانُ. ❍ إلياسُ.

[٣] مَن هو النَّبيُّ الَّذي قَتَلَ جالوتَ؟ ❍ داوُدُ. ❍ سُلَيمانُ. ❍ طالوتُ.

[٤] النَّبيُّ الَّذي أَلانَ اللهُ له الحَديدَ: ❍ داوُدُ. ❍ سُلَيمانُ. ❍ شَمويلُ.

[٥] أُرسِلَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ: ❍ بَني إسرائيلَ. ❍ أهلِ مِصرَ.

[٦] نبيٌّ آتاهُ اللهُ الحِكمَةَ وفَصلَ الخِطابِ: ❍ لوطٌ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٧] علىٰ مَن نزَلَ الزَّبورُ؟ ❍ يونُسُ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٨] النَّبيُّ الَّذي ابتَدَعَ صُنعَ الدُّروعِ، وكانَ يأكُلُ مِن عمَلِ يَدِهِ: ❍ يوشَعُ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٩] داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بنِ يَعقوبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليلِها:

أوتِيَ المُلكَ والحِكمَةَ والعِلمَ:	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.
فضَّلَهُ اللهُ:	﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾.
أوتِيَ القُوَّةَ وكانَ أوَّابًا:	﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾.
شدَّ اللهُ مُلكَه وآتاهُ حُسنَ الخِطابِ:	﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.
له الزُّلفىٰ وحُسنُ المَآبِ عندَ اللهِ:	«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ...».
جعلَهُ اللهُ خَليفَةً في الأرضِ:	﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.
أحَبُّ الصِّيامِ والصَّلاةِ إلىٰ اللهِ صِيامُه وقِيامُه:	﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

[١١] عاشَ داوُدُ عليه السلام (❍ ٦٠ ❍ ١٠٠) سنةً.

[١٢] كانَ داوُدُ في جَيشِ (❍ طالوتَ ❍ جالوتَ)، ثمَّ آتاهُ اللهُ (❍ النُّبُوَّةَ ❍ المُلكَ ❍ الجميعَ)، وأُرسِلَ إلىٰ بني إسرائيلَ (❍ صح ❍ خطأ)، وكِتابُه (❍ الزَّبورُ ❍ الإنجيلُ ❍ التَّوراةُ)، نزلَ مُنجَّمًا كما نزل القُرآنُ (❍ صح ❍ خطأ).

[١٣] أنزَلَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ الزَّبورَ، ومَعناهُ: ❍ المَزبورُ. ❍ المَكتوبُ. ❍ كلاهما صحيحٌ، ولا فرقَ.

[١٤] قصَّةُ الخَصمَينِ الَّذينَ تَسوَّرا المِحرابَ علىٰ داودَ عليه السلام: ❍ ثبَتَ في تَفسيرِها أحاديثُ صَحيحةٌ. ❍ لم يثبُت فيها شيءٌ.

[١٥] يَنبَغي لكُلِّ مَن وَلِيَ أمرًا مِن أُمورِ النَّاسِ أن يُقَدِّمَ القِيامَ علىٰ أُمورِهم علىٰ شَأنِهِ الخاصِّ: ❍ ولو كانَ عِبادَةً. ❍ إلَّا العِبادَةَ.

[١٦] النَّفعُ المُتَعَدِّي أولىٰ مِن النَّفعِ القاصِرِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٧] داودُ عليه السلام هو الخَليفَةُ (❍ الأوَّلُ ❍ الثَّاني ❍ الثَّالثُ) في الأرضِ.

[١٨] علاقَةُ داوُدَ بآدَمَ عليهما السلام مِن جِهَةِ: ❍ الخِلافَةِ في الأرضِ. ❍ الزِّيادَةِ في العُمرِ. ❍ الجَميعِ.

[١٩] ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ فيه دليلٌ علىٰ أنَّ الشُّكرَ يَكونُ باللِّسانِ فقط: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٠] بَقِيَ بَنو إسرائيلَ مِن بَعدِ (❍ اليَسعِ ❍ شَمويلَ) عليه السلام كالغَنَمِ بلا راعٍ، حتَّىٰ أرسَلَ اللَّهُ إليهم (❍ شَمويلَ ❍ داوُدَ) عليه السلام، فاختارَ اللَّهُ (❍ طالوتَ ❍ جالوتَ ❍ داوُدَ) مَلِكًا يُقاتِلونَ معه عدُوَّهم.

[٢١] اربط من القائمَةِ اليُمنىٰ بما يُناسِبُه مِن اليُسرىٰ:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾:	طالوتُ.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾:	التَّابوتُ.
﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾:	أي: تابَ للهِ تَعالىٰ.
﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾:	شَمويلُ عليه السلام.
﴿وَأَنَابَ﴾:	أي: ساجِدًا للهِ تَعالىٰ.

نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسمُهُ:	سُلَيمانُ بنُ داوُدَ، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بن يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
زَمانُهُ:	أرسلَهُ اللهُ بعدَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فورِثَ عنهُ النُّبُوَّةَ والمُلكَ.
قَومُهُ:	أَرسَلَه اللهُ إلىٰ **بَني إسرائيلَ**، ويَظهَرُ أنَّهُ أُرسِلَ إلىٰ أُمَمٍ أُخرَىٰ كذلِكَ؛ كما في قِصَّتِهِ مع قَومِ سَبَإٍ، وهم ليسوا مِن بَني إسرائيلَ.
ممَّا وَصفَهُ اللهُ بِهِ:	[١-٣] ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[الأنبياء:٧٩]. [٤] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[النَّمل]. [٥-٦] ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النَّمل]. [٧-٩] ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[ص]، ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[ص].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ سُلَيمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ **١٧ مرَّةً**.
آياتُهُ:	[١] **البِسَاطُ**، وهو مِن خَشَبٍ، يَحمِلُ عليهِ كلَّ ما يَحتاجُهُ مِن أُمورِ مملكَتِهِ وجَيشِهِ، ثمَّ يأمُرُ الرِّيحَ فتحمِلُهُ إلىٰ حيثُ شاءَ، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾[الأنبياء:٨١]. [٢] **التَّحَكُّمُ في الشَّياطِينِ**، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾[ص]. [٣] ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾[سبأ:١٢] وهو النُّحاسُ. [٤] ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾. [٥] ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾[النَّمل:١٦]، أي: ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ. [٦] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ﴾[سبأ:١٤].

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرَةً:

نُبُوَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا اخْتَصَّهُ اللهُ بِهِ:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[ص]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ
دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ
﴿١٦﴾ ﴾[النَّمل]، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ
﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ
لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[ص]، ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ
ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنبياء]، ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ
ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن
مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[سبأ].

قَالَ تَعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾ نَبِيًّا، وكانَ له بَنونَ كَثيرٌ غيرُ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ ﴾ في كَثرةِ الطَّاعةِ والعِبادةِ، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[ص] رجَّاعٌ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وكانَ سُليمانُ خليفةً لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في النُّبُوَّةِ والمُلكِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ خصَّهُم اللهُ به دونَ غيرِهم، ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ بهذا العِلمِ، وبجَمعِ النُّبُوَّةِ والمُلكِ العَظيمِ لهُما، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ ﴾ في النُّبُوَّةِ والمُلكِ، وأمَّا المالُ فإنَّ الأنبياءَ لا يُوَرِّثونَه، فقد قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَديثِ البيهقيِّ -وأصلُه في «الصَّحيحَين»: «**إنَّا مَعْشَرَ الأنْبياءِ لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»، ﴿وَقَالَ ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُخبِرًا بنِعَمِ اللهِ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ فكانَ يَعرِفُ لُغَتَهُم،

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ؛ كعِدَّةِ الحَرب ونَحوِها، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النَّمل] مِن اللهِ علىٰ مَن شاءَ مِن عِبادِه.

وقد سأَلَ سُليمانُ اللهَ تَعالىٰ فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي: لا يُؤتَاه أحدٌ مِن البَشَرِ بَعدي، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ تهَبُ ما تَشاءُ لمَن تَشاءُ، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَهُ، قالَ ﷻ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لَيِّنَةً مُطيعَةً له، ﴿حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص] أي: حيثُ أرادَ مِن البِلادِ، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي بِلادُ الشَّام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء]، فكانَ له بِساطٌ مِن خشَبٍ يَحمِلُ عليه كُلَّ ما يَحتاجُ إليه مِن أُمورِ مملكَتِه وجُندِه، ثمَّ يأمُرُ الرِّيحَ فتَحمِلُه وتَسيرُ به إلىٰ حَيثُ شاءَ، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ أي: تَسيرُ مِن الفَجرِ إلىٰ انتِصافِ النَّهارِ مَسيرَةَ شَهرٍ للمُسرِع، ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢] فتَسيرُ مِن نِصفِ النَّهارِ إلىٰ المَساءِ مَسيرَةَ شَهرٍ.

وممَّا وهَبَه اللهُ لسُليمانَ عليه السلام استِجابَةً لدُعائِه أنَّه كانَ يتصَرَّفُ في الجِنِّ والشَّياطينِ بالقُوَّةِ والقَهرِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص]، فمِنهم مَن يَستَعمِلُهُ في البِناءَاتِ الهائِلَةِ، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ جَمعُ مِحرابٍ وهو البِناءُ الحسَنُ دونَ القَصرِ، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ مِن النُّحاسِ أو الطِّينِ والزُّجاج، ﴿وَجِفَانٍ﴾ جَمعُ جَفنَةٍ ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ وهي الحِياضُ الكَبيرَةُ، ﴿وَقُدُورٍ﴾ كَبيرَةٍ جِدًّا ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣] ثابِتاتٍ في مَكانِها لا تتحَوَّلُ لعِظَمِها، ومِنهم مَن ﴿يَغُوصُونَ﴾ في الماءِ ليَستَخرِجوا ﴿لَهُۥ﴾ اللآلِئَ والجَواهِرَ، ومِنهم مَن يَعمَلونَ ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: غيرَ ذلِكَ مِن الأعمالِ، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء] فلا يُصيبونَ سُليمانَ عليه السلام بأيِّ سوءٍ بحِراسَتِنا له، ومِنهم مَن كانَ يَحبِسُه ولا يُطلِقُه، ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص]، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ ويَخرُجْ عن طاعَةِ سُليمانَ عليه السلام ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ] أي: الحَريقِ.

وممَّا أعطاهُ اللهُ تَعالىٰ لسُليمانَ كذلِكَ قولُهُ ﷻ: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ] والقِطرُ هو النُّحاسُ، المَعدِنُ الصَّلبُ المَعروفُ، فكانت له عَينٌ تَجري بالنُّحاسِ السَّائِلِ كجَرَيانِ الماءِ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي أعطَينا سُليمانَ عليه السلام مِن المُلكِ والسُّلطانِ والأُمورِ العَجيبَةِ هو ﴿عَطَآؤُنَا﴾ لك ﴿فَٱمْنُنْ﴾ وأعطِ مَن شِئتَ مِنه، ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عمَّن شِئتَ مِن النَّاسِ، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ ولا جُناحَ عليك، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ وقُربًا خاصًّا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص] أي: رُجوعٍ في الآخِرَةِ.

قِصَّتُهُ عليه السلام مَعَ النَّمْلَةِ:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النَّمل].

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ﴾ أي: جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾، أي: يرُدُّ أوَّلُهم علىٰ آخِرِهم حتَّىٰ لا يتقَدَّمَ أحَدٌ عن مَكانِه المُحَدَّدِ له، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟﴾ أي: مَرُّوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ خافَت علىٰ النَّملِ أن تَحطِمَها حوافِرُ الخَيلِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يَقصِدونَ تَحطيمَكُم، فسَمِعَ سُليمانُ عليه السلام قولَها وعقَلَه، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، وتذَكَّرَ نِعمَةَ اللهِ عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: أَلهِمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ مِن تَعليمي مَنطِقَ الحَيَوانِ وغيرِ ذلِكَ، ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ اللَّذَينِ كانا مُسلِمَينِ لك، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾ عمَلًا ﴿صَٰلِحًا﴾ تُحِبُّه و﴿تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ إذا توَفَّيتَني ﴿فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النَّمل] مع الرَّفيقِ الأعلىٰ في الجنَّةِ.

قصَّتُه عَلَيْهِ السَّلَامُ مع مَلِكَة سبأ:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ
وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ
ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذْهَب
بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ [النمل]...

مِن القَصَصِ العَجيبةِ الَّتي ذكَرَها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كِتابِه عن سُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قصَّتُه مع مَملكةِ سَبَإٍ ومَلِكتِها، قال تَعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا ﴿ٱلطَّيْرَ﴾، وكانَ في سفَرٍ واحتاجَ إلى الماءِ، فطلَبَ الهُدهُدَ الَّذي كان يدُلُّه على الماءِ، فلم يجِدْهُ في الطَّيرِ، ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢٠)﴾، فإن كانَ غابَ بغَيرِ عُذرٍ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ ولم يُبيِّنْ لنا صِفتَه، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ فيموتُ، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: عُذرٍ عن تأخُّرِه ﴿مُّبِينٍ (٢١)﴾ واضِحٍ، ﴿فَمَكَثَ﴾ الهُدهُدُ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: زمَنًا يَسيرًا، ثمَّ جاءَ ﴿فَقَالَ﴾ لسُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطَّلعتُ على ما لم تَطَّلِع عليه أنتَ وجُنودُكَ! ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ بأرضِ اليَمَنِ ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)﴾ أي: خَبرٍ صادِقٍ، ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما عندَ ابنِ أبي شيبةَ: «**اسْمُهَا بِلْقِيسُ بِنْتُ ذِي شِرَهٍ، وَكَانَتْ هَلْبَاءَ شَعْرَاءَ**» أي: كَثيرةَ الشَّعرِ، ﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ مِن مَتاعِ الدُّنيا، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ السَّريرُ الَّذي تَجلِسُ عليه ﴿عَظِيمٌ (٢٣)﴾.

قالَ الهُدهُدُ مُستغرِبًا: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وعن طَريقِ الحَقِّ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)﴾ إليها، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: لا يَعرِفونَ أنَّ طَريقَ الحَقِّ أن يَسجُدوا للهِ ﴿ٱلَّذِى

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فيُنزِلُ الماءَ مِن السَّماءِ، ويُخرِجُ النَّباتَ مِن الأرضِ، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ﴾ أيُّها العِبادُ في أنفُسِكُم ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ وتُظهِرونَ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ ليسَ في المَخلوقاتِ أعظَمُ مِنه، فعِندَها ﴿قَالَ﴾ سُليمانُ عليه السلام للهُدهُدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ في هذا الخبَرِ ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ لتتخلَّصَ مِن الوَعيدِ الَّذي أوعَدتُك، ثُمَّ كتَبَ كِتابًا إلىٰ بلقيسَ وقالَ للهُدهُدِ: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [النَّمل] وبماذا يُجيبونَ.

فذهَبَ الهُدهُدُ بالكِتابِ، ودخَلَ قصرَ بلقيسَ، وألقاهُ بينَ يدَيها، فتَعَجَّبَت لذلِكَ، ثُمَّ تولَّىٰ إلىٰ ناحِيَةٍ يَنظُرُ ما يَكونُ مِنها، فـ﴿قَالَتۡ﴾ لمَن عِندَها مِن أهلِ المَشورَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩﴾ لِما رأَتْه مِن إلقاءِ الطَّائرِ لهُ، ومِن تَولِّيه عنها أدَبًا وانتِظارِه، ثُمَّ فتَحَته وقَرأَتهُ، وقالَت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ وتتَجبَّروا ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ مُوَحِّدينَ للهِ عز وجل طائِعينَ لي في أمري، وهذا كِتابٌ غايَةٌ في الوَجازَةِ والبَلاغَةِ! فـ﴿قَالَتۡ﴾ بلقيسُ لوُزَرائِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢﴾ وتُشيرونَ عليَّ، ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ فلَسنا خائِفينَ مِن سُليمانَ لشِدَّتِنا، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾، إن شِئتِ حَربَهُ فنحنُ معَكِ، فكانَت أفهَمَ مِنهُم وأحذَقَ، و﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ عُنوَةً ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ وخرَّبوها، ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ أي: قصَدوا أشرافَها ووُلاتَها فأَهانوهُم بالقَتلِ أو الأسرِ، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النَّمل].

ثُمَّ رأَت المَلِكَةُ أن تَسلُكَ مَسلَكَ المُصالَحَةِ والمُوادَعَةِ، فقالَت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ عَظيمَةٍ تَليقُ بمَقامِ سُليمانَ عليه السلام، ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾، لعَلَّ سُليمانَ عليه السلام يقبَلُ الهَدِيَّةَ ويَكُفُّ بأسَهُ عنَّا، ويَكتَفي بأن يَأخُذَ الخَراجَ مِنَّا، وإنَّما قالَت ذلِكَ لِما علِمَت مِن قُوَّةِ سُليمانَ عليه السلام وجُندِه، ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ رُسُلُها إلىٰ ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾ لم يَنظُر في الهَدِيَّةِ، و﴿قَالَ﴾

مُستَنكِرًا فِعلَها: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ تَرشونَني به لأُقِرَّكُم علىٰ ما أنتُم عليه مِن الشِّركِ؟! ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ مِن المُلكِ والأَموالِ والجُندِ ﴿خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾ أي: أنتُم الَّذينَ تَفرَحونَ بالهَدايا وتَنقادونَ لصاحِبِها ولَستُ أنا! ثمَّ قالَ للرَّسولِ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ بهَدِيَّتِهم، ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ ولا يُطيقونَ قِتالَهُم، ﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ﴾ مِن بَلَدَتِهم ﴿أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ مُهانونَ مَدحورونَ، فلمَّا رجَعَ الجُندُ إلىٰ المَلِكَةِ وأَخبَروها بِرَدِّ سُليمانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وما شاهَدوهُ عندَه مِن القُوَّةِ والبَأسِ، عَلِمَت أنَّه ليسَ كالمُلوكِ، وأذعَنَت له، وأَقبَلَت إليه في جُنودِها خاضِعَةً لأَمرِه مُطيعَةً له.

فلمَّا عَلِمَ سُليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بمَقدَمِها سَرَّهُ ذلِكَ، وأرادَ أن يُظهِرَ لها ولقَومِها عظَمَةَ المُلكِ الَّذي أعطاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فـ﴿قَالَ﴾ لمَن عندَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ الَّذي هو سَريرُ مُلكِها، وتقَدَّمَ وَصفُ الهُدهُدِ له بالعَظَمَةِ، ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾؛ لأنَّهُم إذا أسلَموا حَرُمَت أَموالُهُم، ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ﴾ مارِدٌ ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: مِن مَجلِسِكَ الَّذي أنتَ فيه، وقالَ بَعضُ السَّلَفِ: كانَ يَجلِسُ للقَضاءِ والحُكوماتِ مِن أوَّلِ النَّهارِ إلىٰ زَوالِ الشَّمسِ، ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ﴾ علىٰ حَملِه ﴿أَمِينٞ ٣٩﴾ علىٰ ما فيه مِن اللُّؤلُؤِ والجَواهِرِ، فقالَ سُليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: أُريدُ أعجَلَ مِن ذلِكَ، فـ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، قالَ بَعضُ السَّلَفِ: هو رَجُلٌ مِن بَني إسرائيلَ اسمُه آصِفٌ، وقيلَ: كانَ كاتِبَ سُليمانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقالَ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ أي: قبلَ أن ترمَشَ عينُكَ، ثمَّ قامَ فتوضَّأَ ودعا اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ سُليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ بينَ يَدَيه ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ ونعمَتِه علَيَّ ﴿لِيَبۡلُوَنِيٓ﴾ ويَختَبِرَني ﴿ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ لأنَّه ينفَعُ نفسَهُ بشُكرِه، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بنِعمَةِ اللهِ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه وإحسانِه إليه فإنَّما يظلِمُ نفسَهُ، ولا يُضُرُّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شيئًا، ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن شُكرِه ﴿كَرِيمٞ ٤٠﴾ [النَّمل] يُعطِي النِّعمَةَ مَن يشكُرُها ومَن لا يشكُرُها.

ثمَّ أرادَ سُليمانُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يَختَبِرَ مَعرِفَةَ بِلقيسَ بعَرشِها فـ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾

أي: غَيِّروا بَعضَ صِفاتِه ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إليه فتعرفُه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ عُرِضَ عليها عَرشُها و﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ فـ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: يُشبِهُهُ ويُقارِبُه، فقالَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾، هذا كلُّه مِن قَولِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَت لم تُظهِر إسلامَها له بَعدُ.

وكانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمَرَ الشَّياطينَ أن يَبنوا لها قَصرًا مِن الزُّجاجِ، وأَجرىٰ تَحتَهُ الماءَ، ثُمَّ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ أي: القَصرَ، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ أي: ماءَ بَحرٍ ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لئَلَّا تبتَلَّ ثِيابُها، فعِندَها ﴿قَالَ﴾ لها سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مَبنِيٌّ بناءً مُحكَمًا ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مِن زُجاجٍ، فلمَّا رَأت بلقيسُ عَظَمَةَ مُلكِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عرَفَت أنَّه نَبيٌّ كَريمٌ، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بما سلَفَ مِن كُفري وشِركي باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: مُتابَعَةً له عَلَيْهِ السَّلَامُ في دِينِه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّمل].

قِصَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الخَيْلِ:

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص].

ذكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في كِتابِهِ مِن شَأنِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه عُرِضَ عليه يومًا الخَيلُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ الخَيلُ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الَّتي تَقِفُ علىٰ ثَلاثِ قَوائِمَ وطَرَفِ حافِرِ القائِمِ الرَّابِعِ ﴿ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ وهي السَّريعَةُ، وقيلَ: إنَّها كانَت عِشرينَ ألفَ فَرَسٍ، وأنَّها كانَ لها أَجنِحَةٌ، ويُؤَيِّدُ ذلِكَ ما أخرَجَه أبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «**قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ**»، والسَّهوَةُ شَيءٌ شَبيهٌ بالرَّفِّ والطَّاقِ يُوضَعُ فيهِ الأشياءُ، «**فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ**» أي: كانَ في السَّهوَةِ دُمًىٰ لعائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تلعَبُ بِها، «**فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ قَالَتْ:**

بَنَاتِي، وَرَأَىٰ بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ» أي: مِن قِطعِ ثَوبٍ، «فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قُلْتُ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟! قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»، ولم يُنكِرْ ﷺ عليها ذلِكَ.

فلمَّا رأىٰ سُليمانُ عليه السلام الخَيلَ أعجَبَه حُسنُها، وانشَغَلَ بها حتَّىٰ فاتَهُ وَقتُ صَلاةِ العَصرِ وهو ناسٍ لها، فلمَّا انتبَه لذلِكَ غاظَهُ فَواتُ وَقتِ الصَّلاةِ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مِن المالِ والخَيلِ وشَغَلَني ذلِكَ ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾ الشَّمسُ ﴿بِٱلۡحِجَابِ ۝٣٢﴾ الَّذي هو خَطُّ الأُفُقِ حيثُ تَغيبُ الشَّمسُ، فغَضِبَ لذلِكَ وقالَ: ﴿رُدُّوهَا﴾ أي: الخَيلَ الَّتي شَغَلَته ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ﴾ أي: العَراقيبِ ﴿وَٱلۡأَعۡنَاقِ ۝٣٣﴾[ص] بالسَّيفِ، فقتَلَها جَميعًا، فأمَّا ضَربُ الأعناقِ بالسَّيفِ فلا إشكالَ فيه، وأمَّا ضَربُ السُّوقِ فهو نَوعٌ مِن التَّعذيبِ، ولعلَّه كانَ بعدَ مَوتِها، واللهُ أعلَمُ.

ثُمَّ تابَ عليه السلام ممَّا بدَرَ منه مِن فَواتِ وَقتِ الصَّلاةِ، فقالَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٣٥﴾[ص]، وقد تقدَّمَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى استَجابَ دُعاءَهُ وأعطاهُ أُمورًا عَجائِبَ.

قِصَّةُ الْكُرْسِيِّ:

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾[ص].

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: اختبَرناه، وأبهَمُ اللهُ تَعالىٰ هذه الفِتنَةَ، ولم يُبَيِّنها لنا، فالواجِبُ أن نُبهِمَها ولا نَخوضَ فيها، وقد ذكَرَ جَماعَةٌ مِن المُفَسِّرينَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى سلَبَ مِن سُليمانَ مُلكَه، وذكَروا قَصَصًا مِن الإسرائيليَّاتِ الَّتي فيها تنقُّصٌ شَديدٌ مِن شَأنِ سُليمانَ عليه السلام، ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ مِنَ الشَّياطينِ، جلَسَ علىٰ كُرسِيِّ سُليمانَ عليه السلام في غَيبَتِه وجعَلَ يتصَرَّفُ في شُؤونِ مَملَكَتِه، وعجَزَ سُليمانُ عليه السلام عن إنزالِه منه، فعرَفَ أنَّه اختِبارٌ مِن اللهِ له، ﴿ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾[ص] إلىٰ اللهِ تَعالىٰ، فرَدَّ اللهُ عليه مُلكَه وصرَفَ الشَّيطانَ عن الكُرسِيِّ.

قِصَّةُ عَدَمِ قَوْلِه ﷺ: إِنْ شَاءَ اللهُ:

أخرَجَ الشَّيخانِ مِن حَديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليهما السلام**» يومًا مِن الأيَّام: «**لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ**» أُجامِعُهُنَّ، فإمَّا أن يكُنَّ أزواجًا له وكانَ ذلِكَ سائِغًا في مِلَّتِهم، وإمَّا أن يكُنَّ إماءً له، وإمَّا أن يَكونَ اللَّهُ عز وجل قد خصَّه بذلِكَ كما خصَّ نبيَّنا ﷺ، قالَ: «**كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، وعزَمَ في قَولِه ولم يَستثنِ، وفي هذا دليلٌ علىٰ استِحبابِ إرادَةِ الولَدِ بنيَّةِ الجِهادِ في سَبيلِ اللَّهِ، «**فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» يُذَكِّرُه أن يَقولَها، «**فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، كأنَّهُ ذُهِلَ عنها ولم ينتبِه، «**فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ**» أي: نصفِ إنسانٍ، «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**» وهذا مِن صُوَرِ الحَلِفِ باللَّهِ عز وجل، «**لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» لاستَجابَ اللَّهُ سبحانه وتعالى دُعاءَه و«**لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**»، وإنَّما لم يستَجِب اللَّهُ له حتَّىٰ يُريَ عِبادَه أنَّ الأمرَ أمرُه، وأنَّ الإنسانَ مهما بلَغَ في المَرتَبَةِ عِندَ اللَّهِ تعالىٰ والوَجاهَةِ؛ فإنَّه لا مَفَرَّ له مِن أمرِ اللَّهِ تعالىٰ.

قِصَّةُ حُكْمِه ﷺ بَيْنَ المَرْأَتَيْنِ في الوَلَدِ:

أخرَجَ الشَّيخانِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَىٰ دَاوُدَ عليه السلام فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ**» اجتِهادًا مِنه عليه السلام، واللَّهُ أعلَمُ لِمَ قَضىٰ للكُبرىٰ، فإمَّا أن تكونَ قد دَخلَت به في يَدِها، أو أن يَكونَ فيه شَبَهٌ مِنها، أو لأنَّه رأىٰ أنَّ كِبَرَ السِّنِّ مَظِنَّةٌ للصِّدقِ وتَركِ قَولِ الزُّورِ، أو لأنَّ الكَبيرَةَ كانَت قد توَقَّفَت عن الإنجابِ وكانَت الصُّغرىٰ شابَّةً، أو لغَيرِ ذلِكَ مِن العِلَلِ والقَرائِنِ المُعتبَرَةِ في القَضاءِ، «**فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليهما السلام فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا**» يُريدُ إخافَتَهُما ليَرىٰ أيُّهما أكثَرُ شَفَقَةً علىٰ الولَدِ،

«**فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا**»، أي: تنازَلَت عنه للكُبرىٰ، وذلِكَ خَوفًا وشفَقَةً مِنها علىٰ الولَدِ، فعَلِمَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه ابنُها «**فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ**»، فكانَ أفهَمَ مِن داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكِلاهُما نَبِيٌّ مُجتَبًىٰ وقاضٍ مُولًّىٰ مِن اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قِصَّةُ الحُكْمِ في الْحَرْثِ:

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾، ذكَرَ ابنُ عبَّاسٍ وابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ غنَمًا تعَدَّت علىٰ كَرمٍ كانَت قد أنبَتَت عَناقيدُه فأفسَدَتهُ، فاشتكىٰ أصحابُ الكرمِ إلىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقَضىٰ باجتِهادِه بالغَنَمِ لصاحِبِ الكَرمِ تَعويضًا له، وقَضىٰ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُدفَعُ الكَرمُ لصاحِبِ الغَنَمِ يَقومُ عليه حَتَّىٰ يُعيدَهُ كما كانَ، وبالغَنَمِ لصاحِبِ الكَرمِ يَنتَفِعُ بها، فإذا أُصلِحَ الكَرمُ عادَ كلٌّ إلىٰ مِلكِه، قالَ تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: كانَ سُليمانُ أفهَمَ مِن داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأقربَ إلىٰ الصَّوابِ، وليسَ هذا نَقصًا في حُكمِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دفعًا للتَّوهُّمِ، وتَبرئَةً لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ قالَ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء]، وذلِكَ أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا ذكَرَ ما امتازَ به سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن كَونِه أقربَ إلىٰ الصَّوابِ، أرادَ أن يَذكُرَ ميزَةً لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليَتَعادَلَ كلٌّ مِنهما.

قِصَّةُ مَوْتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ﴾ علىٰ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ بَقِيَ واقِفًا مُتَّكِئًا علىٰ عَصاهُ فَترَةً طَويلَةً، وهُم لا يَعلَمونَ بمَوتِه، وكانوا يَخافونَه، فـ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ أي: عَصاهُ حتَّىٰ انكسَرَت، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ الأرضِ ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ وتَحقَّقَت ﴿ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[سبأ] الَّذي جعَلَهُم فيه سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه المُدَّةَ الطَّويلَةَ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا: «**كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ رَأَىٰ شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: مَا اسْمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا، فَيَقُولُ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: لِكَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَ، وَإِنْ كَانَتْ لِغَرْسٍ غُرِسَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي يَوْمًا إِذْ رَأَىٰ شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ قَالَتِ: الْخَرْنُوبُ، قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِخَرَابِ هَذَا الْبَيْتِ، قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَىٰ الْجِنِّ مَوْتِي حَتَّىٰ يَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لا تَعْلَمُ الْغَيْبَ، قَالَ: فَنَحَتَهَا عَصًا فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَأَكَلَتْهَا الْأَرَضَةُ فَسَقَطَ فَخَرَّ فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا حَوْلًا، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ -وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا هَكَذَا-، فَشَكَرَتِ الْجِنُّ الْأَرَضَةَ فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ حَيْثُ كَانَتْ**».

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللّهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام:

○ قالَ بَعضُ أهلِ السِّيَرِ: مَلَكَ الأرضَ -مَشرِقَها ومَغرِبَها- أربَعَةٌ مِنَ النَّاسِ: مُؤمِنانِ وكافِرانِ، فالمُؤمِنانِ: سُلَيمانُ بنُ داوُدَ وذو القَرنَينِ، والكافِرانِ: بُختَنَصَّرُ ونُمرودُ بنُ كَنعانَ، لم يَملِكها غَيرُهم.

○ أنعَمَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ عليه السلام بأن ألانَ له الحَديدَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾[سبأ]، فكانَ يَفتِلُه بيَدَيهِ، وأنعَمَ علىٰ سُلَيمانَ عليه السلام بأن جعَلَ له عَينًا مِنَ النُّحاسِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾[سبأ:١٢]، قالَ العلَّامَةُ ابنُ عُثَيمينَ رحمه الله: (هذا قد يَكونُ أبلَغَ ممَّا أُوتيَه داوُدُ عليه السلام؛ لأنَّ داود عليه السلام قالَ الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾، أمَّا هذا فأَسالَ اللهُ تَعالىٰ له عَينَ القِطْرِ، يَعني: فجَّرَ له عَيْنًا من النُّحاسِ تَسيلُ كما يَسيلُ الماءُ مع أنَّها نُحاسٌ، وهذا دليلٌ علىٰ كَمالِ قُدرَةِ اللهِ؛ لأنَّ المَعروفَ أنَّ النُّحاسَ مَعدِنٌ جامِدٌ، فجعَلَه الله سبحانه وتعالى لسُلَيْمانَ عليه السلام عَيْنًا سائِلةً كأنَّها الماءُ، وقَولُه: ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ يَدفَعُ ما قيلَ: إنَّ سُلَيْمانَ عليه السلام كان يُذيبُ النُّحاسَ فيَسيلُ، كما أنَّ الرَّصاص إذا أذَبْناه يَصيرُ سائِلًا؛ كالزِّئْبَق).

○ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ وَرِثَ عنه النُّبُوَّةَ والمُلكَ، ﴿وَقَالَ﴾ سُليمانُ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾، وهذا مِن تَمامِ التَّواضُعِ والاعتِرافِ بالفَضلِ للهِ، فإنَّه لم يَقُل: (تَعَلَّمْنا)، وإنَّما قالَ: ﴿عُلِّمۡنَا﴾، وأكَّدَ ذلِكَ بقَولِه: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾[النَّمل]، وفي تَقديمِه عليه السلام ذِكرَ التَّعليمِ علىٰ سائِرِ الفَضائِلِ بَيانٌ لفَضلِ العِلمِ، وأنَّه أجَلُّ نِعَمِ اللهِ سبحانه وتعالى علىٰ العَبدِ وأزكاها.

○ ممَّا يُستَفادُ مِنَ الآيةِ السَّابِقَةِ جَوازُ التَّحَدُّثِ بنِعَمِ اللهِ عز وجل، وقد قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾[الضُّحىٰ]، روىٰ ابنُ أبي حاتِمٍ رحمه الله عنِ الحَسَنِ بنِ عَليٍّ رضي الله عنهما أنَّه قالَ في هذه الآيةِ: (إذا أصَبْتَ خَيْرًا فَحَدِّثْ إخْوانَكَ)، ولاسيَما إذا أردَفَ المُسلِمُ ذلِكَ بذِكرِ فَضلِ اللّهِ تَعالىٰ عليه، لكِن يَنبَغي للمُسلِمِ أن يَكونَ فَطِنًا، وأن لا يُحَدِّثَ بالنِّعمَةِ مَن قد يَحسُدُه عليها،

وربَّما أصابَه بالعَينِ، والعَينُ حَقٌّ.

❍ لمَّا رأت النَّملَةُ جيشَ سُليمانَ عليه السلام قالت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾، ولم تَقُل: (ادْخُلْنَ مَساكِنَكُنَّ)، مع أنَّ ميم الجَماعَةِ تُستَعمَلُ لجَماعَةِ العُقَلاءِ، وذلِكَ تَنزيلًا لهُنَّ مَنزِلَةَ العاقِلِ، ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، ولم تَقُل: (وَجُنْدَهُ)؛ لأنَّ جَيشَه كانَ فيه الإنسُ والجِنُّ والطَّيرُ، وقد خَشِيَت النَّملَةُ عليهم الهلَكَةَ لمَّا راعَها كَثرَةُ الجُنودِ، فانظُر يا رعاك اللهُ إلىٰ هذه النَّملَةَ الَّتي لم تُؤتَ عقلًا تُمَيِّزُ به، كيفَ ألهمَها اللهُ عز وجل الحِرصَ علىٰ مُجتَمَعِها الَّذي تنتَمي إليه! وهكذا المُسلِمُ لابُدَّ أن يهتَمَّ لقَومِه وعَشيرَتِه، وأن يَروعَه ما قد يُؤذيهم، ودُخولُ النَّمل مَساكِنَه فيه حِمايَةٌ له؛ لأنَّ مَساكِنَه في باطِنِ الأرضِ، ولأنَّها تكونُ عادَةً في مَكانٍ مُرتَفِعٍ لا يَأتيه الجُندُ غالِبًا، قالَت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[النَّمل]، وفي هذا حُسنُ ظَنٍّ مِنها بسُليمانَ عليه السلام وجَيشِه، فإنَّها لم تَخشَ أن يَقصِدوا إهلاكَ النَّملِ، ثمَّ انظُر إلىٰ بَلاغَةِ هذه الآيَةِ الَّتي تضَمَّنَت: نِداءً، وأمرًا، وإرشادًا، وتَحذيرًا، وإعذارًا...

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾[النَّمل:١٩]، والتَّبَسُّمُ هو أوَّلُ مَراتِبِ الضَّحِكِ، ليس فيه صَوتٌ، وهو أكثَرُ ضَحِكِ الأنبِياءِ عليهم السلام، ومنهم نَبِيُّنا صلى الله عليه وسلم؛ كما في شَمائِلِ التِّرمِذِيِّ: «**جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ**»، والآيَةُ تحتَمِلُ مَعنَيَين:

- أنَّ سُليمانَ عليه السلام ضَحِكَ مُتبَسِّمًا.
- أنَّه ابتَدَأَ بالتَّبَسُّمِ ثمَّ انتَهىٰ بالضَّحِكِ، والضَّحِكُ هو المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ، وفيه صَوتٌ خَفيفٌ، وأمَّا المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ وهي القَهقَهَةُ فليسَت مِن شِيَمِ الأنبياءِ عليهم السلام.

❍ الأصلُ أنَّ الإنسانَ لا يَفقَهُ كلامَ الحَيواناتِ، ولا يُستَثنىٰ مِن ذلِكَ إلَّا ما ثبَتَ بالدَّليلِ الصَّحيحِ عن المَعصومِ؛ كما في تَعليمِ سُليمانَ عليه السلام مَنطِقَ الطَّيرِ، وفَهمِه كَلامَ النَّملَةِ، وكما في حَديثِ الشَّيخَينِ في قِصَّةِ الذِّئبِ الَّذي قالَ للرَّاعي لمَّا استَنقَذَ منه الشَّاةَ: «**اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ؟!**»، وأمَّا ما يَذكُرُه بَعضُ النَّاسِ مِن أنَّ الحيَواناتِ قبلَ سُليمانَ عليه السلام كانَت تتكلَّمُ

فيُفْهَمُ قولُها ثمَّ تغيَّرت فلا دليلَ عليه مُطلقًا فيما يُعلَمُ.

○ قالَ سُليمانُ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾[النَّمل:١٩]، فالَّذي ينبَغي للمُسلِمُ أن يَشكُرَ اللهَ تبارك وتعالى علىٰ نِعَمِه الجَزيلَةِ بقَلبِه ولِسانِه وجَوارِحِه، قالَ ابنُ القيِّم رحمه الله: (الشُّكرُ هو ظُهورُ أثرِ نِعمَةِ اللهِ علىٰ لِسانِ عَبدِه ثَناءً واعترافًا، وعلىٰ قَلبِه شُهودًا ومَحبَّةً، وعلىٰ جَوارِحِه انقِيادًا وطاعَةً)، وشُكرُ النِّعمَةِ هو نِعمَةٌ كذلِكَ لما يترَتَّبُ عليه عندَ اللهِ عز وجل مِن الأجرِ العَظيم، قالَ ابنُ القيِّم رحمه الله: (يُقالُ: الشُّكرُ علىٰ الشُّكرِ أتَمُّ مِن الشُّكرِ، وذلِكَ بأن ترىٰ شُكرَكَ بتوفيقِه، وذلِكَ التَّوفيقُ مِن أجَلِّ النِّعَمِ عليك، فتَشكُرُه علىٰ الشُّكرِ، ثمَّ تشكُرُه علىٰ شُكرِ الشُّكرِ إلىٰ ما لا يَتَناهىٰ...).

○ قالَ سُليمانُ عليه السلام في دُعائِه: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النَّمل]، وفي هذا إشكالٌ قد يَرِدُ علىٰ بَعضِ النَّاسِ، وهو أنَّ مرتَبَةَ الأنبياءِ عليهم السلام أعلىٰ مِن مَرتَبَةِ الصَّالِحينَ، فكيفَ يسأَلُ اللهَ أن يَكونَ في الصَّالِحينَ؟ والجَوابُ عنه أنَّ لَفظَ الصَّالِحينَ يُطلَقُ إطلاقَين:

- **في سِياقِ ذِكرِ المَراتِبِ**: وهي المَذكورَةُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾[النِّساء]، ومَرتَبَةُ الصَّلاحِ هي أقَلُّ المَراتِبِ الأربعَةِ المَذكورَةِ، وفي كُلٍّ خيرٌ.
- **الصَّلاحُ المُطلَقُ**: وهو أعلىٰ مَرتَبَةً، وهو الَّذي يوصَفُ به الأنبياءُ؛ كما في هذه الآيَةِ، وكما في قولِه تَعالىٰ عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾[النَّحل]، وقَولِ يوسُفَ عليه السلام في دُعائِه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[يوسف].

○ ذكَرَ المُفَسِّرونَ أقوالًا في صِفَةِ العَذابِ الَّذي توَعَّدَ به سُليمانُ عليه السلام الهُدهُدَ إذا كان غِيابُه بغَيرِ عُذرٍ، فقيلَ: بنَتفِ ريشِه ورَميه في الشَّمسِ، وقيلَ: بحَبسِه مع طُيورٍ مِن غَيرِ جِنسِه، وقيلَ غيرُ ذلِكَ، ولم يُبيَّن لنا مِن طَريقٍ ثابِتٍ صِفَةُ العَذابِ، والقاعِدَةُ -كما مرَّ معنا قبلُ- أنَّ ما سكَتَ عنه الشَّارِعُ

في سِياقِ قَصَصِ الأنبياءِ فلا فائِدَةَ لنا في بَحثِه.

❍ لمَّا حضَرَ الهُدهُدُ ابتَدَأَ خِطابَه لسُليمانَ عليه السلام بقَولِه: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾[النَّمل:٢٢]، وهذا الخِطابُ مِنه فيه فَوائِدُ جمَّةٌ مِنها:

- أنَّ فيه أدبًا مع سُليمانَ عليه السلام، فإنَّه لم يقُل: (أنتَ جاهِلٌ) ونَحوَها مِن الألفاظِ الغَليظَةِ، بل بيَّن له عليه السلام أنَّه لا يُحيطُ بكُلِّ شيءٍ، وهذا مِثلُ قَولِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾[مريم:٤٣].
- أنَّه لم يُخاطِبه بمِثلِ ما يُخاطِبُ النَّاسُ به المُلوكَ والرُّؤساءَ وغَيرَهم ممَّا ليس فيه فائِدَةٌ، ولَم يُعَظِّمه مثلًا بقَولِه: (بما لم تُحيطوا به)، وإنَّما خاطَبَه مُخاطَبَةَ مَخلوقٍ لمَخلوقٍ، والنَّاظِرُ في خِطابِ الصَّحابَةِ للنَّبيِّ ﷺ يَجِدُ مَثلَ هذا.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ الهُدهُدَ لمَّا ذكَرَ عرشَ مَلِكَةِ سَبَإٍ بقَولِه: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[النَّمل]، أعقبَه بالثَّناءِ على اللهِ سبحانه وتعالى وبَيانِ أنَّ عَرشَه هو العَرشُ الأعظَمُ الَّذي ليس في المَخلوقاتِ مِثلُه، فقالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦﴾[النَّمل]، وهذا دَليلٌ على فِطنَةِ الهُدهُدِ وحُسنِ تَوحيدِه لربِّه عزَّ وجلَّ.

❍ قالَ الهُدهُدُ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[النَّمل:٢٤] بالإفرادِ، وهذا دَليلٌ على أنَّ سَبيلَ الحَقِّ واحِدٌ لا يتعَدَّدُ، وأمَّا سُبُلُ الباطِلِ فكَثيرَةٌ مُتعَدِّدَةٌ، قالَ تَعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام:١٥٣]، وأمَّا السُّبُلُ المَذكورَةُ في قَولِه تَعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة:١٦] فمَعناها شُعَبُ الإيمانِ الَّتي يتركَّبُ مِنها.

❍ في قَولِ سُليمانَ عليه السلام للهُدهُدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾[النَّمل] بيانُ أهَمِّيَّةِ التَّثبُّتِ في الأُمورِ العِظامِ وعندَ قِيامِ الشُّبهَةِ حتَّى ولو كانَ النَّاقِلُ فيها صادِقًا.

❍ استَدَلَّ أهلُ العِلمِ بكتابِ سُليمانَ عليه السلام إلى مَلِكَةِ سَبَإٍ بمَشروعِيَّةِ ابتداءِ الكُتُبِ والخِطاباتِ بالبَسمَلَةِ، وقالَ بَعضُهم: يُستَفادُ مِنه أنَّ الأَولى في

الرَّسائِلِ والخِطاباتِ أن يُبدَأَ فيها باسمِ المُرسِلِ لا المُرسَلِ إليه.

❍ يُستَفادُ مِن قَولِ سُليمانَ عليه السلام للرَّسولِ: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾ [النَّمل] مَشروعِيَّةُ إظهارِ القُوَّةِ للعَدُوِّ، وهو داخِلٌ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠] فإنَّه يَدخُلُ في القُوَّةِ: القَوليَّةُ، والمادِيَّةُ، والمَعنَوِيَّةُ.

❍ قَولُ سُليمانَ عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨﴾ [النَّمل] يُبيِّنُ أنَّه عَلِمَ بقُدومِ المَلِكةِ وقَومِها عليه، فإمَّا أن يَكونَ عِلمُه عن وَحيٍ، وإمَّا أن يَكونَ عن فِراسَةٍ تفرَّسَها، والفِراسَةُ مِن القَرائِنِ الَّتي يَجوزُ الأخذُ بها في الحُكمِ إذا كانَت قَوِيَّةً.

❍ يُستَفادُ مِن قَولِ الجِنِّيِّ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النَّمل:٣٩] شِدَّةُ قُوَّةِ الجِنِّ وسُرعَتُهم، والمَلائِكَةُ أشَدُّ قُوَّةً وأسرَعُ.

❍ لمَّا سُئِلَتِ المَلِكَةُ عنِ العَرشِ: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النَّمل:٤٢]، وهذا مِن فِطنَتِها واحتِرازِها لنَفسِها، فإنَّها لو قالَت: (نعم) أو (لا) لاحتَمَلَ أن يَكونَ خطَأً، كما أنَّ جَوابَها هذا مُناسِبٌ للسُّؤالِ لكَونِهما بصيغَةِ التَّشبيهِ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النَّمل:٤٤]، وهذا دَليلٌ علىٰ أنَّها كانت مُتَستِّرَةً، وهذا هو الأصلُ والمَشروعُ بالنِّسبَةِ للمرأةِ، وأمَّا الرَّجُلُ فإنَّ المَشروعَ في حَقِّه أن يَكونَ لِباسُه إلىٰ نِصفِ السَّاقِ.

❍ يُؤخَذُ مِن قِصَّةِ الخَيلِ مَشروعِيَّةُ اقتِناءِ الخَيلِ، وأنَّ ذلِكَ مِن سُنَنِ المُرسَلينَ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفق عليه: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، والمَقصودُ هو الخَيلُ المُعَدَّةُ للجِهادِ في سَبيلِ اللَّهِ، ففي الحَديثِ الآخَرِ المُتَّفَقِ عليه: «**الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ: فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طِيَلُهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا،**

ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ وِزْرٌ».

❍ في قصَّةِ قَضاءِ داوُدَ وسُليمانَ عليهما السلام في الحَرثِ الَّذي نفَشَت في الغَنَمُ، علَّقَ البُخاريُّ رحمه الله بصيغةِ الجَزمِ عن الحسَنِ البَصريِّ أنَّه تلا قولَه تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾[الأنبياء]، ثمَّ قالَ: (حَمِدَ اللهُ سُليمانَ، ولم يَلُم داوُدَ، ولولا ما ذَكَرَ اللهُ مِن أمرِ هذين لرَأيتُ أنَّ القُضاةَ هَلَكُوا، فإنَّه أثنىٰ علىٰ هذا بعِلمِه، وعَذَرَ هذا باجتِهادِه).

اختِبارٌ في قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عليه السلام:

[١] نبيٌّ أعطاهُ اللهُ مُلكًا لم يُعطِهِ لأحَدٍ بَعدَه: ❍ داوُدُ. ❍ سُلَيمانُ. ❍ إبراهيمُ.

[٢] انفَرَدَ نبيَّانِ كَريمانِ فقط بالنُّبُوَّةِ والمُلكِ: ❍ إبراهيمُ ولوطٌ. ❍ داوُدُ وسُليمانُ. ❍ موسَىٰ وهارونُ.

[٣] النَّبيُّ الَّذي سخَّرَ اللهُ له الجِنَّ والطَّيرَ والرِّيحَ، وعلَّمَه مَنطِقَ الطَّيرِ: ❍ لوطٌ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٤] مَلِكَةُ قَومٍ كانوا يَعبُدونَ الشَّمسَ، عاشَت في زَمَنِ نبيٍّ عَلِمَ بعِبادَتِهم للشَّمسِ، فأرسَلَ إليهم أن يأتُوهُ مُسلِمينَ، وذَهبَتْ إلىٰ النَّبيِّ ودخَلَتْ في دِينِ اللهِ، فمَن هي؟ ❍ آسِيةُ. ❍ مَريمُ. ❍ زُلَيخةُ. ❍ بَلقيسُ.

[٥] كيفَ عَرَفَ النَّاسُ بمَوتِ سُليمانَ عليه السلام؟ ❍ أخبرَتهم النَّملَةُ. ❍ أكلَتِ الأرَضَةُ عَصاهُ فوقَعَ علىٰ الأرضِ.

[٦] النَّبيُّ الَّذي سخَّرَ اللهُ له الرِّيحَ: ❍ يونُسُ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٧] تألَّفَ جَيشُ سَليمانَ عليه السلام مِنَ: ❍ الإنسِ. ❍ الجِنِّ. ❍ الطَّيرِ. ❍ الجَميع.

[٨] النَّبيُّ سُليمانُ هو ابنُ (❍ داوُدَ ❍ هارونَ)، ووَرِثَ عنه (❍ النُّبُوَّةَ ❍ المُلكَ ❍ الجميعَ).

[٩] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ سليمان عليه السلام بدليلِها:

أُوتِيَ الفَهمَ والحُكمَ والعِلمَ:	﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.
فَضَّلَهُ اللهُ:	﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾.
أُوتِيَ الشُّكرَ والصَّلاحَ:	﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.
عَبدٌ أوَّابٌ:	﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.
مُنيبٌ إلىٰ اللهِ:	﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾.

[١٠] اربط آياتِ سُليمان عليه السلام بدليلِها:

البِساطُ:	﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾.
التَّحكُّمُ في الشَّياطينِ:	﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾...
أُسيلَتْ له عَينُ القِطرِ:	﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.
مُخاطَبَةُ الطَّيرِ والحَيَوانِ:	﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾.
أُوتِيَ مِن كُلِّ شَيءٍ:	﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

[١١] اختُبِرَت ملِكَةُ سبَإٍ لمَّا ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ وحسِبَته ماءً فكان لها أن (❍ تمتَنِعَ مِنَ الدُّخولِ ❍ تدخُلَ مِن غَيرِ رَفعِ ثِيابِها فتبتَلَّ ❍ ترفَعَ شيئًا مِن ثِيابِها لئلَّا تبتَلَّ ❍ الجَميع)، فاختارَت ما يدُلُّ علىٰ عَقلِها وهو رَفعُ ثِيابِها (❍ صح ❍ خطأ).

[١٢] ورِثَ سُليمانُ مِن داودَ عليهما السلام: ❍ النُّبُوَّة. ❍ المُلكَ. ❍ كلاهما.

[١٣] في قَولِ النَّملَةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ تنزيلٌ للنَّملِ مَنزِلَةَ العاقِلِ باستِعمالِ واوِ الجماعَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] في خِطابِ الهُدهُدِ لسليمانَ عليه السلام أدَبٌ كبيرٌ بغَيرِ مُبالَغَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٥] مِن بَلاغَةِ القرآنِ أنَّ آيةَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ...﴾ اشتَمَلَت علىٰ:
❍ نداءٍ. ❍ أمرٍ. ❍ إرشادٍ. ❍ تَحذيرٍ. ❍ إعذارٍ. ❍ الجَميع.
[١٦] مَعنىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ أنَّ سُليمانَ عليه السلام: ❍ ضَحِكَ مُتبَسِّمًا. ❍ ابتَدَأَ بالتَّبَسُّمِ ثمَّ انتَهىٰ بالضَّحِكِ. ❍ قهقهَ. ❍ يحتَمِلُ الأوَّلَ والثَّاني أمَّا القهقَهَةُ فليست مِن شِيَمِ الأنبياءِ.
[١٧] ما يَذكُرُه النَّاسُ مِن أنَّ الحيَواناتِ قبلَ سُليمانَ عليه السلام كانَت تتكلَّمُ فيُفهَمُ قَولُها ثمَّ تغيَّرَت: ❍ صحيحٌ. ❍ لا دليلَ عليه فيما يُعلَمُ.
[١٨] المَقصودُ بالصَّــلاحِ في قَولِ سُليمانَ عليه السلام: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ❍ الصَّلاحُ الَّذي هو أقَلُّ المَراتِبِ الأربعَةِ. ❍ الصَّلاحُ المُطلَقُ الَّذي لا يوصَفُ به إلَّا الأنبياءُ.
[١٩] توَعَّدَ سُليمانُ عليه السلام الهُدهُدَ بـ: ❍ نَتفِ ريشِه ورَميِه في الشَّمسِ. ❍ حَبسِه مع طُيورٍ مِن غَيرِ جِنسِه. ❍ عَذابٍ لا نعلَمُ كُنهَه وصِفَتَه.
[٢٠] مِن فِقهِ الهُدهُدِ أنَّه لمَّا قالَ: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾، أعقَبَ ذلِك ببَيانِ عظَمَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وعَرشِه فقالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢١] يُستَفادُ مِن كِتابِ سُليمانَ عليه السلام إلىٰ ملِكَةِ سبَإٍ مَشروعيَّةُ: ❍ ابتِداءِ الرَّسائِلِ بالبسمَلَةِ. ❍ أن يُبدَأَ فيها باسمِ المُرسِلِ لا المُرسَلِ إليه. ❍ كلاهما.
[٢٢] قالَ اللهُ تَعالىٰ في قصَّةِ الحُكمِ في الحَرثِ: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾، وهذا ليس نقصًا في حُكمِ داوُدَ عليه السلام: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٣] في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾، الصَّحيحُ: ❍ أنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالىٰ سلَبَ مِن سُليمانَ مُلكَه. ❍ أبهَمَ اللهُ هذه الفِتنَةَ، فالواجِبُ ألَّا نَخوضَ فيها.
[٢٤] تابَ سُليمانُ عليه السلام مِن تَفويتِه وَقتَ الصَّلاةِ تَوبَةً نَصوحًا، فقَبِلَ اللَّهُ منه ذلِكَ، وزادَه مِن واسِعِ فَضلِه أن أعطاهُ أُمورًا عَجائِبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٥] مَعنىٰ قَولِ سُليمانَ عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾: ❍ مِن المَخلوقاتِ مُطلَقًا. ❍ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ؛ كعِدَّةِ الحَربِ ونَحوِها.
[٢٦] مَعنىٰ ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾: ❍ عَصاهُ. ❍ كُرسِيَّه. ❍ ساقَه.
[٢٧] صحَّ في الحَديثِ أنَّه كانَ لسُليمانَ عليه السلام خيلٌ بأجنِحَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

نَبِيّا اللهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام:

زَكَرِيَّا عليه السلام

اسمُهُ:	زَكَرِيَّا -أو زكرِيَّاءُ- بنُ بَرخِيَا، مِن ذُرِّيَّةِ سُليمانَ عليهما السلام.
زَمانُهُ:	كانَ بعدَ سُلَيمانَ عليه السلام بزَمَنٍ.
قَومُهُ:	أَرسَلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ.
مِهنَتُهُ:	«كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا». أخرجَهُ مُسلِمٌ.
أهلُهُ:	هو أبو يحيىٰ عليه السلام، وزَوجَتُهُ أُختُ مَريمَ بنتِ عِمرانَ أُمِّ عيسَىٰ عليه السلام، وكانَ زَكَرِيَّا عليه السلام كفَلَ مريَمَ وهي صَغيرَةٌ.
مِمَّا وَصفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] العُبودِيَّةُ للَّهِ، ﴿عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[مريم]. [٢] مُستَجابُ الدَّعوَةِ، ﴿۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٩٠]. [٣-٥] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾[الأنبياء].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ زَكَرِيَّا عليه السلام في القُرآنِ ٧ مرَّاتٍ.
آيَتُهُ:	[١] أَنَّه وُهِبَ وَلَدًا علىٰ الكِبَرِ وامرَأَتُهُ عاقِرٌ، ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾[مريم]. [٢] سأَلَ آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾، فحُبِسَ لِسانُه.
مَوتُهُ:	اختُلِفَ هل ماتَ مَوتًا، أم أنَّه هرَبَ مِن قَومِهِ، فدخَلَ في شَجَرَةٍ، فوَضَعوا عليها المِنشارَ، فقَطَعوهُ نِصفَينِ.

يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمُهُ:	يحيىٰ بنُ زَكَرِيَّا، مِن ذُرِّيَّةِ سُلَيمانَ بنِ داوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
عَلاقَتُهُ بعيسَى:	[١] «فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا». مُتَّفقٌ عليه. [٢] تَقارُبُ أوصافِهم كما جاءِ في آياتِ سورَةِ مريَمَ. [٣] جعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ قصَّةَ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي وُلِدَ علىٰ كِبَرٍ وعُقمٍ خِلافًا لما اعتادَه النَّاسُ مُقَدِّمَةً لِقصَّةِ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي وُلِدَ بلا أبٍ.
زَمانُه:	أُرسِلَ إلىٰ **بَني إسرائيلَ** بعدَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأدرَكَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] **أوَّلُ مَن صَدَّقَ بعيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٣٩]. [٢-٤] ﴿وَسَيِّدًا﴾في العِلمِ والعِبادَةِ، ﴿وَحَصُورًا﴾لا يولَدُ له، أو ليسَ له ذَنبٌ، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران:٣٩]. [٥] لم يُسَمَّ أحَدٌ باسمِهِ قبلَهُ، ولا يُساميهِ أحَدٌ في الفَضلِ إلَّا مَن استُثنِيَ. [٦-١١] ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا﴾ فهو ذو عَطفٍ، ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وهي: الطَّهارَةُ مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، ﴿تَقِيًّا﴾، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾، ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ﴾[مريم].
ذِكرُه:	ذُكِرَ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ **٥ مرَّاتٍ**.
آياتُه:	أُوتِيَ الحُكمَ صَبيًّا، وفَهِمَ التَّوراةَ، وكانَ يَعمَلُ بها، قالَ ابنُ المُبارَكِ: (قَالَ الصِّبْيَانُ لِيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا: اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبْ، فَقَالَ: مَا لِلَّعِبِ خُلِقْنَا).
مَوتُه:	ورَدَ عن عددٍ مِن الصَّحابَةِ أنَّ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ماتَ مَقتولًا.

قِصَّةُ نَبِيِّي اللهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام مُختصَرَةً:

مَبعَثُ زَكَرِيَّا عليه السلام وكَفَالَتُه لِمَريَمَ بِنْت عِمرَانَ:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ
كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا
رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ
عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٣٧﴾ ﴾[آل عمران]، ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[آل عمران].

هو زَكَرِيَّا -أو زكرِيَّاءُ- بنُ بَرخِيا، مِن ذُرِّيَّةِ سُليمانَ بنِ داوُدَ عليهما السلام، وقد ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ عددًا مِن الأنبياءِ بَينَ سُليمانَ وزَكَرِيَّا عليهما السلام، مِنهُم شِعيَا بنُ أَمْصِيَا، وأَرْمِيا بنُ حَلْقِيَا، ودَانْيالُ، والعُزَيْرُ -علىٰ القَولِ بأنَّهُ نبيٌّ- عليهم السلام، وغالبُ أخبارِهم مَأخوذٌ مِن الإسرائيليَّاتِ، فأعرَضنا عن ذِكرِهم.

قالَ تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾، قيلَ: اسمُها حَنَّةُ بِنتُ فاقودَ، وكانَت عاقِرًا، فسألَتِ اللهَ تعالىٰ الولَدَ، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَها، وحمَلَت بمَريَمَ، فقالَت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ خالِصًا مُفرَّغًا للعِبادَةِ وخِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لدُعائي ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ بما في قلبي، ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ أي: ولَدَت مريَمَ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾، قالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ منها ومِن كُلِّ خَلقِه، قالَت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ فالذَّكَرُ أشَدُّ في العِبادَةِ، وأقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ، كأنَّ هذا اعتِذارٌ منها للهِ سبحانه وتعالى، قالَت: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾، هو بالآراميَّةِ السِّريانيَّةِ: (مَارِي أَمَا)، ومَعناه: أَمَةُ الرَّبِّ، أو خادِمَةُ الرَّبِّ، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ أي: ابنها عيسَىٰ عليه السلام ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾، وفي «الصَّحيحَينِ» مِن حَديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ**

صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا»، وتَلا أبو هُريرةَ رضي الله عنه الآيَةَ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي: قَبِلَ اللهُ سبحانه وتعالى نَذرَها لمَريَمَ، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فجعَلَها حسَنةَ الخَلقِ والخُلُقِ، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[آل عمران:٣٧] أي: جعَلَهُ كافِلًا لها، إمَّا ليُتمِها أو لفَقرِ أهلِها، وذلِكَ سَعادَةً لها، حتَّىٰ تَعيشَ في كَنَفِ نَبيِّ اللهِ فتَنتَفِعَ بذلِكَ، ولِتَكونَ في كفالَةِ خالَتِها زَوجَةِ زَكَريَّا عليه السلام، وفي حَديثِ البُخاريِّ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»، وقالَ تَعالىٰ لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ أي: سِهامَهُم الَّتي يَقتَرِعونَ بها، ليَنظُروا ﴿أَيُّهُمۡ﴾ يَفوزُ بالفَضلِ و﴿يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾، كُلُّهم يُريدُ الأجرَ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾[آل عمران] بينَهُم أيُّهُم أحَقُّ بها وأولىٰ، فكانَ الفائِزُ بذلِكَ زَكَريَّا عليه السلام.

فكانَت مَريَمُ في كَفالَةِ زَكَريَّا عليه السلام، وكانَت شَديدَةَ الخَلوَةِ والعِبادَةِ، قالَ عز وجل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ وهو مَكانُ عِبادَتِها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا﴾ فيَجِدُ عِندَها فاكِهَةَ الصَّيفِ في الشِّتاءِ، وفاكِهَةَ الشِّتاءِ في الصَّيفِ، فـ﴿قَالَ﴾ مُتَعَجِّبًا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؟ أي: مِن أينَ لَكِ هذا؟ ﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾[آل عمران]، والجُملَةُ الأخيرَةُ إمَّا مِن قَولِ مَريَمَ أو تَقريرٌ مِن اللهِ عز وجل.

سُؤَالُ زَكَرِيَّا عليه السلام اللهَ سبحانه وتعالى أن يَرزُقَهُ الوَلَدَ:

﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ

﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم].

وقد أخبرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن شَأنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه حُرِمَ الولَدَ حتَّىٰ كبُرَ وصارَ شَيخًا، وكانت امرَأتُه عاقِرًا، فلمَّا رأَىٰ عِبادَةَ مَريَمَ، وما أعطاها اللهُ تَعالىٰ مِن الكَراماتِ حنَّ إلىٰ الولَدِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ ذكَرَه بصِفَةِ العُبودِيَّةِ الَّتي هي أعلىٰ الصِّفاتِ وأفضَلُها، ووصَفَ ما يَأتي مِن قِصَّةٍ بأنَّه رَحمَةٌ مِنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالنَّبيِّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾؛ لأنَّ الدَّعوَةَ الخَفِيَّةَ أحَبُّ إلىٰ اللهِ وأقرَبُ إلىٰ الإخلاصِ، ولِئَلَّا يهزَأَ مِنه النَّاسُ لطَلَبِه الولَدَ وليس مِن العادَةِ أن يُرزَقَ مِثلُهُ الولَدَ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ أي: ضعُفَ عَظمِي، ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ أي: غلَبَ عليه الشَّيبُ، وهذا كلُّه إشارَةٌ مِنه إلىٰ كِبَرِ سِنِّه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّه كان قد بلَغَ سَبعينَ سنَةً، ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ﴾ قبلَ هذا ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤﴾، يُريدُ أنَّه كانَ إذا سألَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شيئًا أجابَهُ، ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾، والمَوالي هم عَصَبَتُه، خَشِيَ أن يَسوءَ تَصرُّفُهُم مِن بَعدِه، وأرادَ أن يَجعَلَ اللهُ له ولَدًا يَكونُ نبيًّا فيهم بعدَهُ فيَسوسَهُم بشَرعِ اللهِ، ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ وهذا سبَبٌ آخَرُ يَبعُدُ معه حُصولُ الولَدِ في العادَةِ، ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥﴾ أي: ولَدًا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أي: يرِثُ النُّبُوَّةَ لا المالَ، فقد قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما عند مُسلم-: «**كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا**»، وليس مِن عادَةِ النَّجَّارينَ كثرَةُ المالِ، ولا مِن عادَةِ الأنبياءِ الحِرصُ علىٰ تَوريثِ المالِ، بل قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ**». أخرجه أحمدُ.

قالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦﴾ [مريم] أي: مَرضِيًّا عندك وعند خَلقِكَ في الدِّينِ والخُلُقِ، وقالَ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾، فأُجيبَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ دُعائِه، ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ الَّذي يَختَلي فيه ليُصَلِّيَ للهِ تَعالىٰ، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ يولَدُ لك، ويَكونُ نَبيًّا ﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مُصَدِّقًا بعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي

سيولَدُ بعدَه، وقالَ بعضُ السَّلَفِ: هو أوَّلُ مَن آمَنَ بعيسَىٰ ﵇، ﴿وَسَيِّدًا﴾ في العِلمِ والعِبادَةِ والحِلمِ، ﴿وَحَصُورًا﴾ مَعصومًا مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾[آل عمران]، وفي هذا بِشارَةٌ لزكَرِيَّا ﵇ بأنَّ الولَدَ الَّذي سيُعطاهُ سيكونُ نبيًّا.

وأُخبِرَ زكَرِيَّا ﵇ باسمِ الولَدِ الَّذي يولَدُ له، قالَتِ المَلائِكَةُ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾، أي: لم يُسَمَّ أحَدٌ بمِثلِ اسمِه قبلَه، أو لم يكُن قبلَه شَبيهٌ له، أو لم يَسبق لعاقِرٍ أن تَلِدَ قبلَ ولادَةِ أُمِّه له، فتعَجَّبَ زكَرِيَّا ﵇ مِن البِشارَةِ و﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ أي: ولَدٌ ذكَرٌ ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾؟! وهذانِ سبَبانِ يَكفي أحَدُهُما عادَةً في عدَمِ حُصولِ الولَدِ، فـ﴿قَالَ﴾ الملَكُ مُجيبًا له: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ سَهلٌ، وكيف لا يَكونُ سَهلًا علَيَّ ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ﴾ يا زكَرِيَّا ﴿مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾؟! أي: سأَخلُقُه مِن العدَمِ كما خلَقتُكَ أنتَ مِن العدَمِ، فعِندَها سأَلَ زكَرِيَّا ﵇ اللهَ ﷿ أن يجعَلَ له آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به مِن الولَدِ، وليطمَئِنَّ قلبُه، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾ أي: أن يُحبَسَ لِسانُكَ عن الكَلامِ ثلاثَ ليالٍ مُتَتالِيَةٍ مِن غَيرِ عِلَّةٍ ولا مَرضٍ، وكذلكَ كانَ، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ الَّذي بُشِّرَ فيه، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: أشارَ بيَدِه ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم] أي: سَبِّحوا اللهَ ونَزِّهوهُ عن النَّقصِ في الصَّباحِ والعَشِيِّ؛ شُكرًا له علىٰ نِعَمِه الكَثيرَةِ.

وقد أثنَىٰ اللَّهُ تَعالىٰ علىٰ زكَرِيَّا وزَوجِه ووَلَدِه، قالَ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دُعاءَهُ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ وَريثًا له في النُّبُوَّةِ والعِلمِ، ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ بأن كانَت عاقِرًا فولَدَت، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بفِعلِ الطَّاعاتِ والقُرُباتِ، ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في ما عِندَنا ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ ممَّا عندَنا، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء] مُتَذَلِّلينَ خائِفينَ ومُصَدِّقينَ.

نَشْأَةُ يَحْيَى ﵇ وَنُبُوَّتُه:

حصَلَ ما بُشِّرَ به زكريَّا ﵇، وحمَلَت زَوجَتُه بيَحيىٰ ﵇ ووضَعَته، قالَ تَعالىٰ: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ أي: تَعَلَّم التَّوراةَ بجِدٍّ واجتِهادٍ، وهي الكِتابُ الَّذي كانَ بَنو إسرائيلَ يَدرُسونَه وَقتَها ولمَّا يُبعَث عيسىٰ ﵇ بَعدُ، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ أي: الفَهمَ والعِلمَ ﴿صَبِيّٗا ١٢﴾ صَغيرًا، وهذا مِن فَضلِ اللهِ ﷻ عليه، قالَ عبدُ اللهُ بنُ المُبارَكِ ﵀: (قالَ الصِّبيانُ ليَحيىٰ بنِ زكَريَّا ﵉: اذهَب بنا نلعَبُ، فقالَ: ما لِلَّعِبِ خُلِقنا!)، ﴿وَحَنَانٗا﴾ أي: رحمَةً وتَعَطُّفًا ومَحبَّةً ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ ليَحيىٰ ﵇ ﴿وَزَكَوٰةٗ﴾ وهي: الطَّهارَةُ مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، وفِعلُ الطَّاعاتِ، ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣﴾ للهِ طاهِرًا لم يَحصُل مِنه ذَنبٌ، وقد أخرَجَ أحمَدُ وغَيرُه عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ أَخْطَأَ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ لَيْسَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا**»، ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ مُطيعًا لهُما، مُجانِبًا للعُقوقِ بالقَولِ والفِعلِ، ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤﴾ أي: لم يكُن مُستكبِرًا عن طاعَةِ رَبِّه ووالِدَيه، فلمَّا كانَت هذه صِفاته جَزاهُ اللَّهُ بها أن أمَّنهُ في ثلاثَةِ أحوالٍ فقالَ ﷿: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ﴾ القِيامَةِ عندَما ﴿يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥﴾[مريم] كما يُبعَثُ سائِرُ الخَلقِ، وخصَّ هذه الأوقاتِ الثَّلاثَةَ بالذِّكرِ لأنَّها أشَدُّ ما تكونُ علىٰ الإنسانِ، إذ يَنتَقِلُ فيها مِن عالَمٍ كانَ ألِفَه إلىٰ آخرَ جديدٍ.

مِنْ مَوَاعِظِ يَحْيَى ﵇ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:

أخرَجَ أحمَدُ وبَعضُ أصحابِ «السُّنن» عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كلِماتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ، فأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ عِيسىٰ: إِمَّا أَنْ يُبَلِّغَهُنَّ أَوْ تُبَلِّغَهُنَّ، فأَتاهُ عِيسىٰ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كلِماتٍ أَنْ تَعْمَلَ بهِنَّ وتأْمُرَ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنْ يَعْمَلوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ، فقالَ لهُ: يَا رُوحَ اللَّهِ إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، فَجَمَعَ يَحْيَىٰ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ المَقْدسِ حَتَّىٰ امْتَلأَ المَسْجِدُ، فَقَعَدَ علىٰ الشُّرُفاتِ، فَحَمِدَ اللَّـهَ وأَثْنَىٰ عليهِ، ثـمَّ قالَ: إِنَّ اللَّـهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِماتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلوا بهِنَّ، وَأَوَّلُهُنَ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّـهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّـهِ كَمَثَلِ رَجلٍ اشْتَرَىٰ عَبْداً مِنْ خالِصِ مالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، ثمَّ أَسْكَنَهُ داراً فقالَ: اعْمَلْ وارْفَعْ إِليَّ، فَجَعَلَ العَبْدُ يَعْمَلُ ويَرْفَعُ إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكونَ عَبْدُهُ كذلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّـهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئًا.

وأَمَرَكُمْ بالصَّلَاةِ، وَإِذا قُمْتُمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّـهَ عَزَّوَجَلَّ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَىٰ وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وأَمَرَكُمْ بالصِّيَامِ، ومَثَلُ ذلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ معَهُ صُرَّةُ مِسْكٍ فِي عِصابَةٍ كلُّهُمْ يَجدُ ريحَ المِسْكِ، وإِنَّ خَلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. وأَمَرَكُمْ بالصَّدَقَةِ، ومَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فقالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّىٰ فَكَّ نَفْسَهُ، وأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، ومَثَلُ ذلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فأَتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا، فأَحْرزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطانِ إِذا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّـهِ تَعَالَىٰ».

مَوْتُ زَكَرِيَّا ويَحْيَى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ:

ذكَرَ اللَّـهُ تَعالىٰ عن بَني إِسرائيلَ أَنَّهم كانوا يَقتُلون الأنبياءَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[البقرة:٦١]، وقد ذكَرَ بَعضُ أهلِ السِّيَرِ أَنَّ ممَّن قَتَلوه زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأَنَّه دخَلَ في شَجَرَةٍ فشَقُّوه بالمِنشارِ نِصفَينِ، ولم يَرِد في ذلِكَ نَصٌّ يُعتَمَدُ عليه.

وكانَ ممَّن قَتَلوه مِن الأنبياءِ يَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد أخرَجَ ابنُ أبي شيبَةَ وغَيرُه عن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موقوفًا قالَت: «أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا إِلَىٰ بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»، قالَت ذلِكَ لابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فأَقَرَّها ولم

يُنكِر عليها، وقال عُروَةُ ابنُها: «مَا قُتِلَ يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا إِلَّا فِي امْرَأَةٍ بَغِيٍّ قَالَتْ لِصَاحِبِهَا: لَا أَرْضَىٰ عَنْكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَنِي بِرَأْسِهِ، قَالَ: فَذَبَحَهُ، فَأَتَاهَا بِرَأْسِهِ فِي طَشْتٍ»، وقالَ سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ: (قَدِمَ بُخْتَنَصَّرُ دِمَشْقَ فَإِذَا هُوَ بِدَمِ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا يَغْلِي، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَتَلَ عَلَىٰ دَمِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا فَسَكَنَ).

وقد ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أقوالًا أُخرىٰ في كيفيَّةِ قَتلِ يَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس في ذلِكَ شَيءٌ مَرفوعٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ أو مَوقوفٌ علىٰ مَن لم يُعرَف بالأخذِ عن بَني إسرائيلَ، واللَّهُ تَعالىٰ أعلَمُ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّةِ نَبِيَّي اللّهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

❍ استَدَلَّ أهلُ العِلمِ بقَولِ أمِّ مريمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:٣٥] علىٰ أنَّ خِدمَةَ الوالِدِ سَواءٌ كانَ أبًا أو أُمًّا واجِبَةٌ علىٰ الوَلَدِ؛ لأنَّ مَعنىٰ ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: مِن الخِدمَةِ، بحَيثُ لا تستَخدِمُه ولا تستَغِلُّ حياتَه.

❍ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[آل عمران:٣٦] قِراءَتانِ:

- قَرَأَ الجُمهورُ: ﴿وَضَعَتْ﴾، فيَكونُ القائِلُ لهذه الجُملَةِ هو اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمَعنىٰ: اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أعلَمُ مِنها ومِن كُلِّ خَلقِه بجِنسِ الوَلَدِ.
- قَرَأَ ابنُ عامِرٍ وشُعبَةُ ويَعقوبُ: ﴿وَضَعْتُ﴾، فيَكونُ القائِلُ هو مَريَمُ، ويَكونُ قَولُها هذا مِن بابِ الاحتِرازِ عن الأمرِ الموهِمِ للخَطَأِ؛ لأنَّها تُخاطِبُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وتُعلِمُه بما هو أعلَمُ به مِنها، فاعتَرَضَت قَولَها بهذه الجُملَةِ تَعظيمًا للهِ عَزَّوَجَلَّ وحِفظًا لحَقِّه.

❍ قالَت أمُّ مريمَ مُعتَذِرَةً إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[آل عمران:٣٦]، فالذَّكَرُ أقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ الَّذي نَذَرَت مَولودَها له، وقالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: لم تكُن خِدمَةُ النِّساءِ للمَسجِدِ الأقصىٰ سائِغَةً عندَهم فلهذا اعتَذَرَت، ويُستَدَلُّ بعُمومِ هذه الآيَةِ علىٰ أنَّ الذَّكَرَ والأُنثىٰ يختَلِفانِ في

الطَّبيعَـةِ والأخـلاقِ والمُعامَلَـةِ، بـل وأحيانًـا في الأحـكام الشَّـرعِيَّةِ كذلِكَ، وقد قـالَ تعالـىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[النِّساء].

- استَدَلَّ بعضُ أهلِ العِلمِ بقولِ أمِّ مريَمَ: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ علىٰ مَشروعِيَّةِ تَسمِيَةِ المَولودِ يومَ وِلادَتِه، ويُؤَيِّدُ هذا ما جاء عندَ مُسلِم عن نَبيِّنا ﷺ قالَ: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**»، ويُؤخَذُ كذلِكَ مِن قَولِها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[آل عمران:٣٦] علىٰ مَشروعِيَّةِ إعاذَةِ الولَدِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وعلىٰ جَوازِ الدُّعاءِ للمَعدومِ الَّذي لم يوجَد بَعدُ.

- قالَ تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾ ولم يقُل: (اللهَ)، ﴿قَالَ رَبِّ﴾ ولم يقُل: (اللَّهُمَّ) أو (يا اللهُ) أو (يا إلَهي) ونَحوَها، ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[آل عمران]، وهكذا مَن نظَرَ في أدعِيَةِ الأنبياءِ عليهم السلام في القرآنِ يَجِدُ أنَّ أكثَرَها مُصدَّرٌ بذِكرِ الرُّبوبيَّةِ، وذلِكَ لأنَّ إجابَةَ الدَّاعي فِعلٌ، وكلُّ أفعالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن مُقتَضىٰ رُبوبيَّتِه.

- يُؤخَذُ مِن قَولِه عليه السلام: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ﴾ أنَّه لا ينبَغي للمُسلِمِ أن يسأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُطلَقَ الذُّرِّيَّةِ، بل ينبَغي أن يُقَيِّدَها بالطِّيبِ أو الصَّلاحِ أو التَّقوىٰ ونَحوِ ذلِكَ.

- دعا زكريا عليه السلام ربَّه عَزَّ وَجَلَّ بقولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤]؛ لأنَّ الشَّيبَ دَليلٌ علىٰ الضَّعفِ وكِبَرِ السِّنِّ، وهو رَسولُ المَوتِ، ورائِدُه ونَذيرُه؛ فتوسَّلَ عليه السلام إلىٰ اللهِ تَعالىٰ بضَعفِه وعَجزِه، وهذا مِن أَحَبِّ الوَسائِلِ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه يدُلُّ علىٰ التَّبَرِّي مِن الحَوْلِ والقُوَّةِ، وتَعَلُّقِ القَلبِ بحَوْلِ اللهِ وقُوَّته.

- ذكَرَ بَعضُ أهلِ العِلمِ عدَّةَ مُناسَباتٍ لتَسمِيَةِ النَّبيِّ يَحيَىٰ عليه السلام بهذا الاسمِ، مِنها:
  - أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَحيا بسَبَبِه عُقمَ أُمِّه، ولهذا لَمَّا بُشِّرَ به زَكَرِيَّا عليه السلام قالَ:

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[آل عمران:٤٠].

- أنَّ اللهَ تَعالىٰ أحيا بسَبَبه شَرائِعَ وشُعَبَ الإيمانِ.
- أنَّه سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّه يُقتَلُ شَهيدًا، والشُّهَداءُ أحياءٌ عِندَ ربِّهم، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران].

❍ جاءَ في تَبشيرِ المَلائِكَةِ لزَكَرِيَّا ﷺ بيَحيىٰ ﷺ وَصفُه بأنَّه: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران]، قالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: (كُلُّ مَن ذُكِرَ في القُرآنِ بوَصفِ النُّبُوَّةِ فهو رَسولٌ)، فيَكونُ يَحيىٰ ﷺ نَبيًّا رَسولًا، واللهُ أعلَمُ.

❍ لمَّا بلَغَت البِشارَةُ زكَرِيَّا ﷺ قالَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[مريم:١٠]، يُريدُ آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به مِن الولَدِ، وهذا ليسَ مِن بابِ الشَّكِّ، وإنَّما مِن بابِ الاطمِئنانِ، فإنَّ طلَبَ ما تَطمَئِنُّ به النَّفسُ جائِزٌ لا حرَجَ فيه، ولا يَقدَحُ في كمالِ التَّصديقِ والتَّسليمِ، بل قد يَكونُ واجِبًا، ومِثالُه قَولُ إبراهيمَ ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة:٢٦٠].

❍ استَدَلَّ بَعضُ أهلِ العِلمِ بقَولِ المَلائِكَةِ لمَريَمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[آل عمران:٤٢] علىٰ نُبُوَّةِ مريَمَ، وهذا استِدلالٌ غيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يُرسِل قَطُّ امرَأَةً نَبيَّةً، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾[يوسف:١٠٩]، وأمَّا الاصطِفاءُ المَقصودُ هنا فمَعناه أنَّها اختيرَت لأمرٍ لا يُشارِكُها فيه أحَدٌ، وقد قالَ نبيُّنا ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ**»، والصَّحيحُ أنَّ مريَمَ مِن الصِّدِّيقينَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[المائدة:٧٥]، والصِّدِّيقيَّةُ هي المَرتَبَةُ الثَّانيَةُ مِن مَراتِبِ الصَّالِحينَ.

❍ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾[آل عمران:٤٢] فيه تَبرِئَةٌ لمَريمَ ممَّا رَماها به اليَهودُ المَلعونون، فإنَّهم اتَّهَموها بالزِّنىٰ والعِياذُ باللهِ، ووَصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَولَهم بالبُهتانِ فقالَ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[النِّساء].

❍ أكثَرُ قصَصِ أنبياءِ بَني إسرائيلَ الَّتي ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ في كِتابِه وافَقَ القُرآنُ

فيها ما بأيدي أهلِ الكِتابِ وهذا مِن دَلائِلِ نُبُوَّتِه ﷺ وصِدقِه؛ لأنَّه لم يَقرَأ في كُتُبِهم ولم يتعَلَّم مِنهُم، كما أنَّ قصَصَ القُرآنِ احتَوَت علىٰ بَعضِ ما لم يَرِد في كُتُبِهم، وهذا يدُلُّ أكثَرَ علىٰ صِدقِ القُرآنِ، ومِن أمثِلَةِ ذلِكَ قصَّةُ استِهامِهِم علىٰ كَفالَةِ مَريَمَ، فإنَّها لم تُذكَر في كُتُبِ أهلِ الكِتابِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران].

○ قالَ اللهُ تَعالىٰ عن يَحيَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾﴾[مريم]، وقالَ علىٰ لِسانِ عيسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾[مريم]، قالَ الكَرمانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «لُبابِ التَّفاسيرِ» (ص١٣٥٣): (يَحتَمِلُ تَنكيرُ سَلامٌ في الأُولىٰ وتَعريفُ السَّلام في الأُخرىٰ وَجهَينِ: أحَدُهُما: أنَّ نَكِرَةَ الجِنسِ ومَعرِفَةَ الجِنسِ يُفيدانِ فائِدَةً واحِدَةً، نَحوُ: واللهِ لا أشرَبُ ماءً، ولا أشرَبُ الماءَ، هما سَواءٌ، والثّاني: أنَّ الأوَّلَ مِن اللهِ، والقَليلُ مِنه سُبحانَه كَثيرٌ، وقيلَ: الألِفُ واللّامُ هاهُنا للعَهدِ، يَعودُ إلىٰ قَولِه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾)، وأخرَجَ الطَّبريُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تَفسيرِه» (١٨/ ١٦١) عن الحَسَنِ البَصريِّ رَحِمَهُ اللهُ قالَ: (إنَّ عيسَىٰ ويَحيَىٰ التَقَيا، فقالَ له عيسَىٰ: استَغفِر لي، أنتَ خَيرٌ مِنِّي، فقالَ لَه الآخَرُ: استَغفِر لي، أنتَ خيرٌ مِنِّي، فقالَ له عيسَىٰ: أنتَ خَيرٌ مِنِّي، سَلَّمتُ علىٰ نَفسي، وسَلَّمَ اللهُ عليكَ، فعَرَفَ واللهِ فَضلَها).

○ قَدَّمَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعالىٰ قِصَّةَ زَكَرِيّا ويَحيىٰ عَلَيهِما السَّلامُ قبلَ قِصَّةِ عيسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ في سورَتَي آلِ عِمرانَ ومَريَمَ، ولعلَّ سبَبَ ذلِكَ أنَّه أرادَ أن يُمَهِّدَ لقِصَّةِ وِلادَةِ عيسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ مِن غَيرِ أبٍ بقِصَّةٍ أقرَبَ مِنها لا تتقَبَّلُها العُقولُ بسُهولَةٍ ولكنَّها لا تستَبعِدُها تمامًا، وهي قِصَّةُ إنجابِ امرَأَةٍ عَجوزٍ كانت في شَبابِها عاقِرًا مِن شَيخٍ عَجوزٍ، وما يَحمِلُ علىٰ قَبولِ هذه القِصَّةِ هو إرجاعُها إلىٰ قُدرَةِ اللَّهِ سُبحانَهُ وتَعالىٰ، فكذلِكَ يَنبَغي إرجاعُ قِصَّةِ عيسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ إلىٰ قُدرَةِ اللَّهِ.

كَلِمَةُ اللهِ عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسمُ:	عِيسَىٰ، وهو المَسيحُ يمسَحُ الأبرَصَ والأَكْمَهَ فيُشْفيانِ بإذنِ اللهِ؛ أمَّا المَسيحُ الدَّجَّالُ فمَمسوحُ العَينِ، أي: أعوَرُها.
النَّسبُ:	يُنسَبُ لأُمِّهِ مريَمَ بنتِ عِمرانَ؛ لأنَّه لا أبَ له، وفي ذلِكَ آيةٌ لهُ، ومَريَمُ مِن النِّساءِ القِلَّةِ الكُمَّلِ؛ كما جاءَ في «الصَّحيحَينِ».
اللَّقبُ:	[١] **رُوحُ اللهِ**: أي: روحٌ خلقَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأضافَها إلىٰ نفسِه تَشريفًا. [٢] **كَلِمَةُ اللهِ**: لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلقَهُ بقولِه: (كُنْ) فكانَ.
الكِتابُ:	بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«الإنجيلِ» مُصدِّقًا لمَا في التَّوراةِ.
خَلقُهُ:	خُلِقَ بأمرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وقرَنَ اللهُ خَلقَهُ بخَلقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حيثُ خُلِقَ بأمرِه عَزَّوَجَلَّ: (كُنْ)، وكانَ قويَّ البُنيَةِ، مُتوسِّطَ الطُّولِ، عَريضَ الصَّدرِ، شَعرُهُ باهِتٌ مُجعَّدٌ طويلٌ يقَعُ بينَ كَتِفَيْهِ، بَشَرَتُهُ مُشْرَبَةٌ بِالْحُمرَةِ، وأشبَهُ النَّاسِ به عُروَةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ.
ممَّا وُصِفَ به:	[١] أحَدُ أولي العَزمِ، وآخِرُ أنبياءِ بَني إسرائيلَ. [٢] في حديثِ الشَّفاعَةِ يعتذِرُ كلُّ نبيٍّ عنها ويذكُرُ ذنبًا، إلَّا عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولُ: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». مُتَّفق عليه. [٣] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[البقرة:٨٧]. [٤] ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾[آل عمران]. [٥] ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾[الزُّخرف:٦٣]. [٦] ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[النِّساء:١٧٢]. [٧] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[المؤمنون:٥٠].

قومُه ودينُه:	أُرسِلَ إلىٰ بَني إسرائيلَ، وجاءَهم بالإسلام بمفهومِه العامِّ وهو: (الاستسلامُ للهِ وحدَه)، وهو دينُ جميعِ الأنبياءِ.
آياته:	[١] ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران:٤٦]. [٢] ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. [٣] ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. [٤] ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾. [٥] ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾. [٦] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّساء:١٥٨]. [٧] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّساء]. [٨] ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾ [المائدة:١١٤].
ذِكْرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ باسمِه عيسَىٰ ٢٥ مرَّةً، وبلَفظِ عيسَىٰ بنِ مَريَمَ ١٦ مرَّةً، وبلَفظِ ابنِ مريَمَ ١٧ مرَّةً، وبلَفظِ المَسيحِ مُجرَّدًا ٣ مرَّاتٍ.
ذِكْرُه عليه السلام في السُّنَّةِ:	[١] «أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيسَ بَيْنِي وبينَهُ نَبِيٌّ». مُتَّفَقٌ عليهِ. [٢] «مَا مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وابْنِهَا». مُتَّفَقٌ عليهِ. [٣] «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المالُ، حَتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». مُتَّفَقٌ عليهِ.
مَوتُه:	لم يَمُت؛ بل رفَعَه اللهُ إليه، وسيَعودُ في آخرِ الزَّمانِ، فيَقتُلُ الدَّجَّالَ، والخِنزيرَ، ويَكسِرُ الصَّليبَ، ويضَعُ الجِزيَةَ، ويَحكُمُ بالعَدلِ، ثمَّ يَموتُ فيُصَلِّي عليه المُسلِمونَ، ويَدفِنونَه.

الرَّدُّ على ما ادَّعاهُ النَّصارى في عيسَى عليه السلام:

[١] ادَّعَوْا بأنَّ عيسَىٰ ابنُ اللهِ، وهذا قولٌ عَظيمٌ ومُنكَرٌ كَبيرٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[مريم].

[٢] ادَّعَوْا بأنَّ عيسَىٰ هو اللهُ، وإنَّما هو بَشَرٌ، وهو عَبدُ الله ورَسولُهُ، ومَن اعتقَدَ أنَّهُ إلهٌ فقد كَفَرَ، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١٧].

[٣] ادَّعَوْا بأنَّ اللهَ ثالِثُ ثلاثةٍ، ومَن قالَ ذلِكَ فهو كافِرٌ، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[المائدة:٧٣].

والمَسيحُ ابنُ مَريَمَ بَشَرٌ عليه السلام، وُلِدَ مِن أُمٍّ، يَأكُلُ ويَشرَبُ، ويَقومُ ويَنامُ، ويتألَّمُ ويَبكِي، والإلَهُ مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ، فكَيفَ يَكونُ إلَهًا؛ بَلْ هو عَبدُ اللهِ ورَسولُهُ، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[المائدة].

والعَوامِلُ الَّتي تُوَسِّعُ الفارِقَ بَينَ المُسلِمينَ والنَّصارىٰ كَثيرَةٌ، والخِلافُ العَقَدِيُّ الَّذي بيننا وبينهم لا يسمَحُ بالتَّقارُبِ إلَّا أن يَترُكوا ما هُم فيه مِن كُفرٍ وضَلَالٍ، ويلتَحِقوا برَكْبِ المُوَحِّدينَ لرَبٍّ وإلهٍ واحِدٍ، الشَّاهِدينَ للنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ بالرِّسالَةِ، المُعتَقِدينَ ببَشَرِيَّةِ عيسَىٰ عليه السلام.

مِن خَطايا النَّصارى الأُخْرى:

[١] مَوقِفُهُم مِن اليَهودِ ومِن المُسلِمينَ: فاليَهودُ يُكذِّبونَ عيسَىٰ عليه السلام، ويزعُمونَ أنَّهم صَلَبوهُ وقَتَلوهُ، ويتَّهِمونَ أُمَّهُ بالزِّنَىٰ! ومع هذا فإنَّ النَّصارىٰ يُوالونَهُم ويَنصُرونَهم، ويُعادونَ المُسلِمينَ الَّذين يُعظِّمون عيسىٰ عليه السلام وأُمَّهُ.

[٢] تَحريفُهُم للإنجيلِ: تَحريفَ لَفظٍ بالتَّغييرِ أو الزِّيادَةِ، وتَحريفَ مَعنًىٰ

بِنِسْبَةِ السُّوءِ والشَّرِّ للهِ تعالىٰ ولدينِهِ.

[٣] **كُفرُهُم بنُبُوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ**: مع أنَّهُ مَنصوصٌ عليه في العَهدَينِ الجَديدِ والقَديم.

[٤] **إيمانُهُم بصِحَّةِ التَّوْراةِ المُحَرَّفَةِ**: وفيها سَبُّ اللهِ، وانتِقاصُهُ، وسَبُّ الأنبياءِ، وغيرُه ممَّا يُعلَمُ مِنه شَناعَةُ ما هُم عليهِ مِن الكُفرِ.

[٥] **وَصفُهُم الأنبياءَ بالنَّقائصِ.**

نِقاطٌ مُهِمَّةٌ يستَعينُ بها مَن أرادَ مُحاوَرَةَ النَّصارى:

[١] **سَنَدُ الأَناجيلِ** الَّتي بينَ أَيْدِي النَّصارىٰ اليَومَ، فكلُّها كُتِبَ بعدَ رَفْعِ عيسَىٰ بزمانٍ، وليسَتْ هي الإنجيلَ الَّذي أنزَلَهُ اللهُ علىٰ عيسَىٰ، بل ولا تصِحُّ نِسبَةُ الأناجيلِ الأربعةِ إلىٰ مَن يُدَّعىٰ أنَّهُم كتبوها!

[٢] **التَّناقُضُ الظَّاهِرُ**، والاختِلافُ البَيِّنُ، والأَغلاطُ الواضِحَةُ في هذه الأناجيلِ، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّساء].

[٣] ما اشتَمَلَتْ عليهِ هذه الأَناجيلُ مِن **نِسبَةِ أُمورٍ عَظائِمَ** إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإلىٰ أنبيائِه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[٤] ما تحتَويهِ هذه الأَناجيلُ -علىٰ تَحريفِها- مِن **البِشارَةِ بالنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ**.

[٥] **التَّناقُضُ** والاضْطِرابُ الشَّديدانِ في ذِكرِ **قِصَّةِ الصَّلبِ**، وفي بَيانِ **عَقيدَةِ التَّثْليثِ**.

[٦] دِراسَةُ **تاريخِ المَجامِعِ النَّصرانِيَّةِ**، ونَقضُ بَعضِها لبَعضٍ، بل تكفيرُ بَعضِها لبَعضٍ.

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرَةً:

مَوْلِدُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ
حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن
كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ
وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا
تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ
بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ
ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ
صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ
وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريم].

ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ قصَّة ولادة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قصَّة زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ وهبه يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رحمةً منه بعد أن بلغ من الكبر عِتيًّا، وقصَّة زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بمثابة التَّوطئة لقصَّة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث إنَّ زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كفل مريم بعد أن وهبتها أمُّها لخدمة بيت المقدس، فاتَّخذ لها مِحرابًا لا يدخله أحدٌ غيرها، فاجتهدت في العبادة أكثر من غيرها حتَّىٰ غبطها زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت لا تخرج إلَّا زمن حيضها أو لحاجةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ [مريم]، فبشَّرتها الملائكة باصطفاء الله عَزَّ وَجَلَّ لها: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ

وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[آل عمران]، ثمَّ بشرتها بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٥].

ثمَّ جاءها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[مريم]، ثمَّ نفخ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في جيبها، ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[الأنبياء:٩١]، فَنَزَلَتِ النَّفْخَةُ إِلَىٰ فَرْجِهَا فَانْسَلَكَتْ فِيهِ، ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بطنها ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾[مريم]؛ لأنَّها ضاقت بأمر حملها ذرعًا، وعلمت أنَّ النَّاس سيتكلَّمون في شأنها، وهذا فعلًا ما كان، حتَّىٰ اتُّهمت في عرضها وهي المُحصنة العفيفة، ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ أي: ألجأها واضطرَّها ﴿ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾، وكان ذلك ببيت لحم من أرض فلسطين، ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم:٢٣] تمنَّت الموت في وقت الفتنة، وهذا جائزٌ، وفي الحديث الَّذي أخرجه بعض أصحاب «السُّنن»: «**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**»، ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ أي: لم تُخلق بالكُلِّيَّة.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ جبريل أو عيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ أي: نهرًا تشربين منه، ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ﴾ بلسان الحال والإشارة: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾، وينبغي الإشارة إلىٰ أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا وُلد لم يمسَّه الشَّيطان، قال ﷺ: «**مَا مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**». مُتَّفقٌ عليه.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

أي: أمـرًا عظيمًـا مُنكرًا، قالوا: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ تشـبيهًا لها بهـارون النَّبيِّ ﷺ أو بغيـره في كثـرة العبـادة، أو أنَّ لهـا أخًـا حقيقيًّـا اسـمه هـارون، وقـد كان بنو إسـرائيل: «**يُسَـمُّونَ بِالْأَنْبِيَـاءِ وَالصَّالِحِيـنَ قَبْلَهُـمْ**». مُتَّفقٌ عليه.

ثـمَّ قالُـوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ أي: لسـت مـن بيتٍ شـيمتهم الفاحشـة -والعيـاذ بـالله-، فتوكَّلـت علـىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ أي: إلـىٰ عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن كلِّمـوه، ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾ لا يعقـل الخطـاب ولا يُحسـن الجـواب؟! فتكلَّـم عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهـو صبـيٌّ في المهـد، ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ فـكان أوَّل مـا تكلَّـم بـه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن شـهد لنفسـه بالعبوديَّـة لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾ والله عَزَّوَجَلَّ لا يختـار لنبوَّتـه مـن كان كما زعمـوا، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أدعو إلـىٰ عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحـده وتنزيهه عن كلِّ نقـصٍ، ﴿وَأَوۡصَٰنِي﴾ الله عَزَّوَجَلَّ ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ كمـا أوصىٰ عَزَّوَجَلَّ عبـاده، ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ فتأكَّد عليـه حقُّها لتمحُّض جهتهـا، ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢﴾ فلسـت بفـظٍّ ولا غليـظٍ، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ [مريـم]، وهـذه الأوقـات الثَّلاثـة الَّتـي ذكرهـا هي أشـدُّ مـا يكون علىٰ الإنسـان؛ لأنَّه ينتقـل في كلٍّ منهـا من عالـمٍ إلـىٰ عالـمٍ آخر.

صِفَتُه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

جـاءَ في الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليـه قَوْلُـه ﷺ: «**وَرَأَيْـتُ عِيسَـىٰ فَـإِذَا هُـوَ رَجُـلٌ رَبْعَـةٌ**» مُتَوَسِّـطُ القامَـةِ «**أَحْمَـرُ كَأَنَّمَـا خَـرَجَ مِـنْ دِيمَـاسٍ**» أي: حمَّـام، وعنـد البخـاريِّ: «**فَأَمَّـا عِيسَـىٰ فَأَحْمَـرُ جَعْدٌ**» شَـديدُ الخَلـقِ «**عَرِيضُ الصَّـدْرِ**»، وعند مسـلم: «**أَقْـرَبُ النَّاسِ بِهِ شَـبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْـعُودٍ الثَّقَفِيُّ**» صَحابِـيٌّ جَليلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانَ سَـيِّدَ ثَقيـفٍ، أسـلَمَ عقِـبَ غَزوَةِ الطَّائِفِ وحَسُـنَ إسـلامُهُ، ولَهُمـا: «**رَأَيْتُ رَجُـلًا آدَمَ**» أي: فيـه سُـمرَةٌ، «**كَأَحْسَـنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِـنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَـهُ لِمَّةٌ**» أي: شَـعرٌ مُتَدَلٍّ يُجاوِزُ شَـحمَةَ الأُذُنَينِ «**كَأَحْسَـنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَـمِ، قَدْ رَجَّلَهَا**»

أي: سرَّحَها بمِشطٍ «فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ»، ولهُما كذلِكَ: «وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ رَجُلًا مَرْبُوعًا» أي: مُتَوَسِّطَ القامَةِ «مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ» أي: مُسترسِلَ الشَّعرِ.

أَقْسَامُ النَّاسِ حَسَبَ اعْتِقَادِهِمْ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ولهذا فقد انقسم النَّاس في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ ثلاثة أقسام:

- قسمٌ فرَّطوا فيه فجعلوه ولد زنًىٰ -والعياذ بالله- وهم اليهودُ، قال تعالىٰ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[النِّساء].
- وقسمٌ أفرطوا فيه فجعلوه هو الله أو هو ابن الله وهم النَّصارىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١٧]، وقال: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التَّوبة:٣٠].
- وقسمٌ توسَّطوا فيه فاعتقدوه نبيًّا من أولي العزم من الرُّسل، لا يصحُّ إسلام امرئٍ حتَّىٰ يؤمن به وبنبوَّته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهؤلاءِ هم المُسلِمونَ.

بِعْثَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ثمَّ لمَّا شبَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خافت عليه أمُّه من اليهود، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[المؤمنون]، يُخبر تعالىٰ أنَّه برحمته آوىٰ عيسىٰ وأمَّه إلىٰ أرضٍ مُنبسطةٍ مُرتفعةٍ ذات خصبٍ وماءٍ،واختُلف أيُّ أرضٍ هي علىٰ أقوالٍ، فلمَّا بلغ ثلاثين من عمره أرسله الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ بني إسرائيل، وأنزل إليه الإنجيل، وفي حديث الطَّبرانيِّ والبيهقيِّ: «أُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ شديد الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، ففي الحديث المُتَّفق عليه: «رَأَىٰ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَىٰ: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَيَّ».

إيمانُ الحَوارِيِّينَ بِعيسَى عليه السلام:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصَّف].

وأيَّد الله عز وجل نبيَّه عيسىٰ عليه السلام بالآيات الدَّالَّة علىٰ صدقه، ومن ذلك: إحياؤه الموتىٰ بإذن الله، وشفاء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأنَّه كان يصنع من الطِّين كهيئة الطَّير فينفُخُ فيه، فيخلق الله فيه الرُّوح ويكون طيرًا حقيقةً، وأنَّه كان يُنبِّئ النَّاس بما يأكلونه وما يدَّخرونه في بيوتهم، فلمَّا أقام عيسىٰ عليه السلام الحُجج والبراهين علىٰ صحَّة نبوَّته، ودعا بني إسرائيل إلىٰ الإيمان به واتِّباعه استمرَّ أكثرهم علىٰ الكفر والعناد والطُّغيان، فانتدب الله عز وجل له منهم طائفةً كانوا له أنصارًا وأعوانًا، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾[الصَّف]، قيل: إنَّ النَّصارىٰ سُمّوا بذلك لأنَّهم نصروا عيسىٰ عليه السلام، وقيل: بل لأنَّ الحواريِّين كانوا بقريةٍ يُقال لها: النَّاصرة.

قِصَّةُ المائِدَة:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ

رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

وكان من أمر الحواريِّين أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرهم بصيام ثلاثين يومًا، فلمَّا أتمُّوها قالوا لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾، فخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها، ولا يُؤدُّوها حقَّ شروطها، فوعظهم وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾، فألحُّوا عليه و﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾، أي: نريد أن تطمئنَّ قلوبنا أنَّ الله تقبَّل صيامنا وأجاب طلبنا، فلمَّا لم يُقلعوا عن طلبهم قام عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مُصلَّاه ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم مائدةً حتَّىٰ استقرَّت بين يدي عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، و﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

رَفْعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران]، ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [النِّساء: ١٥٧].

واشتدَّت عداوة المُكذِّبين لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووشوا به عند الملك، وأرادوا قتله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران]، فقضىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُنجِّي عبده ويرفعه إليه، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران]، وشبَّه الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم فأخذوا غيره فصلبوه وقتلوه، قال عَزَّ وَجَلَّ عن اليهود: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [النِّساء: ١٥٧]، وصدَّقهم النَّصارىٰ في ذلك فادَّعوا أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مات مَصلوبًا، وهذا كلُّه كذبٌ

وزورٌ، وإنَّما رفعه الله إليه فهو في السَّماء إلىٰ أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، قال ﷺ في حديث المِعراج: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ، قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ». مُتَّفَقٌ عليه.

أخرَجَ النَّسائِيُّ في «الكُبرىٰ» والحاكِمُ وغَيرُهم عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَىٰ شَبَهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلَ مَكَانِي فَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ أَنْتَ، فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ رُفِعَ عِيسَىٰ مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلشَّبَهِ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَا شَاءَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَىٰ الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ».

نُزُولُه عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمَانِ:

وقد أُخبرنا بأنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يرجع إلىٰ الأرض في آخر الزَّمان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النِّساء:١٥٩] أي: بعد نزوله إلىٰ الأرض في آخر الزَّمان وقبل قيام السَّاعة، بل إنَّ نزوله عَلَيْهِ السَّلَامُ من علامات قُرب السَّاعة.

وجاء في أحاديث المسيح الدَّجَّال الصَّحيحة الَّتي ضمَّها الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في سياقٍ واحدٍ: «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ».

وقال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ».

وقال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ -أو: أَمَّكُمْ- مِنْكُمْ؟ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ - يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ - لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي الدَّجَّالُ جَبَلَ إِيلِيَاءَ، فَيُحَاصِرُ عِصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذَا الطَّاغِيَةِ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوهُ حَتَّىٰ تَلْحَقُوا بِاللهِ، أَوْ يُفْتَحَ لَكُمْ؟ فَيَأْتَمِرُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ إِذَا أَصْبَحُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ وَيُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ، فَيُصْبِحُونَ وَمَعَهُمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّ النَّاسَ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رَكْعَتِهِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللهُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ.

قَتْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَيَطْلُبُهُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَيَذْهَبُ عِيسَىٰ بِحَرْبَتِهِ نَحْوَ الدَّجَّالِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ

الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ، فَيُهْلِكُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقٍ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، وَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَيَقْتُلُونَهُمْ، فَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَىٰ بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ -لَا حَجَرٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا حَائِطٌ، وَلَا دَابَّةٌ- إِلَّا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ؛ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ.

بَعْدَ هَلَاكِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سِنِينَ سَبْعًا لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، فَيَكُونُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي أُمَّتِي مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مِلَّتِهِ، حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مَهْدِيًّا مُقْسِطًا، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَىٰ شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَىٰ الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَتَكُونَ الدَّعْوَةُ وَاحِدَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ» أي: مِن الدَّجَّالِ، «فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ.

خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ -وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ- فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنِشَابِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نِشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا، وَيُحْصَرُ

نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَمِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ».

وقال ﷺ: «طُوبَىٰ لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، طُوبَىٰ لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَيُؤْذَنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ، فَلَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَىٰ الصَّفَا لَنَبَتَ، وَلَا تَشَاحَّ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَىٰ الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، حَتَّىٰ يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا.

مَوْتُهُ عليه السلام وَدَفْنُهُ:

وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ، فَيَمْكُثُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ عِيسَى عليه السلام:

○ عيسَىٰ عليه السلام هـو آخِرُ نَبـيٍّ قبـلَ نبيِّنا ﷺ، قـالَ ﷺ في الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليه: «أَنَـا أَوْلَـىٰ النَّاسِ بِابْـنِ مَرْيَـمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَـلَّاتٍ، لَيْـسَ بَيْنِي وَبَيْنَـهُ نَبِيٌّ»، وهو آخِرُ مَـن أرسَـلَ اللَّـهُ سبحانه وتعالى مِن بَني يَعقـوبَ بنِ إسـحاقَ عليهما السلام، ثـمَّ انتقَلت الرِّسـالَةُ بعـدَه إلـىٰ مُحمَّدٍ ﷺ مِـن ذُرِّيَّةِ إسـماعيلَ عليه السلام.

○ ذكَـرَ اللهُ تَعالـىٰ عـن بَنـي إسـرائيلَ نِداءَهم لمريَـمَ بقَولِهـم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريـم:٢٨]، فظَـنَّ بَعـضُ النَّـاسِ أنَّهـا أُختُ موسـىٰ وهـارونَ ابنَي عِمـرانَ عليهما السلام، وهـذا خَطَأٌ شَـنيعٌ، فـإنَّ بينَهما زمَنًـا بَعيدًا وأنبِيـاءَ كَثيرًا، وإنَّمـا اختَلَفَ المُفَسِّـرونَ في وَجـهِ هذا النِّـداءِ علـىٰ أقوالٍ:

- أنَّها نِسبَةٌ لها إلىٰ الصَّلاحِ؛ لأنَّ أهلَ الصَّلاحِ كانوا يُسَمَّونَ هارونَ.
- أنَّها نُسِبَت إلىٰ هارونَ عليه السلام لأنَّها مِن ولَدِه.
- أنَّ لها أخًا اسمُه هارونُ، وكانَ بَنو إسرائيلَ يتَسَمَّونَ بأسماءِ أنبيائِهم تيَمُّنًا.

○ سُمِّيَ كُلٌّ مِن عيسىٰ عليه السلام والدَّجَّالُ الَّذي يخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ مَسيحًا:

- فأمَّـا عيسـىٰ عليه السلام فسُـمِّيَ مَسـيحًا بمَعنىٰ الماسِـحِ؛ لأنَّـه كانَ لا يَمسَـحُ ذا عاهَـةٍ إلَّا بَرِئَ بـإذنِ اللهِ.
- وأمَّـا الدَّجَّال فسُـمِّيَ مَسـيحًا بمَعنىٰ المَمسـوحِ؛ لأنَّ عينَه مَمسـوحَةٌ، فهو أعـوَرُ العَينِ.

○ ذُكِـرَ عيسـىٰ عليه السلام في عدَّةِ مَواضِـعَ مِن القرآنِ مَنسـوبًا إلـىٰ أُمِّه؛ كقَولِـه تَعالىٰ: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾[آل عمـران:٤٥]، ويُؤخَـذُ مِنه جَوازُ انتِسـابِ الإنسـانِ إلـىٰ أمِّـه إذا لـم يكُـن لـه أبٌ، وأخَذَ مِنهـا بَعضُ أهـلِ العِلـمِ أنَّ مَن لم يكُـن له أبٌ ولا عصَبَـةٌ عصَبَتْه أُمُّه.

○ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾[آل عمـران]، نزَلَـت هـذه الآيَـةُ في وَفـدِ نَجـرانَ مِن النَّصـارىٰ الَّذين قَدِمـوا علـىٰ النَّبـيِّ ﷺ، وكانـوا يُحاجُّـونَ النَّبـيَّ ﷺ، وقالـوا لـه: هـل رَأيـتَ مِثلَ عيسـىٰ أو أُنبِئـتَ بـه؟ فأمَـره جِبريـلُ عليه السلام أن يَتلُـوَ عليهـم هـذه الآيَـةَ، يَقـولُ اللهُ

عَزَّوَجَلَّ: إنَّ شَبَه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في خَلقي إيَّاه مِن غَيرِ أبٍ كشَبهِ آدَمَ الَّذي خَلقتُه مِن تُرابٍ ثمَّ قُلتُ له: (كُنْ) فكانَ مِن غَيرِ أبٍ ولا أُمٍّ.

❍ في قَولِه تَعالىٰ لمَريَمَ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾[مريم] أمرٌ بالتَّسَبُّبِ في الرِّزقِ، وتكَلُّفِ الكَسْبِ، فمع أنَّها في مَوضِعِ ضَعفٍ وقِلَّةِ حِيلَةٍ، ومع كَونِ النَّخلَةِ لا يَهُزُّها النَّفَرُ مِن الرِّجالِ الأَقوياءِ، جعَلَ اللَّهُ تَحريكَها سبَبًا لحُصولِ البَرَكَةِ ونُزولِ الرُّطَبِ، فلا يَنبَغي للإنسانِ أن يَقتَصِرَ علىٰ التَّوكُّلِ بقَلبِه والدُّعاءِ بلِسانِه، بل عليه مع ذلِكَ أن يَأخُذَ بالأسبابِ المُعتادَةِ، وفي هذه الآيَةِ كذلِكَ أَصلٌ لم يَقُله الأطِبَّاءُ، وهو أنَّ الرُّطَبَ فيه نَفعٌ للنُّفَساءِ.

❍ ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ في سِياقِ قِصَّةِ مريَمَ بنتِ عِمرانَ وابنِها عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً مِن آياتِه فقالَ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾، ولا شَكَّ أنَّ هذه آيَةٌ؛ لأنَّه ليس مِن عادَةِ البَشَرِ الكَلامُ في المَهدِ، فكانَ كَلامُه عَلَيْهِ السَّلَامُ خارِجًا عن العادَةِ، قالَ: ﴿وَكَهۡلٗا﴾ [آل عمران:٤٦] أي: فوقَ الغُلامِ ودونَ الشَّيخِ، والمَعنىٰ: يُكَلِّمُ النَّاسَ بوَحيِ اللَّهِ الَّذي يوحيهِ إليه، وبما فيه مِن أوامِرَ ونَواهِيَ، وقيلَ: هي آيَةٌ أُخرىٰ لعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أنَّه يَنزِلُ إلىٰ الأرضِ في آخِرِ الزَّمانِ، فيُكَلِّمُ النَّاسَ وهو يومَئِذٍ كَهلٌ، ويَلبَثُ في النَّاسِ -كما تقَدَّمَ- ما شاءَ اللَّهُ أن يَلبَثَ، ثمَّ يَقبِضُهُ اللَّهُ تَعالىٰ إليه.

❍ قالَ تَعالىٰ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨﴾[آل عمران]، فأمَّا الحِكمَةُ فهي الشَّريعَةُ، وأمَّا الكِتابُ فيحتَمِلُ مَعنيَينِ لا يتنافَيانِ:

- **الكِتابَةَ**: أي: حُسنَ الخَطِّ.
- **الكُتُبَ السَّابِقَةَ**: فيَكونُ قَولُه: ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨﴾ مِن بابِ عَطفِ الخاصِّ علىٰ العامِّ.

❍ يُستَفادُ مِن الآيَةِ السَّابقَةِ جَوازُ إطلاقِ لَفظِ الخَالِقِ علىٰ غَيرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾[المؤمنون]؛ لأنَّ خَلقَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخَلقُ الكامِلُ الَّذي يَكونُ مِن العَدَمِ.

○ قالَ تَعالىٰ علىٰ لِسانِ عيسىٰ ﷺ: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[آل عمران:٤٩]، هنا ثلاثُ مَراتِبَ:

- **المَرتَبَةُ الأولىٰ**: أنَّه ﷺ يُصَوِّرُ كمَثلِ الطَّيرِ وصورَتِه، فالخَلقُ هنا بمَعنىٰ التَّصويرِ، وليس بمَعنىٰ الإيجادِ مِن العَدَمِ، فالإيجادُ مِن العَدَمِ مِن خَصائِصِ رُبوبيَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولا يُشارِكُه فيها أَحَدٌ مُطلَقًا، وإنَّما كانَ عيسىٰ ﷺ يُصَوِّرُ مِن الطِّينِ علىٰ شَكلِ الطَّيرِ.
- **المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ**: أنَّه ﷺ كانَ يَنفُخُ فيه بإذنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشَّرعِيِّ، فيَخلُقُ اللهُ فيه الرُّوحَ بإذنِه الكَونِيِّ فيَصيرُ حَيًّا، وهذا مَعنىٰ قِراءَةِ الجُمهورِ: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾.
- **المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ**: قرَأَ نافِعٌ وأبو جعفَرٍ ويَعقوبُ: ﴿فَيَكُونُ طَائِرًا﴾ أي: أنَّ هذا الطَّيرَ بعدَ أن تُنفَخَ فيه الرُّوحُ يَطيرُ فيَصيرُ طائِرًا.

○ قالَ عيسىٰ ﷺ: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[آل عمران:٤٩]، وقالَ اللَّهُ تَعالىٰ في الآيَةِ الأُخرىٰ: ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾[المائدة:١١٠]، والجَمعُ بينَهما أنَّه ﷺ كانَ يُحيِي المَوتىٰ الَّذين علىٰ الأرضِ، وكذلِكَ الَّذين في باطِنِها فيُخرِجُهم مِنها، وقد يسأَلُ بَعضُ النَّاسِ: هل كانَ الَّذين يُحييهم عيسىٰ ﷺ بإذنِ اللَّه يَبقَونَ أحياءً بعدَ ذلِكَ أم أنَّهم يَعودونَ أمواتًا؟! وهذا سُؤالٌ لا يَنبَغي؛ لأنَّه مِن أُمورِ الغَيبِ الَّتي يُنهىٰ عن الخَوضِ فيها، ويُقتَصَرُ علىٰ ما جاءَ في الأخبارِ الصَّحيحَةِ عن المَعصومِ.

○ قالَ تَعالىٰ علىٰ لِسانِ عيسىٰ ﷺ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾[آل عمران:٤٩]، والحِكمَةُ مِن إخبارِهم بذلِكَ:

- إطلاعُهم علىٰ أنَّه ﷺ يأتيه الوَحيُ مِن اللهِ بذلِكَ.
- تَحذيرُهم مِن أن يَأكُلوا شيئًا مُحرَّمًا عليهم، ولعلَّه لهذا قالَ بعدَها: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[آل عمران:٥٠].

○ ممَّا فُضِّلَ به عيسىٰ ﷺ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خاطَبَه بقَولِه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[آل عمران]، فمُجَرَّدُ المُخاطَبَةِ بالخُصوصِ مَزِيَّةٌ، لكنَّه زادَه عليها أن رفَعَه وطهَّرَه.

❍ يَدخُلُ في قَولِ عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [آل عمران:٥٠] ما كانَ اللهُ قد حرَّمَه علىٰ اليَهودِ ممَّا حرَّمَ يَعقوبُ عليه السلام علىٰ نَفسِه، قالَ تَعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ [آل عمران:٩٣]، ومِن ذلِكَ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ﴾ [الأنعام:١٤٦]، وسبَبُ هذا التَّشديدِ عليهم هو ظُلمُهم، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النِّساء:١٦٠]، فلمَّا جاءَ عيسىٰ عليه السلام رفَعَ عنهم الإصرَ وأحَلَّ لهم ذلِكَ.

❍ قالَ تَعالىٰ علىٰ لِسانِ عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [آل عمران:٥٠]، والتَّصديقُ هنا له مَعنَيانِ صَحيحانِ:

- أنَّه شاهِدٌ بِصِدقِ التَّوراةِ وأنَّها حَقٌّ.
- أنَّه مُطابِقٌ لِما أخبَرَت به.

❍ لمَّا نادىٰ عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾؟ أجابَه الحَوارِيُّون: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران:٥٢]، ويُؤخَذُ مِن هذا جَوازُ إِشهادِ المُسلِمِ علىٰ نَفسِه بالإيمانِ والإسلامِ ونَحوِ ذلِكَ، ولا يَكونُ ذلِكَ رِياءً، لاسِيَما إذا كانَ في سِياقِ بَيانِ الاتِّباعِ؛ لأنَّ فيه تَقوِيَةً للمَتبوعِ وشَدًّا علىٰ يَدَيه.

❍ قالَ الحَوارِيُّونَ لعيسىٰ عليه السلام: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة:١١٢]، وفيها قِراءَتانِ:

- قَرَأَ الجُمهورُ: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾؟ أي: هل يَستَجيبُ لك رَبُّكَ إن سأَلتَه فيُنَزِّلَ علينا المائِدَةَ؟
- قَرَأَ الكِسائِيُّ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾؟ وتَقديرُ الكلامِ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ؟

والَّذي يظهَرُ -واللهُ أعلَمُ- أنَّهم سأَلوا ذلِكَ لتَطمَئِنَّ نُفوسُهم، لا تكذيبًا مِنهم بقُدرَةِ اللهِ عز وجل علىٰ ما سَأَلوه، ولهذا قالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ

قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾[المائدة].

❍ قالَ تعالىٰ عن الَّذين كفروا بعيسىٰ عليه السلام: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران]، واللهُ عز وجل لا يَجوزُ أن يوصَفَ بالمَكرِ مُطلَقًا؛ لأنَّ ذلِكَ ليس كمالًا، وإنَّما يُقالُ: اللهُ سبحانه وتعالى ماكِرٌ بالماكِرينَ، فإنَّ المَكرَ يكونُ حينئِذٍ صِفَةَ كَمالٍ؛ لأنَّ فيه مُجازاةً لهم بما هو مِن جِنسِ فِعلِهم، كما أنَّه دَليلٌ علىٰ كَمالِ قُوَّةِ اللهِ عز وجل وإحاطَتِه بخَلقِه.

❍ لمَّا سأَلَ الحَوارِيُّونَ اللهَ عز وجل أن يُنَزِّلَ عليهم المائِدَةَ ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[المائدة]، وفي هذا خَطَرُ طَلَبِ الآياتِ مِن الأُمَمِ، وأنَّه إذا جاءَت الآياتُ المَطلوبَةُ فقد عَرَّضوا أنفُسَهم للهَلاكِ.

❍ اختَلَفَ العلماءُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[آل عمران] علىٰ أقوالٍ:

- أنَّها بمَعنىٰ القَبضِ، أي: رفَعَه اللهُ إليه مِن غَيرِ مَوتٍ.
- أنَّ رَفعَ عيسىٰ عليه السلام كانَ وهو نائِمٌ، قالوا: ومِن تَفضيلِ اللهِ سبحانه وتعالى لنَبيِّه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أنَّه أسرىٰ به يَقظَةً لا مَنامًا.
- أنَّ الآيَةَ فيها تَقديمٌ وتَأخيرٌ، وأنَّ الوَفاةَ تَكونُ بعدَ إنزالِه في آخِرِ الزَّمانِ.

❍ قالَ تَعالىٰ مُبَشِّرًا عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾[آل عمران:٥٥]، فأمَّا أتباعُه عليه السلام قبلَ مَبعَثِ نَبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فهم النَّصارىٰ الَّذين بَقوا علىٰ الدِّينِ الحَقِّ، وأمَّا بَعدَ مَبعَثِ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فإنَّ أُمَّةَ مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم هم أتباعُ عيسىٰ عليه السلام؛ لأنَّهم هم الَّذين أخَذوا بوَصِيَّتِه، وبالميثاقِ الَّذي أخَذَه اللَّهُ عز وجل عليه وعلىٰ بَقِيَّةِ الأنبياءِ عليهم السلام، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾[آل عمران:٨١].

❍ سُمِّيَ النَّصارىٰ بذلِكَ:

- مِن النُّصرَةِ؛ لأنَّهم ناصَروا عيسىٰ عليه السلام.
- نِسبَةً إلىٰ قَريَةِ النَّاصِرَةِ في فِلسطينَ، يُقالُ إنَّ عيسىٰ عليه السلام وُلِدَ بها.

❍ غَلا النَّصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام حتَّىٰ جَعَلوه هو اللَّهَ، أو هو ابنُ اللَّهِ، تَعالىٰ

اللَّهُ عن قَولِهم عُلُوًّا كبيرًا، وذلِكَ كُفرٌ صَريحٌ بنَصِّ القرآنِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾[المائدة:٧٢]، وقالَ في الآيَةِ الَّتي بعدَها: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، وهذا معلومٌ مِن الدِّينِ بالضَّرورَةِ لا يَمتَري فيه اثنانِ مِن أهلِ الإسلامِ، وقد نبَتَت نابتَةٌ مُغرِضَةٌ في زَمانِنا هذا، لَبِسوا ثوبَ العُلَماءِ، وادَّعَوا أنَّ النَّصارىٰ بعد نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ يَدخُلونَ الجنَّةَ ولو لم يُؤمِنوا به، فليَعلَم أولَئِكَ ومَن اغترَّ بهم أنَّ مَن لم يُكفِّرِ الكافِرَ المَعلومَ كُفرُه بالضَّرورَةِ فإنَّه يَخرُجُ بذلِكَ مِن الإسلامِ جُملَةً واحِدةً؛ لأنَّه مُكَذِّبٌ لصَريح القرآنِ، نَعوذُ باللَّهِ مِن الخِذلانِ.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾؟! وهذا السُّؤالُ يُرادُ به توبيخُ القائِلينَ بذلِكَ، وإلَّا فإنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ يعلَمُ أنَّ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يقُل لهم ذلِكَ، قالَ تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٧٩]، ولِهذا أجابَ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بقَولِه: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾[المائدة:١١٦].

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾[المائدة:٤٧]، وهذا أمرُ وُجوبٍ، واستَدَلَّ بَعضُ الجُهَّالِ به علىٰ أنَّ النَّصارىٰ بعدَ مَبعَثِ مُحمَّدٍ ﷺ يسَعُهم أن يعمَلوا بالإنجيلِ الَّذي بينَ أيديهم، وأنَّه لا يَلزَمُهم الإيمانُ بالنَّبيِّ ﷺ، وهذا غلَطٌ، فإنَّ الإنجيلَ الَّذي أُنزِلَ علىٰ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأُمِروا بالعَمَلِ به هو الَّذي فيه البِشارَةُ بمُحمَّدٍ ﷺ والأمرُ باتِّباعِه، فلا يَصِحُّ القَولُ بأنَّهم حكَّموه حتَّىٰ يُؤمِنوا بمحمَّدٍ ﷺ ويتَّبِعوا ما جاءَ به.

❍ قالَ تعالىٰ عن النَّصارىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، ولم يَقُل: (مِن النَّصارىٰ)، وذلِكَ إلزامًا لهم بما ادَّعَوه، ﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ نِسيانَ عمَلٍ، أي: ترَكوه ولم يَعمَلوا به، ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ عِقابًا لهمٍ علىٰ ترَكِهم ما أُمِروا به مِن اتِّباعِ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[المائدة:١٤]، وذلِكَ هو حالُهم المُشاهَدُ اليَومَ، تَحسَبُهم جَميعًا وهم شَتَّىٰ، فرَّقَ اللَّهُ شَملَهم، ونصَرَ حِزبَه المُؤمِنينَ عليهم.

اخْتِبَارٌ في قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى عليهم السلام:

[١] اختَرِ مِنَ القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِنَ القائِمَةِ اليُسرىٰ:

لَقَبُ عيسَىٰ عليه السلام هو:	كانَ يَمسَحُ علىٰ الأكمَهِ والأبرَصِ فيُشفَيانِ بإذنِ اللهِ.
لُقِّبَ بالمَسيحِ لأنَّهُ:	أُمِّهِ؛ لأنَّهُ لا أبَ لهُ.
يُنسَبُ عيسَىٰ عليه السلام إلىٰ:	المَسيحُ، وكلِمَةُ اللهِ، وروحُ اللهِ.
في نِسبَتِهِ إلىٰ أُمِّهِ:	بَني إسرائيلَ.
الكِتابُ الَّذي أُنزِلَ إليه هو:	لا يَذكُرُ في حديثِ الشَّفاعَةِ ذَنبًا.
هو آخِرُ الأنبياءِ مِن:	الإنجيلُ مُصدِّقًا لما في التَّوراةِ.
يَنزِلُ عيسَىٰ:	الإسلامُ؛ كبَقِيَّةِ الأنبياءِ.
مِن فَضائِلِهِ أنَّه:	في آخِرِ الزَّمانِ.
دينُ عيسَىٰ عليه السلام هو:	الحَوارِيِّينَ.
الطَّائِفَةُ الَّتي آمنت به مِن بَني إسرائيلَ يُسَمَّونَ:	آيَةٌ له.

[٢] مَعنىٰ قَولِ أمِّ مريمَ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ أنَّ الذَّكرَ: ❍ أفضَلُ مِنَ الأنثىٰ مُطلقًا. ❍ أقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ الَّذي نذَرَت مَولودَها له.

[٣] ممَّا ثبَتَ في الحَديثِ الصَّحيحِ أنَّ زكَرِيَّا عليه السلام: ❍ كانَ نجَّارًا. ❍ رعىٰ الغنَمَ كسائِرِ الأنبياءِ. ❍ كلاهما صحيحٌ.

[٤] سُمِّيَ يحيىٰ عليه السلام بذلِكَ: ❍ لأنَّ اللهَ أحيا بسَبَبِه عُقمَ أُمِّه. ❍ لأنَّ اللهَ أحيا بسَبَبِه الشَّرعَ. ❍ لما سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّه شَهيدٌ، والشُّهَداءُ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم. ❍ الجميعُ.

[٥] كُلُّ مَن ذُكِرَ في القُرآنِ بوَصفِ النُّبُوَّةِ فهو رَسولٌ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] قَولُ المَلائِكَةِ لمَريَمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ يدُلُّ علىٰ نُبُوَّتِها: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٧] قصَّةُ إلقاءِ الأقلام بكَفالَةِ مريَمَ: ❍ وردَت عند أهلِ الكِتابِ. ❍ لم تَرِد عندَهم فهي دليلٌ علىٰ صِدقِ محمَّدٍ ﷺ.
[٨] نبيٌّ صامَ عن الكَلامِ لمُدَّة ثلاثةِ أيَّام: ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.
[٩] مَن هو كَفيلُ مَريمَ بنتِ عِمرانَ؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ هارونُ.
[١٠] مَن هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بروح الله؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.
[١١] مَن هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بالمَسيحِ؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.
[١٢] النَّبيُّ الَّذي بقِيَ حيًّا حتَّىٰ الآنَ: ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.
[١٣] أيُّ هؤُلاء الأنبياءِ ذُكِرَ اسمُهُ أكثرَ في القُرآنِ؟ ❍ عيسَىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ يحيىٰ. ❍ هارونُ.
[١٤] أكثَرُ اسمٍ ذُكِرَ به في القُرآنِ هو: ❍ عيسَىٰ. ❍ عيسَىٰ بن مَريَم.
[١٥] وَرِدَ ذِكرُ عيسَىٰ عليه السلام في القُرآنِ باسمِ: ❍ عيسَىٰ. ❍ عيسَىٰ بن مَريَمَ. ❍ ابنِ مَريَمَ. ❍ الجَميعُ. ❍ الجَميعُ إلَّا الأخيرُ.
[١٦] أشبَهُ النَّاسِ بعيسَىٰ عليه السلام؟ ❍ عُروَةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ. ❍ عبدُ اللَّهِ بنُ مَسعودٍ. ❍ تَميمٌ الدَّارِيُّ.
[١٧] لُقِّبَ عيسىٰ عليه السلام بـ: ❍ كلمَةِ اللَّهِ. ❍ روح اللَّهِ. ❍ كلاهما.
[١٨] مِن فَضائلِ عيسَىٰ عليه السلام أنَّه في حَديثِ الشَّفاعَةِ لا يذكُرُ لنَفسِه ذنبًا كغيرِه: ❍ صح. ❍ خَطأ.
[١٩] مِن افتِراءِ النَّصارىٰ في عيسَىٰ عليه السلام قَولُهم بأنَّه: ❍ هو اللَّهُ. ❍ ابنُ اللَّهِ. ❍ ثالثُ ثلاثَةٍ. ❍ الجميع.
[٢٠] قالَت مريَمُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ﴾، وهذا مِن بابِ: ❍ تمَنِّي المَوتِ المَمنوعِ شرعًا. ❍ تمَنِّي المَوتِ في وَقتِ الفِتنَةِ، وهو جائزٌ.
[٢١] قَولُهم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾، يَقصِدون: ❍ تَشبيهَها بهارونَ النَّبيِّ عليه السلام في كثرَةِ العبادَةِ. ❍ أخًا لها اسمُه هارونُ. ❍ أنَّها أُختُ هارونَ وموسَىٰ عليهما السلام. ❍ يَحتَمِلُ الأوَّلَ والثَّاني.
[٢٢] وافَقَ النَّصارىٰ اليَهودَ في ادِّعائِهم أنَّ عيسىٰ صُلِبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] وصَفَ النَّبيُّ ﷺ عيسىٰ عليه السلام أكثَرَ مِن غَيرِه مِن الأنبياءِ حتَّىٰ نعرِفَه إذا نزَلَ في آخِرِ الزَّمانِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٤] سُمِّيَ النَّصارىٰ بذلِكَ: ❍ لأنَّهم نصروا عيسىٰ عليه السلام. ❍ لأنَّ الحواريِّين كانوا بقريةٍ يُقال لها: النَّاصرة. ❍ كلاهما.

[٢٥] سألَ الحَوارِيُّون عيسىٰ عليه السلام أن يسألَ اللهَ إنزالَ مائِدَةٍ مِن السَّماءِ يَطعَمونَ مِنها: ❍ لأنَّهم كانوا مُكَذِّبينَ له. ❍ لتطمئنَّ قلوبُهم ويَثبُتَ الإيمانُ فيها.

[٢٦] ممَّا يفعَلُه عيسىٰ عليه السلام في آخِرِ الزَّمانِ: ❍ قتلُ الخِنزيرِ. ❍ كسرُ الصَّليبِ. ❍ قتلُ المَسيحِ الدَّجَّالِ. ❍ الحُكمُ بشَريعَةِ محمَّدٍ ﷺ. ❍ إمامَةُ المُسلمينَ. ❍ الدُّعاءُ علَىٰ يأجوجَ ومَأجوجَ. ❍ الجميع.

[٢٧] إحياءُ المَوتىٰ مِن خَصائصِ الرُّبوبِيَّةِ ونَفخُ عيسىٰ عليه السلام في الطَّيرِ مُجرَّدُ سببٍ جعلَه اللهُ عز وجل ليَكونَ آيةً له: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٨] اربط كُلَّ آيَةٍ مِن آياتِ عيسَىٰ عليه السلام بدليلِها:

يُكلِّمُ النَّاسَ وهو رضيعٌ:	﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾.
يُحيي المَوتىٰ، ويُشفي الأكمَهَ والأبرَصَ، ويصنَعُ مِن الطِّينِ علىٰ شَكلِ الطَّيرِ وينفُخُ فيه فيكونُ طَيرًا، ويُنبِّئُ النَّاسَ بما يأكُلونَ وما يَدَّخِرونَ في بُيوتِهم بإذنِ اللهِ:	﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾.
رفَعَه اللهُ إليه، ولم يُصلَبْ:	﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا﴾.
يَعودُ إلىٰ الأرضِ في آخِرِ الزَّمانِ فيَقتُلُ الدَّجَّالَ، ويُؤمِنُ به أهلُ الكِتابِ:	﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾.
أنزَلَ لبَني إسرائيلَ مائِدةً من السَّماءِ:	﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾.

آخِرُ الأَنْبِيَاءِ محمَّدٌ ﷺ :

نَسَبُهُ ﷺ :

هو ﷺ مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بن هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعبِ بن لُؤيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمَةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بن نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ، وعَدنانُ مِن ولَدِ إسماعيلَ الذَّبيحِ بنِ إبراهيمَ الخَليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهو ﷺ خيرُ أهلِ الأرضِ نسبًا علىٰ الإطلاقِ، وفي الحديثِ أنَّ هِرَقْلَ -مَلِكَ الرُّومِ- قالَ لأبي سُفيانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا**». مُتَّفقٌ عليه.

اصطفاؤه ﷺ :

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**». أخرجه مسلمٌ.

أسماؤه ﷺ :

كلُّها نعُوتٌ، وليسَت أعلامًا مَحضَةً تُفيدُ مُجرَّدَ التَّعريفِ، بل هي أسماءٌ مُشتقَّةٌ مِن صِفاتٍ قائِمَةٍ به تُوجِبُ له المَدحَ والكَمالَ، ومنها:

مُحمَّدٌ : وهو أشهَرُ أسمائِهِ ﷺ، وبه سُمِّيَ في التَّوراةِ صَريحًا. ومَعناهُ: (كَثيرُ الخِصالِ الَّتي يُحمَدُ عليها).

أَحْمَدُ : أي: أَحمَدُ الخَلقِ للهِ، ويَحمَدُه أهلُ السَّماءِ والأرضِ وأهلُ الدُّنيا والآخِرَةِ لكَثرَةِ خِصالِهِ، وهو الاسمُ الَّذي سمَّاه به المسيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المُتَوَكِّلُ : سُمِّيَ به لأنَّه توكَّلَ علىٰ اللهِ في إقامَةِ الدِّينِ تَوَكُّلًا لم يَشرَكْهُ فيه غيرُه.

أسماؤه ﷺ	المَاحِي:	الَّذي يَمحُو اللهُ به الكُفرَ، ولم يُمْحَ الكُفرُ بأحَدٍ كما مُحِيَ به.
	الحَاشِرُ:	الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ علىٰ قَدَمَيهِ، فكأنَّهُ بُعِثَ لِيَحشُرَ النَّاسَ.
	العَاقِبُ:	الَّذي ليسَ بعدَهُ نبيٌّ، فهو بمَنزِلَةِ الخاتِمِ.
	المُقَفِّي:	الَّذي قَفَىٰ علىٰ آثَارِ مَن تَقَدَّمَهُ، فقَفَّىٰ اللهُ به علىٰ آثَارِ مَن سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ.
	نَبِيُّ التَّوبَةِ:	الَّذِي فتَحَ اللهُ به بابَ التَّوبَةِ علىٰ أهلِ الأرضِ، فتابَ عليهِم تَوبَةً لم يحصُلْ لهم مِثلُها قَبلَهُ، وكانَ ﷺ أكثَرَ النَّاسِ استِغفَارًا وتَوبَةً.
	نَبِيُّ المَلْحَمَةِ:	الَّذِي بُعِثَ بجِهادِ أعداءِ اللهِ، فلم يُجاهِدْ نبيٌّ وأمَّتُهُ قَطُّ ما جاهَدَ رَسولُ اللهِ مُحمَّدٌ ﷺ وأمَّتُهُ، والمَلاحِمُ الكِبارُ الَّتي وَقَعَتْ لم يُعهَدْ مِثلُها قَبلَه.
	نَبِيُّ الرَّحْمَةِ:	الَّذِي أرسَلَهُ اللهُ رَحمَةً للعَالَمينَ، فرَحِمَ به أهلَ الأرضِ كُلَّهُم، فأمَّا المُؤمِنونَ فنالوا النَّصيبَ الأوفَرَ مِن الرَّحمَةِ، وأمَّا الكُفَّارُ فأهلُ الكِتابِ مِنهُم عاشُوا في ظِلِّهِ، وتحتَ حَبلِهِ وعَهدِهِ.
	الفَاتِحُ	فَتَحَ اللهُ بِهِ بابَ الهُدَىٰ بعدَ أن كانَ مُرتَجًا، وفتَحَ به الأَعيُنَ العُمْيَ، والآذانَ الصُّمَّ، والقُلوبَ الغُلفَ، وفتَحَ اللهُ به أمصَارَ الكُفَّارِ، وفتَحَ به أبوابَ الجنَّةِ، وفتَحَ به طُرُقَ العِلمِ النَّافعِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.
	الأَمِينُ	هو أحَقُّ العالَمينَ بهذا الاسمِ، فهو أَمينُ اللهِ علىٰ وَحيِهِ ودِينِهِ، وهو أَمينُ مَن في السَّماءِ، وأَمينُ مَن في الأرضِ؛ بل إنَّ كفَّارَ قُرَيشٍ سَمَّوهُ الأَمينَ قَبلَ أن يُبعَثَ رَسولًا.

أسماؤه ﷺ	البشير النذير:	المُبَشِّرُ لمَن أطاعَهُ بالثَّوابِ، والنَّذيرُ لمَن عَصاهُ بالعِقابِ.
	سيد ولد آدم:	قال ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**». أخرجه التِّرمذيُّ وابن ماجه.
	السراج المنير:	الَّذي يُنيرُ مِن غيرِ إحراقٍ، بخِلافِ الوَهَّاجِ فإنَّ فيه نَوعَ إحراقٍ.
		وهو عَبدُ اللهِ، له عُبوديَّةٌ خاصَّةِ الخاصَّةِ؛ لأنَّهُ ﷺ كمَّلَ مَراتِبَ العُبودِيَّةِ.

أوصافه ﷺ إجمالاً:	أكمَلُ وَصفِهِ ﷺ هو ما وَصَفَ به نفسَهُ، قالَ ﷺ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**». أخرجه أحمد.
	كانَ ﷺ أحسَنَ النَّاسِ خَلْقًا وخُلُقًا، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[القلم]، وأخرج مسلمٌ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ**»، يَعمَلُ بِهِ، ويَقِفُ عِندَ حُدودِهِ؛ فيَرضَىٰ لِرِضاهُ، وَيَسخَطُ لِسَخَطِهِ.
	وهو خَليلُ اللهِ، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**». أخرجه مسلمٌ.

أوصافُه ﷺ الخَلْقيَّة:	جَسَدُه الشَّريفُ:	أخرج مسلمٌ عن أنسٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ» أي: أَبيَض مُسْتَدِيرًا «كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً» نوعٌ نَفيسٌ مِن الحَرير «وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».
	قامَتُه:	قالَ البَراءُ بنُ عازِبٍ رضي الله عنهما: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا» أي: مُتوسِّطَ القامَةِ «بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه.
	وَجهُه:	قالَ كَعبُ بنُ مالِكٍ رضي الله عنه: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه. وعند البخاريِّ عن البَراءِ رضي الله عنه أنَّ وجهَه مُستَديرٌ: «مِثْلَ الْقَمَرِ».
	شَعرُه:	أخرج البخاريُّ عن أَنسٍ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ شَعْرُ النَّبِيِّ ﷺ رَجِلًا لَا جَعْدَ» أي: لا التِواءَ فيهِ ولا تقبُّض، «وَلَا سَبِطَ» أي: ولا مُسترسِلَ.
	فَمُه وعَيناه:	أخرج مسلمٌ عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ» أي: واسِعَهُ، «أَشْكَلَ الْعَيْنِ» أي: فيهِ حُمرَةٌ في بَياضِ العَينَينِ، «مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ» أي: قَليلَ لَحمِ العَقِبِ.
	عَرَقُه:	أخرج مسلمٌ عن أَنسٍ رضي الله عنه: «دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ» أي: نامَ نَومَةَ القَيلولَةِ «عِنْدَنَا، فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ» أي: تجمَعُ «الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؛ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ».

	خاتمُ النبوَّةِ:	كانَ لـه خاتَـمُ النُّبُـوَّةِ بيـنَ كَتِفَيـهِ، وهو شَـيءٌ بـارِزٌ في جَسَـدِهِ ﷺ؛ كالشَّـامَةِ، أخـرج مسـلمٌ عـن جابِـرِ بـنِ سَـمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّـه قـالَ: «وَرَأَيْـتُ الْخَاتَـمَ عِنْـدَ كَتِفِـهِ مِثْـلَ بَيْضَـةِ الْحَمَامَةِ، يُشْـبِهُ جَسَـدَهُ».
أوصافُه ﷺ الخلقيَّةُ:	إجلالُ أصحابِه لَهُ:	أخرج مسلمٌ عن عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ»، عند البخاريِّ أنَّ عُروَةَ بنَ مَسعودٍ الثَّقَفِيَّ قال يَصِفُهُ ﷺ لقُرَيشٍ يومَ الحُدَيبِيَةِ: «واللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، واللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بِهَا وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لهُ».
	أدبُه مع اللهِ:	أخـرج أحمـد وأبو داود عن عبـدِ اللهِ بنِ الشِّـخِّيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْنَـا: أَنْتَ سَـيِّدُنَا، فقَـالَ: «السَّـيِّدُ اللهُ»، قُلْنَـا: وَأَفْضَلُنَـا وَأَعْظَمُنَا طَـوْلًا، قَالَ: «قُولُـوا بِقَوْلِكُـمْ -أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُـمْ-، وَلَا يَسْـتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ».
	شجاعتُه:	قـالَ عَلِـيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُنَّـا إِذَا حَمِـيَ الْبَـأْسُ وَلَقِـيَ الْقَـوْمُ الْقَـوْمَ اتَّقَيْنَـا بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَـلَا يَكُونُ أَحَـدٌ مِنَّا أَدْنَـىٰ إِلَىٰ الْقَوْمِ مِنْـهُ». أخرجه أحمـد والحاكم.
	خشيتُه:	أخـرج البخـاريُّ عـن أنـس بـن مالـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّـه ﷺ قـال: «أَمَـا وَاللهِ إِنِّـي لَأَخْشَـاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُـمْ لَـهُ».
	إحسانُه لأهلِه:	قـالَ ﷺ: «خَيْرُكُـمْ خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـهِ، وَأَنَـا خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـي». أخرجـه أبـو داود والتِّرمـذيُّ.

أوصافه ﷺ الخلقية:	حياؤه:	قالَ أبو سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ». مُتَّفقٌ عليه.
	تيسيره:	قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه.
	لا ينتقم لنفسه:	تتمَّة الحديث السَّابق: «وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّىٰ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ».
	لا يعيب الطعام:	أخرج مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ».
	يقبل الهدية:	أخرج البخاريُّ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا».
	لا يأكل الصدقة:	أخرج الشَّيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه ﷺ قال: «إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ».
	تواضعه:	قالَ عُقبةُ بنُ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تَرْعُدُ فَرَائِصُهُ، فقالَ لَهُ ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ». أخرجه ابن ماجه.
	خدمته أهله:	عن الأسودِ بنِ يزيدَ رَحِمَهُ اللهُ قالَ: سألتُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ». أخرجه البخاريُّ.
	تغافله عن الجاهلين:	«أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ». أخرجه البخاريُّ.

أوصافه ﷺ الخلقية:	صدقه:	قـالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدَّثَنا رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْـدُوقُ. مُتَّفقٌ عليه.
	خلقه مع خادمه:	قـالَ أنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْـرَ سِـنِينَ، فَمَـا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلَا لِـمَ صَنَعْتَ، وَلَا أَلَّا صَنَعْـتَ**». مُتَّفقٌ عليه.
	عدم تميزه ﷺ عن أصحابه بشيء، وكونه واسع الصدر رحبه:	أخرج البخاريُّ عن أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشْتَدٌّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلْ مَا بَدَا لَكَ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ؛ آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.
	خبزه:	أخرج مسلمٌ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**».
	زهده في الدنيا:	عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه ﷺ قال: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**». مُتَّفقٌ عليه.

<table dir="rtl">
<tr>
<td rowspan="3">أوصافُهُ ﷺ الخُلُقيَّةُ:</td>
<td>لا يشتُمُ:</td>
<td>قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَمْ يَكُنْ ﷺ فاحِشًا وَلَا مُتفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ». أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.</td>
</tr>
<tr>
<td>مع النِّساءِ:</td>
<td>قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ». مُتَّفقٌ عليه.</td>
</tr>
<tr>
<td>مَسكَنُهُ وعيشتُهُ:</td>
<td>أخرج مسلمٌ عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَىٰ حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَىٰ عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ... قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، فَقَالَ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ؛ وَمَالِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَىٰ فِيهَا إِلَّا مَا أَرَىٰ، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَىٰ فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؛ أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَىٰ.</td>
</tr>
<tr>
<td rowspan="3">هديُهُ ﷺ في اللِّباسِ والطَّعامِ والشَّرابِ:</td>
<td>أَحبُّ الألوانِ إِليهِ:</td>
<td>كَانَ أَحَبَّ الْأَلْوَانِ إِلَيْهِ الْبَيَاضُ، وَقَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». أخرجه أبو داود والتِّرمذيُّ.</td>
</tr>
<tr>
<td>لباسُهُ:</td>
<td>مَا تَيَسَّرَ مِنَ اللِّبَاسِ، مِنَ الصُّوفِ تَارَةً، وَالْقُطْنِ تَارَةً، وَالْكَتَّانِ تَارَةً، وَكَانَ إِذَا لَبِسَ قَمِيصَهُ بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ.</td>
</tr>
<tr>
<td>وسطيَّتُهُ:</td>
<td>قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ الشُّهْرَتَيْنِ مِنَ الثِّيَابِ الْعَالِي وَالْمُنْخَفِضِ)، وَلأبي داود عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ثُمَّ تَلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ»؛</td>
</tr>
</table>

هَدْيُهُ ﷺ فِي اللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ:

وَسَطِيَّتُهُ: لِأَنَّـهُ قَصَـدَ بِهِ الِاخْتِيَـالَ وَالْفَخْـرَ فَعَاقَبَـهُ اللهُ، وَعَنِ ابْـنِ عُمَرَ رضي الله عنهما كذلـك أَنَّـه ﷺ قَـالَ: «**مَـنْ جَـرَّ ثَوْبَهُ خُيَـلَاءَ لَـمْ يَنْظُـرِ اللهُ إِلَيْـهِ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ**». مُتَّفَـقٌ عليه.

طَعَامُهُ ﷺ: كَانَ لَا يَرُدُّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا، فَمَا قُرِّبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا أَكَلَهُ، إِلَّا أَنْ تَعَافَهُ نَفْسُهُ فَيَتْرُكَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمٍ، وقد أخرج الشَّيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ**»، كَمَا تَرَكَ أَكْلَ الضَّبِّ لَمَّا لَمْ يَعْتَدْهُ.

صِفَةُ أَكْلِهِ ﷺ:

- كَانَ مُعْظَمُ مَطْعَمِهِ يُوضَعُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فِي السُّفْرَةِ.
- وَكَانَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ، وَلَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا.
- وَكَانَ يُسَمِّي اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَوَّلِ طَعَامِهِ، وَيَحْمَدُهُ فِي آخِرِهِ.
- وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ لَعِقَ أَصَابِعَهُ.

مَشْرَبُهُ: كَانَ أَكْثَرُ شُـرْبِهِ قَاعِـدًا، بَـلْ زَجَـرَ عَـنِ الشُّـرْبِ قَائِمًـا، وَجَـوَازُهُ لِعُـذْرٍ يَمْنَـعُ مِنَ الْقُعُـودِ، وكَانَ إِذَا شَـرِبَ نَاوَلَ مَنْ عَلَـىٰ يَمِينِهِ وَإِنْ كَانَ عَلَـىٰ يَسَـارِهِ أَكْبَـرَ مِنْهُ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي النِّكَاحِ وَالْمُعَاشَرَةِ:

- قَالَ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». أخرجه النَّسائيُّ.
- وَكَانَ يَقْسِمُ بَيْنَهُنَّ فِي الْمَبِيتِ وَالْإِيوَاءِ وَالنَّفَقَةِ.
- أخرج الشَّيخان عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ**»، وَلَمْ يَقْضِ لِلْبَوَاقِي شَيْئًا.
- وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مَعَ أَزْوَاجِهِ حُسْنَ الْمُعَاشَرَةِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ.
- وَكَانَ يُسَرِّبُ إِلَىٰ عَائِشَةَ رضي الله عنها بَنَاتِ الْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا، وَكَانَ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئًا لَا مَحْذُورَ فِيهِ تَابَعَهَا عَلَيْهِ.
- وَكَانَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِهَا وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرُبَّمَا كَانَتْ حَائِضًا.

في النكاح والمعاشرة:

- وَكَانَ يَأْمُرُهَا وَهِيَ حَائِضٌ فَتَتَّزِرُ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا.
- وَكَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ.
- وَكَانَ مِنْ لُطْفِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِهِ أَنَّهُ يُمَكِّنُهَا مِنَ اللَّعِبِ، وَسَابَقَهَا فِي السَّفَرِ عَلَىٰ الْأَقْدَامِ مَرَّتَيْنِ، وَتَدَافَعَا فِي خُرُوجِهِمَا مِنَ الْمَنْزِلِ مَرَّةً.
- وَكَانَ إِذَا سَافَرَ وَقَدِمَ لَمْ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ.

هديه ﷺ في النوم والانتباه:

- كَانَ ﷺ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ لِلنَّوْمِ قَالَ: «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، و«**كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **وَ**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ **وَ**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**». أخرجهما البخاريُّ. و«**كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ**». أخرجه أصحاب «السُّنن». وللبخاريِّ: كَانَ إِذَا انْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»، ثُمَّ يَتَسَوَّكُ.
- كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ آخِرَهُ، وَرُبَّمَا سَهِرَ أَوَّلَهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.
- كَانَ ﷺ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ.
- كَانَ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقِظُوهُ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْتَيْقِظُ.
- كَانَ نَوْمُهُ ﷺ أَعْدَلَ النَّوْمِ (نِصفُ اللَّيلِ الأوَّلِ وسُدسُه الأخيرُ)، وَهُوَ أَنْفَعُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّوْمِ.

هديه ﷺ في معاملاته:

- كَانَ ﷺ يُمَازِحُ وَيَقُولُ فِي مِزَاحِهِ الْحَقَّ.
- كَانَ ﷺ يُوَرِّي وَلَا يَقُولُ فِي تَوْرِيَتِهِ إِلَّا الْحَقَّ.
- كَانَ ﷺ يُشِيرُ وَيَسْتَشِيرُ.
- كَانَ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ الدَّعْوَةَ، وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ فِي حَوَائِجِهِمْ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي مُعَامَلَاتِهِ:

- سَمِعَ ﷺ مَدِيحَ الشِّعْرِ وَأَثَابَ عَلَيْهِ، وما مُدح به جزءٌ يسيرٌ من محامده، أَمَّا مَدْحُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ فَأَكْثَرُه الْكَذِبُ.
- خَصَفَ ﷺ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَرَقَّعَ ثَوْبَهُ بِيَدِهِ، وَرَقَّعَ دَلْوَهُ وَحَلَبَ شَاتَهُ وَفَلَىٰ ثَوْبَهُ وَخَدَمَ أَهْلَهُ وَنَفْسَهُ، وَحَمَلَ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ.
- رَبَطَ ﷺ عَلَىٰ بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ تَارَةً، وَشَبِعَ تَارَةً.
- أَضَافَ ﷺ وَأُضِيفَ.
- احْتَجَمَ ﷺ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ وَعَلَىٰ ظَهْرِ قَدَمِهِ، وَفِي الْأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ.
- تَدَاوَىٰ ﷺ وَكَوَىٰ وَلَمْ يَكْتَوِ، وَرَقَىٰ وَلَمْ يَسْتَرْقِ، وَحَمَىٰ الْمَرِيضَ مِمَّا يُؤْذِيهِ.
- كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ مُعَامَلَةً، وَكَانَ إِذَا اسْتَسْلَفَ سَلَفًا قَضَىٰ خَيْرًا مِنْهُ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي مِشْيَتِهِ:

- كَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ مِشْيَةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا.
- كان أسرع من أصحابه مشيًا ويجهدهم اللُّحوق به.
- وكَانَ يَمْشِي حَافِيًا وَمُنْتَعِلًا.
- كَانُوا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ.
- كَانَ ﷺ يُمَاشِي أَصْحَابَهُ فُرَادَىٰ وَجَمَاعَةً.

هَدْيُهُ ﷺ فِي الذِّكْرِ:

- كانَ أكمَلَ النَّاسِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ كَانَ كَلَامُهُ كُلُّهُ فِي ذِكْرِ اللهِ وَمَا وَالَاهُ.
- وكانَ ﷺ يذكُرُ اللهَ إذا استيقَظَ مِن النَّوم، وإذا استفتَحَ الصَّلاةَ، وإذا خرَجَ مِن بَيتِه، وإذا دخَلَ المَسجِدَ، وفي الصَّباحِ والمَساءِ، وعند لُبسِ الثَّوبِ، وإذا دخَلَ المَنزِلَ أو خرَجَ مِنه، وعند دُخولِ الخَلاءِ، وقبلَ الوُضوءِ وبعدَه، وإذا سَمِعَ الأذانَ، وعند رُؤيَةِ الهِلالِ، وقبلَ الأكلِ وبعدَه، وعندَ العُطاسِ...

سُنَنُ الْفِطْرَةِ وَتَوَابِعُهَا:	**عَدُّ السُّنَنِ:**	أخرج مسلمٌ عن النَّبيِّ ﷺ: «**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**»، ونسي الرَّاوي العاشرة.
	تَيَمُّنُهُ ﷺ	كَانَ يُعْجِبُهُ ﷺ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَأَخْذِهِ، وَعَطَائِهِ، وَكَانَتْ يَمِينُهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَطُهُورِهِ، وَيَسَارُهُ لِخَلَائِهِ وَنَحْوِهِ مِنْ إِزَالَةِ الْأَذَىٰ.
	الحَلْقُ:	كَانَ هَدْيُهُ ﷺ فِي حَلْقِ الرَّأْسِ تَرْكَهُ كُلَّهُ أَوْ أَخْذَهُ كُلَّهُ.
	السِّوَاكُ:	كَانَ ﷺ يُحِبُّ السِّوَاكَ، وَكَانَ يَسْتَاكُ مُفْطِرًا وَصَائِمًا، وَيَسْتَاكُ عِنْدَ الِانْتِبَاهِ مِنَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْوُضُوءِ، وَعِنْدَ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، وَكَانَ يَسْتَاكُ بِعُودِ الْأَرَاكِ.
	الطِّيبُ:	كَانَ ﷺ يُكْثِرُ التَّطَيُّبَ وَيُحِبُّ الطِّيبَ.
	الشَّارِبُ وَاللِّحْيَةُ:	قَالَ ﷺ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَىٰ وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**». مُتَّفَقٌ عليه.
	التَّوْقِيتُ:	لمسلم عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ... أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**».

هَدْيُهُ ﷺ فِي كَلَامِهِ:	**كَلَامُهُ ﷺ**	○ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ**». أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ. ○ كَانَ كَثِيرًا مَا يُعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا لِيُعْقَلَ عَنْهُ، وَإِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا.

هَدْيُهُ ﷺ فِي كَلَامِهِ، وَضَحِكِهِ، وَبُكَائِهِ، وَخُطْبَتِهِ:		❍ لا يَتكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَيتكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَامِ. ❍ كَانَ لَا يَتكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلَا يَتكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ. ❍ لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا.
	ضَحِكُهُ:	كَانَ كُلَّ ضَحِكِهِ ﷺ التَّبَسُّمُ، فَكَانَ نِهَايَةُ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُوَ نَوَاجِذُهُ.
	بُكَاؤُهُ ﷺ	❍ لَمْ يَكُنْ ﷺ يبكي بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ، وَلَكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ تَهْمُلَا، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ. ❍ كَانَ بُكَاؤُهُ ﷺ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيِّتِ، وَتَارَةً خَوْفًا عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا، وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.
	خُطْبَتُهُ ﷺ	❍ خَطَبَ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَالْمِنْبَرِ وَالْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ. ❍ قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ**». أخرجه مسلمٌ. ❍ كَانَ ﷺ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللهِ. ❍ كَانَ ﷺ يَخْطُبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ.

مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ	بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ:	قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: (جمع بين كونها حنيفيَّةً وكونها سمحةً، فهي حنيفيَّةٌ في التَّوحيد سمحةٌ في الأخلاق، وضدُّ الأمرين: الشِّرك، وتحريم الحلال).
	بُعِثَ إِلَى الثَّقَلَيْنِ:	قال ﷺ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**». أخرجه البخاريُّ.
	كِتَابُهُ وَدَعْوَتُهُ:	﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم].

من خصائصه ﷺ	آياته:	أكبر آياته ﷺ القرآن، وما من آيةٍ أوتيها رسولٌ أو نبيٌّ قبله إلَّا وله ﷺ منها حظٌّ ونصيبٌ.
	محبته دين:	قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». مُتَّفقٌ عليه.
	حكم مبغضه:	كافرٌ كفرًا أكبر، قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].
	الخليل:	قال ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا». أخرجه مسلمٌ.
	أحد أولي العزم:	قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾[الأحزاب:٧].
	علمه:	قال ﷺ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا». أخرجه البخاريُّ. وقال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾[الأنعام:٥٠].
	حكم مطيعه ومخالفه:	قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾[آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾[آل عمران]، وللبخاريِّ عنه ﷺ: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»، ولأحمد: «جُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».
	أمته ﷺ:	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[آل عمران:١١٠]، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». مُتَّفقٌ عليه.

مِنْ خَصَائصه ﷺ	بَلَدُه ﷺ	بلده ﷺ مكّة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]. ومكّة بلدٌ حرامٌ، قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ**». مُتَّفقٌ عليه. وهي بلدٌ للمسلمين إلىٰ يوم القيامة، قال ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**». مُتَّفقٌ عليه.
	قِبْلَتُه ﷺ	قبلته ﷺ إلىٰ الكعبة، وكانت قبل ذلك إلىٰ بيت المقدس، قال ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤]. والمسجد الحرام هو أوّل مسجدٍ وُضع في الأرض، قال أبو ذرٍ رضي الله عنه: «**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». مُتَّفقٌ عليه. وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». مُتّفقٌ عليه. وقال ﷺ: «**فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ**». أخرجه البزّار. وقال ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**». مُتّفقٌ عليه. وقال ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**». مُتّفقٌ عليه.

أَوْلَادُهُ ﷺ سَبْعَةٌ: ثَلَاثَةُ ذُكُورٍ، وَأَرْبَعُ إِنَاثٍ:

[١] القاسمُ، وبه كان يُكنىٰ.	[٢] زينبُ رضي الله عنها.
[٣] رُقيَّةُ رضي الله عنها.	[٤] أمُّ كلثوم رضي الله عنها.
[٥] فاطمةُ رضي الله عنها.	[٦] عبدُ اللهِ، ولُقِّبَ بالطَّيِّب والطَّاهر.

[٧] إبراهيم، وهو ولد مارية القبطيَّة سُرِّيَّة النَّبيِّ ﷺ، وباقي أولاده ﷺ كلُّهم من خديجة رضي الله عنها، لَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ غَيْرِهَا.

كُلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ تُوُفُّوا قَبْلَهُ إِلَّا فَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَإِنَّهَا تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَرَفَعَ اللهُ لَهَا بِصَبْرِهَا وَاحْتِسَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ مَا فُضِّلَتْ بِهِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وفاطمة أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ.

وقد أدرك بناته ﷺ كلُّهنَّ الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

أَعْمَامُهُ ﷺ أَحَدَ عَشَرَ: لم يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَانِ (حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما):

[١] سيِّد الشُّهداء حمزة رضي الله عنه.	[٢] العبَّاس رضي الله عنه.	
[٣] أبو طالبٍ، واسمُه عبدُ مَنافٍ.	[٤] أبو لهبٍ، واسمه عبد العُزَّىٰ.	
[٥] الزُّبير.	[٦] عبد الكعبة.	
[٧] المُقوِّمُ.	[٨] ضرارٌ.	[٩] قُثَم.
[١٠] المُغيرة، ولقبُه حجل.	[١١] الغَيداق، واسمه مُصعبٌ.	

عَمَّاتُهُ سِتَّةٌ:

[١] صَفيَّةُ، وهي أمُّ الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه، وقد أسلمت رضي الله عنها.		
[٢] أمُّ حكيمٍ البيضاءُ.	[٣] عاتِكَةُ.	
[٤] بَرَّةُ.	[٥] أَروىٰ.	[٦] أُميمَةُ.

زَوْجَاتُه ﷺ: يُجْمَعْنَ فِي جُمْلَةِ (حَجَزَ صَخْرٌ سَمْعَهُ):

حَجَزَ:

(ح) = حفصة بنت عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(ج) = جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(ز) = زينب بنت جحشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا + بنت خزيمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

صَخْرٌ:

(ص) = صفيَّة بنت حُيَيٍّ بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(خ) = خديجة بنت خويلدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(ر) = أمُّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

سَمْعَهُ:

(س) = سودة بنت زمعة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(م) = ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(ع) = عائشة بنت أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
(هـ) = أمُّ سلمة هند بنت أبي أميَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

[١] خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

أُولَى زَوْجَاتِهِ ﷺ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ الْقُرَشِيَّةُ الْأَسَدِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تَزَوَّجَهَا ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَتْ، وَأَوْلَادُهُ كُلُّهُمْ مِنْهَا إِلَّا إبراهيم، وَهِيَ الَّتِي آزَرَتْهُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَجَاهَدَتْ مَعَهُ وَوَاسَتْهُ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا، وَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا السَّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا، وَمَاتَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

[٢] سَوْدَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

تَزَوَّجَ ﷺ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِأَيَّامٍ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ الْقُرَشِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ الَّتِي وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

[٣] عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

تَزَوَّجَ ﷺ بَعْدَهَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الْمُبَرَّأَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، حَبِيبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَرَضَهَا عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَبْلَ نِكَاحِهَا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَقَالَ: «هَذِهِ زَوْجَتُكَ». أخرجه التِّرمذيُّ. تَزَوَّجَهَا فِي شَوَّالٍ وَعُمْرُهَا سِتُّ سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ وَعُمْرُهَا تِسْعُ سِنِينَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ الْوَحْيُ

[٣] عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَنَزَلَ عُذْرُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ كُفْرِ قَاذِفِهَا، وَهِيَ أَفْقَهُ نِسَائِهِ وَأَعْلَمُهُنَّ، بَلْ أَفْقَهُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ وَأَعْلَمُهُنَّ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، وَكَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ قَوْلِهَا وَيَسْتَفْتُونَهَا.

[٤] حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِثْرَ غَزْوَةِ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

[٥] زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْقَيْسِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ، وَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا بِشَهْرَيْنِ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُلَقَّبُ بِأُمِّ الْمَسَاكِينِ.

[٦] أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ الْقُرَشِيَّةَ الْمَخْزُومِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَاسْمُ أَبِي أُمَيَّةَ: حُذَيْفَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَهِيَ آخِرُ نِسَائِهِ ﷺ مَوْتًا، تُوُفِّيَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ.

[٧] جويرية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

وَتَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْمُصْطَلِقِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ مِنْ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَجَاءَتْهُ ﷺ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ كِتَابَتِهَا، فَأَدَّىٰ عَنْهَا كِتَابَتَهَا وَتَزَوَّجَهَا.

[٨] زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ، وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧]، وَبِذَلِكَ كَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَىٰ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**». أخرجه البخاريُّ.

وَمِنْ خَصَائِصِهَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَانَ هُوَ وَلِيَّهَا الَّذِي زَوَّجَهَا لِرَسُولِهِ ﷺ

...

مِنْ فَوْقِ سَمَاوَاتِهِ، وَتُوُفِّيَتْ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ أَوَّلًا عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبَنَّاهُ، فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ زَوَّجَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهَا لِتَتَأَسَّىٰ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَأْسَ مِنْ نِكَاحِ الْمُتَبَنِّي مَنْ كَانَتْ تَحْتَ مُتَبَنَّاهُ.

[٩] أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ الْقُرَشِيَّةُ الْأُمَوِيَّةُ، تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِبِلَادِ الْحَبَشَةِ مُهَاجِرَةً، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَسِيقَتْ إِلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ وَمَاتَتْ فِي أَيَّامِ أَخِيهَا مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[١٠] صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وَتَزَوَّجَ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ أَخِي مُوسَىٰ، فَهِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَةُ نَبِيٍّ وَزَوْجَةُ نَبِيٍّ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ لَهُ مِنَ السَّبْيِ أَمَةً فَأَعْتَقَهَا، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، فَصَارَ ذَلِكَ سُنَّةً.

[١١] مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ثُمَّ تَزَوَّجَ ﷺ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا، تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ بَعْدَ أَنْ حَلَّ مِنْهَا.

لَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ عَنْ تِسْعٍ، وَأَوَّلُ نِسَائِهِ لُحُوقًا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ عِشْرِينَ، وَآخِرُهُنَّ مَوْتًا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُخْتَصَرَةً:

حَاضِنَتُهُ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ: بَرَكة الحبشيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان ﷺ ورثها من أبيه، وكانت دايته، زوَّجها ﷺ من حِبِّه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فولدت له أسامة بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الَّتي دخل عليها أبو بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد موت النَّبيِّ ﷺ وهي تبكي، فقالا لها: ما يُبكيك؟ إنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ؟ فقالت: (إنِّي لأعلم أنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، وأنَّ رسول الله ﷺ قد صار إلىٰ خيرٍ ممَّا كان فيه، ولكنْ أبكي أنَّ الوحيَ قد انقطع عنَّا من السَّماء!! فهيَّجتهما علىٰ البكاء فجعلا يبكيان معها.

عَمَلُهُ ﷺ: رعىٰ ﷺ الغنم، وكان ذلك سببًا في صبره ورحمته بالضُّعفاء ورعايته لهم، قال ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الْغَنَمَ**»، **فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». أخرجه البخاريُّ.

تِجَارَتُهُ وَزَوَاجُهُ: لمَّا بلغ خمسًا وعشرين سنةً خرج إلىٰ الشَّام في تجارةٍ، فوصل إلىٰ بُصرىٰ ثمَّ رجع، فتزوَّج عقب رجوعه خديجة بنت خُوَيلدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أوَّل زوجاته.

بِنَاءُ الْكَعْبَةِ: لمَّا بلغ ﷺ خمسًا وثلاثين تضعضعت الكعبة فقامت قريشٌ في إعادة بنائها، فتقاسمت بطون قريشٍ الكعبة وأخذ كلٌّ منهم ناحيةً، فلمَّا بلغ البنيان ناحية الحجر الأسود اختلفوا فيمن يرفعه إلىٰ موضعه، ولبثوا علىٰ ذلك أربع ليالٍ أو خمسًا، ثمَّ اتَّفقوا علىٰ أن يحكم بينهم أوَّل من يدخل من باب المسجد، فكان ﷺ أوَّل من دخل، فحكَّموه بينهم، فأمر بثوبٍ وجعل فيه الحجر، ثمَّ حملت كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ منه حتَّىٰ بلغوا موضعه فوضعه هو ﷺ بيده.

خَلْوَتُهُ: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**حُبِّبَ إِلَيْهِ ﷺ الْخَلَاءُ؛ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ -يَتَعَبَّدُ- فِيهِ اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ**». مُتَّفقٌ عليه. وبُغِّضَتْ إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيءٌ أبغض إليه من ذلك.

نُبُوَّتُهُ ﷺ: لمَّا كَمُلَ له أربعون سنةً أشرق عليه نور النُّبُوَّة، وأكرمه الله تعالىٰ برسالته في يوم الاثنين، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ**

اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ؛ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ، قَالَ ﷺ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المُدَّثِّر]، فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ». مُتَّفَقٌ عليه.

مَراتِبُ الوَحيِ سَبعٌ:	[١] الرُّؤيا الصَّادِقةُ:	وكانت مبدأ وحيه ﷺ؛ كما في حديث الشَّيخين: «فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ».
	[٢] الإلقاءُ في رَوعِهِ:	يُلقيه المَلَكُ في رَوعِه ﷺ وقلبه من غير أن يراه، قال ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ...». أخرَجه عبدُ الرَّزَّاقِ.
	[٣] تمثُّلُ المَلَكِ:	قال ﷺ: «ويَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ». مُتَّفقٌ عليه. وفي هذه المرتبَةِ كانَ يراه الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أحيانًا.
	[٤] صَلصَلةُ الجَرَسِ:	قال ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ». مُتَّفقٌ عليه. وقالَت عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا». أخرجه البخاريُّ. بل إنَّ راحِلَتَه لتبرُكُ به إلى الأرضِ إذا كانَ راكِبَها.
	[٥] المَلَكُ في صورَتِهِ:	يراه ﷺ في صُورَتِه الَّتي خُلِقَ عليها، فيوحِي إليه ما شاءَ اللهُ أن يُوحِيَه، وهذا وقَعَ له مرَّتَينِ كما ذكَرَ اللهُ في سورَةِ النَّجمِ.
	[٦] وَحيٌ مِنَ اللهِ:	وهو ما أوحاهُ الله إليه مُباشَرَةً وهو فوقَ السَّمواتِ السَّبعِ ليلَةَ المِعراجِ مِن فَرضِ الصَّلاةِ وغَيرِ ذلِكَ.
	[٧] كلامُ اللهِ لهُ:	حيثُ كلَّمَه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنه إليه بلا واسِطَةِ مَلَكٍ؛ كما كلَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مَرَاتِبُ دَعْوَتِهِ ﷺ	[١] النُّبُوَّةُ.	[٢] إِنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ.	[٣] إِنْذَارُ قَوْمِهِ.
	[٤] إِنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمُ الْعَرَبُ قَاطِبَةً.		
	[٥] إِنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.		

مَرَاحِلُ دَعْوَتِه ﷺ:	[١] الدَّعوة السِّرِّيَّة: ودامت ثلاث سنين أوَّل البعثة.
	[٢] الدَّعوة الجهريَّة: لمَّا أُمر بذلك: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه ﷺ مِنَ:	الرِّجال: أبو بكرٍ الصِّدِّيق.	النِّساء: خديجةُ بنت خويلدٍ.
	الصِّبيان: عليُّ بن أبي طالبٍ.	المَوالي: زيدُ بن حارثة.
	العبيد: بلال بن رباحٍ الحبشيُّ.	

أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ: نزل عليه الخمس آياتٍ الأولى من سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾.

مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِيمَانِ: مِن أوائل من آمن به ﷺ بعد من ذكرنا أهل بيته ﷺ ثمَّ عثمان بن عفَّان، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوَّام، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وعبد الرَّحمن بن عوفٍ، وخبَّاب بن الأرتِّ، وصهيبٌ الرُّوميُّ، وعمَّار بن ياسرٍ، وأمُّه سميَّة، وأبو عبيدة عامر بن الجرَّاح، وعثمان بن مظعونٍ، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

أَذِيَّةُ الـمُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِه: لمَّا رأى المشركون صدق دعوة النَّبيِّ ﷺ واجتماع النَّاس حوله آذوهم أشدَّ الإيذاء، ومن صور أذيَّتهم لهم:

- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه ساحرٌ لينفر النَّاس منه ويخافوه.
- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه مجنونٌ ليُسفِّهَه النَّاسُ ولا يأخذوا بكلامِهِ.
- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه كاذب، ويدحض ذلك أنَّه كان قد عُرف بينهم بالأمين لصدقه وأمانته.
- السُّخرية به ﷺ وبما جاء به.
- إثارة الشَّغب والضَّوضاء إذا جاء النَّبيُّ ﷺ ليدعو النَّاس ليصدُّوهم عن استماع الوحي وما يأتي به من الحقِّ.
- استقبال من أتىٰ من خارج مكَّة للعمرة أو الحجِّ أو غيرهما وتحذيره من النَّبيِّ ﷺ.
- أذيَّته في جسده ﷺ كما فعل عقبة بن أبي مُعيطٍ إذ جذبه مرَّةً من ثوبه حتَّىٰ كاد يخنقه حتَّىٰ ردَّه عنه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وألقىٰ عليه سلا جزورٍ حتَّىٰ رفعته عنه ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
- محاولة قتله ﷺ إذ عرضوا علىٰ عمِّه أبي طالب أن يبدلوه إيَّاه بعمارة بن الوليد ويقتلوه، وأرادوا قتله كذلك عند إرادته ﷺ الهجرة.
- تعذيب من استضعفوه من المؤمنين وشدَّة أذيَّتهم كما كانوا يضعون الحجر علىٰ بطن بلالٍ وكما فعلوا بآل عمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغيرهم.

الهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ: لمَّا كثُر المسلمون وخاف منهم الكُفَّار اشتدَّ أذاهم له ﷺ وفتنتهم إيَّاهم، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلىٰ الحبشة، وقال ﷺ: «**إِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ عِنْدَهُ**». أخرجه البيهقيُّ. وكانت هِجرَتانِ إلىٰ الحبشةِ:

- **الهِجْرَةُ الأُولَىٰ**: هاجر فيها اثنا عشر رجلًا وأربع نسوةٍ، منهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أوَّل من خرج، ومعه زوجته رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوارٍ، ثمَّ بلغهم أنَّ قريشًا أسلمت، وكان هذا الخبر كذبًا، فرجعوا إلىٰ مكَّة، فلمَّا بلغهم أنَّ الأمر أشدُّ ممَّا كان، رجع منهم من رجع، ودخل جماعةٌ فلقوا من قريشٍ أذًىٰ شديدًا، وكان ممَّن دخل عبدالله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

○ **الهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ**: خرج فيها ثلاثةٌ وثمانون رجلًا وثماني عشرة امرأةً، فأقاموا عند النَّجاشيِّ علىٰ أحسن حالٍ، فبلغ ذلك قريشًا، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة في جماعةٍ ليكيدوهم عند النَّجاشيِّ، فردَّ الله كيدهم في نحورهم.

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ: في السَّنة السَّادسة من البعثة أسلم حمزة بن عبدالمُطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان يُسمَّىٰ أعزَّ قريشٍ، فعزَّ به رسول الله ﷺ، ثمَّ أسلم عمر بن الخطَّاب ببركة دعاء النَّبيِّ ﷺ، فتقوَّىٰ المؤمنون بهما وامتنعوا من قريشٍ.

شِعْبُ أَبِي طَالِبٍ: اشْتَدَّ أَذَىٰ قريشٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَصَرُوهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَفِي الشِّعْبِ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَنَالَهُ ﷺ أَذَىٰ شَدِيدٌ مِنَ الْكُفَّارِ، وَخَرَجَ مِنَ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً.

وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ: وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، ثُمَّ مَاتَتْ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِيرٍ، فَاشْتَدَّ أَذَىٰ الْكُفَّارِ لَهُ.

خُرُوجُهُ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ: خَرَجَ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا فَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَآذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ، وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّىٰ أَدْمَوْا كَعْبَيْهِ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ.

إِسْلَامُ عَدَّاسٍ: فِي طَرِيقِ رُجُوعِهِ ﷺ لَقِيَ عَدَّاسًا النَّصْرَانِيَّ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ.

إِيمَانُ الْجِنِّ: وَفِي طَرِيقِهِ ﷺ أَيْضًا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ نَخْلَةُ صُرِفَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ سَبْعَةٌ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ، فَاسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ وَأَسْلَمُوا.

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ: ثُمَّ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ وَجَسَدِهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَاطَبَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ.

عَرْضُهُ ﷺ الْإِسْلَامَ عَلَى الْقَبَائِلِ: أَقَامَ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ أَنْ يُؤْوُوهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ

وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، فَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ قَبِيلَةٌ، وَادَّخَرَ اللهُ ذَلِكَ كَرَامَةً لِلْأَنْصَارِ، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْهُمْ سِتَّةٍ، فَاسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَدَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْأَنْصَارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَبَيْعَةُ الْعَقَبَةِ: وهما بيعتان:

- ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الْأَوَّلِينَ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ الْوَارِدَةِ فِي سُورَةِ الْمُمْتَحَنَةِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.
- فَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةِ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ، فَتَرَحَّلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَيْهِمْ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا.

الْإِذْنُ فِي الْهِجْرَةِ: أَذِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا أَرْسَالًا مُتَسَلِّلِينَ، أَوَّلُهُمْ فِيمَا قِيلَ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ، وَقِيلَ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ الْأَنْصَارِ فِي دُورِهِمْ، فَآوَوْهُمْ، وَنَصَرُوهُمْ، وَفَشَا الْإِسْلَامُ بِالْمَدِينَةِ.

ثُمَّ أُذِنَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَلَهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَدَلِيلُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ، فَدَخَلَ غَارَ ثَوْرٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَأَقَامَا فِيهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ سَلَكَا طَرِيقَ السَّاحِلِ.

دُخُولُهُ ﷺ الْمَدِينَةَ: لَمَّا انْتَهَىٰ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ -وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ- نَزَلَ بِقُبَاءَ فِي أَعْلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِي الْإِسْلَامِ: وَأَسَّسَ ﷺ مَسْجِدَ قُبَاءٍ، قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا**». مُتَّفَقٌ عليه. وقال ﷺ:

«صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ». أخرجه التِّرمذيُّ وابن ماجه.

بِنَاءُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ: ثُمَّ رَكِبَ ﷺ نَاقَتَهُ وَسَارَ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُكَلِّمُونَهُ فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ وَيَأْخُذُونَ بِخِطَامِ النَّاقَةِ، فَيَقُولُ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فَبَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ غُلَامَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَنَزَلَ عَنْهَا عَلَىٰ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ بَنَىٰ ﷺ مَسْجِدَهُ مَوْضِعَ الْمِرْبَدِ بِيَدِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالْجَرِيدِ وَاللَّبِنِ، ثُمَّ بَنَىٰ ﷺ مَسْكَنَهُ وَمَسَاكِنَ أَزْوَاجِهِ إِلَىٰ جَنْبِهِ، وَأَقْرَبُهَا إِلَيْهِ مَسْكَنُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَ ﷺ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَيْهَا.

الْمُؤَاخَاةُ: بعد أن بنىٰ ﷺ المسجد آخىٰ بين المُهاجرين -وكانوا تسعين رجلًا- وبين الأنصار علىٰ: المواساة، ويتوارثون بعد الموت إلىٰ وقعة بدرٍ.

الْيَهُودُ: لمَّا قدم النَّبيُّ ﷺ المدينة ورآه اليهود علموا أنَّه رسول الله حقًّا وأنَّه الَّذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوراة، ومع ذلك لم يسلم منهم إلَّا نفرٌ قليلٌ منهم عالمهم وحَبرهم عبد الله بن سلَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووادع النَّبيُّ ﷺ قبائل اليهود وهم بنو قينُقاع وبنو النَّضير وبنو قُريظةَ.

تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ: بعد فرض الصَّلاة في المعراج، كان ﷺ يصلِّي إلىٰ بيت المقدس، وكان يودُّ أن تُحوَّل قبلته إلىٰ الكعبة فَجَعَلَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّماء يرجو ذلك، فأنزل اللهُ عَلَيْهِ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾[البقرة:١٤٤] في السَّنة الثَّانية للهجرة، فغيَّر ﷺ قبلته إلىٰ الكعبة.

الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ: بعد أن استقرَّ النَّبيُّ ﷺ في المدينة النَّبويَّة ومنَعَه الأنصارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[الحج]، فأذن الله تعالىٰ للمؤمنين بقتال المُشركين.

وكان من أوائل غزواته ﷺ غزوة الأبواء وبُواطٍ والعُشيرة وبعض السَّرايا.

غَزْوَةُ بَدْرٍ: في رمضان من السَّنة الثَّانية خرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائةٍ وبضعة عشر رجلًا من المؤمنين في طلب عير قريشٍ العائدة من الشَّام، فانحرف أبو سفيان عن الطَّريق بالعير وأغرىٰ الشَّيطان قريشًا فخرجت لقتال المؤمنين، فالتقوا في بدرٍ وكانت غزوة بدرٍ الكبرىٰ الَّتي سُمِّيت يوم الفرقان.

ولمَّا التقىٰ الجيشان دعا رسول الله ﷺ ربَّه وتضرَّع إليه، فأيَّد الله المؤمنين بالملائكة يقاتلون معهم، ونصرهم الله تعالىٰ علىٰ القوم الكافرين وأعلىٰ كلمته، وقُتل في بدرٍ من المشركين سبعون رجلًا، واستُشهد من المؤمنين أربعة عشر رجلًا.

غَزْوَةُ قَيْنُقَاعَ: في السَّنة الثَّالثة من الهجرة نقض بنو قينقاع الصُّلح، فحاصرهم النَّبيُّ ﷺ خمس عشرة ليلةً ثمَّ نزلوا علىٰ حكمه فأطلقهم، وكانوا سبعمائة.

غَـزْوَةُ أُحُـدٍ: وفي شوَّالٍ كانت غزوة أُحُدٍ، حيث خرجت قريشٌ لتثأر لقتلىٰ بدرٍ في نحوٍ من ثلاثة آلاف رجلٍ، وأتوا المدينة، فخرج النَّبيُّ ﷺ في نحوٍ من سبع مائةٍ من أصحابه إلىٰ أُحُدٍ، وانخذل عنه المنافقون.

وكانت الكرَّة أوَّل النَّهار للمسلمين، ثمَّ امتحن الله المسلمين وردَّ الكرَّة للمشركين حتَّىٰ خلصوا إلىٰ رسول الله ﷺ فجرحوه وكسروا رباعيته، وقاتل معه يومئذٍ الملائكة، واستُشهد سبعون من الصَّحابة رضي الله عنهم منهم حمزة بن عبد المُطَّلب ومُصعب بن عميرٍ وأنس بن النَّضر وحنظلة الغسيل وغيرهم.

وأبلىٰ طلحة بن عبيد الله بلاءً حسنًا يومها حتَّىٰ قال رسول الله ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»، وانحاز رسول الله ﷺ والمسلمون إلىٰ الجبل، وكفَّ الله أيدي المشركين عنهم.

وكان يوم أحدٍ يوم بلاءٍ وتمحيصٍ، امتحن الله فيه المؤمنين، وأظهر المنافقين، وأكرم من شاء بالشَّهادة.

وبعد الغزوة سمع ﷺ بخروج قريشٍ مرَّةً أخرىٰ يريدون استئصال المسلمين، فخرج إليهم مع ما بالمؤمنين من قرح، فلمَّا بلغ المسلمون حمراء الأسد بلغ ذلك قريشًا فانخذلوا ورجعوا إلىٰ مكَّة.

السَّنَةُ ٤هـ: في السَّنة الرَّابعة كانت وقعة بئر معونة الَّتي قُتل فيها سبعون من قرَّاء الصَّحابة، وكانت غزوة بني النَّضير الَّذين حاصرهم النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ قذف الله في قلوبهم الرُّعب، وأجلاهم النَّبيُّ ﷺ من المدينة، وفيهم نزلت سورة الحشر.

غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ: في السَّنة الخامسة خرج النَّبيُّ ﷺ لقتال بني المُصطلق، ورجع ﷺ منتصرًا، وفي طريقه شُرع التَّيمُّم، ووقعت حادثة الإفك، حيث اتَّهم المُنافقون أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي الطَّاهرة المُطهَّرة، واشتدَّ ذلك عليها وعلىٰ رسول الله ﷺ حتَّىٰ أنزل الله براءتها في سورة النُّور، وجُلد القاذفون الحدَّ.

غزوةُ الأحزابِ: وفي شوَّال من السَّنة الخامسة كانت غزوة الخندق (الأحزاب)، حيث تواطأ اليهود مع قريشٍ ومن حالفهم علىٰ قتال النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، فاجتمع من قريش وبني سُليمٍ وبني أسدٍ وفزارة وأشجع وغيرهم عشرة آلافٍ وأتوا المدينة.

وأشار سلمان الفارسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ بحَفر خندقٍ يحميهم من الأحزاب، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلافٍ وتحصَّن بجبل سلعٍ وجعل الخندق أمامه، واستأمن حُلفاءه بني قريظة إلَّا أنَّهم نقضوا العهد ووافقوا الأحزاب، فأرسل النَّبيُّ ﷺ نُعيم بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم وإلىٰ الأحزاب فاستعمل معهم الخدعة وأفسد بينهم، ثمَّ أرسل الله علىٰ الأحزاب جندًا من الرِّيح تُقوِّض خيامهم وتكفأ قدورهم، فزلزلتهم الرِّيح وألقت في قلوبهم الرُّعب وخذَّلتهم، فانصرفوا لم ينالوا كيدًا.

وخرج ﷺ إلىٰ بني قريظة وحكَّم فيهم سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذه الغزوة نزلت سورة الأحزاب.

صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ: في السَّنة السَّادسة خرج النَّبيُّ ﷺ في ألفٍ وأربعمائةٍ من أصحابه يريد العمرة، فلمَّا بلغ الحديبية منعته قريشٌ من دخول مكَّة، وصالحهم علىٰ أن تضع الحرب أوزارها عشر سنين، فكان ذلك فتحًا

للمؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح].

وكان ممَّا حصل عليه الصُّلح أن تسمح قريشٌ للمؤمنين بدخول مكَّة في السَّنة التَّالية للعمرة، فكانت عمرة القضاء في ذي القعدة من السَّنة السَّابعة.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ: بعد رجوعه ﷺ من الحديبية بعشرين يومًا خرج إلىٰ خيبر شمال المدينة فحاصر اليهود قريبًا من عشرين ليلةً جهد المسلمون فيها جهدًا شديدًا، فخطبهم النَّبيُّ ﷺ وحضَّهم علىٰ الجهاد، فلمَّا أيقن اليهود بالهلكة سألوه ﷺ الصُّلح فصالحهم علىٰ حقن دمائهم وخروجهم من خيبر بما عليهم من الثِّياب فقط، ثمَّ استعملهم علىٰ أرضهم علىٰ شطر ما يخرج منها.

قُدُومُ جَعْفَرَ: لمَّا كان ﷺ في خيبر قدم أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المدينة مسلمًا، وفيها كذلك قدم جعفر بن أبي طالبٍ ابن عمِّه ﷺ ومن بقي معه في الحبشة فوافوا رسول الله ﷺ في خيبر، وقدم معهم الأشعريُّون أبو موسىٰ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ: في السَّنة الثَّامنة كانت غزوة مؤتة، وسببها أنَّ شرحبيل بن عمرٍو الغسَّانيَّ قتل رسول رسول الله ﷺ إلىٰ ملك الرُّوم، فأرسل النَّبيُّ ﷺ ثلاثة آلافٍ من أصحابه وأمَّر عليهم حِبَّه زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال فيما أخرجه أحمد: «**إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ النَّاسِ، وَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»، فخرج إليهم هرقل ومن والاه من العرب في مائتي ألفٍ، فالتقوا في مؤتة وكانت الحرب، فاستُشهد أمراؤه ﷺ، ثمَّ أخذ خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرَّاية فأحسن قيادة الجيش وانحاز بالمسلمين حتَّىٰ خلَّصهم من عدوِّ الله وعدوِّهم.

فَتْحُ مَكَّةَ الأَعْظَم: في نفس السَّنة، عدت بنو بكرٍ وهم حُلفاء قريشٍ علىٰ خزاعة وهم حُلفاء النَّبيِّ ﷺ، وأعانتهم قريشٌ علىٰ ذلك خُفيةً، فلمَّا بلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ عزم علىٰ فتح مكَّة، وقدم أبو سفيان المدينة ليكلِّمه ﷺ فلم يسمع منه، وكلَّم أبا بكرٍ وعمر وعليًّا أن يُكلِّموه ﷺ فأبوا عليه، ودعا ﷺ الله أن يعمِّي علىٰ قريشٍ فلا يعلموا بخروجه إليهم فاستجاب له، وخرج ﷺ في عشرة آلافٍ حتَّىٰ دخل مكَّة.

وأسلم قُبيل الفتح عمُّ رسول الله ﷺ العبَّاس بن عبد المُطلِّب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكان ممَّا قاله ﷺ عند فتح مكَّة: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»، فلم يُقاتل ﷺ إلَّا من بادره بالقتال، إلَّا قلَّةً ممَّن آذاه ﷺ وآذىٰ المسلمين أهدر دمهم.

ولمَّا دخل ﷺ مكَّة طاف بالبيت غير محرم، ثمَّ دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فكسر ﷺ ما فيها وما حولها من الأصنام، ثمَّ أرجع المفتاح إلىٰ عثمان بن طلحة.

وأسلم بعد فتح مكَّة خلقٌ كثيرٌ، بل صارت القبائل تفد إلىٰ النَّبيِّ ﷺ مسلمةً .

هَدْمُ الأَصْنَامِ: بعد أن فتح الله علىٰ نبيِّه ﷺ مكَّة أرسل أصحابه لكسر ما حول مكَّة من الأصنام، فأرسل عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهدم سُواع، وسعد بن زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهدم مناة، وخالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهدم العُزَّىٰ، والطُّفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهدم ذي الكفَّين، وأرسل عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهدم صنم طيءٍ.

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ: لمَّا سمعت هوازن بفتح مكَّة أجمعوا السَّير إلىٰ رسول الله ﷺ، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم، فخرج إليهم ﷺ في اثني عشر ألفًا وأعجبت المسلمين كثرتهم حتَّىٰ أتوا وادي حُنينٍ، فشدَّت هوازن عليهم شدَّة رجلٍ واحدٍ حتَّىٰ انشمر النَّاس عن النَّبيِّ ﷺ من شدَّة الفزع، وثبت معه ﷺ نفرٌ من المهاجرين وأهل بيته، ثمَّ ثبَّت الله الَّذين آمنوا فرجعوا إليه ﷺ وقاتلوا معه حتَّىٰ نصرهم الله علىٰ عدوِّهم، وفرَّت هوازن إلىٰ الطَّائف.

ثمَّ جاء أربعة عشر رجلًا من هوازن مسلمين إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فسألوه أن يمنَّ عليهم بالسَّبي ففعل وفعل النَّاس معه.

غَزْوَةُ الطَّائِفِ: بعد أن فرغ ﷺ من هوازن، عزم علىٰ غزو الطَّائف، فأتاها وحاصر الحصن ثمانية عشر يومًا، ثمَّ رجع ﷺ ولم يلق قتالًا.

غَـزْوَةُ تَبُـوكَ: وفي سنة تسع كانت غـزوة تبوك (غـزوة العُسـرة)، وكانت في وقـتٍ شـديد الحرِّ وفي وقـت الثِّمـار والظِّـلال، فـكان الخـروج إليهـا أشـدَّ ما يكـون علـىٰ النَّـاس، ولمَّـا أراد ﷺ الخـروج حـضَّ النَّـاس علـىٰ النَّفقـة فأنفق عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثـلاث مائة بعيـرٍ بأحلاسـها وأقتابها ومعهـا ألف دينـارٍ، فقال ﷺ: «مَـا ضَـرَّ عُثْمَـانَ مَـا فَعَـلَ بَعْـدَ الْيَـوْمِ»، وأنفـق الصَّحابـة ما يقـدرون عليه.

وتخلَّـف عنـه ﷺ عامَّـة المُنافقيـن، وتخلَّـف ثلاثـةٌ مـن خيار أصحابـه لغير عـذرٍ هـم كعـب بن مالـكٍ وهـلال بن أميَّـة ومـرارة بـن الرَّبيـع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فاعتذروا إليـه ﷺ لمَّـا رجـع المدينـة، وفيهـم نزلـت آيـة التَّوبـة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[التَّوبـة:١١٨]، فتـاب الله عليهـم لِما علم مـن صدقهـم، وذمَّ الله المُنافقين في هـذه السُّـورة وختـم عليهـم، فسُـمِّيت السُّـورة بالفاضحـة؛ لأنَّـهـا فضحتهم.

وفي هـذه الغـزوة صالـح النَّبـيُّ ﷺ صاحـب أيلـة علـىٰ الجزيـة، وكـذا أهل جربـا وأذرح، وكتـب لهـم كتابًـا، وصالـح أُكيـدر دومـة علـىٰ الجزيـة كذلـك، وأقـام ﷺ بتبـوك بضـع عشـرة ليلـةً ثـمَّ انصـرف إلـىٰ المدينـة ولـم يلـق قتالًا.

ولمَّـا رجـع إلـىٰ المدينـة أمـره الله تعالـىٰ بهـدم مسـجد الضِّـرار الَّـذي بناه المنافقـون ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[التَّوبـة:١٠٧]، فهدمـه ﷺ، وهـذه آخـر غـزوةٍ غزاهـا ﷺ بنفسـه.

قُـدُومُ الْوُفُـودِ: بعـد غـزوة تبـوك أسـلمت ثقيـفٌ، وسُـمِّيت سـنة تسـع سـنة الوُفـود، فصـارت القبائـل تفـد إلـىٰ النَّبـيِّ ﷺ مسـلمةً، ومنهـم وفـد بنـي تميمٍ وسـيِّدهم عطـارد بـن حاجـبٍ التَّميمـيُّ، ووفـد طـيءٍ وسـيِّدهم زيـد الخيـل، ووفـد عبد القيس وسـيِّدهم الجـارود العبديُّ، ووفـد بني حنيفة وفيهم مسـيلمة الكـذَّاب الَّـذي ادَّعـىٰ النُّبـوَّة فيمـا بعد.

حَجَّـةُ أَبِـي بَكْـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفي السَّـنة التَّاسـعة بعث النَّبـيُّ ﷺ أبا بكـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا علـىٰ الحـجِّ، فأقام الحـجَّ للنَّاس، وبعـث ﷺ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ مطلع سـورة التَّوبة علـىٰ النَّـاس ونبـذ إلىٰ أهـل الشِّـرك عهودهـم، وأذَّن في النَّـاس أنَّه لا يحـجُّ بعد هـذا العـام مشـركٌ ولا يطـوف بالبيت عريـانٌ كمـا كان يفعل أهـل الجاهليَّة.

حَجَّةُ الْوَدَاعِ: وفي السَّنة العاشرة حجَّ رسول الله ﷺ حجَّة الوداع، وخرج معه المسلمون من شتَّىٰ القبائل والبلدان حتَّىٰ بلغوا أكثر من مائة ألفٍ، فعلَّمهم ﷺ مناسك الحجِّ، وخطبهم يوم عرفة وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣]، فأخبرهم أنَّ الدِّين قد كمل، وأوصاهم بالتزام ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وحرَّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم علىٰ بعضهم، فكانت خطبة وداعٍ منه ﷺ.

بَعْثُ أُسَامَةَ: وفي شهر صفر من السَّنة الحادية عشرة جهَّز ﷺ جيشًا لقتال الرُّوم، واستعمل عليه أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما، فخرج وعسكر بالجرف ثمَّ بلغهم مرضه ﷺ.

مَرَضُهُ ﷺ وَمَوْتُهُ: ثمَّ خيَّر الله تعالىٰ نبيَّه ﷺ بين الدُّنيا وبين لقاء الله تعالىٰ والجنَّة فاختار لقاءه والجنَّة، فمرض ﷺ مرضًا شديدًا، واستأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذِنَّ له، فلمَّا لم يقدر علىٰ الصَّلاة في المسجد أمر أبا بكرٍ رضي الله عنه أن يصلِّي بالنَّاس إشارةً إلىٰ أحقِّيَّته بالخلافة من بعده.

فلمَّا كان يوم الاثنين الثَّاني عشر من ربيع الأوَّل من السَّنة الحادية عشرة خرج ﷺ إلىٰ النَّاس وهم يصلُّون الصُّبح فرفع السِّتر وفتح الباب حتَّىٰ رأوه، فأشار إليهم أن يتمُّوا صلاتهم وتبسَّم لهم، ثمَّ لمَّا اشتدَّ الضُّحىٰ توفِّي ﷺ، وكانت وفاته أكبر مصيبةٍ حلَّت بالمسلمين، فاغتمَّ المسلمون لموته ﷺ غمًّا شديدًا، ثمَّ اجتمع النَّاس علىٰ أبي بكرٍ رضي الله عنه فبايعوه بالخلافة، ولم يتخلَّف عن بيعته أحدٌ لما يعلم النَّاس من سابقته في الإسلام وفضله علىٰ سائر الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ.

ثمَّ غُسِّل ﷺ وكُفِّن في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ، ثمَّ دُفن في موضعه الَّذي تُوفِّي فيه في حجرة أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتلك سنَّة الله في أنبيائه أنَّهم يُدفنون حيث يُقبضون، وصلَّىٰ عليه الإنسُ والجنُّ صلوات ربِّي وسلامه عليه، نشهد أنَّه ﷺ قد أدَّىٰ الأمانة ونصح للأمَّة وجاهد في الله حقَّ جهاده، فجزاه الله عن أمَّته خير ما جزىٰ نبيًّا عن أمَّته، والحمد لله ربِّ العالمين.

خاتمةٌ: قال حسّانُ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاعرُ رسولِ الله ﷺ:

يَا رَبِّ! فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِي جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدَدِ
صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ ... وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

مُلخَّصُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وبعوثِه وسَرَايَاهُ:

غَزَوَاتُهُ ﷺ وبُعُوثُهُ وَسَرَايَاهُ كُلُّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي مُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ، فَأَمَّا سَرَايَاهُ وَبُعُوثُهُ فَقَرِيبٌ مِنْ سِتِّينَ، وَأَمَّا الْغَزَوَاتُ فَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ، قَاتَلَ ﷺ فِي تِسْعٍ مِنْهَا هِيَ: بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالْخَنْدَقُ، وَقُرَيْظَةُ، وَالْمُصْطَلِقُ، وَخَيْبَرُ، وَالْفَتْحُ، وَحُنَيْنٌ، وَالطَّائِفُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فِي بَعْضِهَا:

مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي غَزَوَاتِهِ ﷺ

- غَزْوَةُ بَدْرٍ: نَزَلَتْ فِيهَا سُورَةُ الْأَنْفَالِ، وَتُسَمَّى سُورَةَ بَدْرٍ.
- غَزْوَةُ أُحُدٍ: نَزَلَ فِيهَا آخِرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران:١٢١] إِلَى قُبَيْلِ آخِرِهَا بِيَسِيرٍ.
- غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ: نَزَلَ فِيهَا صَدْرُ سُورَةِ الْأَحْزَابِ.
- غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ: نَزَلَ فِيهَا سُورَةُ الْحَشْرِ.
- غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ وَخَيْبَرَ: نَزَلَ فِيهَا سُورَةُ الْفَتْحِ، وَأُشِيرَ فِيهَا إِلَى الْفَتْحِ، وَذُكِرَ الْفَتْحُ صَرِيحًا فِي سُورَةِ النَّصْرِ.
- غَزْوَةُ تَبُوكَ: نَزَلَ فِيهَا آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.

وَجُرِحَ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُحُدٌ، وَقَاتَلَتْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ، وَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَزَلْزَلَتِ الْمُشْرِكِينَ وَهَزَمَتْهُمْ، وَرَمَى فِيهَا الْحَصْبَاءَ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَهَرَبُوا، وَكَانَ الْفَتْحُ فِي غَزْوَتَيْنِ: بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَقَاتَلَ بِالْمَنْجَنِيقِ فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الطَّائِفُ، وَتَحَصَّنَ فِي الْخَنْدَقِ فِي وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْأَحْزَابُ، أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

[١] سعادة العبد في الدَّارين مُعلَّقةٌ بهدي النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢] الرُّسل تُبعث في نسب قومها: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣] أكمل وصفه ﷺ هو ما وصف به نفسه: «**أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤] الحرير والدِّيباج ألين من كفِّ النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥] جمع الله لنبيِّه ﷺ كمال الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، وآتاه من العلم والفضل وما فيه النَّجاة والفوز والسَّعادة في الدُّنيا والآخرة ما لم يؤت أحدًا من العالمين: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٦] النَّبيُّ ﷺ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا مُعلِّم له من البشر: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٧] كان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٨] كَانَ مُعْظَمُ مَطْعَمِهِ ﷺ يُوضَعُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فِي السُّفْرَةِ وَهِيَ كَانَتْ مَائِدَتَهُ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٩] كَانَ إِذَا سَافَرَ وَقَدِمَ لَمْ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَيَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] رَبَطَ ﷺ عَلَىٰ بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ تَارَةً وَشَبِعَ تَارَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] تَدَاوَىٰ ﷺ وَكَوَىٰ وَلَمْ يَكْتَوِ، وَرَقَىٰ وَلَمْ يَسْتَرْقِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٢] أولاده ﷺ سبعةٌ: أربعة ذكورٍ وثلاث إناثٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٣] بُعث بالحنيفيَّة، وضدِّ الأمرين: الشِّرك، وتحريم الحلال: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٤] لَمْ يَكُنْ ﷺ يَصْنَعُ شَيْئًا مِمَّا يَصْنَعُهُ الْمُبْتَلَوْنَ بِالْوَسْوَاسِ مِنْ نَتْرِ الذَّكَرِ، وَالنَّحْنَحَةِ، وَالْقَفْزِ، وَمَسْكِ الْحَبْلِ، وَطُلُوعِ الدَّرَجِ، وَحَشْوِ الْقُطْنِ فِي الْإِحْلِيلِ، وَصَبِّ الْمَاءِ فِيهِ وَتَفَقُّدِهِ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ بِدَعِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٥] أولاده ﷺ كلُّهم من خديجة، لَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٦] كُلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ الذُّكورِ والإناثِ تُوُفِّيَ قَبْلَهُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٧] لَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ عَنْ تِسْعٍ: عائشةَ، وحفصةَ، وزينبَ بنت جحش، وأمِّ سلمةَ، وصفيَّةَ، وأمِّ حبيبةَ، وميمونةَ، وسَودةَ، وجُويريَّةَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] خديجة أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا السَّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ، وَهَـذِهِ خَاصَّةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] رعىٰ ﷺ الغنَمَ فكان سببًا في صَبرِه ورَحمَتِه بالضُّعفاء ورِعايَتِه لهم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٠] لمَّا كَمُلَ له ﷺ أربعون سنةً أشرق عليه نور النُّبُوَّة، وأكرمه الله تعالىٰ برسالته في يوم الجمعة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢١] اشْتَدَّ أَذَىٰ قريش لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَصَرُوهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَخَرَجَ ﷺ مِنَ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٢] كان النَّبيُّ ﷺ مربوعًا أي: ❍ مُتوسِّط القامة. ❍ طويل القامة.

[٢٣] خيرُ أهلِ الأرضِ نسبًا إطلاقًا: ❍ يونسُ بنُ متَّىٰ ﷺ. ❍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ﷺ.

[٢٤] أسماؤُه ﷺ: ❍ كلُّها نعوتٌ. ❍ أعلامٌ محضةٌ تفيد مُجرَّد التَّعريف. ❍ مُشتقَّةٌ من صفاتٍ قائمةٍ به توجب له المدح والكمال. ❍ الجميع. ❍ الأوَّل والثَّالث فقط.

[٢٥] «**خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**» أي: ❍ يرضىٰ لرضاه. ❍ يسخط لسخطه. ❍ الجميع.

[٢٦] خليلُ الله هو: ❍ إبراهيم عليه السلام. ❍ محمَّدٌ ﷺ. ❍ الجميع.

[٢٧] «**كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ**» أي: ❍ قمحيٌّ. ❍ أبيض. ❍ شديد البياض.

[٢٨] أطيبُ الطِّيبِ: ❍ المِسك. ❍ عَرقُ النَّبيِّ ﷺ.

[٢٩] خاتَم نبوَّته ﷺ: ❍ بينَ كتِفَيه. ❍ يُشبِهُ جسَدَه. ❍ مِثلُ بيضَةِ الحمامَةِ. ❍ الجَميع.

[٣٠] أحبُّ الألوانِ إليه: ❍ البياض. ❍ السَّواد. ❍ ما تيسَّر من الألوان.

[٣١] لباسُه ﷺ: ❍ لا يلبَسُ الصُّوفَ. ❍ يلبَسُ القُطنَ والكتَّانَ. ❍ يلبَسُ ما تيسَّرَ مِن اللِّباسِ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني فقط.

[٣٢] لباسه ﷺ: ❍ الغالي من الثِّيابِ. ❍ المُنخفضُ مِنها لزُهدِه. ❍ الوَسَطُ.

[٣٣] كان ﷺ يسمِّي اللهَ ويحمَدُه: ❍ علىٰ أوَّل طعامه. ❍ في آخره. ❍ أوَّله وآخره.

[٣٤] كان أكثر شُربه ﷺ: ❍ قاعدًا. ❍ قائمًا. ❍ الجميع.

[٣٥] «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ»: ❍ النِّساء. ❍ الطِّيب. ❍ الجميع.

[٣٦] «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي»: ❍ الجنَّة. ❍ الصَّلاة. ❍ الجميع.

[٣٧] كانت سيرته مع أزواجه حسن: ❍ المُعاشرة. ❍ الخُلُق. ❍ الجميع.

[٣٨] «وَقَّتَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ أَلَّا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ (......) يَوْمًا وَلَيْلَةً»: ❍ ثلاثين. ❍ أربعين. ❍ خمسين.

[٣٩] كان هديه ﷺ في حلق الرَّأس: ❍ يحلق بعضه ويدع بعضه. ❍ تركه كلَّه أو أخذه كلَّه.

[٤٠] كَانَ يُحِبُّ السِّوَاكَ، وَكَانَ يَسْتَاكُ: ❍ مُفطرًا. ❍ صائمًا. ❍ الجميع.

[٤١] كَانَ ضحكه ﷺ: ❍ كلُّه التَّبسُّم. ❍ جلُّه التَّبسُّم.

[٤٢] بُعث ﷺ إلىٰ: ❍ النَّاس كافَّةً. ❍ الثَّقلين الجنِّ والإنس.

[٤٣] أفضل بناته ﷺ علىٰ الإطلاق: ❍ الجميع. ❍ فاطمة. ❍ زينب.

[٤٤] مَا نَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ الْوَحْيُ فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ غَيْرَهَا: ❍ حفصة. ❍ أمُّ سلمة. ❍ عائشة.

[٤٥] وُلد ﷺ بمكَّة: ❍ عام الفيل. ❍ قبل الهجرة بـ٥٣ سنةً. ❍ الجميع.

[٤٦] مبدأ وحيه ﷺ: ❍ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ. ❍ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ. ❍ الجميع.

[٤٧] عدد مراتب الوحي: ❍ خمسةٌ. ❍ سبعةٌ. ❍ ثلاثةٌ.

[٤٨] مراتب دعوته ﷺ: ❍ اثنتان. ❍ ثلاثةٌ. ❍ خمسةٌ.

[٤٩] ثُمَّ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ وَجَسَدِهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ (........) إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَخَاطَبَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ: ❍ بجسده. ❍ بروحه. ❍ بجسده وروحه.

[٥٠] أوَّل مسجدٍ: ❍ الحرام. ❍ النَّبويُّ. ❍ الأقصىٰ. ❍ قباء.

[٥١] تحويل القبلة كان: ❍ بمكَّة قبل الهجرة. ❍ في السَّنة الثَّانية للهجرة. ❍ في السَّنة الثَّالثة للهجرة.

[٥٢] غزوة بدرٍ كانت في رمضان في السَّنة (❍ الثَّانية ❍ الثَّالثة) للهجرة.

[٥٣] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

إنَّ الله اصطفى:	كنانة	بني هاشم	إسماعيل	قريش
كنانة من ولد	❍	❍	❍	❍
قريشًا من	❍	❍	❍	❍
بني هاشم من	❍	❍	❍	❍
نبيَّه ﷺ من	❍	❍	❍	❍

[٥٤] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

نسبُه ﷺ:	اسمه	اسم أبيه	اسم جده	أب الجد	قبل الجد الأعلىٰ	الجد الأعلىٰ
هاشم	❍	❍	❍	❍	❍	❍
عبد المُطَّلب	❍	❍	❍	❍	❍	❍
عبد الله	❍	❍	❍	❍	❍	❍
محمد	❍	❍	❍	❍	❍	❍
إسماعيل	❍	❍	❍	❍	❍	❍
إبراهيم	❍	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٥] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

صِل كلَّ اسم بشرحه:	محمَّد	أحمد	العاقب	السِّراج
أحمد النَّاس لربه	❍	❍	❍	❍
الَّذي يُنير من غير إحراقٍ	❍	❍	❍	❍
كثير الخصال الَّتي يُحمَد عليها	❍	❍	❍	❍
ليس بعده نبيٌّ، فهو بمنزلة الخاتم	❍	❍	❍	❍

[٥٦] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	كفًّا	ريحًا	عشرةً	خَلْقًا وخُلُقًا	خشيةً
أحسن النَّاس	❍	❍	❍	❍	❍
وألينهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأطيبهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأحسنهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأشدَّهم	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٧] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	لله تعالىٰ	طعامًا	لنفسه	الصَّدقة	الهديَّة
لا ينتقم	❍	❍	❍	❍	❍
وينتقم	❍	❍	❍	❍	❍
وما عاب	❍	❍	❍	❍	❍
ويقبل ويُكافئ علىٰ	❍	❍	❍	❍	❍
ولا يقبل	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٨] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	الجنازة	الدَّعوة	الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ فِي حَوَائِجِهِمْ	المَريض
يعود	❍	❍	❍	❍
ويشهد	❍	❍	❍	❍
ويجيب	❍	❍	❍	❍
ويمشي مع	❍	❍	❍	❍

[٥٩] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

من أفعاله ﷺ:	شاته	ثوبه بيده	اللَّبن في بناء المسجد	نعله بيده	أهله ونفسه
خصف	❍	❍	❍	❍	❍
ورقَّع	❍	❍	❍	❍	❍
وحلب	❍	❍	❍	❍	❍
وخدم	❍	❍	❍	❍	❍
وحمل	❍	❍	❍	❍	❍

[٦٠] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

من الفطرة:	الأظفار	الإبط	العانة	اللِّحية	الشَّارب
قصُّ	❍	❍	❍	❍	❍
إعفاء	❍	❍	❍	❍	❍
تقليم	❍	❍	❍	❍	❍
نتف	❍	❍	❍	❍	❍
حلق	❍	❍	❍	❍	❍

[٦١] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

هديه ﷺ في الطَّعام:	مفقودًا	إلَّا أكله	فيتركه من غير تحريمٍ	موجودًا
لا يردُّ	○	○	○	○
ولا يتكلَّف	○	○	○	○
ما قُرِّب إليه شيءٌ من الطَّيِّبات	○	○	○	○
إلَّا أن تعافه نفسه	○	○	○	○

[٦٢] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	إذا فرغ	الأكلة	بأصبعٍ واحدةٍ	بالخمس ويدفع بالرَّاحة	الثَّلاث
يأكل بأصابعه	○	○	○	○	○
ويلعقها	○	○	○	○	○
وهو أشرف ما يكون من	○	○	○	○	○
فإنَّ المُتكبِّر يأكل	○	○	○	○	○
والجشع الحريص يأكل	○	○	○	○	○

[٦٣] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

أوَّل من آمن بالرَّسول ﷺ:	عليُّ بن أبي طالبٍ	بلال بن رباحٍ	زيد بن حارثة	أبو بكرٍ الصَّدِّيق
من الرِّجال	○	○	○	○
من الصِّبيان	○	○	○	○
من الموالي	○	○	○	○
من العبيد	○	○	○	○

[٦٤] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كفالته ﷺ:	أبوطالبٍ	عبد المُطَّلب	نحو ثمان سنين	عبد الله بن عبد المُطَّلب	سبع سنين
لمَّا كان حملًا مات أبوه	○	○	○	○	○
ماتت أمُّه ولم يستكمل	○	○	○	○	○
كفله بعد أمِّه جدُّه	○	○	○	○	○
ثمَّ توفِّي وله ﷺ	○	○	○	○	○
ثمَّ كفله عمُّه الشَّقيق	○	○	○	○	○

[٦٥] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

غزواته ﷺ وبعوثه:	عشر سنين	ستِّين	سبعٌ وعشرون	تسعٍ منها	غزوةٍ واحدةٍ
كلُّ بعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة في مدَّة	❍	❍	❍	❍	❍
سراياه وبعوثه قريبٌ من	❍	❍	❍	❍	❍
عدد غزواته ﷺ	❍	❍	❍	❍	❍
قاتل ﷺ في	❍	❍	❍	❍	❍
وجُرح ﷺ في	❍	❍	❍	❍	❍

الْمُحَبَّرَةُ فِي التَّارِيخ:

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ بَدْرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ أُسَيْدٍ الْقُرَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٢٤٩هـ) فِي مَنظومَتِه «الْمُحَبَّرَةِ فِي التَّارِيخِ»:

مُقَدِّمَةٌ

١ الْحَمْـــدُ للهِ الْمُعِيـــدِ الْمُبْـــدِي ... حَمْـدًا كَثِيـرًا وَهْـوَ أَهْـلُ الْحَمْـدِ

٢ ثُــمَّ الصَّـــلَاةُ أَوَّلًا وَآخِــرَا ... عَلَــىٰ النَّبِـيِّ بَاطِنًـا وَظاهِـرَا

٣ يَـا سَـائِلِي عَـنِ ابتِـدَاءِ الْخَلْـقِ ... مَسْـأَلَةَ الْقَاصِـدِ قَصْـدَ الْحَـقِّ

٤ أَخْبَرَنِـي قَـوْمٌ مِـنَ الثِّقَـاتِ ... أُولُـو عُلُـوم وَأُولُـو هَيْئَـاتِ

٥ تَقَدَّمُـوا فِـي طَلَـبِ الْآثَـارِ ... وَعَرَفُـــوا حَقَـــائِقَ الْأَخْبَـارِ

٦ وَفَهِمُـــوا التَّـوْرَاةَ وَالْإِنْجِيـلَا ... وَأَحْكَمُـوا التَّنْزِيـلَ وَالتَّأْوِيـلَا

٧ أَنَّ الَّـذِي يَفْعَـلُ مَـا يَشَـاءُ ... وَمَـنْ لَـــهُ الْعِـــزَّةُ وَالْبَقَـاءُ

آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٨ أَنْشَـــأَ خَلْـقَ آدَمٍ إِنْشَـــاءَ ... وَقَـــدَّ مِنْـهُ زَوْجَـــهُ حَـوَّاءَ

٩ مُبْتَدِئًـا ذَلِـكَ يَـوْمَ الْجُمْعَـهْ ... حَتَّـىٰ إِذَا أَكْمَـلَ مِنْـهُ صُنْعَـهْ

١٠ أَسْكَنَـــهُ وَزَوْجَـــهُ الْجِنَانَـا ... فَـكَانَ مِـنْ أَمْرِهِمَـا مَـا كَانَـا

١١ غَرَّهُمَـــا إِبْلِيـــسُ فَاغْتَـرَّا بِـهِ ... كَمَـــا أَبَـانَ اللهُ فِـي كِتَابِـهِ

١٢ دَلَّاهُمَـا الْمَلْعُـونُ فِيمَـا صَنَعَـا ... فَأُهْبِطَـا مِنْهَـا إِلَـىٰ الْأَرْضِ مَعَـا

١٣ [فَوَقَـــعَ الشَّيْـــخُ أَبُونَـا آدَمْ ... بِجَبَلٍ فِـي الْهِنْـدِ يُدْعَىٰ وَاسِـمْ][1]

١٤ لَبِئْسَـمَا اعْتَـاضَ عَـنِ الْجِنَـانِ ... وَعَـنْ جِـوَارِ الْمَلِـكِ الْمَنَّـانِ

١٥ وَالضَّعْـفُ مِـنْ خَلِيقَـةِ الْإِنْسَـانِ ... لَا سِيَمَـــا فِـي أَوَّلِ الزَّمَـــانِ

١٦ مَـا لَبِثَـا فِـي الْفَـوْزِ يَوْمًـا وَاحِـدَا ... حَتَّىٰ اسْـتَعَاضَا مِنْهُ جُهْدًا جَاهِدَا[2]

---

(١) ذكرَه ابنُ قُتَيبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرُه عن بعضِ أهلِ العلمِ، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ.
(٢) وجاءَ في الحَديثِ أنَّه لبِثَ ما بينَ العَصرِ إلىٰ المَغرِبِ، صحَّحَه الحاكِمُ ووافقَه الذَّهبِيُّ.

شِيثٌ عليه السلام

١٧ فَشَقِيَا وَوَرَّثَا الشَّقَاءَ — أَبْنَاهُمَا وَالْهَمَّ وَالْعَنَاءَ

١٨ وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِهِ — حَتَّىٰ تَلَقَّىٰ كَلِمَاتِ رَبِّهِ

١٩ فَأَمِنَ السَّخْطَةَ وَالْعِقَابَا — وَاللهُ تَوَّابٌ عَلَىٰ مَنْ تَابَا

٢٠ ثُمَّ اسْتَمَلَّا وَأَحَبَّا النَّسْلَا — فَحَمَلَتْ حَوَّاءُ مِنْهُ حَمْلَا

٢١ وَوَضَعَتْ إِبْنًا وَبِنْتًا تَوْأَمَا — فَسُرَّ لَمَّا سَلِمَتْ وَسَلِمَا

٢٢ وَاقْتَنَيَا الإِبْنَ فَسُمِّي قَايِنَا[1] — وَعَايَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا عَايَنَا

٢٣ ثُمَّ أَغَبَّتْ بَعْدَهُ قَلِيلَا — فَوَضَعَتْ مُتْئِمَةً هَابِيلَا

٢٤ فَشَبَّ هَابِيلُ وَشَبَّ قَايِنُ — وَلَمْ يَكُن بَيْنَهُمَا تَبَايُنُ

٢٥ فَقَرَّبَا لِحَاجَةٍ قُرْبَانَا — وَخَضَعَا لِلَّهِ وَاسْتَكَانَا

٢٦ فَقُبِلَ الْقُرْبَانُ مِنْ هَابِيلِ — وَلَمْ يَفُزْ قَايِنُ بِالْقَبُولِ

٢٧ فَثَارَ لِلْحَيْنِ الَّذِي حُيِّنَ لَهْ — إِلَىٰ أَخِيهِ ظَالِمًا فَقَتَلَهْ

٢٨ [ثُمَّ اسْتَفَزَّ أُخْتَهُ فَهَرَبَا — وَفَارَقَا أُمًّا أَلُوفًا وَأَبَا

٢٩ فَبَعُدَتْ دَارُهُمَا مِنْ دَارِهِ — وَزَهِدَا فِي الْخَيْرِ مِنْ جِوَارِهِ

٣٠ فَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيْهِ **شِيثَا** — وَلَمْ يَزَلْ بِاللهِ مُسْتَغِيثَا

٣١ حَتَّىٰ إِذَا أَحَسَّ بِالْحِمَامِ — وَذَاكَ بَعْدَ سَبْعِ مِيَةِ عَامِ

٣٢ كَانَتْ إِلَىٰ شِيثَ ابْنِهِ الْوَصِيَّهْ — وَلَيْسَ شَيْءٌ يُعْجِزُ الْمَنِيَّهْ

٣٣ أَنِ اعْبُدِ اللهَ وَجَانِبْ قَايِنَا — وَكُنْ لَهُ وَنَسْلِهِ مُبَايِنَا

٣٤ فَلَمْ يَزَلْ شِيثُ عَلَىٰ الإِيمَانِ — مُعْتَصِمًا بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

٣٥ يَحْفَظُ مَا أَوْصَىٰ بِهِ أَبُوهُ — لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَعْدُوهُ

٣٦ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَضَرَتْ وَفَاتُهُ — وَخَافَ أَن يَفْجَأَهُ مِيقَاتُهُ

٣٧ أَوْصَىٰ أَنُوشًا وَأَنُوشُ كَهْلُ — بِمِثْلِ مَا أَوْصَىٰ أَبُوهُ قَبْلُ

٣٨ فَلَمْ يَزَلْ أَنُوشُ يَقْفُو أَثَرَهْ — لَا يَتَعَدَّىٰ جَاهِدًا مَا أَمَرَهْ

---

(١) اسمُه في التَّوراةِ: (قايين)، ويُسَمِّيه العرَبُ: (قابيل).

٣٩ ثُمَّ تَلَاهُ إبْنُهُ قِينَانُ ... وَقَوْلُهُ وَفِعْلُهُ الْإِيمَانُ
٤٠ ثُمَّ تَلَا قِينَانَ مَهْلَائِيلُ ... فَسَنَّ مَا سَنَّتْ لَهُ الْكُهُولُ
٤١ ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالأُمُورِ يَرْدُ ... أَخْنُوخُ وَهْوَ فِي الْعُلُومِ فَرْدُ
٤٢ وَكَانَ فِي زَمَانِهِ تُوبِيلُ ... الْخَالِعُ الْمُضَلِّلُ الضَّلِيلُ
٤٣ أَوَّلُ مَنْ تَتَبَّعَ المَلَاهِيَا ... وَأَظْهَرَ الْفَسَادَ وَالْمَعَاصِيَا
٤٤ وَكَانَ مِنْ نَسْلِ الْغَوِيِّ قَايِنِ ... وَغَيْرُ بِدْعٍ خَايِنٌ مِنْ خَايِنِ
٤٥ فَاغْتَرَّ مِنْ أَوْلَادِ شِيثٍ عَالَمَا ... حَتَّىٰ عَصَوْا وَانْتَهَكُوا الْمَحَارِمَا
٤٦ وَخَالَفُوا وَصِيَّةَ الْآبَاءِ ... وَافْتُتِنُوا بِاللَّهْوِ وَالنِّسَاءِ
٤٧ وَلَمْ يَزَلْ يَارِدُ يَأْلُو قَوْمَهُ ... نُصْحًا وَكَانُوا يُكْثِرُونَ لَوْمَهُ
٤٨ حَتَّىٰ إِذَا مَاتَ اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ ... إِدْرِيسُ بِالْأَمْرِ فَأَوْرَىٰ زَنْدَهُ

إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٤٩ وَهُوَ خَنُوخُ بِالْبَيَانِ أَعْجَمَا ... صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا
٥٠ أَوَّلُ مَبْعُوثٍ إِلَىٰ الْعِبَادِ ... وَآمِرٍ بِالْخَيْرِ وَالرَّشَادِ
٥١ وَأَوَّلُ النَّاسِ قَرَا وَكَتَبَا ... وَعَلَّمَ الْحِسَابَ لَمَّا حَسَبَا
٥٢ فَلَمْ يُطِعْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ ... وَاخْتَلَطُوا بِقَايِنٍ وَنَسْلِهِ
٥٣ فَرَفَعَ اللهُ إِلَيْهِ عَبْدَهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا اخْتَارَ الْمُقَامَ عِنْدَهُ
٥٤ وَصَارَ مَتُّوشَلَخُ مُسْتَخْلَفَا ... مِنْ بَعْدِ إِدْرِيسَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ
٥٥ فَحَذَّرَ النَّاسَ عَذَابًا نَازِلَا ... فَلَمْ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ قَابِلَا
٥٦ غَيْرَ ابْنِهِ لَمْكٍ فَأَوْصَىٰ لَمْكَا ... وَصِيَّةً كَانَتْ تُقًىٰ وَنُسْكَا
٥٧ فَوَعَظَ النَّاسَ فَخَالَفُوهُ ... وَنَفَرُوا عَنْهُ وَفَارَقُوهُ](١)
٥٨ فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ نُوحَا ... عَبْدًا لِمَنْ أَرْسَلَهُ نَصُوحَا

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٥٩ فَعَاشَ أَلْفًا غَيْرَ خَمْسِينَ سَنَهْ ... يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ وَتَمْضِي الْأَزْمِنَهْ

---

(١) كلُّ هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيلَ، ولم يَرِد ما يُؤَيِّدُه في شَرعِنا، وتقَدَّمَ الخِلافُ في إدريسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذِكرُ قولِ مَن رجَّحَ كَونَه بعدَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما استُدِلَّ به لذلِكَ.

٦٠ يَدْعُوهُمُ سِرًّا وَيَدْعُو جَهْرَا … فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَاكَ إِلَّا كُفْرَا
٦١ وَانْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ … وَأَظْهَرُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
٦٢ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ أَنْ يُطَاعَا … وَحَجَبُوا مِنْ دُونِهِ الْأَسْمَاعَا
٦٣ دَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ الْبَوَارِ … مِنْ بَعْدِ مَا أَبْلَغَ فِي الْإِنْذَارِ
٦٤ وَاتَّخَذَ الْفُلْكَ بِأَمْرِ رَبِّهِ … حَتَّىٰ نَجَا بِنَفْسِهِ وَحِزْبِهِ
٦٥ وَأَقْبَلَ الطُّوفَانُ مَاءً طَاغِيَا … فَلَمْ يَدَعْ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا بَاقِيَا
٦٦ غَيْرَ الَّذِينَ اعْتَصَموا فِي الْفُلْكِ … فَسَلِمُوا مِنْ غَمَرَاتِ الْهُلْكِ
٦٧ وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ فِي آبِ … قَبْلَ انْتِصَافِ الشَّهْرِ فِي الْحِسَابِ
٦٨ فَعَزَمُوا عِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَعْمَعَهْ … أَنْ يَرْكَبُوا الْفُلْكَ وَأَنْ يَنْجُوا مَعَهْ
٦٩ وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ نُوحٍ وَاحِدُ … مُخَالِفٌ لِأَمْرِهِ مُعَانِدُ
٧٠ فَبَادَ فِيمَنْ بَادَ مِنْ عِبَادِهِ … وَسَلِمَ الْبَاقُونَ مِنْ أَوْلَادِهِ
٧١ [سَامٌ وَحَامٌ وَالصَّغِيرُ الثَّالِثُ … وَهُوَ فِي التَّوْرَاةِ يُدْعَىٰ يَافِثُ
٧٢ فَأَكْثَرُ الْبِيضَانِ نَسْلُ سَامِ … وَأَكْثَرُ السُّودَانِ نَسْلُ حَامِ
٧٣ وَيَافِثٌ فِي نَسْلِهِ عَجَائِبُ … يَأْجُوجُ وَالْأَتْرَاكُ وَالصَّقَالِبُ][^1]
٧٤ وَمِنْ بَنِي سَامِ بْنِ نُوحٍ إِرَمُ … وَأَرْفَخْشَدُ وَلَاوِذٌ وَغَيْلَمُ
٧٥ فَكَثُرَتْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ عَادُ … وَشَاعَ مِنْهَا الْعَيْثُ وَالْفَسَادُ
٧٦ وَعَادُ مِنْ أَوْلَادِ عُوصِ بْنِ إِرَمْ … وَمِنْ بَنِي عُوصٍ جَدِيسٌ وَطَسَمْ
٧٧ فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيهِمْ **هُودَا** … فَجَرَّدَ الْحَقَّ لَهُمْ تَجْرِيدَا — **هُودٌ** عليه السلام
٧٨ فَعَانَدُوهُ شَرَّ مَا عِنَادِ … وَانْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ
٧٩ [فَقَالَ: يَا رَبِّ أَعِزَّ الْقَطْرَا … عَنْهُمْ فَعَدَّهُمْ سِنِينَ عَشْرَا]
٨٠ وَأَرْسَلَ الرِّيحَ عَلَيْهِمِ عَاصِفَا … فَلَمْ تَدَعْ مِنْ آلِ عَادٍ طَائِفَا
٨١ [وَكَانَ وَفْدٌ مِنْهُمُ سَبْعُونَا … سَارُوا إِلَىٰ مَكَّةَ يَسْتَقُونَا

[^1]: (١) ذكَرَ هذا جماعةٌ مِن السَّلَفِ -رحِمَهم الله-، ولا يصِحُّ فيه خبرٌ مرفوعٌ.

٨٢ فَابْتَهَلُوا وَرَفَعُوا أَيْدِيهِمُ ... وَكَانَ لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ مِنْهُمُ

٨٣ فَسَأَلَ الْبَقَاءَ وَالتَّعْمِيرَا ... فَعَاشَ حَتَّىٰ أَهْلَكَ النُّسُورَا

٨٤ وَوَافَقَتْ دَعْوَتُهُ إِجَابَهْ ... إِذْ لَمْ يَكُن بِمُرْتَضٍ أَصْحَابَهْ][1]

صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٨٥ وَأَثْمَرَتْ ثَمُودُ بَعْدَ عَادِ ... فَسَكَنَتْ حِجْرًا وَبَطْنَ الْوَادِي

٨٦ فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ صَالِحَا ... فَتًىٰ حَدِيثَ السِّنِّ مِنْهُمْ رَاجِحَا

٨٧ فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُوهُمُ حَتَّىٰ اكْتَهَلْ ... وَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمُ إِلَّا الْأَقَلْ

٨٨ وَأَحْضَرُوهُ صَخْرَةً مَلْسَاءَ ... وَقَالُوا أَخْلِصْ عِنْدَهَا الدُّعَاءَ

٨٩ فَهَلْ لِمَنْ تَعْبُدُهُ مِنْ طَاقَهْ ... أَنْ تَتَشَظَّىٰ وَلَدًا عَنْ نَاقَهْ

٩٠ فَانْفَلَقَتْ حَتَّىٰ بَدَا زَجِيلُهَا ... عَنْ نَاقَةٍ يَتْبَعُهَا فَصِيلُهَا

٩١ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ لِلشَّقَاءِ ... فَعَاجَلَتْهُمْ صَيْحَةُ الْفَنَاءِ

٩٢ فَتِلْكَ حِجْرٌ مِنْ ثَمُودٍ خَالِيَهْ ... فَهَلْ تَرَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ بَاقِيَهْ

إِبْرَاهِيمُ وَلُوطٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

٩٣ ثُمَّ اصْطَفَىٰ رَبُّكَ إِبْرَاهِيمَا ... فَلَمْ يَزَلْ فِي خَلْقِهِ رَحِيمَا

٩٤ فَكَانَ مِنْ إِخْلَاصِهِ التَّوْحِيدَا ... أَنْ هَجَرَ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَا

٩٥ وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ الْحِسَانَا ... وَكَسَرَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَا

٩٦ وَقَالَ لُوطٌ إِنَّنِي مُهَاجِرُ ... وَبِالَّذِي تَأْمُرُ قَوْمِي آمِرُ

٩٧ مَا قَدْ تَوَلَّىٰ شَرْحَهُ الْقُرْآنُ ... وَفِي الْقُرَانِ الصِّدْقُ وَالْبَيَانُ

٩٨ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ الْإِيمَانَا ... وَخَصَّهُ الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَا

٩٩ وَقَمَعَ النُّمْرُودَ عَاتِي دَهْرِهِ ... بِحُجَجِ اللهِ وَحُسْنِ صَبْرِهِ

١٠٠ وَجَعَلَ الْحِكْمَةَ فِي أَوْلَادِهِ ... وَاخْتَارَهُمْ طُرًّا عَلَىٰ عِبَادِهِ

إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٠١ وَجَعَلَ الْأَمْرَ لِإِسْمَاعِيلِ ... فَهُوَ أَسَنُّ وَلَدِ الْخَلِيلِ

(١) ذكَرَ ابنُ إسحاقَ رَحِمَهُ اللهُ قصَّةَ حَبسِ القَطرِ، إلاَّ أنَّه جعلَها مدَّةَ ثلاثِ سِنينَ، وذكَرَ كذلِكَ استِسقاءَ السَّبعينَ رَجُلًا، ولا يصِحُّ في شيءٍ مِن ذلِكَ خبَرٌ مرفوعٌ، إلَّا أنَّ ما قصَّه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن فرَحِ قَومِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعارِضِ وظنِّهم أنَّه يأتيهم بالمطَرِ يُؤيِّدُ كونَهم قُحِطوا، واللهُ أعلَمُ.

١٠٢ وَوَلَـدَتْ هَاجَـرُ قَبْـلَ سَـارَهْ ... وَقَبْلَهَـا بُلِّغَـتِ الْبِشَـارَهْ
١٠٣ مِـنْ رَبِّهَـا وَسَـمِعَتْ نِـدَاءَ ... قَـدْ سَـمِعَ اللهُ لَـكِ الدُّعَـاءَ
١٠٤ وَأُسْـكِنَتْ فِـي الْبَلَـدِ الأَمِيـنِ ... وَشَـبَّ إِسْمَاعِيلُ فِـي الْحَجُـونِ
١٠٥ وَكَـانَ يَومًـا عِنْـدَهُ جِبْرِيـلُ ... وَعِنْـدَهُ النَّبِـيُّ إِسْمَاعِيـلُ
١٠٦ وَهُـوَ صَغِيـرٌ فَاشْـتَكَىٰ الظَّمَـاءَ ... فَخَرَجَـتْ هَاجَـرُ تَبْغِـي الْمَـاءَ
١٠٧ فَهَمَـزَ الْأَرْضَ فَجَاشَـتْ جَمْجَمَا ... تَفُـورُ مِـنْ هَمْزَتِـهِ أَنْهُـرَ مَـا
١٠٨ وَأَقْبَلَـتْ هَاجَـرُ لَمَّـا يَئِسَـتْ ... فَرَاعَهَـا مَـا عَايَنَـتْ فَأَبْلَسَـتْ
١٠٩ وَجَعَلَـتْ تَبْنِـي لَـهُ الصَّفَائِحَـا ... لَـوْ تَرَكَتْـهُ كَانَ مَـاءً سَـائِحَا
١١٠ وَجَاوَرَتْهُـم جُرْهُـمٌ فِـي الـدَّارِ ... رَاغِبَـةً فِـي الصِّهْـرِ وَالْجِـوَارِ
١١١ فَوَلَـدُوا النِّسَـاءَ وَالرِّجَـالَا ... خَؤُولَـةٌ شَرَّفَـتِ الْأَخْـوَالَا
١١٢ وَوَطَّنُـوا مَكَّـةَ دَهْـرًا دَاهِـرَا ... حَتَّـىٰ إِذَا مَـا قَارَفُـوا الْكَبَائِـرَا
١١٣ وَبَدَّلُـوا شِـرْعَةَ إِبْرَاهِيـمِ ... وَشَبَّهُـوا التَّحْلِيـلَ بِالتَّحْرِيـمِ
١١٤ أَجْلَتْهُـمُ عَنْهَـا بَنُـو كِنَانَـهْ ... فَدَخَلُـوا بِالـذُّلِّ وَالْمَهَانَـهْ
١١٥ وَوَلِـيَ الْبَيْـتَ وَأَمْـرَ النَّـاسِ ... الْأَكْرَمُـونَ مِـنْ بَنِـي إِلْيَـاسِ
١١٦ [فَلَـمْ تَـزَلْ شِرْعَـةُ إِسْمَاعِيلِ ... فِـي أَهْلِـهِ وَاضِحَـةَ السَّـبِيلِ][1]
١١٧ حَتَّـىٰ انْتَهَـىٰ الْأَمْـرُ إِلَـىٰ قُصَـيِّ ... مُجَمِّـعٍ خَيْـرِ بَنِـي لُـؤَيِّ
١١٨ فَسَـلَّمَ النَّـاسُ لَـهُ الْمَقَامَـا ... وَالْبَيْـتَ وَالْمَشْـعَرَ وَالْحَرَامَـا
١١٩ وَصَـارَتِ الْقَـوْسُ إِلَـىٰ بَارِيهَـا ... وَصَادَفَـتْ رَمِيَّـةٌ رَامِيهَـا
١٢٠ وَوُطِّنَـتْ فِـي أَهْلِهَـا الْمَكَـارِمُ ... وَرُفِعَـتْ لِشَيْدِهَـا الدَّعَائِـمُ
١٢١ وَوَرَّثَ الشَّيْـخُ بَنِيـهِ الشَّـرَفَا ... وَكُلُّهُـم أَغْنَـىٰ وَأَجْـدَىٰ وَكَفَـىٰ

(١) صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ أوَّلَ مَن أدخَلَ الأصنامَ إلىٰ مكَّةَ، وغيَّرَ شَرعَ إبراهيمَ عليه السلام، وسيَّبَ السَّوائِبَ وبحَرَ البَحيرةَ هو عَمرو بنُ لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِندِفٍ، وهو أبو كَعبٍ الَّذي سُمِّي خُزاعَةَ، وإليه تُنسَبُ القَبيلَةُ المَعروفَةُ، وعلىٰ هذا فيكونُ تَغييرُ شَرعِ إبراهيمَ عليه السلام حصَلَ في عَصرِ كِنانَةَ، وهو قبلَ قُصَيٍّ بمُدَّةٍ طَويلَةٍ، واللهُ أعلَمُ.

إسحاق عليه السلام

١٢٢ وَاسْـمَعْ حَدِيـثَ عَمِّنَـا إِسْـحَاقَا   فَإِنَّنِـي أَسُوقُـهُ أَنْسَاقَـا

١٢٣ جَـاءَ عَلَـىٰ فَـوْتٍ مِـنَ الشَّـبَابِ   وَمِئَـةٍ مَـرَّتْ مِـنَ الْأَحْقَـابِ

١٢٤ فَأَيَّـدَ اللهُ بِـهِ الخَلِيـلَا   وَعَضَـدَ الصَّـادِقَ إِسمَاعِيـلَا

١٢٥ وَعَجِبَـتْ سَـارَةُ لَمَّـا بُشِّـرَتْ   بِـهِ فَصَكَّـتْ وَجْهَهَـا وَذُعِـرَتْ

١٢٦ قَالَـتْ: وَأَنَّـىٰ تَلِـدُ الْعَجُـوزُ؟!   قِيـلَ: إِذَا قَـدَّرَهُ الْعَزِيـزُ

١٢٧ وَقِيـلَ: مِـنْ وَرَائِـهِ يَعْقُـوبُ   مَقَالَـةٌ لَيْـسَ لَهَـا تَكْذِيـبُ

١٢٨ فَتَـمَّ وَعْـدُ اللهِ جَـلَّ ذِكْـرُهُ   وَغَلَـبَ الْأَمْـرَ جَمِيعًـا أَمْـرُهُ

يَعْقُوب عليه السلام

١٢٩ فَـكَانَ مِـنْ قِصَّـةِ يَعْقُـوبَ النَّبِـي   مَـا لَيْـسَ يَخْفَىٰ ذِكْـرُهُ فِـي الْكُتُبِ

١٣٠ قَـدْ أَفْـرَدَ اللهُ بِـذَاكَ سُـورَهْ   مَعْرُوفَـةً بِيُوسُـفٍ مَشْـهُورَهْ

١٣١ وَمَـاتَ يَعْقُـوبُ بِـأَرْضِ مِصْـرِ   مِـنْ بَعْـدِ تِسْـعٍ كَمُلَـتْ وَعَشْـرِ

يُوسُف عليه السلام

١٣٢ وَإِنَّمَـا طَالَـعَ مِصْـرَ زَائِـرَا   لِيوسُـفٍ ثُـمَّ ثَـوَىٰ مُجَـاوِرَا

١٣٣ حَتَّـىٰ إِذَا أَيقَـنَ بِالْحِمَـامِ   أَوْصَـىٰ بِـأَنْ يُقْبَـرَ بِالشَّـآمِ

١٣٤ فَحَمَـلَ التَّابُـوتَ حَتَّـىٰ قَبَـرَهْ   يُوسُـفُ بِالشَّـامِ عَلَـىٰ مَـا أَمَـرَهْ

١٣٥ ثُـمَّ أَتَـىٰ مِصْـرَ فَعَـاشَ حِقَبَـا   حَتَّـىٰ قَضَـىٰ مِـنَ الْحَيَـاةِ أَرَبَـا

١٣٦ وَكَـانَ مِـنْ أُسْرَتِهِ سَبْعُونَـا   أَتَـوْهُ مَـعْ يَعْقُـوبَ زَائِرِينَـا

١٣٧ وَكَـانَ فِرْعَـوْنُ يَلِيهِـمْ قَسْـرَا   فَسَـامَهُمْ سُـوءَ الْعَـذَابِ دَهْـرَا

مُوسَى وَهَارُون عليهما السلام

١٣٨ فَبَعَـثَ اللهُ إِلَيْهِـمْ مُوسَـىٰ   مِـنْ بَعْـدِ مَـا قَدَّسَـهُ تَقْدِيسَـا

١٣٩ فَخَلَّـصَ الْقَـوْمَ مِـنَ الْعَـذَابِ   وَهُـمْ عَلَـىٰ مَا قِيـلَ فِي الْحِسَـابِ

١٤٠ [سِوَىٰ الذَّرَارِي وَالرِّجَالِ الْعُجْفِ   مِـنَ الرِّجَـالِ سِـتُّ مِيـةِ أَلْـفِ]

١٤١ وَنَقَـلَ التَّابُـوتَ ذُو الْعَهْـدِ الْوَفِـي   مُوسَىٰ وَفِي التَّابُوتِ جِسْمُ يُوسُفِ

١٤٢ لَـمْ يَثْنِـهِ عَـنْ ذَاكَ بُعْـدُ الْعَهْـدِ   وَلَا الَّـذِي مَـرَّ بِـهِ مِـنْ جُهْـدِ

١٤٣ [وَبَيْنَهُـمْ إِحْـدَىٰ وَخَمْسُـونَ سَـنَهْ   وَمِئَـةٌ كَامِلَـةٌ مُمْتَحَنَـهْ][1]

(١) هذا والَّذي قبلَه مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

١٤٤ وَمَكَثُوا فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَا ... وَلَمْ يَعِيشُوا مِثْلَهَا سِنِينَا
١٤٥ وَمَاتَ هَارُونُ بنُ عِمْرانَ النَّبِي ... مِنْ قَبْلِ مُوسَىٰ فِي مَنَامٍ طَيِّبِ
١٤٦ وَقِيلَ مَا أُخِّرَ عَنْ أَخِيهِ ... إِلَّا لِأَمْرٍ قَدْ قُضِي فِي التِّيهِ

يُوشَعُ عليه السلام

١٤٧ ثُمَّ تَنَبَّا يُوشَعُ بْنُ نُونِ ... وَصِيُّ مُوسَىٰ الصَّادِقِ الْأَمِينِ
١٤٨ [فَخَاضَ بَحْرَ أُرْدُنَ الْعَمِيقَا ... وَجُعِلَ الْبَحْرُ لَهُ طَرِيقَا
١٤٩ وَحُرِّقَتْ مِنْ خَوْفِهِ أَرِيحَا] ... وَفَتَحَ اللهُ بِهِ الْفُتُوحَا
١٥٠ وَقَالَ لِلشَّمْسِ: قِفِي فَوَقَفَتْ ... وَرَدَّهَا مِنْ قَصْدِهَا فَانْصَرَفَتْ
١٥١ وَذَلَّلَ الْمُلُوكَ حَتَّىٰ ذَلَّتِ ... وَقُلِّلَتْ فِي عَيْنِهِ فَقَلَّتِ
١٥٢ وَأَسْكَنَ الشَّامَ بَنِي اسْرَائِيلِ ... وَعْدًا مِنَ الرَّحْمنِ فِي التَّنْزِيلِ

مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١٥٣ [ثُمَّ تَنَبَّا وَقَفَاهُ كَالِبُ ... وَقَالَ لِلْأَسْبَاطِ: إِنِّي ذَاهِبُ
١٥٤ وَخَلَّفَ الْحَلِيمَ حَزْقَائِيلَا ... ابْنَ الْعَجُوزِ بَعْدَهُ بَدِيلَا]
١٥٥ وَكَثُرَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَحْزَابُ ... وَنَصَبُوا بَعْلَهُمْ وَعَابُوا
١٥٦ فَقَالَ إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ لَهُمْ ... وَهْوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِمْ
١٥٧ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَأَلْقُوا بَعْلَا ... فَاسْتَكْبَرُوا وَأَوْعَدُوهُ الْقَتْلَا
١٥٨ [فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَخْفِيًا سَيَّاحَا ... حَتَّىٰ دُعِي بِالْمَوْتِ فَاسْتَرَاحَا
١٥٩ وَقِيلَ فِي التَّوْرَاةِ: إِنَّ فَرَسَا ... أَتَاهُ فِي صَبَاحِهِ أَوْ فِي مَسَا
١٦٠ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَهُ إِلْيَاسُ ... غَابَ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ النَّاسُ](١)
١٦١ وَلَمْ يَزَلْ ابْنُ الْخُطُوبِ الْيَسَعُ ... يَرْدَعُهُمْ دَهْرًا فَلَمْ يَرْتَدِعُوا
١٦٢ وَسُلِبُوا التَّابُوتَ مِنْ بَعْدِ الْيَسَعْ ... وَمَاتَ عَالِي رَأْسِهِمْ مِنَ الْجَزَعْ
١٦٣ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ ... وَعَمَّهُمْ بَعْدَ الْهُدَىٰ الْعَمَاءُ

شَمْوِيلُ عليه السلام

١٦٤ فَسَأَلُوا نَبِيَّهُمْ سَمْوِيلَا ... أَنْ يَسْتَقِيلَ الْمَلِكَ الْجَلِيلَا
١٦٥ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُوَلِّي وَالِيَا ... عَلَيْهِمُ يُقَاتِلُ الْأَعَادِيَا

(١) كلُّ هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

١٦٦ وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُطِيعُوا أَمْرَهُ … وَأَنْ يُعِزُّوهُ وَيُعْلُوا قَدْرَهُ

١٦٧ فَبَعَثَ اللهُ لَهُمْ طَالُوتَا … فَاتَّبَعُوهُ وَغَزَوْا جَالُوتَا

١٦٨ وَكَانَ دَاوُدُ أَقَامَ بَعْدَهُ … فِي أَهْلِهِ ثُمَّ أَتَاهُ وَحْدَهُ

دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٦٩ [وَكَلَّمَتْهُ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ … نَادَتْهُ حَيْثُ يَسْمَعُ النِّدَاءُ

١٧٠ خُذْنِي فَإِنِّي حَجَرُ الْخَلِيلِ … يُقْتَلُ بِي جَالُوتُ عَنْ قَلِيلِ

١٧١ وَكَانَ أَيْضًا سَأَلَتْهُ قَبْلَهَا … صَخْرَةُ إِسْحَاقَ النَّبِيِّ حَمْلَهَا

١٧٢ فَشَاهَدَ الْحَرْبَ عَلَىٰ أَنَاتِهِ … وَاصْطَكَّتِ الْأَحْجَارُ فِي مِخْلَاتِهِ

١٧٣ وَكُلُّهَا يَطْمَعُ فِي إِسْدَائِهِ … مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

١٧٤ فَنَالَ دَاوُدُ بِبَعْضِهِنَّهْ … جَالُوتَ إِذْ كَانَتْ لَهُ مَظِنَّهْ][(١)]

١٧٥ فَأَهْلَكَ اللهُ لَهُ عَدُوَّهْ … وَفَازَ بِالْمُلْكِ وَبِالنُّبُوَّهْ

١٧٦ [وَكَانَ طَالُوتُ لَهُ حَسُودَا … فَأَظْفَرَ اللهُ بِهِ دَاوُدَا][(٢)]

١٧٧ وَكَانَ قَدْ أَسَّسَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ … بُورِكَ فِي الْأَسَاسِ وَالْمُؤَسِّسِ

١٧٨ وَإِنَّمَا تَمَّمَهُ سُلَيْمَانْ … مِنْ بَعْدِهِ حَتَّىٰ اسْتَقَلَّ الْبُنْيَانْ

سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٧٩ وَكَانَ قَدْ وَصَّاهُ بِاسْتِتْمَامِهِ … دَاوُدُ إِذْ أَشْفَىٰ عَلَىٰ حِمَامِهِ

١٨٠ وَقَامَ بِالْمُلْكِ سُلَيْمَانُ الْمَلِكْ … نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّىٰ هَلَكْ

١٨١ وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِهِ عِشْرُونَا … مِنْ بَعْدِهِ بِالْمُلْكِ قَائِمُونَا

١٨٢ ثُمَّ أَزَالَ الْمُلْكَ بُخْتَنَصَّرُ … عَنْهُمْ فَقَامَ بَعْدَهُمْ وَقَصَّرُوا

١٨٣ وَخَرَّبَ الشَّقِيُّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ … وَكَانَ مَشْغُوفًا بِقَتْلِ الْأَنْفُسِ

١٨٤ وَمَاتَ بِالرَّمْلَةِ عَنْ بَنِينَا … مِنْ بَعْدِهِ بِالْمُلْكِ قَائِمِينَا

---

(١) هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

(٢) هذا ممَّا يُنتَقَدُ علىٰ النَّاظمِ رَحِمَهُ اللهُ، وهو مِن افتراءاتِ بَني إسرائيلَ، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اختارَ طالوتَ مَلِكًا علىٰ بَني إسرائيلَ، ووصَفَه بالعِلمِ والقُوَّةِ، وأمَرَهم بالتِزامِ أمرِه والجِهادِ تحتَ رايَتِه، ومَن كانَ هكذا لم يَجُز أن يوصَفَ بالحسَدِ والمَكرِ لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وافتِراؤُهم علىٰ طالوتَ ليسَ بغَريبٍ، فإنَّهم قد افتَرَوا علىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسِه وعلىٰ غَيرِه مِن الرُّسُلِ بما هو أعظَمُ مِن هذا.

١٨٥ فَقَتَلَ الْأَخِيرَ مِنْ بَنِيهِ ... دَارًا وَصَارَ مُلْكُهُمْ إِلَيْهِ

مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١٨٦ [وَكَانَ فِي زَمَانِهِ] **أَيُّوبُ** ... الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ الْمُنِيبُ

١٨٧ وَبَعْدَ أَيُّوبَ **ابْنُ مَتَّىٰ يُونُسُ** ... وَفِيهِ لِلَّهِ كِتَابٌ يُدْرَسُ

١٨٨ وَيُونُسٌ وَلَّىٰ فَقَامَ **شَعْيَا** ... فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَا

١٨٩ وَقِيلَ: إِنَّ **الْخِضْرَ** مِنْ إِخْوَانِهِ ... وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي زَمَانِهِ

١٩٠ **وَزَكَرِيَّاءُ وَيَحْيَىٰ** الطَّاهِرُ ... قَدْ أَنْذَرَا لَوْ أَغْنَتِ الْمَنَاذِرُ

١٩١ كِلَاهُمَا أُكْرِمَ بِالشَّهَادَهْ ... فَسَعِدَا وَأَيَّمَا سَعَادَهْ

١٩٢ وَكَانَ يَحْيَىٰ أَدْرَكَ ابْنَ مَرْيَمِ ... طِفْلًا صَغِيرًا فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ

١٩٣ وَبَعْدَ ذَاكَ مَلَكَ الْإِسْكَنْدَرُ ... وَالِاسْمُ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِيمَا يُذْكَرُ

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٩٤ وَكَانَ **عِيسَىٰ** [بَعْدَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ... بِنَحْوِ خَمْسِينَ وَمَائَتَيْنِ

١٩٥ يَنْقُصُ حَوْلًا فِي حِسَابِ الرُّومِ ... بِذِكْرِهِ فِي الْخَبَرِ الْمَعْلُومِ][1]

١٩٦ وَكَانَ فِي أَيَّامِهِ الْأَشْغَانُونْ ... وَهُمْ مُلُوكٌ لِلْبِلَادِ غَازُونْ

١٩٧ فَجَذَّهُمْ بِالسَّيْفِ أَرْدَشِيرُ ... ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَابُورُ

١٩٨ وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ وَصَارَ مُلْكَا ... وَأَعْلَنُوا بَعْدَ الْمَسِيحِ الشِّرْكَا

١٩٩ فَخَصَّ بِالطَّوْلِ بَنِي اسْمَاعِيلِ ... أَضَافَهُمْ لِلشَّرَفِ الْجَلِيلِ

٢٠٠ فَلَزِمَتْ مَكَّةَ وَالْبَوَادِيَا ... وَحَلَّتِ الْأَرْيَافَ وَالْحَوَاشِيَا

٢٠١ وَظَهَرَتْ بِالْيَمَنِ التَّبَابِعَهْ ... شِمْرُ بْنُ رِعْشٍ وَمُلُوكٌ خَالِعَهْ

٢٠٢ وَاسْتَوْلَتِ الرُّومُ عَلَى الشَّامَاتِ ... فَآثَرَتْ رَفَاهَةَ الْحَيَاةِ

٢٠٣ وَأَجْمَعَتْ لِلْفُرْسِ أَرْضَ بَابِلِ ... وَقَنَعَتْ بِآجِلٍ مِنْ عَاجِلِ

٢٠٤ فَهَذِهِ جُمْلَةُ أَخْبَارِ الْأُمَمْ ... مَنْقُولَةٌ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمْ

٢٠٥ وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمُ تَكْثِيرُ ... وَقَلَّمَا تُحَصَّلُ الْأُمُورُ

٢٠٦ وَعَمِيَتْ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخْبَارُ ... إِلَّا الَّتِي سَارَتْ بِهَا الْأَشْعَارُ

---

(١) هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، واللهُ أعلَمُ بصِحَّتِه.

٢٠٧ وَالْفُـرْسُ وَالـرُّومُ لَهُـمْ أَيَّـامُ ... يَمْنَـعُ مِـنْ تَفْخِيمِهَـا الْإِسْـلَامُ
٢٠٨ وَإِنَّمَـا يَقْنَـعُ أَهْـلُ الْعَقْـلِ ... بِكُتُـبِ اللهِ وَقَـوْلِ الرُّسْـلِ
٢٠٩ ثُـمَّ أَزَالَ الظُّلْمَـةَ الضِّيَـاءُ ... وَعَـاوَدَتْ جِدَّتَـهَا الْأَشْيَـاءُ
٢١٠ وَدَانَـتِ الشُّعُـوبُ وَالْأَحْيَـاءُ ... وَجَـاءَ مَـا لَيْـسَ بِـهِ خَفَـاءُ
٢١١ أَتَـاهُـمُ الْمُنْتَجَـبُ الْأَوَّاهُ ... مُحَمَّـدٌ صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ اللهُ
٢١٢ أَكْـرَمُ خَلْـقِ اللهِ طُـرًّا نَفْسَـا ... وَمَوْلِـدًا وَمَحْتِـدًا وَجِنْسَـا
٢١٣ يَقْضِـي لَهُ بِالشَّـرَفِ الْأَشْـرَافُ ... لَا مِرْيَـةٌ فِيـهِ وَلَا خِـلَافُ
٢١٤ أَقَـامَ فِـي مَكَّتِـهِ سِنِينَـا ... حَتَّـىٰ إِذَا اسْتَكْمَـلَ أَرْبَعِينَـا
٢١٥ أَرْسَلَـهُ اللهُ إِلَـىٰ الْعِبَـادِ ... أَشْـرِفْ بِـهِ مِـنْ مُنْـذِرٍ وَهَـادِ
٢١٦ فَظَـلَّ يَدْعُوهُـمْ ثَـلَاثَ عَشْـرَةْ ... بِمَكَّـةٍ قَبْـلَ حُضُـورِ الْهِجْـرَةْ
٢١٧ ثُـمَّ أَتَـىٰ مَحِلَّـةَ الْأَنْصَـارِ ... فِـي عُصْبَـةٍ مِـنْ قَوْمِـهِ خِيَـارِ
٢١٨ أَوَّلُهُـمْ صَاحِبُـهُ فِـي الْغَـارِ ... أَفْضَـلُ تِلْـكَ الْعُصْبَـةِ الْأَبْـرَارِ
٢١٩ صِدِّيقُهَـا الصَّـادِقُ فِـي مَقَالِـهِ ... الْمُحْسِـنُ الْمُجْمِـلُ فِـي أَفْعَالِـهِ
٢٢٠ وَذَاكَ فِـي شَـهْرِ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ ... لِلَيْلَتَيْـنِ بَعْـدَ عَشْـرٍ كُمَّـلِ
٢٢١ فَسُـرَّتِ الْأَنْصَـارُ بِالْمُهَاجِـرَةْ ... وَكُلُّهُـمْ يُؤْثِـرُ دَارَ الْآخِـرَةْ
٢٢٢ وَاحْتَشَـدَتْ لِحَرْبِـهِ الْقَبَائِـلُ ... فَثَبَـتَ الْحَـقُّ وَزَالَ الْبَاطِـلُ
٢٢٣ فَلَـمْ يَـزَلْ فِـي يَثْـرِبٍ مُهَاجِـرَا ... عَشْـرَ سِـنِينَ غَازِيًـا وَنَافِـرَا
٢٢٤ حَتَّـىٰ إِذَا مَـا ظَهَـرَ الْإِيمَـانُ ... وَخَضَعَـتْ لِعِـزِّهِ الْأَوْثَـانُ
٢٢٥ وَبَلَّـغَ الرِّسَـالَةَ الرَّسُـولُ ... وَوَضَـحَ التَّأْوِيـلُ وَالتَّنْزِيـلُ
٢٢٦ وَعُـرِفَ النَّاسِـخُ وَالْمَنْسُـوخُ ... وَكَـانَ مِـنْ هِجْرَتِـهِ التَّأْرِيـخُ
٢٢٧ نَـادَاهُ مَـنْ رَبَّـاهُ فَاسْتَجَابَـا ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا اخْتَـارَ لَـهُ أَصْحَابَـا
٢٢٨ عَدَّلَهُـمْ فِـي مُحْكَـمِ الْكِتَـابِ ... لِعَبْـدِهِ وَلِـذَوِي الْأَلْبَـابِ

مُحَمَّدٌ ﷺ

٢٢٩ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ وَفِي آيَاتِ ... مِنَ الْقُرَانِ غَيْرِ مُشْكِلَاتِ
٢٣٠ قَامَ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي وَلَّاهُ ... أَمْرَ صَلَاةِ النَّاسِ وَارْتَضَاهُ
٢٣١ فَعَاشَ حَوْلَيْنِ وَعَاشَ أَشْهُرَا ... ثَلَاثَةً تَزِيدُ ثُلْثًا أَوْفَرَا
٢٣٢ وَمَاتَ فِي شَهْرِ جُمَادَىٰ الْآخِرَةْ ... يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ غَابِرَةْ
٢٣٣ وَكَانَتِ الرِّدَّةُ فِي أَيَّامِهِ ... فَصَلُحَ النَّقْضُ عَلَىٰ إِبْرَامِهِ
٢٣٤ وَقَامَ مِنْ بَعْدِ أَبِي بَكْرٍ عُمَرْ ... فَبَرَزَتْ أَيَّامُهُ تِلْكَ الْغُرَرْ
٢٣٥ تَضَعْضَعَتْ مِنْهُ مُلُوكُ فَارِسِ ... وَخَرَّتِ الرُّومُ عَلَىٰ الْمَعَاطِسِ
٢٣٦ أَسْلَمَ كِسْرَىٰ فَارِسٍ إِيوَانَهُ ... وَأَصْبَحَتْ مَفْرُوسَةً فُرْسَانُهُ
٢٣٧ وَأَجْلَتِ الرُّومُ عَنِ الشَّآمِ ... وَأَدْبَرَتْ مَخَافَةَ الْإِسْلَامِ
٢٣٨ وَدَانَتِ الْأَقْطَارُ لِلْفَارُوقِ ... وَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ الضِّيقِ
٢٣٩ وَوَهَبَ اللهُ لَهُ الشَّهَادَةْ ... خَاتِمَةً دَلَّتْ عَلَىٰ السَّعَادَةْ
٢٤٠ وَذَاكَ مِنْ بَعْدِ سِنِينَ عَشْرِ ... وَشَطْرِ حَوْلٍ يَا لَهُ مِنْ شَطْرِ
٢٤١ وَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الرِّضَا ... بِالْأَمْرِ ثِنْتَيْ عَشْرَةٍ ثُمَّ مَضَىٰ
٢٤٢ مُسْتَشْهِدًا عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ ... لَمْ يَثْنِهِ عَنْهُ بَنَاتُ الطُّرْقِ
٢٤٣ وَفُوِّضَ الْأَمْرُ إِلَىٰ عَلِيِّ ... الْهَاشِمِيِّ الْفَاضِلِ الزَّكِيِّ
٢٤٤ فَقَامَ بِالْأَمْرِ سِنِينَ أَرْبَعَا ... وَتِسْعَةً مِنَ الشُّهُورِ شَرَّعَا
٢٤٥ ثُمَّ مَضَىٰ مُسْتَشْهِدًا مَحْمُودَا ... عَاشَ حَمِيدًا وَمَضَىٰ مَفْقُودَا
٢٤٦ وَكَانَ هَذَا عَامَ أَرْبَعِينَا ... مِنْهَا انْقَضَتْ مِنْ عِدَّةِ السِّنِينَا
٢٤٧ وَانْتَقَلَ الْأَمْرُ عَنِ الْمَدِينَةْ ... وَكَانَ حَقًّا مَا رَوَىٰ سَفِينَةْ
٢٤٨ عَنِ النَّبِيِّ فِي وُلَاةِ الْأُمَّةْ ... مِنَ الْمُلُوكِ وَمِنَ الْأَئِمَّةْ
٢٤٩ ثُمَّ تَوَلَّىٰ أَمْرَهُمْ مُعَاوِيَةْ ... فَعَاشَ عَشْرًا بَعْدَ عَشْرٍ خَالِيَةْ
٢٥٠ حَتَّىٰ إِذَا أَوْفَاهُمُ عِشْرِينَا ... مَاتَ مِنَ التَّارِيخِ فِي سِتِّينَا

٢٥١ وَمَلَــكَ الْأَمْــرَ ابْنُــهُ يَزِيــدُ ... لَا حَــازِمُ الـرَّأْيِ وَلَا رَشِــيدُ
٢٥٢ وَقُتِــلَ الْحُسَــيْنُ فِـي زَمَانِـهِ ... أَعُــوذُ بِالرَّحْمَــنُ مِـنْ خُذْلَانِـهِ
٢٥٣ وَإِنَّمَــا عَــاشَ ثَـلَاثَ حِجَــجِ ... وَأَشْـهُرًا مِـنْ بَعْـدِ حَمْـلِ الْمَخْرَجِ
٢٥٤ ثُــمَّ ابْنُــهُ مُعَيَّــةُ الْمُضَعَّــفُ ... كَــانَ لَـهُ دِيـنٌ وَعَقْـلٌ يُعْـرَفُ
٢٥٥ فَـدَامَ شَـهْرًا ثُـمَّ نِصْـفَ شَـهْرِ ... وَجَـاءَهُ الْمَـوْتُ عَزِيـزَ الْأَمْــرِ
٢٥٦ وَتَـرَكَ النَّــاسَ بِغَيْــرِ عَهْــدِ ... تَوَقِّيًــا مِنْـهُ وَفَضْــلَ زُهْــدِ
٢٥٧ وَفُــوِّضَ الْأَمْــرُ إِلَــىٰ مَـرْوَانِ ... بَعْـدَ يَزِيـدَ وَهُـوَ شَـيْخٌ فَـانِ
٢٥٨ فَقَتَـلَ الضَّحَّـاكَ فِـي ذِي الْقِعْـدَهْ ... بِرَاهِــطٍ ثُــمَّ اسْتَمَــالَ جُنْـدَهْ
٢٥٩ وَلَـمْ يَعِـشْ إِلَّا شُـهُورًا عَشْـرَهْ ... وَلَيْـسَ شَـيْءٌ يَتَعَـدَّىٰ قَـدْرَهْ
٢٦٠ وَلَـمْ يَـزَلْ إِبْـنُ الزُّبَيْـرِ بَعْـدَهُ ... تِسْـعَ سِـنِينَ لَيْـسَ يَأْلُـو جُهْـدَهُ
٢٦١ مُعْتَصِمًــا بِالْكَعْبَــةِ الْحَــرَامِ ... مُمْتَنِعًــا مِـنْ إِمْــرَةِ الشَّــآمِ
٢٦٢ حَتَّــىٰ تَوَلَّــىٰ قَتْلَــهُ الْحَجَّـاجُ ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا ضَاقَـتْ بِـهِ الْفِجَـاجُ
٢٦٣ وَكَــانَ هَـدْمُ الْكَعْبَـةِ الْمَصُونَـهْ ... وَوَقْعَــةُ الْحَــرَّةِ بِالْمَدِينَــهْ
٢٦٤ وَقَـامَ عَبْـدُ الْمُلِـكِ بْـنُ مَـرْوَانْ ... مُسْـتَنْهِضًا لِلْحَـرْبِ غَيْـرَ وَسْـنَانْ
٢٦٥ حَتَّــىٰ إِذَا دَانَــتْ لَـهُ الْآفَـاقُ ... وَأَقْفَـرَتْ مِـنْ مُصْعَـبَ الْعِـرَاقُ
٢٦٦ وَمِـنْ أَخِيــهِ الْبَلَــدُ الْحَــرَامُ ... وَخَـافَ مِـنْ سَطْوَتِــهِ الْأَنَــامُ
٢٦٧ مَـاتَ وَقَـدْ عَـاشَ ثَـلَاثَ عَشْـرَهْ ... وَأَشْهُــرًا أَرْبَعَــةً بِالْإِمْــرَهْ
٢٦٨ وَمَلَـكَ النَّــاسَ ابْنُـهُ الْوَلِيــدُ ... وَعِنْــدَهُ الْأَمْــوَالُ وَالْجُنُــودُ
٢٦٩ سَـبْعَ سِـنِينَ بَعْدَهَــا ثَمَانِيَــهْ ... كَامِلَــةً مِـنَ الشُّهُــورِ وَافِيَـهْ
٢٧٠ ثُـمَّ سُـلَيْمَانُ بْـنُ عَبْـدِ الْمَلِـكِ ... اخْتِيــرَ لِلْعَهْــدِ وَلَمَّـا يَتْـرُكِ
٢٧١ فَعَـاشَ حَوْلَيْـنَ وَثُلْـثَ حَـوْلِ ... ثُـمَّ أَتَـىٰ دَابِـقِ مُرْخَـىٰ الذَّيْـلِ
٢٧٢ فَمَاتَ وَاسْتَوْلَىٰ عَلَـىٰ الْأَمْرِ عُمَرْ ... بِسِـيرَةٍ مَحْمُـودَةٍ بَيْـنَ السِّـيَرْ

خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ

٢٧٣ فَعَـاشَ عَامَيْـنِ وَنِصْـفَ عَـامِ ... بِدَيْـرِ سَـمْعَانَ سِـوَىٰ الْأَيَّـامِ

٢٧٤ ثُـمَّ تَوَلَّـىٰ أَمْرَهُـمْ يَزِيـدُ ... وَاللهُ فَعَّـالٌ لِمَـا يُرِيـدُ

٢٧٥ وَهُـوَ مِـنْ أَوْلَادِ عَبْـدِ الْمَلِـكِ ... ثَالِثُهُـمْ فِـي عَهْـدِهِ الْمُشْـتَرِكِ

٢٧٦ فَعَـاشَ حَوْلَيْـنِ إِلَـىٰ حَوْلَيْـنِ ... تَزِيـدُ أَشْـهُرًا قَرِيـرَ الْعَيْـنِ

٢٧٧ ثُـمَّ تَوَلَّـىٰ بَعْـدَهُ هِشَـامُ ... أَخُـوهُ فَامْتَـدَّتْ لَـهُ الْأَيَّـامُ

٢٧٨ فَلَـمْ يَـزَلْ عِشْـرِينَ عَامًـا وَالِيَـا ... إِلَّا شُهُـورًا خَمْسَـةً بِوَاقِيَـا

٢٧٩ ثُـمَّ الْوَلِيـدُ بْـنُ يَزِيـدَ الْغَافِـلُ ... تَعَاوَرَتْـهُ الْأُسْـدُ الْبَوَاسِـلُ

٢٨٠ مِـنْ بَعْـدِ شَـهْرَيْنِ وَبَعْـدَ عَـامِ ... وَبَعْـدَ عِشْـرِينَ مِـنَ الْأَيَّـامِ

٢٨١ وَنَصَـبَ الْحَـرْبَ لَـهُ ابْـنُ عَمِّـهِ ... مُسْتَنْكِـرًا سِيـرَتَهُ بِزَعْمِـهِ

٢٨٢ فَقُتِـلَ الْوَلِيـدُ بِالْبَخْـرَاءِ ... مِـنْ بَعْـدِ أَنْ أَثْخَـنَ بِالْأَعْـدَاءِ

٢٨٣ ثُـمَّ يَزِيـدُ بْـنُ الْوَلِيـدِ النَّاقِـصُ ... عَافَصَـهُ الْحَيْـنُ الَّـذِي يُعَافِـصُ

٢٨٤ فَلَـمْ يَعِـشْ إِلَّا شُـهُورًا سِـتَّهْ ... حَتَّـىٰ أَزَالَتْـهُ الْمَنَايَـا بَغْتَـهْ

٢٨٥ وَبَايَعُـوا مَـرْوَانَ أَجْمَعِينَـا ... فَكَـانَ حِصْنًـا لَهُـمُ حَصِينَـا

٢٨٦ وَلَـمْ يَـزَلْ خَمْـسَ سِنِينَ وَافِيَـهْ ... يَمْلُكُهُـمْ وَأَشْـهُرًا ثَمَانِيَـهْ

٢٨٧ حَتَّـىٰ أَتَـىٰ اللهُ وَلِـيُّ النِّعْمَـهْ ... بِالْحَـقِّ مِنْـهُ رَأْفَـةً وَرَحْمَـهْ

٢٨٨ وَاخْتَـارَ لِلنَّـاسِ أَبَـا الْعَبَّـاسِ ... مِـنْ أَنْجَـدِ النَّـاسِ خِيَـارِ النَّـاسِ

٢٨٩ آلِ النَّبِـيِّ مِـنْ بَنِـي الْعَبَّـاسِ ... أَئِمَّـةٍ أَفَاضِـلٍ أَكْيَـاسِ

٢٩٠ فَعَـادَ نَصْـلُ الْمُلْـكِ فِـي قِرَابِـهِ ... وَرَجَـعَ الْحَـقُّ إِلَـىٰ أَصْحَابِـهِ

٢٩١ ثُـمَّ رَقَـىٰ الْمِنْبَـرَ يَـوْمَ الْجُمْعَـهْ ... فِـي مَسْـجِدِ الْكُوفَـةِ يُـذْرِي دَمْعَهْ

٢٩٢ فَقَـامَ فِـي الدِّيـنِ قِيَـامَ مِثْلِـهِ ... بِرَأْيِـهِ الْمَيْمُـونِ حَسْـبَ فِعْلِـهِ

٢٩٣ وَمَـاتَ بَعْـدَ أَرْبَـعٍ كَوَامِـلِ ... وَسَـبْعَةٍ مِـنْ أَشْـهُرٍ فَوَاضِـلِ

٢٩٤ وَقَـامَ بِالْخِلَافَـةِ الْمَنْصُـورُ ... فَاسْتَوْسَقَـتْ بِعَزْمِـهِ الْأُمُـورُ

٢٩٥ فَعَـاشَ ثِنْتَيْـنِ وَعِشْـرِينَ سَـنَهْ ... يَحْمِي حِمَىٰ الْمُلْكِ وَيُفْنِي الْخَوَنَهْ

٢٩٦ ثُـمَّ تُوُفِّـي مُحْرِمًـا بِمَكَّـهْ ... فَـوَرِثَ **الْمَهْـدِيُّ** عَنْـهُ مُلْكَـهْ

٢٩٧ فَعَـاشَ عَشْـرَ حِجَـجٍ وَشَـهْرَا ... وَنِصْـفَ شَـهْرٍ ثُـمَّ زَارَ الْقَبْـرَا

٢٩٨ وَاسْـتَخْلَفَ **الْهَـادِيَ مُوسَىٰ** بَعْدَهُ ... وَكَـانَ قَـدْ وَلَّاهُ قَبْـلُ عَهْـدَهُ

٢٩٩ وَعَـاشَ مُوسَـىٰ سَـنَةً وَشَـهْرَيْنْ ... تَنْقُـصُ يَوْمًـا وَاحِـدًا أَوِ اثْنَيْـنْ

٣٠٠ وَقَـامَ بِالْخِلَافَـةِ **الرَّشِـيدُ** ... الْمَلِـكُ الْمُمَنَّـعُ السَّـعِيدُ

٣٠١ فَعَـاشَ عِشْـرِينَ وَوَفَّـىٰ عَدَّهَـا ... وَعَـاشَ عَامَيْـنِ وَعَامًـا بَعْدَهَـا

٣٠٢ وَنِصْـفَ شَـهْرٍ ثُـمَّ وَافَـاهُ الْأَجَـلْ ... بِطُـوسَ يَوْمَ السَّبْتِ فَانْهَـدَّ الْجَبَلْ

٣٠٣ وَبَايَعُـوا **مُحَمَّـدَ الْأَمِينَـا** ... وَنَكَثُـوا الْبَيْعَـةَ أَجْمَعِينَـا

٣٠٤ إِلَّا قَلِيـلًا وَالْقَلِيـلُ أَحْمَـدُ ... وَالْمَـوْتُ لِلنَّـاسِ جَمِيعًا مَوْعِـدُ

٣٠٥ فَأَمَّنُـوهُ ثُـمَّ قَتَلُـوهُ ... مَـا هَكَـذَا عَاهَدَهُـمْ أَبُـوهُ

٣٠٦ مَـا عَـاشَ إِلَّا أَرْبَعًـا وَأَشْـهُرَا ... حَتَّـىٰ تَهَـادَوْا رَأْسَـهُ مُعَفَّـرَا

٣٠٧ وَبَايَعُـوا **الْمَأْمُـونَ عَبْـدَ اللهِ** ... فَبَايَعُـوا يَقْظَـانَ غَيْـرَ سَـاهِ

٣٠٨ وَفَّـاهُمُ خِلَافَـةَ الْمَنْصُـورِ ... فِـي عَـدَدِ السِّـنِينَ وَالشُّـهُورِ

٣٠٩ ثُـمَّ أَتَـىٰ الـرُّومَ فَمَـاتَ غَازِيَـا ... كَانَ الْبَذَنْـدَوْنَ الْمَحَـلَّ الْقَاصِيَـا

٣١٠ وَقُلِّـدَ الْأَمْـرَ **أَبُـو إِسْحَـاقِ** ... فَانْقَـضَّ كَالصَّقْـرِ عَلَـىٰ الْعِـرَاقِ

٣١١ مُعْتَصِمًـا بِـاللهِ غَيْـرَ غَافِـلِ ... فَأَيَّـدَ الْأَمْـرَ بِـرَأْيٍ فَاضِـلِ

٣١٢ وَقَـامَ فِيهِـمْ حِجَجًـا ثَمَانِيَـا ... وَمِثْلَهَـا مِـنَ الشُّـهُورِ بَاقِيَـا

٣١٣ وَنَحْـوَ عِشْـرِينَ مِـنَ الْأَيَّـامِ ... وَخَمْـسٍ اَدْنَتْـهُ مِـنَ الْحِمَـامِ

٣١٤ وَمَـاتَ فِـي شَـهْرِ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ ... وَعُمْـرُهُ خَمْسُـونَ لَـمْ يَسْـتَكْمِلِ

٣١٥ فَبَايَعُـوا مِـنْ بَعْـدِهِ **لِلْوَاثِـقِ** ... وَكَـانَ ذَاكَ بِالْقَضَـاءِ السَّـابِقِ

٣١٦ وَلَـمْ يَـزَلْ فِـي بَسْـطَةٍ وَمَنَعَـهْ ... خَمْـسَ سِـنِينَ وَشُـهُورًا تِسْـعَهْ

٣١٧ وَزَادَ أَيَّامًــا عَلَيْهَــا خَمْسَــهْ ... مَعْــدُودَةً ثُــمَّ تَــوَارَىٰ رَمْسَــهْ

٣١٨ وَبَايَــعَ النَّــاسُ الْإِمَــامَ **جَعْفَــرَا** ... خَلِيفَـــةَ اللهِ الْأَغَـــرَّ الْأَزْهَـــرَا

٣١٩ بَعْـدَ ثَلَاثِيـــنَ وَمِيتَـــيْ عَـــامِ ... وَبَعْـدَ حَوْلَيْـنِ سِـوَىٰ الْأَيَّـــامِ

٣٢٠ خَلَـتْ مِـنَ الْهِجْـرَةِ فِي الْحِسَـابِ ... فِـي الْعَرَبِـيِّ الْمُحْكَـمِ الصَّـوَابِ

٣٢١ لِسِـتَّةٍ بَقِيـنَ مِـنْ ذِي الْحِجَّـهْ ... فَأَوْضَـحَ السَّـبِيلَ وَالْمَحَجَّـــهْ

٣٢٢ وَقَـامَ فِـي النَّـاسِ لَهُـمْ خَلِيفَـهْ ... خِلَافَـــةً مُنِيفَـــةً شَرِيـــــفَهْ

٣٢٣ قَـدْ سَكَّـــنَ اللهُ بِـهِ الْأَطْرَافَـــا ... فَمَـا تَـرَىٰ فِـي مُلْكِـهِ خِلَافَـا

٣٢٤ أَقَـامَ عَشْـرًا ثُـمَّ خَمْسًـا بَعْدَهَـا ... مِـنَ السِّـنِينَ فَأَبَـــانَ مَجْدَهَـــا

٣٢٥ ثُـمَّ تَوَلَّـــىٰ قَتْلَـــهُ الْفَرَاغِنَـــهْ ... وَسَـاعَدَتْهُم عُصْبَـــةٌ فَرَاعِنَـــهْ

٣٢٦ لِأَرْبَـعٍ خَلَـــوْنَ مِـنْ شَـــوَّالِ ... فَأَصْبَـحَ الْمُلْـكُ أَخَـا اخْتِـلَالِ

٣٢٧ وَبايَعُـوا مِـنْ بَعْـدِهِ **لِلْمُنْتَصِـرْ** ... فَأَصْبَـحَ الرَّابِـحُ مِنْهُـمْ قَـدْ خَسِـرْ

٣٢٨ فَعَـاشَ فِـي السُّـلْطَانُ سِـتَّةَ اَشْـهُرِ ... أَخْرَجَهُـم مِـنْ مُلْكِـهِ وَالْعَسْـكَرِ

٣٢٩ ثُـمَّ أَتَـــاهُ بَغْتَـــةً حِمَامُـــهُ ... سُـبْحَانَ مَـنْ يُعَاجِـلُ انْتِقَامُـهُ

٣٣٠ فَانْتَخَـــبَ اللهُ لَهُـــمْ إِمَامَـــا ... يُؤَيِّـــدُ اللهُ بِــهِ الْإِسلَامَـــا

٣٣١ وَبَايَعُـوا بَعْـدَ الرِّضَـا **لِأَحْمَـدِ** ... **الْمُسْتَعِيـــنِ** بِالْإِلَـهِ الْأَوْحَـدِ

٣٣٢ وَكَـانَ فِي الْعِشْـرِينَ مِـنْ وُلَاتِهَا ... مِـنْ آلِ عَبَّـاسٍ وَمِـنْ حُمَاتِهَـا

٣٣٣ فَنَحْـنُ فِـي خِلَافَـــةٍ مُبَارَكَـهْ ... خَلَتْ عَـنِ الْإِضْـرَارِ وَالْمُشَـارَكَهْ

٣٣٤ فَالْحَمْـدُ لِلَّـهِ عَلَـىٰ إِنْعَامِـــهِ ... جَمِيـعُ هَـذَا الْأَمْـرِ مِـنْ أَحْكَامِـهِ

٣٣٥ ثُـمَّ السَّـــلَامُ أَوَّلًا وَآخِـــرَا ... عَلَـىٰ النَّبِـيِّ بَاطِنًـا وَظَاهِـرَا

فِهرِسُ الـمَوضوعَاتِ:

رَوابِطُ قَنَواتِ مَعْهَدِ السُّنَّةِ:

مَوقِعُ مَعهَدُ السُّنَّةِ:

رابِطُ الفيس بوك:

رابِطُ التِّلجرام:

رابِطُ الانستغرام:

رابِطُ التويتر (X):

رابِطُ الواتساب:

قَناةُ اليوتوب:

رابِطُ تَحميلِ الكُتُبِ: